الثقافة الإسلامية

ثقافة المسلم وتحديات العصر

الأستاذ الدكتور محمد أبو يحيى

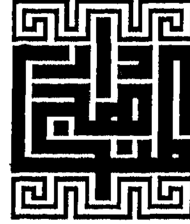
الدكتور راشد شهوان — الدكتور عبد الرحمن الكيلاني

الدكتور أحمد العوايشة — الدكتور يوسف غيظان



الثقافة الإسلامية

ثقافة المسلم وتحديات العصر



دار المناهج للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

هاتف ٤٦٥٠٦٢٤
فاكس (٠٠٩٦٢٦)
٤٦٥٠٦٢٤
ص.ب. ٢١٥٣٠٨
عمان ١١١٢٢
الأردن

الموقع
عمان
شارع الملك حسين
بناية الشركة المتحدة
للتأمين

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٠/٢/٢١٩
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية ٢٠٠٠/٢/٤٣١

المحتويات

الوحدة الثالثة

خصائص الثقافة الإسلامية

الوحدة الرابعة

الإسلام والعلم

الوحدة الخامسة

قضايا ثقافية معاصرة من منظور إسلامي

الوحدة السادسة

تحديات تواجه الثقافة الإسلامية

الوحدة السابعة

النظم الإسلامية

الوحدة الثامنة

الشبهات التي أثيرت حول الإسلام

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد ،

فهذا كتاب الثقافة الإسلامية "ثقافة المسلم وتحديات العصر" في طبعته الثانية التي حرصنا فيها أن تكون منقحة ومختصرة للموضوعات التي جاءت في الكتاب الأصل، اختصارا لا يخل بالخطة الدراسية المقررة ، تاركين الكتاب الأصل مرجعاً لمن أراد التوسع في الموضوعات التي تناولها الكتاب والاستفادة منها في كتابة الأبحاث والتقارير العلمية لإثراء مادة الخطة الدراسية.

وقد راعينا في هذا الاختصار مصلحة الأستاذ ومصلحة الطالب، بما يتمشى مع الخطة الدراسية ويتناسب مع الزمن في اتمام المقرر في الفصل الدراسي الجامعي.

سائلين المولى عز وجل أن يوفقنا وأبناءنا الطلاب لما يحبه ويرضاه.

المؤلفون

حرر في ٢٤ ربيع الثاني ١٤٢١هـ

٢٠٠٠/٧/٢٥

عمان –الأردن

مقدمة الطبعة الأولى (مختصرة)

أصبحت مادة الثقافة الإسلامية متطلباً أساسياً من مواد العلوم الشرعية التي تدرس في الجامعات والكليات العلمية لمختلف التخصصات وأسهم أساتذة كثيرون في تدريسها وكتب فيها مؤلفات غزيرة كانت في غالبيتها كتابات ذات قوالب تقليدية يعوزها التخصص الدقيق في هذا الفن.

لذلك اتجهت جامعة البلقاء التطبيقية إلى وضع خطة جديدة لمادة الثقافة الإسلامية لتدرس في الكليات الجامعية والكليات المتوسطة التابعة لها، متوخية من ذلك تحقيق الأهداف التالية:

١- تعميق انتماء الطالب بالثقافة الإسلامية واعتزازه بها.

٢- تعريف الطالب بعض مستجدات الثقافة وقضاياها المعاصرة.

٣- تعريف الطالب بعض التحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية وبيان كيفية مواجهتها.

٤- تعريف الطالب نظم الإسلام وأثرها في الحياة وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

٥- تحصين الطالب ضد الشبهات التي تثار حول الإسلام وتمكينه من الرد عليها.

٦- تعريف الطالب بمناهج البحث العلمي في فروع الثقافة الإسلامية.

وانطلاقاً من أهداف هذه المادة، فقد وافق عطوفة رئيس الجامعة بقراره رقم ٧/١/٨/ ٩٨٣، الموافق ١٧/١٠/١٩٩٨م، على تشكيل لجنة لتأليف كتاب يغطي المادة المطلوبة، وذلك بناءً على تنسيب من كلية الدعوة وأصول الدين.

وقد وزعت موضوعات الكتاب على أعضاء اللجنة وفق الترتيب التالي:

١- أ.د محمد حسن أبو يحيى عميد كلية الدعوة واصول الدين. وقد كلف بتنسيق الكتاب ومراجعته وكتابه النظام الاقتصادي في الإسلام من الوحدة السابعة (النظم الإسلامية).

٢- د. راشد سعيد شهوان، الاستاذ المساعد في كلية الدعوة وأصول الدين وقد كلف بالكتابة في الوحدة الأولى ((التعريف بالثقافة بعامة والثقافة الإسلامية بخاصة)). والوحدة الخامسة ((قضايا ثقافية معاصرة من منظور إسلامي)).

٣- د. عبد الرحمن إبراهيم الكيلاني، الأستاذ المساعد في كلية الشريعة، جامعة مؤتة. وقد كلف بالكتابة في الوحدة السادسة ((تحديات تواجه الثقافة الإسلامية)) والوحدة الثامنة ((رد الشبهات التي أثيرت حول الإسلام)).

٤- د. أحمد العوايشة، الأستاذ المساعد في كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، ورئيس قسم أصول الدين. وقد كلف بالكتابة في الوحدة الثانية ((مصادر الثقافة الإسلامية)) والوحدة الرابعة ((الإسلام والعلم)).

٥- د. يوسف علي غيظان، عميد كلية الشريعة، الجامعة الأردنية. وقد كلف بالكتابة في الوحدة الثالثة ((خصائص الثقافة الإسلامية)) والوحدة السابعة ((النظم الإسلامية)) ما عدا النظام الاقتصادي في الإسلام.

والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل

المؤلفون

الوحدة الأولى
التعريف بالثقافة بعامة والثقافة الإسلامية بخاصة

الفصل الأول
التعريف بالثقافة بعامة

المبحث الأول: مفهوم الثقافة في اللغة والاصطلاح

نظرا لأهمية المصطلحات وخطورتها على الافكار، وأثرها في توجيه الأبحاث والدراسات، فإنه يحسن بنا بادئ ذي بدء أن نعطي لمحة موجزة عن مفهوم الثقافة، لأن تحديد المصطلح الذي يستعمله الباحث أمر في غاية الأهمية، لأنه يعطي البحث المقاييس والموازين التي يسير بموجبها، فان كان التصور صحيحا لهذا المفهوم أو المصطلح كانت النتائج صحيحة، وبدون هذا التحديد سيدور الكلام في حلقة مفرغة، ولا يستطيع أن ينطلق من تصورات واضحة يتفق عليها للوصول إلى حل أية مشكلة. والدخول في عالم الأفكار قبل الوقوف أمام تحديد المصطلحات، هو الذي يوجد الالتباس في الأذهان والتصورات والمسميات.

أولا– معنى الثقافة في اللغة:

أصل كلمة "الثقافة" في اللغة العربية، مصدر مشتق من الفعل الثلاثي ثَقِف، بضم القاف وكسرها. وللفعل ثقف معانٍ كثيرة في المعاجم والقواميس العربية[1]

نستنتج منها أن للثقافة دلالتان:

أ– معنى حقيقي (حسي)

ب– معنى مجازي (معنوي)

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني،ومعجم المقاييس في اللغة لابن فارس مادة (ثقف)

إذ الأصل في دلالة الكلمة في اللغة العربية أن تستعمل في معناها الحقيقي الحسي التي وضعت له. ثم تتطور دلالة الكلمات، فتتسع لتدل على غير المحسوس، لعلاقة بين المعنيين، أي تتسع لتدل على الأمور المعنوية دلالة مجازية. فمن هذه المعاني الأصلية والدلالات الحقيقية، التي وردت بها كلمة ثقافة في المعاجم العربية ما يلي:

١- إدراك الشيء والحصول عليه.

٢- تقويم المعوج وتسويته.

٣- المثاقفة والملاعبة بالسيف.

ومن المعاني المجازية والدلالات المعنوية التي وردت بها كلمة ثقافة في المعاجم العربية ما يلي:

١- الحذق والفطنة والذكاء.

٢- التأديب والتهذيب.

٣- سرعة التعلم والفهم.

٤- إدراك العلوم وضبط المعرفة المكتسبة.

٥- تنمية الفكر والمواهب[١].

وبالتأمل فيما سبق نجد أن لمفهوم الثقافة دلالات أصلية ودلالات متطورة وان بين المعنى الأصلي والمعنى المتطور علاقة وقرينة[٢]، وتعتبر هذه المعاني هي الأصل في استعمال كلمة الثقافة، إلا أنه يجوز أن يصطلح على نقلها إلى معان اخرى، على أن يكون المعنى الذي يصطلح علية ذا صلة بالمعنى اللغوي الأصيل، كما اصطلح النحاة على كلمتي "فاعل ومفعول" مثلا، إذ نقلوهما من المعنى اللغوي إلى مصطلح نحوي محدد.

وعلى هذا فليس غريبا أن نجد بين المعنى اللغوي للثقافة، ومعناها الاصطلاحي صلة ونسبا.

فقد عرف المجمع اللغوي الثقافة بالمعنى العام بأنها: جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها"[٣].

وعرفها المعجم الفلسفي بقوله "كل ما فيه استثارات للذهن وتهذيب للذوق[٤] *.

---

(١) انظر هذه المعاني والدلالات في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ص ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١

(٢) دلالة الكلمة العربية وتطورها، د.توفيق حمارشه ص٥ بحث على الآلة الكاتبة ١٩٩٦.

(٣) المعجم الوسيط مجمع اللغة العربية مادة ثقف، ج١، ص ٩٨، القاهرة.

(٤) المعجم الفلسفي، ص ٥٨.

* لمزيد من الإيضاح راجع الدلالات المستنبطة من معنى الثقافة في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ص١٩-٢٠-٢١.

المبحث الثاني

أشهر تعريفات الثقافة بمعناها العام

من الصعب إن يجد الباحث تعريفا جامعا متفقا عليه للثقافة بمعناها العام، لاختلاف العقائد والفلسفات والأيدلوجيات التي تنطلق منها هذه التعريفات، وما تقوم عليه من تصورات، ولكن يمكن أن نذكر أن من أبرز هذه التعريفات، لمفهوم الثقافة بمعناها العام ما يلي:

أولا: للثقافة في أذهان الباحثين فهمان شهيران .

أ- فهم قائم بأذهان أصحاب الدراسات الإنسانية (علم الإنسان) التي تهتم بدراسة حياة المجتمعات البدائية وأهمها الانثروبولوجيا. والثقافة في نظر أصحاب هذا الفهم هي طريقة الحياة. وتشمل الثقافة حسب هذا التصور كل نواحي النشاط العادي كالعمل والعبادة والزواج والاحتفالات، وكل ما يصدق عليه أنه من العادات والتقاليد.

ب- الفهم الثاني فيلتزم به الناظرون في الحياة الفكرية للشعوب. والثقافة في نظر أصحاب هذا الفهم، هي نتاج الفكر، وتشمل الثقافة حسب هذا التصور كل نواحي النشاط الفكري، كالفلسفة والعلم والأدب بفروعه المختلفة، ويعد عالم الأجناس البريطاني ادوارد تايلور (١٨٣٢-١٩١٧) أول من وضع تعريفا عاما شاملا للثقافة الإنسانية من منطلق الانثروبولوجيا الغربية، في كتابه "الثقافة البدائية" الذي وضعه عام ١٨٧١م، وينص هذا التعريف على أن الثقافة بمعناها العام الواسع هي "نظام كلي متشابك ومركب، ويشتمل: المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات والتقاليد ... وجميع العناصر التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضوا في مجتمع"(١).

ثانيا: فهم يجعل الثقافة ظاهرة خاصة مرتبطة بمجتمع معين.

وقال بهذا التعريف مجموعة من علماء الإنسان الأمريكيين في كتاب صدر سنه ١٩٥٢ بعنوان الثقافة، مراجع نقدية للمفاهيم والتعريفات. والثقافة طبقا لهذا التعريف: نظام اجتماعي يستمد من تاريخ وتراث مجتمع معين، ويظهر في منهج خاص للحياة (متقدم أو متخلف) يتبعه أفراد ذلك المجتمع، وهذا النظام يشمل: اللغة والتقاليد

---

(١) tylar. E.B. primitive Culture , New Brentano's (١٩٢٤) pl.

والمؤسسات، والأفكار الموجهة، و العقائد والقيم التي تسود في الواقع الاجتماعي[1]. وعلى هذا عرفها كلباترك الامريكي "بأنها كل ما صنعته يد الإنسان وعقله من مظاهر البيئة الاجتماعية"[2]. وعرفها الفيلسوف الأمريكي البرجماتي جون ديوي "بأنها حصيلة التفاعل بين الإنسان وبيئته"[3] وعرفها آخر بقوله "هي المحيط الذي يشكل فيها الفرد طباعه وشخصيته".

ثالثا: تعريفات قال بها بعض التربويين العرب، وبعض المفكرين المسلمين، مرة بإضافة الثقافة ووصفها وتخصيصها، ومرة بإطلاقها وعدم تقييدها[*].

المبحث الثالث

محاذير واخطار في مصطلح الثقافة الغربي الوافد

إن عدم وضوح المفاهيم خطر كبير على استقامة الفكر. وان المصطلح كما ذكرت هو الوعاء التعبيري الذي تطرح من خلاله الفكرة، التي تشكل مفهومات الناس وتصوراتهم وسلوكهم، بما تحمله من مدلولات ومضامين لغوية وثقافية وحضارية، فإذا اضطرب الوعاء أو اختلفت مدلولاته التعبيرية اختل البناء الفكري ذاته، واهتزت قيمته في الأذهان، وخفيت حقائقه، وربما عظمت مضرته بانعكاساته في ثقافات الأمم وحياة الشعوب. والأمم الراقية في أفكارها وتصوراتها، هي التي لا تقبل مصطلحات ومسميات الآخرين، وخاصة في مجال العلوم الانسانية، دون تحليل أو تمحيص أو تأصيل.

ونظرا لما يحمله مفهوم الثقافة في التصورات الغربية الوافدة، من لوثات علمانية وقشور الحادية؛ أود التنبيه إلى بعض الملحوظات والمحاذير:

١ - اخطر ما يمثل المنهج الغربي الوافد عجزه عن التفرقة بين المفاهيم التي تتصل بالعلوم الإنسانية والثقافية، وبين المفاهيم التي تتصل بالعلوم الطبيعية التجريبية، حيث

---

(١) محاولة لاستكشاف الثقافة الإسلامية د. احمد غراب ص٤.

(٢) الموسوعة الفلسفية، د. معن زيادة.

(٣) التربية المعاصرة، د. منير شفشق ص٣٩.

(*) راجع هذه التعريفات في الطبعة الأولى لهذا الكتاب ص٢٢، ٢٥، ٢٦.

أصبحت تقاس جميعها بمقياس واحد، وتعامل بنفس المنهج، وهذه ظاهرة قديمة جديدة في الفكر الغربي، اتسع نطاقها بعد إن استشرت الفلسفة المادية والدراسات الانثروبولوجية[1] على مختلف الميادين، فغلب على الجميع طابع العلمانية، ووجهة النظر الانثروبولوجية المتحررة من عنصري الدين والأخلاق.

٢- ان خطورة التصورات الغربية لمصطلح الثقافة تكمن في حصر الثقافة في كل ما صنعته يد الإنسان وعقله من مظاهر البيئة، فهي بهذا تجعل الدين والعبادات والقصص والروايات والأساطير في سلة واحدة، فتعتبر كل الديانات السماوية الصحيحة والمحرفة والوثنية من صناعة الإنسان، وهي بهذا تشكك في نشأة العقيدة الإلهية ونشأة الأسرة والاجتماع البشري نشأة سوية، دينية صحيحة.

٣- أن المصطلحات الوافدة لمفهوم الثقافة أغفلت المعايير الشرعية في ضوابط العلاقات الثقافية والروابط الاجتماعية، فجعلتها تقوم على الحريات المطلقة والمزاجية والأهواء والأذواق العامة، ومفاهيم العقل الجمعي[2] ونزعة القطيع، والتطور ودوام التغيير، فتحل اليوم ما حرمته بالامس، وتحرم غدا ما أحلته اليوم بلا ضابط ولا منطق معقول، فلا ثبات في شيء من القيم والأخلاق، فالأخلاق في ميزانها ليس لها كيان ثابت، فهي متطورة مختلفة باختلاف البيئات والعصور، فكل عصر -في نظرها- له

(١) الانثروبولوجيا (علم الإنسان): يدرس هذا العلم الإنسان بوصفه كائنا اجتماعيا، وينصب اهتمامه -خصوصا في شكله الأقدم- على السلالات البشرية، واللغات والحضارات والثقافات في العالم، ويدرس كل الظاهرات التي تتعلق بالانسان، يبني هذه الدراسات على اساس فكرة حيوانية الإنسان وماديته.
وتنطلق هذه الدراسات من تصورات جاهلية. تنكر أصالة الإنسان وأصالة الاديان، وترى أن المجتمعات تسير في نسق تطوري متصاعد بعد انفصالها عن عالم الحيوان إلى المرحلة الراقية، وقد تغلغلت هذه النظريات في ابحاث علم النفس والاجتماع والتاريخ والحضارة واللغة والاداب، وتشعبت في مختلف العلوم الاجتماعية، وأصبحت مكونا أساسيا فيها، تستقي منها مسلمالها وافتراضالها. وكان لها نتائج خطيرة وعميقة الاثر في هذه المعرفة، والتصورات الغربية بصفة عامة. وقد ضلت هذه الدراسة منذ بدايتها في عصر الكشوف الجغرافية رؤية الغربي للآخر الذي كان يجري استكشافه من أجل استعماره واستغلاله وبالتالي تطوير التفوق عليه، راجع كتاب الأنثروبولوجيا والاستعمار لجيرار لكرك ترجمة جورج كتوره، وكتاب الثقافة والامبريالية لادوت سعيد.

(٢) العقل الجمعي: صاحب هذه الفكرة، اميل دوركايم (حاييم) ١٨٥٨-١٩١٧ يهودي فرنسي، تخصص في علم الاجتماع، وأخذ عن دارون التفسير الحيواني للانسان، فمدده ووظفه ليطغى على ميادين العلاقات الاجتماعية. وفكرة العقل الجمعي مبنية على فكرة حيوانية الإنسان وماديته التي قال بها دارون وخلاصة آرائه في الكائن البشري أنه محكوم بنزعة القطيع التي تحكم عالم الحيوان، وتسيره دون وعي منه ولا ارادة، ودوركايم لم يشأ أن يستخدم المصطلح الحيواني مباشرة كما استعمله أسلافه دارون وفرويد وغيرهم، فلم يسمها في عالم الإنسان "نزعة القطيع" وإنما سماها "العقل الجمعي" ونسب اليها في عالم الإنسان ما ينسب في عالم الحيوان. انظر: مذاهب فكرية معاصرة محمد قطب ص١١٥

مقياسه، ومقياسه: هو الأمر الواقع في ذلك العصر، والإنسان دائم التشكل على الصورة التي يقتضيها أو يرتضيها العصر.

٤- مفهوم الثقافة الغربية الوافد، يغفل مفاهيم الحلال والحرام، فلا تجد في قاموسه مفردات الحساب والعقاب والثواب، أو الجنة والنار، كما يتجاهل الحياة الآخرة، ويبرز الحياة الدنيا وحدها، ويجعلها محل الاهتمام والتقدير.

٥- ومن المحاذير التي يجب أن ننتبه إليها، أن وراء كل الثقافات أنظمة وأفكاراً وعقائد وتصورات تنبثق عنها وتتصل بها اتصال الفروع بالجذور، والثقافات ما هي إلا مظاهر خارجية لعقيدة أو فلسفة تؤمن بها الشعوب، وبالتالي من الثقافات ما هو صالح ومنها ما هو جاهلي، فالثقافات الراشدة هي التي تستمد تصوراتها ومبادئها وقيمها وقوامها ومقوماتها من الدين الصحيح، والحسن فيها ما حسنه الشرع والقبيح فيها ما قبحه الشرع. فالثقافة الراشدة هي التي يشكل سلوكها القرآن الكريم وتستمد كيانها من الإسلام، وليس من الذوق العام والطرق التي رسمها الشياطين قال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ۝ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴾[1].

(١) سورة النجم ٢٩-٣١.

الفصل الثاني

التعريف بالثقافة الإسلامية بخاصة

تمهيد في مفهوم الثقافة الإسلامية:

لما كان علم الثقافة الإسلامية -بهذا الاسم علما جديدا و لم يكن عند المسلمين في الماضي مصطلح للثقافة يتجاوز معانيها اللغوية -كما ذكرت- وكان مفهومها المحدد غير واضح لدى بعض الباحثين وطلبة العلم، أومختلطا بالمفهوم العام للثقافة (اخذ شيء من كل شيء)، كان من الواجب على المتخصصين في هذا الحقل، وضع تحديد لهذا المصطلح وتوضيح معالمه وبيان اهميته وموضوعاته، وما يتعلق به من مسائل. وما من شك في ان تحديد معنى الثقافة الإسلامية، يتحدد بموضوعاتها، كأي علم من العلوم، ذلك لأن تصور الثقافة الإسلامية نابع من محتواها، ومحتواها ضابط لمعناها.

ولما لم يكن هناك كتاب علمي يبلور ذلك(*)، ويضبط مصطلحاتها، ويضع اطارا منسجما لمحتوياتها، ويحدد قسماتها، ويخرجها من العموميات والتكرار والتداخل، ويقرب مضامينها العلمية للدارسين.

ونظرا لتأخر المتخصصين في تحديد ذلك واخراجه، وتأخير بيانه عن وقت الحاجة، فقد أدى ذلك إلى وضع تعريفات كثيرة(**)، لا تنسجم مع مقام الثقافة الإسلامية كعلم جديد، مما أدى ذلك إلى تفتيت محتواها وتشتيت معناها، والى تأرجح دلالاتها طبقا لاختلاف اتجاهات الباحثين وتصوراتهم، الذين تناولوها بالبحث والدراسة، وهوما سنفصل القول فيه فيما يلي:-

---

(*) ولا اريد ان أنقص من قدر ما كتب ومن كتب فجزى الله الجميع خير الجزاء، ولكنه بيان لطبيعة نشأة العلوم وتطورها، فما من علم الا وقد مر في مرحلة نشوئه بمثل هذه التطورات وأخذ على ما كتب فيه قبل استقراره مثل هذه الملحوظات.

(**) ليس هذا خاصا بالثقافة الإسلامية وحدها، فهناك ما يعترض الدارسين من صعوبة التعريف الجامع لكثير من المصطلحات التي أصبحت شائعة رائجة في العصر الحديث كمفهوم الاصالة والمعاصرة، والحداثة والتقدمية والرجعية، والتراث، والحضارة وغير ذلك.

المبحث الاول

اتجاهات تعريف الثقافة الإسلامية

أولا: التعريف العام للثقافة الإسلامية.

وهو الاتجاه التربوي في تعريف الثقافات: وهو الذي يجعل حياة الأمة أساسا يدور عليه التعريف، ويركز هذا الاتجاه على إحياء عناصر الثقافة ومقوماتها من وجهة نظر معينة، فإذا كانت الثقافة التي يراد تكوينها إسلامية، ركز أصحاب هذا الاتجاه على العناصر والمقومات الإسلامية للثقافة. وإذا كانت الثقافة قومية ركز أصحاب هذا الاتجاه على عناصر ومقومات الأمة العربية، وإذا كانت الثقافة وطنية ركز أصحاب هذا الاتجاه على عناصر ومقومات الثقافة الوطنية، وكذلك الحال إذا كانت الثقافة رأسمالية أو اشتراكية أو بعثيه أو ثقافة فرعونية.. ومثل هذا يقال في مفهوم التربية.

تعريف الثقافة حسب هذا الاتجاه، يقوم على التصور التالي: "معرفة مقومات الأمة بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، من دين، ولغة وتاريخ وحضارة وقيم وأهداف".

والعناصر التي يقوم عليها هذا التعريف تتركز في دراسة حياة الأمة من جميع جوانبها على أساس أن لكل أمة ثقافتها وذاتيتها التي هي عنوان عبقريتها، وأصالتها والمعبرة عن روحها وهويتها وشخصيتها المتميزة.

ولأهمية الثقافة بهذا المعنى، فان آلية تطبيقها وتفعيلها يلزم أهلها دراسة واعية لكل مقوماتها وتراثها وعناصر وحدتها ووجودها، لتنهض برسالتها وتؤكد بقاءها واستمرارها وتجدد عمرها[1].

ثانيا: التعريف الخاص للثقافة الإسلامية.

هو اتجاه معرفي، ويجعل هذا الاتجاه "العلوم الإسلامية" أساسا يدور عليه التعريف، وبهذا تكون الثقافة الإسلامية مرادفة "للدراسات الإسلامية" أو "العلوم الإسلامية" أو "التربية الإسلامية".

وتعريف الثقافة الإسلامية حسب هذا الاتجاه يقوم على:

---

(1) دراسات في الثقافة الإسلامية. د. رجب شهوان ص١١.

"معرفة مقومات الدين الاسلامي، بتفاعلاتها في الماضي والحاضر، والمصادر التي استقيت منها هذه المقومات، بصورة نقية مركزة".

ويعني هذا التعريف دراسة العلوم الإسلامية، مستمدة من القرآن والسنة النبوية وما اضافه علماء العقيدة والتفسير والحديث والفقه والسيرة وغير ذلك من ثمرات الفكر الإسلامي.

ولأهمية الثقافة الإسلامية بمعناها الخاص يلزم الفرد المسلم بدراسة واعية لكل مقوماتها، من أجل قيام الحياة الفاضلة، وبناء صرح الاخوة الإسلامية، وتكوين القاسم الديني المشترك بين أبناء الكليات والجامعات والمجتمع، والذي يتمثل بفكره التوحيد الجامعة ونظام الشريعة الشامل وقانون الأخلاق المشترك(١)

ثالثا: التعريف المميز للثقافة الإسلامية.

ويرى هذا الاتجاه أن الثقافة الإسلامية علم جديد له موضوعاته الخاصة التي تميزه عن غيره من العلوم الإسلامية كالحديث أو التفسير أو الفقه اوالاصول، وهو علم أوجدته الأحداث والمستجدات والتحديات والدراسات المعاصرة(٢). وتعريف الثقافة الإسلامية حسب هذا الاتجاه يقوم على التصور التالي:

"معرفة التحديات المعاصرة المتعلقة بمقومات الأمة الإسلامية، ومقومات الدين الاسلامي، بصورة مقنعة موجهة"(*).

ويقوم هذا التعريف على دراسة الموضوعات العصرية الجديدة، ورد الشبهات ودراسة الاستشراق والتيارات الفكرية الحديثة والمذاهب الفكرية المعاصرة، وغير ذلك من التحديات والأخطار التي تواجه الإسلام والمسلمين(٣).

ملحوظات على الاتجاهات والتعريفات السابقة :

من الملاحظ أن هذه التعريفات منها ما هو عام ومنها ما هو خاص ومنها ما هو أخص، وبعبارة أخرى، من العلماء من يرى أن الثقافة أعم من الإسلام، ومنهم من يراها

---

(١) المرجع السابق ص ١٢.

(٢) المرجع السابق ص ١٢.

(*) ان اول من أصل مفهوم الثقافة الإسلامية بهذا المعنى هو الدكتور رجب شهوان وله قصب السبق في ذلك، في كتاب: "دراسات في الثقافة الإسلامية" المطبوع في الكويت ١٩٨٠، إصدار مكتبة الفلاح، وقد كتب في الموضوع نفسه كتابا بعنوان: في الثقافة الإسلامية للدكتور احمد نوفل ورفاقه المطبوع في دار عمار ١٩٨٤ عمان، ويبدو ان المتأخر اخذ عن السابق. ولهذا وجب التنبيه دفعا للالتباس.

(٣) دراسات في الثقافة الإسلامية مرجع سابق ص ١٢.

مساوية للإسلام، ومنهم من يرى أنها أخص منه. ومن الملاحظ أن الاتجاهين الأولين كان لهما انعكاسهما على كتابة الثقافة الإسلامية والتأليف فيها، وكان لهما أثرهما في تحديد المقررات والمناهج التعليمية التي يقوم عليها تدريس هذه المادة في المدارس والجامعات(*).

فأصبحت الثقافة الإسلامية حسب الاتجاه الأول، في بعض المقررات عرضا للمنجزات الحضارية عند المسلمين، وتمجيدا لتلك المنجزات، وصارت بعض هذه المؤلفات والمقررات الدراسية نمطا من الدراسة التاريخية، البعيد عن الواقع. وصارت مادة الثقافة الإسلامية حسب الاتجاه الثاني، معرفة عامة عن الاسلام، ومدخلا جميلا للشريعة، يفيد العامة ولا يغني الخاصة.وأصبح تصور كثير من المدرسين والدارسين لهذه المادة على أنها مقررا يضم شيء من العقيدة وشيء من التفسير وشيء من الحديث وبعض المعلومات العامة عن الفقه والحضارة الإسلامية وصار كل مدرس يجير الثقافة الإسلامية إلى تخصصه حين يطلب منه تدريسها. وهذا الواقع جعل مادة الثقافة الإسلامية تكرار واجترار، وتحصيل حاصل لمعلومات أخذها ودرسها الطلاب في مراحل ما قبل الدراسة الجامعية، مما عكس الملل في نفوس الطلبة، وافقد هذا المقرر الجاذبية والأهمية المطلوبة(**).

ولهذا فاننا سنتجاوز التعريفين والاتجاهين الأولين، بعلاتهما ونقاشهما، لنعتمد الاتجاه الثالث، الذي لم يكن له حظ واسع من الاهتمام. باعتباره مقررا جديدا له مباحثة الجديدة ومجالاته وموضوعاته الخاصة، وليس معرفة عامة عن الاسلام، مع اجراء بعض التعديلات عليه، وذلك لتميزه بالدقة والتركيز، وشمول مفهومه وموضوعاته، وتوافقه لجميع التخصصات الشرعية والمهنية والاجتماعية. ولأنه بهذا الطرح الجديد بمفهومه المتميز ومعناه -الأخص- الذي سوف نبسط القول فيه، أكثر تشويقا للطلبة، واقرب إلى ميولهم واهتماماتهم، ورد الشبهات التي تواجههم، ولأنه يتوافق مع المستوى الذي يعيشونه من الغزو الفكري والثقافي، ليكونوا بذلك على مستوى عصرهم، فيفقهوا الواقع، ويفهموا ما

(*) تختلف موضوعات الثقافة الإسلامية باختلاف التعريفات، فالتعريف العام: يتمثل بمجموع ما يدرسه الطلاب من مقررات متنوعة لكي تساعد في مجموعها على تكوين مواطن كما تراه الدولة متمثلة في وزارة التربية والثقافة. اما الثقافة الإسلامية بالمعنى الخاص، فتتمثل فيما يدرسه الافراد من مقررات التربية الإسلامية ليس غير. واما الثقافة بالمعنى المستقل المميز، فتتمثل في التحديات المعاصرة للدين والامة الإسلامية. فلا تمثله المقررات، وما ندرسه اليوم بالمعاهد والكليات باسم الثقافة الإسلامية، فهو مزيج من التعريفين الأول والثاني ولا بد من استكمال المعنى الجديد للثقافة الإسلامية، وإيجاد خطط جديدة تتناول مفرداتها التصورات والمستجدات والتحديات، بل لا بد من ايجاد كلية ثقافة إسلامية، تدرس موضوعات الثقافة كمقررات مستقلة، قائمة بذاتها.

(**)الطالب قبل حصوله على الثانوية العامة قد استكمل المعنى العام للثقافة الاسلامية، كما أنه استكمل المعنى الخاص للثقافة الإسلامية، فدرس العقيدة والتفسير والحديث، ودرس التربية الإسلامية.

يدور حولهم، ويواجهوا التحديات والمستجدات والأحداث بعقول واعية وفهم ناضج. ولأنه بهذا الطرح الجديد يسهم في تسديد الحياة بحقائق الدين وتعاليمه الخالدة، ويولد فقها جديدا من المعرفة الإسلامية المواكبة للمستحدات والتحديات، مما يجعل المسلم أكثر تفاعلا مع الواقع المعاش. ونسأله عز وجل ان نفلح ونوفق فيما نبذله من جهد، لنتوصل إلى تعريف يحظى بقبول الجميع.

التعريف المختار للثقافة الإسلامية:

الثقافة الإسلامية: هي علم(*) دراسة التصورات الكلية والمستجدات والتحديات المتعلقة بالإسلام والمسلمين بمنهجية شمولية مترابطة.

شرح التعريف وبيانه:

قولنا علم الثقافة الإسلامية: يخرج به المفهوم العام للثقافة، الذي يعني جملة العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق بها، أو معرفة شيء عن كل شيء، أو الأخذ من كل فن بطرف.

والمقصود بعلم الثقافة الإسلامية: أي جملة المسائل المنضبطة المحررة التي تدور حول موضوعات معينة.

فالثقافة علم يضم مجموعة من المباحث تنتظم تحت اسم مشترك. ولا نقصد بالعلم هنا ما يتعلق بالعلوم التجريبية، وإنما نقصد بالعلم التصور للشيء ومعرفته. أو إدراك حقائق الأشياء، فعلم الثقافة سمي بهذا العلم لأنه يتكفل باستخلاص المضامين العامة لمبادئ الإسلام، وبيان التصورات الكلية لمفاهيمه، ويبحث في المستجدات وتأصيلها إسلاميا، ويعنى بالتصدي للتحديات والقضايا المعاصرة، ورد الشبهات التي أثيرت حول الإسلام والمسلمين بمنهج شمولي له قواعده ومحاوره وآلياته المترابطة، للعمل على إيجاد الأمة الإسلامية المثالية الواقعية وحفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبهات المبطلين.

(*) العلم يطلق ويراد به معنيان، الاول: التصديق الجازم المطابق للواقع الناشيء عن دليل، كالعلوم التجريبية، مثل الفيزياء والكيمياء.. لأن نتائجها قطعية لا تتخلف، وهذا لا يطلق على الثقافة ولا على علم النفس ولا على علم الاجتماع علم، لأن نتائجهما غير قطعية وليست ثابتة ومتغيرة ولا تخضع للتجربة. المعنى الثاني: صفة ينكشف بها المطلوب انكشافا تاما، اوادراك الاشياء على حقيقتها. انظر التعريفات للشريف الجرجاني مادة علم، والمفردات للراغب الأصفهاني مادة ((علم)).

وقولنا التصورات(*)**الكلية:** نعني بها: استخلاص المضامين العامة والرؤية الكلية الشاملة لمختلف موضوعات الثقافة الإسلامية، من القرآن الكريم ومن السنة الصحيحة والفكر الإسلامي، ووضعها في أطر كلية متكاملة ومترابطة. ويقوم هذا العنصر من عناصر التعريف على ربط الجزئيات المتجانسة في موضوع واحد، وجمعها وتوحيدها في صورة كلية متكاملة، وصهرها في إطار وتصور موحد، كما فعل الأستاذ محمد المبارك في كتابه نظام الإسلام. ويبدو أن المرحوم سيد قطب كان يقصد بخصائص التصور الإسلامي ومقوماته، النظرة الشاملة في دراسة الإسلام، فحاول الربط بين جزئيات متناثرة في الإسلام، وصياغتها في مضامين كلية شاملة تحت اسم الربانية، والشمول والكمال والتوازن، والوسطية والاعتدال والايجابية، والواقعية والثبات والتطور...

وقولنا المستجدات: دراسة الموضوعات العصرية، التي أخذت تتطلب من المسلمين استخلاص الكائنات الفكرية المبعثرة في شتات التراث الإسلامي، وتقديمها في بحوث مستقلة مترابطة متكاملة ومقارنة لمواجهة التحديات العلمية الغربية، كالتربية في الإسلام، والصحة في الإسلام، والمرأة في الإسلام والرعاية الاجتماعية في الإسلام، والتنمية في الإسلام، والأسرة في الإسلام، والعلم والايمان، والمجتمع الإسلامي، والنظام العقدي في الإسلام والنظام السياسي في الإسلام والنظام الاقتصادي في الإسلام. ونحو ذلك من الموضوعات التي تتطلب دراسة جديدة، ووضعها في أطر محددة وصياغتها في نظريات وموضوعات موحذة متكاملة.

وقولنا التحديات: ونعني بها التحديات المتعلقة بمقومات الدين الإسلامي، ومقومات الأمة الإسلامية فالثقافة الإسلامية كعلم: تقوم على دراسة التيارات الفكرية الحديثة والحركات والمذاهب المعاصرة، كالوجودية والعلمانية والعولمة والشيوعة والرأسمالية والاستشراق والتنصير والغزو الفكري، وبيان أخطار هذه التحديات. كما تقوم على دراسة الجانب الثاني من التحديات، وهورد الشبهات التي اثارتها أقلام بخسة من ارباب

(*)قال الجرجاني: التصور: حصول صورة الشيء في الذهن. و الكل: مجموع المعنى ولفظه واحد، وفي الاصطلاح اسم الجملة مركبة من اجزاء. انظر: التعريفات ص٥٩،١٨٦.

والتصورات الكلية عند علماء التربية – وخاصة الالمان– تعني النظرة الشاملة. وقد تبنت المدرسة الألمانية المعروفة (بالجشطلت) هذا المعنى، ونادت بقيام التعليم على الشمول والكلية، واجرت تجارب لتوكيد صحة النظرة الكلية والشمولية في الفهم والإدراك، واثبتت من خلالها أن الإنسان يميل إلى أدراك الأشياء بصورة كلية مترابطة. فالتعليم الصحيح لا يكمن في معرفة الطفل الحروف مقطعة، بل بالربط الشامل بين هذه الحروف بصورة كلية، وهذا هوالتصور اوالاستبصار. ولقد أخذ هذا المفهوم يتوسع في التربية، حتى صار يعني النظرة الكلية الشاملة في مختلف المجالات. انظر: سيكولوجية التعلم، فصل نظريات التعلم.

الغزو الفكري الغربي وسدنتهم ووكلائهم من زنادقة الشرق المأجورين، وذلك بدراستها وتفنيدها وردها، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة وعملها، والرق والوحي والنبوة وتعدد الزوجات وغير ذلك من سموم الشبهات التي أثيرت حول الإسلام والمسلمين. ومن هنا تأتي ضرورة دراسة الاستشراق، وإنتاج المستشرقين وما يحمله من غثاء، وكذلك دراسة الإسلام في نظر الغرب الذي اختلط فيه الحق بالباطل، فأدى إلى بلبلة الأفكار وزعزعة المفاهيم حول الإسلام.

ونعني بالمنهجية: أي المحاولات العلمية والقواعد والمحاور المنظمة التي تقوم عليها دراسة مسائل وحقائق وموضوعات الثقافة الإسلامية، حتى تصبح علما مستقلا له كيانه القائم بذاته. فالمنهجية هي التي توجه مسيرة هذا العلم للوصول إلى بنائه وتأسيسه وكينونته. وجوهر العلم يكمن في دقة المنهج وأحكامه، وبغير المنهج فليس ثمة طريق يوصل إلى النتائج والأهداف مهما بذل من جهد.

ونعني بالشمولية المترابطة: أي الدراسة التي تأخذ الإسلام من جميع جوانبه، في وحدة لا تتجزأ، منسجما في كل جوانبه وقيمه وأحكامه ومظاهره كمذهبية(*) متماسكة. وبمعنى آخر، الدراسة المتكاملة لموضوعات الإسلام ونظمه و تصوراته تجاه الكون والإنسان والحياة، بصفتها كلا مترابطا، في وحدة واحدة لا تضارب بينها ولا تصادم ولا تعارض، وربطها جميعا بالعقيدة الإسلامية برباط وثيق متماسك. وعلى هذا المعنى، تكون الثقافة الإسلامية علما مستقلا مميزا عن غيرها من العلوم الإسلامية الأخرى، كالتفسير والحديث والفقه، وهو علم جديد له موضوعاته الخاصة، وأسلوبه الخاص، وكتابه الخصوصيون، جاء ميلاده وظهوره على اثر التحديات المعاصرة للإسلام والمسلمين في هذا العصر، ونتيجة للغزو الذي حدث للعالم الإسلامي في طور الانحطاط الذي عم العالم الإسلامي خلال القرون الأخيرة. وتستطيع الثقافة الإسلامية بهذا المعنى أن تلعب دور التوجيه السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتربوي والصحي والعلمي والديني، لبناء المذهبية الإسلامية على غرار مقررات الثقافة القومية عند الأمم الأخرى.

وإننا نرى أن هذا التعريف في تأصيل علم الثقافة الإسلامية قائم على رؤية منهجية ونسق علمي متماسك، وكل عنصر أو مفرده في هذا التعريف مرتبطة بأساس ومحددة بمفهوم.

(*) تعريف: المذهبية الإسلامية: هي كل ما ذهب إليه الاسلام في أمور الكون وخالقه والحياة والانسان. أو "كليات الاسلام في الوجود كله"، انظر: المذهبية الاقتصادية الإسلامية د. محمود أبو السعود، مجلة المسلم المعاصر العدد الرابع ص٦١ وانظر: المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، د. محسن عبد الحميد ص١٩.

المبحث الثاني

تحديد موضوعات الثقافة الإسلامية

الثقافة الإسلامية باعتبارها علما جديدا ومقررا جامعيا، لا بد من تحديد موضوعاتها ومجالات البحث فيها، لأن من شروط قيام العلم وتأسيسه وتحققه، ان يكون له موضوعات حيوية يبحث فيها، حتى يتوصل من خلالها إلى نتائج وحلول، لمختلف المسائل والقضايا والمشاكل المطروحة في مسيرة هذا العلم، والتي غالبا ما تحتاج وتطلب حكما أو حلا أو تنظيما. ولا شك أن هذا الامر، يخرج علم الثقافة الإسلامية من دائرة العموميات، فينصرف الذهن إلى تصورها بوضوح، ويخرج منها ما ليس فيها.

فمصطلح الثقافة الإسلامية وليد لمحتواها، ومن خلال المحتوى نصل إلى صياغة لمصطلحها -كما ذكرت- لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، فالمصطلح، محكوم وليس حاكما. ولا ريب أنه بتحديد موضوعات الثقافة الإسلامية وبيان محتواها، يتحدد إطارها العلمي، ويتحدد التأليف في هذا العلم، ومجال البحث فيه، سواء في المواد الدراسية، أو المقررات الجامعية أو رسائل الماجستير أو الدكتوراه، أو بحوث الترقية أو غير ذلك. وهي كما يلي:-

١- نظم الدين الإسلامي كلها بترابطها. ومن ابرز هذه النظم:

أ-النظام العقائدي:

وتتناول الدراسة فيه: نشأة العقيدة الالهية، والدين والتدين في حياة البشرية ونظرية دارون ونقدها والرد عليها. وخصائص التصور الإسلامي للكون والإنسان والحياة والآخرة، عمارة الأرض والاستخلاف، وفقه الإيمان ومقاصد الدين.

ب- نظام العبادة:

مفهومها، مقامها في الدين، شعائرها الكبرى، آثارها وحكمها...

أما التفصيلات الدقيقة للصلاة والزكاة والصيام والحج وما يتعلق فيها من احكام ومسائل فشأن المتخصصين في الفقه وأصوله.

ج–النظام الخلقي:

معيار القيم، مصدر الإلزام الخلقي، أسس الأخلاق، خصائص الأخلاق، تكوين الشخصية، كمالات التميز الإسلامي.

د– النظام الاقتصادي:

ماهية النظام الاقتصادي، أهميته، أهدافه، مصادره، العمل، حقوق العاملين، توزيع عناصر الإنتاج، الوفرة والندرة.

هـ– النظام الاجتماعي:

نشأة الأسرة البشرية والاجتماع البشري، الأسرة في الإسلام، حكمة الزواج ومقاصده، حقوق المرأة، المجتمع الإسلامي، اللباس والزينة.

و– النظام السياسي:

أسس الحكم، خصائصه، نظرية السيادة، مفهوم الخلافة، موازنة بين النظم الإسلامية والنظم المعاصرة، المسؤولية الإدارية ...

وهذه النظم يبحثها علم الثقافة الإسلامية من حيث مصادرها وأسسها وخصائصها وأهدافها وآثارها ومعالمها ومسائلها الكبرى، كالممثل لها، أما تفصيلات كل نظام ودقائقه، فشأن المتخصصين في هذه النظم.

٢–المفاهيم المتعلقة بنظم الإسلام ومنهجه:

مثل الحرية، التسامح الديني، حقوق الإنسان، علاقة العروبة بالاسلام، القومية الديمقراطية، التعددية، المواطنة، التمييز العنصري، الوطنية، الإخاء الديني وتقارب الأديان، معاملة غير المسلمين، النظام الدولي الجديد، فقه الواقع.

٣–التحديات الخارجية والمذاهب الهدامة.

الصهيونية، الماسونية، العلمانية، العولمة، العصرانية الحداثة، الاستشراق والتنصير، الغزو الفكري، التغريب الثقافي، الشيوعية، الوجودية...

٤–الشبهات التي أثيرت حول الإسلام وأهله:

شبهات حول القرآن والوحي والنبوة والسنة، شبهات حول الطلاق وتعدد الزوجات، شبهات الرق وغير ذلك...

٥-قضايا العلم والإيمان أو قضايا علمية معاصرة:

الجفوة المفتعلة بين العلم والايمان، العلاقة بين العلم والإيمان، الاستنساخ، زواج الأقلوب العقم، التداوي والوقاية، تحديد النسل، الإجهاض، الصحة في الإسلام ... ونحو ذلك

٦- قضايا ثقافية معاصرة:

الأصالة والتجديد، مفهوم تجديد الدين، الثابت والمتغير في منهج الاسلام، التقليد والتبعية، المسألة الثقافية، الرجعية والتقدمية، الصحوة الإسلامية واتجاهات النهضة والتجديد، التفسير الإسلامي للتاريخ، فقه السنن الربانية، المحافظة على البيئة، الإسلام في نظر العرب، صورة الإسلام في الإعلام الغربي، وقضايا المرأة بكل محاورها ومسائلها المعاصرة.

٧- مشكلات معاصره:

مشكلات الشباب، ومشكلة المخدرات، ومشكلة التلوث، ومشكلة التراث والمعاصرة، والحداثة ومشكلة الوهن، ومشكلة البطالة.(*)

وتكون دراسة المفاهيم المتعلقة بنظم الإسلام ومنهجه، تأصيلا لها على أساس الكتاب والسنة وفهم السلف، ودفع المفاهيم الخاطئة التي انحرفت عن ذلك الأصل، والمقارنة والموازنة بينها وبين النظم والمفاهيم الغربية. وتكون دراسة التحديات والقوة المعادية للاسلام، بعرضها ونقدها وكشف ضررها، وكيفية مواجهتها والوقاية منها.

فهذه الموضوعات والمباحث عبارة عن دوائر صغيره في الدائرة الكبرى لعلم الثقافة الإسلامية، أو هي أنظمة ومدارات وحلقات ووحدات تدور في نظام الثقافة الإسلامية. وهي منبثقة من المفهوم ومرتبطة به وتأتي بناء عليه وتدور في مجالاته وخدمة لوظائفه وأهدافه.

والحقيقة أن محتوى الثقافة الإسلامية في شق التحديات، أقرب إلى تخصص أصول الدين، وفي شق النظم أقرب إلى تخصص كلية الشريعة. ونظرا لهذه الثنائية، تحتاج الثقافة الإسلامية إلى تخصص مستقل يجمع بين الأمرين، وهذا يتطلب انشاء كلية متكاملة تستوعب فروع الثقافة الإسلامية، فيكون للاستشراق مساق وللتنصير مساق، ولرد الشبهات مساق، وللنظام الاقتصادي مساق، وهكذا...

(*) انظر مزيدا من الأمثلة لهذه الموضوعات في الطبعة الأولى من هذا الكتاب.

المبحث الثالث

وظيفة الثقافة الإسلامية

الوظائف: ما نقوم به من مهام لنصل من خلاله إلى الأهداف، ونقصد بوظيفة الثقافة الإسلامية، ما تمثله من مهام ومسؤوليات، وما ترمي إليه من مقاصد، بحكم دورها في حياة الأمم والجماعات، وبحكم مركزها في الكليات والجامعات، وما تجسده من مفاهيم وتصورات على صعيد هذين المجالين.

أولا- وظيفتها في حياة الأمم:

تختلف الاتجاهات في تحديد وظيفة الثقافة باختلاف إطارها ومحورها الذي تدور حوله.

١- فوظيفة الثقافة في إطارها القومي أو الاشتراكي أو الوطني أو البعثي تختلف عن وظيفتها في إطارها الإسلامي.

٢- أما من حيث المحور، فالذين رأوا أن الثقافة تدور حول أسلوب حياة الأمة، وأن الذي يحدد هذا الأسلوب في نظرهم، تراثها الفكري والحضاري. قصروا وظيفة الثقافة على نقل تراث الأمة والمحافظة عليه. ولهذا دعا كثير من المفكرين والمربين – تقليدا لهذا الفهم عند الأمم الأخرى – إلى إحياء التراث واستمداد أقوى عناصره وافضل مبادئه، واكرم مثله.

٣- أما عند الأمة الإسلامية: فإن محور الثقافة يدور حول الإسلام نفسه، الذي هو منهج حياة متكامل، وهو الذي يحدد أسلوب هذه الثقافة وإطارها وماهيتها. لذلك فان مهمة الثقافة الإسلامية ووظيفتها في نظر المفكرين والمربين المسلمين: العمل على تمثل الإسلام عقيدة وشريعة، لتنظيم علاقة الإنسان بالله سبحانه، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالكون وعلاقته بالحياة والآخرة. فالثقافة الإسلامية ليست معرفة فحسب أو فكرا مجردا أو تراثا مهترئا، أو فلكلور شعبيا وانما أساس وظيفتها أنها نظرية سلوك وعمل وتطبيق، فالأمة اليوم لا ينقصها

المعرفة بقدر ما ينقصها العمل والاستجابة والتطبيق، فأزمتنا اليوم أزمة أخلاق وانتماء وهوية، وفقدان للذات، وفقدان لتوازن الإسلام في حياتنا.

٤- اتجاه يجعل الثقافة الإسلامية انعكاسا للواقع، وللأوضاع الاجتماعية، فالإنسان - في نظر أصحاب هذا الاتجاه- ابن بيئته، وما عليه الا أن يشكل ثقافة حسب الواقع الذي يعيشه، وأن يتكيف مع ثقافة عصره، لأنه ليس له ثقافة ثابتة، وانما لكل جيل ثقافته الجديدة، كما يزعمون، والإنسان دائم التشكيل على الصورة الثقافية التي يقتضيها العصر في رأيهم، وان خطط التنمية الثقافية التي تعد لهذا الإنسان، في مختلف ميادين الحياة كفيلة بتغييره كيفا ونوعا. وهذا الاتجاه الذي يتبناه بعض التربويين والعلمانيين من العرب تقليد للغرب هو لعمري وهم كاذب، وحديث خرافه لأن كل تغير لابد له من تأييد وتسديد، وان الكميات مهما تراكمت لن تنتج كيفا متميزا، ولهذا فان الذين يتحاذبون مفهوم التنمية الثقافية بهذا المفهوم، إنما يريدونها سبيلا إلى جعل الإنسان شيئا جامدا محكوما بقوانين المادة — كما يفكر الماركسيون — يوضع هنا أو هناك أو هنالك، كالريشة في مهب الريح، يرسم له مسار حركته بجبرية جديدة، وهي لعمري خطه غبن، لتسيج عنها ركون أجيالنا الجديدة إلى هذه البضاعة المزجاء من الثقافات اللقيطة، والهيمنة الأجنبية، والاستلاب، ومظاهر التقليد والذيلية والتبعية[1].

ثانيا:— وظيفة الثقافة الإسلامية باعتبارها علم:

أ- عرض نظم الإسلام المتنوعة بترابطها، ليأخذ طالب العلم الإسلام بشموليته، وتزويده بالتفسيرات المقنعة والمفاهيم الأساسية عن أصل الإنسان، وحقيقة الكون والوجود، ودور المسلم ووظيفته في الحياة.

ب- تأصيل المفاهيم والمبادئ المتعلقة بالإسلام، وبيان معانيها الصحيحة،ورد المفاهيم الخاطئة التي راجت في عصور التخلف، أو أدخلت على المسلمين من أديان ومذاهب مختلفة[2].

---

(١) انظر: الثقافة بين التنمية والتمثيل، الاستاذ ابراهيم العجلوني ص٧، مجلة اخبار الفكر الاسلامي (المعهد العالمي للفكر الاسلامي ١٩٩٨م.

(٢) انظر: مدخل إلى علم الثقافة الإسلامية، د. عبد الرحمن الزنيدي ص١٩.

ج- تصويب جملة من المبادئ والقيم الاجتماعية والمفاهيم الشائعة على أنها أحكام الإسلام ونظمه، مع أنها في كثير من الأحيان، ليست إلا أحكاما وإفهاما فردية خاطئة، غلبت عليها العادات والأعراف، وخاصة في ميدان المرأة، وحقوق الإنسان والقيم الاجتماعية، وبعض التصورات الخاطئة حول بعض الظواهر العلمية والكونية.

د- تقديم النموذج الإسلامي (البدائل) فيما يتعلق بالذوق الإسلامي وأصول الكمالات والآداب العامة (الاتيكيت)وتوجيه سلوك المسلم في الحياة وفقا لأخلاق الإسلام ومفاهيمه وأحكامه، ليصبح للثقافة وجود حي ومسار واقعي ، وتفعيل نشط في الحياة .

هـ- مقارنة النموذج الإسلامي بالنموذج الغربي، وبيان نجاح مبادئ الإسلام ونظمه في تحقيق السعادة في الدارين وإخفاق المذاهب الوضعية وبخاصة الاشتراكية والرأسمالية منها.

ثالثا- الوظيفة التوحيدية للثقافة الإسلامية.

إن وظيفة الثقافة الإسلامية، يجب أن تنطلق من الوظيفة التوحيدية للإسلام، ورسالته العالمية، ويمكن ترسم ذلك عمليا في النقاط التالية:-

أ- التركيز على الوحدة في مواجهة التجزئة والإقليمية والعرقية، وهجمات الاستلاب والتفتيت، (الإسلام الواحد الموحد).

ب- التركيز على الأصالة في مواجه التغريب والتبعية الثقافية.

ج- التأكيد على ذاتية الأمة المسلمة وتميزها الثقافي.

د- بناء الشعور الواعي بالانتماء لثقافة الإسلام الواحدة.

ونحن نلحظ أن هذه الوظائف تلبي حاجات علم الثقافة الإسلامية، كما أنها مبنية عن خطة علمية لهذا المقرر.

المبحث الرابع

أهداف الثقافة الإسلامية

نعني بأهداف الثقافة الإسلامية: الغايات التي تطمح الثقافة الإسلامية إلى تحقيقها. وأهداف الثقافة الإسلامية كثيرة ومتعددة حسب الأغراض والمجالات التي تتعلق بهذه الأهداف ووسائل تحقيقها، وسوف نقتصر على مجالين أساسين من هذه الأهداف.

١- أهداف الثقافة الإسلامية كتصور يجسد ذاتية الأمة المسلمة وتميزها في شخصيتها ووجهة نظرها وأسلوب حياتها.

٢- أهداف الثقافة الإسلامية باعتباره مقررا دراسي في الكليات والمعاهد والجامعات.

وسوف نجمل الحديث عنهما معا فيما يلي:

١- تهدف دراسة الثقافة الإسلامية إلى بيان العقيدة الإسلامية بمبادئها وتصوراتها الصحيحة، وعرضها في ثوب جديد، وترسيخها في نفس المسلم، حتى يكون قادرا على مواجهة الأفكار المعاصرة والمذاهب الهدامة بوعي وثبات وايمان، وليتمكن من نقض مفترياتها وشبهاتها وسمومها التي طرحتها في ساحة الإسلام والمسلمين.

٢- ترمي الثقافة الإسلامية إلى إيجاد المجتمع الإسلامي المثالي الواقعي، وتكوين الشخصية الإسلامية المتكاملة، وإيجاد الهوية المميزة للامة الإسلامية التي تنتج النسيج المتماسك بينها، وتوحد نماذجها، وتجمع أفرادها بمصير تضامني إسلامي واحد، يقوم على مبادئ الإسلام وهدية.

٣- تجديد ثقافة المسلم، وإعادة بنائها على أصول الإسلام ومبادئه الخالدة بعيدا عن الخرافات والأساطير والتقاليد الجاهلية(١)، وبعيدا عن الثقافات المهجنة اللقيطة، التي لا جذور لها ولا قيود ولا حدود ولا ثوابت.

---

(١) الثقافة الإسلامية في الجامعات د. عدنان زرزور ص٢٧

٤- تجديد صلة المسلمين بالإسلام، بترجمة أفكاره وتعاليمه إلى قانون عملـي وواقـع سلوكي وأخلاقي، فقد جاء الإسلام ليكون عقيدة وشريعة ومنهجا ونظام حيـاة متكاملا، ولم يكن يوما من الأيام كتبا تزان بها المكتبات، أو عبارات جميلة منمقة، أو (مكياجا) للعرض (والديكور) والازياء، اودروسـا تلقـى في محـاضرات، أو أحكاما للمزاج والرغبات.

٥- توفير مناخ إسلامي مشبع بآداب الإسلام وتعاليمه وكمالاته، بحيث تعم الثقافـة الإسلامية الصالحة، بكل قيمها وأدبها وأفكارها جميع مجالات الحيـاة، وإذا كـان الاشتراكيون يدرسون الثقافة الشيوعية، والبعثيون يدرسـون الثقافـة البعثيـة، والاوروبيون يدرسون الثقافة النصرانية، واليهود يدرسون الثقافـة اليهوديـة أو العبرية، لخلق ثقافات جاهلية ضآلة أو خاصة، فمن باب أولى علينا نحن المسـلمين أن ندرس الثقافة الإسلامية في مدارسنا وكلياتنا وجامعاتنـا لإيجـاد الثقافـات الصالحة(*). (**)

(*) وهذا يتطلب العناية في اختيار مدرس الثقافة الإسلامية في الجامعات، بحيث يكون قدوة حسنة لطلابه مـن حيـث الفكر والعلم والعمل

(**) وانظر مزيدا من الأهداف في الطبعة الأولى من هذا الكتاب.

المبحث الخامس

القواعد والمحاور المنهجية التي تقوم عليها الثقافة الإسلامية

نقصد بالقواعد المنهجية لعلم الثقافة الإسلامية: أي المحاور التي تنطلق منها الدراسة المنهجية الناظمة لمحتوى الثقافة الإسلامية، وتتركز فيها المهام العلمية الأساسية لعلم الثقافة الإسلامية، والتي بها يتميز هذا العلم عن غيره من العلوم. وان تسميتنا لها بالقواعد المنهجية فيها نوع من التجوز والتساهل. وهذه القواعد، وان كانت مشتركة مع علوم اخرى، الا الها أكثر بروزا في هذا العلم، واهم هذه القواعد والمحاور ما يلي:

أولا: تأصيل(*) التصورات الكلية:

وترجع أهمية هذه القاعدة إلى ألها توفر الرؤية الإسلامية الشاملة في تأصيل مفاهيم الإسلام وقضاياه الكلية وتوضيحها، وربط الجزئيات والفروع بالكليات والمقاصد والغايات الإسلامية العامة، والى تقديم البديل الصحيح المتمثل بالإسلام عن تلك المذهبيات المعاصرة.

ذلك أنه في العصر الحديث، حينما سهل الاتصال بين الناس وتيسرت وسائل المعرفة، جهدت المذاهب الباطلة في نشر مبادئها فيما يسمى (بالايديولوجيات): أي الأصول العامة في الوجود والكون والإنسان ونظم الحياة المختلفة، فاصبح من السهل على الإنسان أن يأخذ تصورا متكاملا عن مذهب ما، من المذاهب، من خلال كتاب واحد يجمع أصوله في كل نظام. فاتجه بعض العلماء غيرة على دين الله، ودعوة إليه، وتقديما للبديل الصحيح المتمثل بالإسلام، عن تلك المذاهب، إلى الدراسة الشمولية للإسلام في نظمه المترابطة وكلياته العامة.

فعلم الثقافة من خلال هذه القاعدة، هو الذي يقدم الخصائص العامة والصورة المتكاملة عن الإسلام في معالمه الأساسية وخطوطه ومبادئه الكبرى، وكلياته العامة، محافظا

(*) سنعرف بمفهوم التأصيل في حديثنا عن القاعدة الرابعة "تأصيل المستجدات".

على جميع جوانبه الإيمانية والعبادية والأخلاقية والتشريعية، في وحدة مركبة، مراعيا ما بينها من نسب وروابط، وتداخل، مواجها بها المذهبيات الوضعية.

ثانيا: المقارنة والموازنة العلمية.

ونقصد بالمقارنة: بيان المميزات والخصائص المعرفية بين منهجين، حتى يعرف الحق من الباطل، كالمقارنة بين منهج البحث العلمي في الإسلام، ومنهج البحث العلمي في الغرب، وهي قاعدة من دعائم علم الثقافة الإسلامية، وان كانت أداه في كل العلوم، وتبدو أهمية هذه القاعدة في هذا العصر، لأنه عصر صراع بين الأفكار والمذاهب، وعصر مقارنة وتنافس واثبات وجود، ولأن تلك المذاهب والأديان المحرّفة، غزت بلاد المسلمين ودخلت عليهم من كل باب، وعكّرت عليهم صفاء أفكارهم، فكانت مقارنة الإسلام بهذه الأديان، ومقارنة نظم الإسلام ومبادئه بنظم هذه المذاهب ومبادئها المتصارعة، من القواعد المهمة لعلم الثقافة الإسلامية.

وأضرب مثالا من جوانب هذه المقارنة: مقارنة النموذج الاجتماعي على صعيد الفرد والمرأة والأسرة والمجتمع، وما يتعلق بحقوق الإنسان، مقابل النموذج الغربي على الصعيد ذاته، ودراسته دراسة نموذجية تحليلية نقدية موضوعية، تتناول النقاط الساخنة، والأفكار الحيوية، لتبرز من خلالها النظرة المتميزة المتقدمة للإسلام، تجاه الإنسان، وتكشف من خلالها نظرة الغرب إزاء هذا الجانب(١).

وعندما يبحث في قواعد الاجتماع في الإسلام، ينبغي أن يعرف ما يقابلها في الشريحة الغربية، لأنها تشكل ثقلا كبيرا في القاعدة العلمية المعاصرة، سواء أكانت منحرفة أم مستقيمة، وعندما يطرح التصور الإسلامي للإنسان، ينبغي أن نعرف الشريحة الغربية بشقيها، كيف تتصور هذا الإنسان، لقد شَرَّح علماء النفس وعلماء الأعضاء وعلماء البيولوجيا الإنسان، وشرَّحوا مخه وتلافيف دماغه، فينبغي أن نعرف كيف تصوروا هذا الإنسان، وماذا يقول الفكر المادي عنه، وماذا يقول الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، أي الطرفين اقرب إلى المنظومة العقلية السليمة، أي الطرفين اكرم للإنسان وابعد أفقا وارحب

---

(١) انظر مثلا نماذج لهذه المنهجية: كتاب "بين الثقافتين" للأستاذ محمد المبارك، وكتاب: "ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي والماركسي" للاستاذ انور الجندي، وكتاب: "حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام واعلان الامم المتحدة" للشيخ محمد الغزالي، وكتاب "المرأة بين الفقه والقانون" للشيخ مصطفى السباعي، وغير ذلك...

مجالا. ينبغي أن نتعب أنفسنا في مثل هذه المقارنة، لنعرف ما ينسجم مع عقيدتنا وديننا، مما تبلور في علوم الغرب، إذ يمكن أن نقتبس أو نستفيد منه، بشرط أن تبقى المقاييس واضحة، وان يبقى الكتاب والسنة حَكَمِين على كل فكر ونظرية ورأي، فليست معارف الغرب كُلُّها خاطئة[1]

ثالثا: معرفة التحديات ونقدها.

نعني بالنقد، تمييز الجيد من الرديء، وبيان المحاسن والمساوئ، وفق المقاييس العلمية والفنية المتعارف عليها من خلال مناهج البحث[2].

ونحن لا نتحدث عن النقد كقضية منهجية مجردة، ولكن كتطبيق واع لهذه القاعدة في علم الثقافة بحيث تشمل:

أ- الفقه العلمي والفهم المنهجي للتحديات التي تواجه الثقافة الإسلامية، كتحديات العولمه والعلمانية، والغزو الفكري والتغريب الثقافي، والاستشراق والتنصير ... ونقدها نقداً علمياً وبيان أخطارها وكيفية مواجهتها..

ب- نقد المفاهيم الخاطئة في واقع الأمة الإسلامية وحياتها المعاصرة. وبيان المفاهيم الأصيلة، لأن تأويل المصطلحات اخطر من تأويل الصفات.

ج- نقد الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي.

د- نقد أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والحضارة والثقافة واللغة والأدب والتاريخ والاجتماع والسياسة والاقتصاد..

والنقد هنا لا يعني الهجوم وتجريح الآخرين، ولكن المعالجة الموضوعية والتقويم للأعمال والجهود، مع مراعاة أدب الحوار والمناظرة، وتَفهُّمِ الرأي الآخر.

ولا شك أن القدرة على الموازنة والنقد عند من يمتلك المواهب والملكة، وقوة الملاحظة وقوة التعبير والكتابة، من القواعد المنهجية المهمة والحصون المنيعة لعلم الثقافة، لتفنيد الشبهات، ورصد التحديات، وتصحيح المفاهيم والمصطلحات، حتى أن بعض الباحثين أطلق على الثقافة الإسلامية (علم التحديات)[3] والمستجدات ورد الشبهات.

---

(١) مناهج البحث وتحقيق التراث، د. اكرم ضياء العمري ص٣٩.
(٢) مناهج البحث وتحقيق التراث ص١٦٩ مرجع سابق.
(٣) انظر مجلة اضواء الشريعة، العدد، ١٣، ص٤٦.

رابعا: تأصيل المستجدات.

مع أن علم الثقافة الإسلامية علم مقارنة ونقد، إلا أن منهج المقارنة والنقد تابع لمنهج التأصيل والأسلمه.

والتأصيل: يعرف بأنه "عملية إعادة بناء العلوم والمعارف والموضوعات الحديثة في ضوء التصور الإسلامي، للكون والإنسان والحياة[١]

وبمعنى آخر: وضع صياغة إسلامية للعلوم والموضوعات الجديدة بعد نقدها وإبراز الأسس التي تقوم عليها من خلال استنباطها من مصادر الشريعة، وقواعدها الكلية وتراث المسلمين الأصيل[٢]

ونحن نلاحظ أن مفهوم التأصيل قريب من مفهوم الاسلمة -كما سيأتي بيانه- وان هذه القواعد كلها تتكامل وتتضافر فيما بينها لتحقيق نتيجة واحدة، وهي ضبط علاقة الإسلام بالمعارف والعلوم الإنسانية المعاصرة، والحرص الشديد على تأصيل هذه المعارف في مختلف الجوانب، لتوليد موضوعات إسلامية جديدة، وصياغات جديدة، وأطر جديدة، وفقه جديد من المعرفة الإسلامية، مواكب للمستجدات، يسهم في إيجاد البديل الإسلامي وتسديد الحياة بحقائق الدين وتعاليمه الخالدة. وعلم الثقافة الإسلامية: هو الأداة البارعة في استخلاص المضامين العامة لهذه الموضوعات الجديدة من خزائن الفكر وكنوز التراث الإسلامي، وهو العلم الذي تتحقق من خلاله هذه القاعدة بصورة أمثل.

خامسا – أسلمه المعرفة.

التأصيل والاسلمه[*]، من المصطلحات الحديثة، وقد استعملها الباحثون بمعنى واحد، فهي من المترادفات في نظر البعض، ولكن منهم من قال أن استعمال كلمة التأصيل أولى، لأنها تعني الرجوع إلى الأصل، ونحن نحاول إرجاع المعرفة إلى اصولها، والمعرفة عندنا ترجع إلى القران والسنة والوجود.(كتاب الله المنظور ، وكتاب الله المسطور)، والواقع أن

---

(١) عبد الحفيظ عبدلي. مجلة التجديد، عدد٢ ص١٥٧.

(٢) التأصيل الاسلامي للعلوم الاجتماعية. ابراهيم رجب ص٣٥، ٤١.

(*) هناك من يتحسس اويتحفظ من استعمال مثل هذه المفاهيم والمصطلحات، ولكن قد يكون هذا التحسس ناتج عن عدم التعمق في تصور المفاهيم اوعدم الوضوح في طرح المصطلحات، اوقلة الحوار والمناقشة المتأنية والهادئة لازالة الغموض والاختلاف.

عملية التأصيل هي لباب عملية الاسلمه، فالاسلمة ترجع إلى التأصيل، والتأصيل يشمل الاسلمه وغيرها، فكلمة التأصيل أعم واشمل.

وقد يكون مصطلح التأصيل أرجح من الاسلمة، لأنه لا يثير حساسية الاقليات، التي تستفزها معاني الاسلمة، ولكن مصطلح الاسلمة لحداثته، قد يكون أكثر تألقا في الاستعمال، تشجيعا للاندفاع في هذا السبيل، ليرفد هذه العملية بما تستحق من دعم وجهد.

ومن الاتجاهات(*) ما يرجح مفهوم الاسلمة على مفهوم التأصيل إيمانا منها بأن في العلوم الاجتماعية الحديثة، أشياء كثيرة يمكن الاستفادة منها، على الرغم من وجود القصور عند بعض من يتبناها.

ومفهوم الاسلمة يعني: (وضع صياغة إسلامية للعلوم الاجتماعية) بعد نقدها نقدا صارما واستبدال ما يصح بها، في ضوء الكتاب والسنة، مع استثمار ما ثبت صحته منها[1].

وبمعنى أدق: هي إعادة توجيه وتشكيل منهجي لمجالات البحث العلمي وفق مجموعة من المعايير، والضوابط المستمدة من الرؤية الإسلامية الأصيلة.

وعملية الاسلمة تتلخص – كما يقول الدكتور طه جابر العلواني، في تحويل العلوم الطبيعية من علوم جزئية وتفكيكية – كما هو عليه حالها اليوم –إلى علوم كونية وتركيبية، تعنى بالظاهرات الطبيعية والإنسانية في مجالها الكوني كله، والكشف عن ارتباطها بالله تعالى... وهي محاولة للخروج بالعلم والمعرفة من عنق الزجاجة، والنهايات التي دخلت فيها، نتيجة تجاهل الغيب، وتناسي الأيمان بالله، ولذلك فهي تمثل في نظرنا عند ضبط منهجيتها وفهمها فهما علميا منهجيا حلا لإشكاليات العلم المعاصر...[2]

ثم يتحدث عن أهمية الاسلمة فيقول: ان الاسلمة تعتبر ضرورة لا فكاك منها إذا أردنا ترميم حضارتنا، فهي ليست ترفا عقليا، وإنما ضرورة، فإذا لم نستطع القيام بها فسنكون في غياب حضاري ...وان الاسلمة والتأصيل هما ضرورة للخروج من حالتي العجز والتبعية، لأن عقلية العوام لا يمكن أن تؤسس أمة أو تؤهل أمة لقيادة أو حضارة[3].

(*) تبنت جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية مفهوم التأصيل، واطلقت على جهودها في هذا المضمار جهود التأصيل، اما مصطلح الاسلمة فقد اختاره المعهد العالمي للفكر الاسلامي، واطلق على جهوده في هذا المضمار، جهود الاسلمة.

(١) التأصيل الاسلامي للعلوم الاجتماعية. عبد الحفيظ عيد من ص١٥٦، ١٥٧ .

(٢) ابعاد غائبة، د. طه جابر العلواني، ص٧٦، ٧٧ .

(٣) راجع: إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الاسلامي.

سادسا: الأصالة والتجديد والابتكار.

من ابرز القواعد والمحاور لعلم الثقافة الإسلامية أعظمها أثرا فيه قاعدة الأصالة والتجديد والابتكار.

ويقوم علم الثقافة الإسلامية على الأصالة والتجديد، لأنه يعتمد على الأصول الثابتة لهذه الثقافة، المتمثلة في إلهية مصادرها ومنهجها، وربانية غايتها ووجهتها، وثبات مصادرها ومرونة أحكامها. وترجع أهمية هذه القاعدة في أنها تجمع بين الثوابت والمتغيرات، وتعالج القديم والجديد، وتتناول القضايا الواقعية والمستجدات العلمية، وتهتم بالمطالب العصرية، فتحقق الثقافة الإسلامية بذلك القدرة على النماء والعطاء والاستمرار والبقاء، وتحقق كذلك التوازن بين قيم الحركة والتجديد وقيم الثبات والمحافظة، بحيث لا يطغى واحد فيها على الاخر، ويضعها في خصام نكد، فريق يخاصم الماضي وفريق يخاصم المستقبل.

ولكن كيف يمكن لعلم الثقافة الإسلامية أن يحقق معاني الأصالة والتجديد من حيث التطبيق، ليؤتي هذا العلم ثماره المرجوة ؟

للإجابة على هذا التساؤل، يمكن إيجاز ذلك في الأمور التالية:-

١- عرض الثقافة الإسلامية بلسان العصر، ولغة متميزة. ولتحقيق هذه القاعدة، لابد أن تكتب الثقافة الإسلامية بفكر الأستاذ أبي الأعلى المودودي، وأدبيات الداعية أبي الحسن الندوي ولغة الأستاذ محمد المبارك وفقه الشيخ محمد الغزالى والشيخ القرضاوي وأسلوب سيد قطب ومالك بن نبي، وغيرهم من أصحاب الكتابات المتميزة في هذا العصر.

٢- يقتضي الأمر لمن يكتب في الثقافة الإسلامية أن يكون متمكنا من الفكر الإسلامي وذا ثقافة عريضة متنوعة، وان يكون عالما بثقافة عصره.

٣- يتطلب علم الثقافة الإسلامية لتحقيق هذه القاعده، الاستفاده من المفكرين المسلمين الذين بلغوا مستوى الهيمنة على الفكر الغربي، الذين يستطيعون نقده، من امثال: د. رشدي فكار والمفكر رجاء جارودي والدكتور اسماعيل الفاروقي، والدكتور عبد الحميد احمد ابو سليمان، والدكتور طه جابر العلواني ... وغيرهم ممن لهم باع واطلاع على ثقافة الغرب وفكره، ولديهم القدرة على اختراق هالة القدسية التي أصبغت على علومه ومناهجه.

٤- العنصر الذي نريده لتحقيق هذه القاعدة، العلماء الذين يجمعون بين الثقافتين وبين الدراسة الدينية والدراسة المدنية، ولهذا فإن كتابة الذين درسوا علوم الغرب

وثقافته واستخلصوها، وواجهوها باقلام مخلصة، تعتبر من اهم الدراسات النافعة لتحقق هذا التجديد، واثراء موضوعات هذا العلم.

٥- الاهتمام بمدرس الثقافة الإسلامية بأن يكون متخصصا تخصصا دقيقا في الثقافة الإسلامية، يمتلك الأساليب الجذابة، والقدرة على الحوار والتأثير، مدركا لمشاكل العصر وملما بالمستجدات الفكرية، ذا شخصية متميزة في خلقه والتزامه وانتمائه وسمته ومظهره وعلاقاته ونفسيته المريحة، المستريحة.

٦- الاهتمام بالمناهج التعليمية في المدارس والكليات والجامعات في تعميق مفاهيم الثقافة الإسلامية وتعزيز قيمها الأصيلة، وبناء خطط علمية تلبي حاجات هذا العلم، وتعالج موضوعاته.

وبعد: فالثقافة الإسلامية يجب أن يكون لها لغتها الخاصة، وأسلوبها الخاص وكتابها الخصوصيون، فإذا ما كتبوا في النظام الاقتصادي الإسلامي —على سبيل المثال— فان لغتهم فيه يجب أن تختلف على لغة الفقه، من حيث الأسلوب والعرض والمحتوى والمضمون، فالفقه له لغته الخاصة في عرض الآراء والأدلة، والخلافات المذهبية، والمسائل التفصيلية، أما الثقافة فإنها كليات مركزة ومضامين عامة، فهناك فرق بين مقرر "نظام الأسرة" حين يدرس في الثقافة الإسلامية، وبين أن يدرس في مقرر الأحوال الشخصية.

والحقيقية لوان الثقافة الإسلامية رزقت بعباقرة لاستقرت في مفاهيمها، لكنها لا زالت عالة على أستاذ التفسير تارة وأستاذ الفقه تارة أخرى وأستاذ الأدب والحديث تارة ثالثة.

وأخيرا: فإن هذه القواعد والمحاور، إنما تطرح كعناصر عضوية، متداخلة، لدرجة لانراها منفصلة ، إلا عند التحليل ، فهي محاور مقترنه متفاعلة، بكل ابعادها لبناء علم الثقافة الإسلامية وهي جزء من لبناته، التي تعطيه الحيوية والقوة العلمية والإطار المنهجي، وتحقق له الشروط حتى يصبح علما له كيانه المستقل، وموضوعاته المتميزة، وله دوره وأهميته، ليؤتي ثماره بإذن ربه.

وقد حاولنا في تأصيل مفهوم هذا العلم وما يقدم عليه من عناصر وقواعد أن نحقق في ذلك شروط قيام العلم وتأسيسه وهي:

أ- المنهج   ب- الموضوع   ج- الوصول إلى نتائج وتعميمها.

وقد طبقنا ذلك نظريا وعمليا، وهكذا تنشاء العلوم في حياة العلم.

الفصل الثالث

علاقة الثقافة الإسلامية بغيرها من المسميات المقاربة والثمرة المترتبة على ذلك

إن دراسة نظام العلاقات بين العلوم والموضوعات، في نطاقه الواسع، من أهم البحوث التي ينبغي ان يهتم بها في عصرنا الحاضر، إذ به يكشف عن حدود العلوم وعن التكامل والتداخل بينها، كما أنه يحدد لنا الرؤيا المنهجية لارتباط الثقافة الإسلامية كعلم بغيرها من العلوم والمقررات والمصطلحات والمفاهيم.

وعند الحديث عن الثقافة بمعناه الأخص المميز، ومعانيها الاخرى، يجد الباحث ان هناك مسميات ومصطلحات ترتبط بها بنوع من العلاقة، مثل الدين والحضارة والمدنية والعلم والتربية والفكر الإسلامي، والنظم الإسلامية.."فما طبيعة علاقة الثقافة بصفة عامه والثقافة الإسلامية بصفة خاصة بهذه العلوم والمسميات المقاربة؟

وما الثمرة العلمية من معرفتنا لهذه العلاقة ؟ وسوف نناقش هذه المسألة ونجيب عليها، لمعرفة القضايا المتعلقة بهذه المسميات، وضبط المصطلحات والمفاهيم المعاصرة وإدراك ما تنطوي عليه من سلبيات وإيجابيات، ومعرفة حدود العلوم وعدم تداخلها على النحو الآتي:-

المبحث الأول

علاقة الثقافة بالدين

عرف العلماء المسلمون الدين بأنه: وضع الهي سائق لذوي العقول باختيارهم اياه إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل[1].

وبعبارة أخرى: وضع الهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، والى الخير في السلوك والمعاملات[2].

وفي هذه التعريفات نجد:

أ- أن الدين يطلق ويراد به الدين السماوي ليس غير.

ب- أن الدين نظام آت من السماء.

ج- أن الهدف منه هو توجيه لعقل الإنسان وهدايته وإرشاده.

د- أن أساس الدين هو حرية الاختيار.

هـ- أن الدين المنزل يؤدي إلى إصلاح الناس في هذه الحياة الدنيا وفلاحهم في الآخرة.

وتختلف نظريه الفلاسفة وعلماء الاجتماع الغربيين إلى الدين فيرون أنه: "قوه سماوية أو وثنية، مادية أو معنوية تعبد وتسيد وتطاع"[3]

وهذه النظرة للدين تعني:

أ- أن الدين لا يختص بالدين السماوي، وإنما يطلق على الخرافات، التي تسود اعتقادات بعض الأمم والجماعات البشرية.

ب- أن الدين نبع من الأرض ولم يترل من السماء.

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون، التهانوي ص٥٠٣.

(٢) التعريفات: للجرجاني ص٩٥، والمعجم الوسيط ج١ ص٣٠٧.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية، ٩: ص٣٦٩.

ج- لفظ الدين يطلق على كل المعتقدات والطقوس الإنسانية حتى الخرافات منها، والتي انتشرت منذ الزمن القديم في المجتمعات (البدائية والمتحضرة) كما يزعمون.

د- أن الدين والفلسفة والفن موضوعات واحدة، وهي من صنع البشر وإفرازاتهم وعاداتهم وتقاليدهم الثقافية.

هـ- أن كثيرا من رجال علم الاجتماع المحدثين والفلاسفة والمفكرين بوجه عام، الذين نظروا في تعريف الدين لم يميزوا بين أنواع الأديان ودرجاتها وطبيعتها ومصادرها.

وقد استخدم القرآن الكريم الدين بالمعنى العام، وسمى العقيدة الوثنية دينا، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝ ﴾[1].

وعبر عن الدين السماوي لأهل الكتاب بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾[2] ،وعبر عن الدين السماوي الصحيح ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[4]، وقد بين الله تعالى في آيات أخرى أن الإسلام هو الدين الحق قال﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[5]، وقال تعالى﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾.

وهكذا يتفرع الدين إلى ثلاثة معان:

الدين بمعناه العام: وهو الإسلام، أو الأديان السماوية السابقة أو الخرافية الوثنية المتعددة.

الدين بمعناه الخاص: وهو الأديان السماوية السابقة، كاليهودية والنصرانية.

الدين بمعناه الأخص: وهو الدين الإسلامي الذي نزل على محمد وهو الدين الحق والقيم والخالص. وقد اعتبر كثير من العلماء المسلمين الدين والإسلام والملة والشريعة والمذهب كلمات مترادفة، فتراهم يقولون: دين الاسلام، وملة الاسلام، وشريعة الإسلام

---

(١)سورة الكافرون آية ٦.

(٢)سورة المائدة آية ٧٧.

(٣) سورة آل عمران آية ١٩.

(٤) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٥) سورة الفتح اية ٢٨.

ومذهب الإسلام[1] . غير أن البعض ميز بين هذه الكلمات فقال: الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار، فالشريعة من حيث أنها تطاع تسمى دينا، ومن حيث أنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهبا. وقيل أن الفرق بين الدين والملة والمذهب، ان الدين منسوب إلى الله جل جلاله، والملة منسوبة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والمذهب منسوب إلى المجتهد[2].

العلاقة بين الثقافة والدين

بحث فلاسفة الغرب في العلاقة بين الدين والثقافة، فذهب بعضهم إلى أن الثقافة ليست إلا تجسيدا للدين، بينما يرى فريق آخر أن الدين جزء من أجزاء الثقافة.

وسبب اختلافهم: يرجع إلى اختلاف نظرتهم إلى الدين، فمنهم من يرى أن الدين اعم من الثقافة، أو منفصلٌ عنها لأنه قضية غيبية. ومنهم من يرى أن الدين جزء من اجزاء الثقافة، لأنه ظاهرة اجتماعية من صناعة الإنسان وعاداته وتقاليده، فهو نابع من الأرض، و لم يترل من السماء.

الثمرة المترتبة على معرفتنا لهذه العلاقة:

١- أن ثمرة معرفتنا لهذه العلاقة تفيدنا، في فهم التصور الصحيح لنشأة العقيدة الالهية، ودراسة الدين والتدين في حياة الشعوب بمنهج سديد،والرد على أصحاب الدراسات الانثروبولوجيا، الذين أرادوا أن يجهلوا الإنسان ببدايته ونهايته، ويفسدوا عليه دينه وتدينه.

فقد تصور فلاسفة الاجتماع في الغرب أن الدين ظاهرة من الظواهر الاجتماعية في حياة الشعوب، وأن صورة العقيدة الالهية في بدايتها كانت تتمثل بالخرافات الساذجة، التي تتلاءم مع عقلية الإنسان البسيط في أول أطوار مدنيته كما يزعمون – ثم أخذت فكرة الدين والعقيدة تتنامى وتتطور، نحو الكمال بصورة تصاعدية، مع تطور علوم الإنسان ولغته وحضارته وحياته، إلى ان انتهت إلى فكرة التوحيد والإيمان بالخالق، وأن عبادة التوحيد هي مجرد مرحلة على الطريق، وان العلم في العالم المتحضر سيحل في النهاية محل الدين.

واعتمد هؤلاء على بعض ما اعتمدت عليه نظرية دارون من اكتشافات ودراسات[3]. لكننا نحن المسلمين نعتقد ان الإنسان، خُلِقَ خَلْقاً سويا، ونزل على الأرض

---

(١) اصول الدين الاسلامي د. قحطان الدوري ورفيقه ص١٩ دار الفكر ط١ ١٩٩٦.

(٢) التعريفات للجرجاني ص ١٠٥.

(٣) انظر: الدين.محمد عبد الله دراز ص٣٤ وما بعدها.

كاملا في شكله وعقله، نزل ومعه النور والهداية، و لم يترك إلى الأوهام والحيرة والظنون، نزل موحدا مفطورا على التدين﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾. وما العبادات الخرافية، والممارسات الوثنية الأبدع والانحرافات، وأعراض وأمراض طارئة على الدين الصحيح، أصيبت بها بعض الجماعات البشرية في دروب الغفلة والضلال، واتباع الهوى والشهوات وسيطر الظلم والجهل والطغيان، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُواْ ﴾.

وقال سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾وقال عليه الصلاة والسلام وفيما يرويه عن رب العزة: "اني خلقت عبادي جنفاء فاجتالتهم الشياطين"[1].وهذه مسألة خارجة عن نطاق العلوم التجريبية أو الدراسات الآرية والاجتماعية، لأنها قضية داخلة في نطاق الغيب الذي لا يمكن معرفته إلا عن طريق الوحي، الذي يتمثل في القرآن الكريم، لأنه أوثق كتاب سماوي بين يدي البشر، وصدق الله العظيم حين يقول: قال تعالى : ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[2] .

٢- ومن ناحية أخرى فإن من الثمار المترتبة على علاقة الثقافة بالدين، التفريق بين الثقافات الربانية والثقافات الوضعية الجاهلية، والحذر من الثقافات الوافدة علينا، وكذلك معرفة أن الدين اعم من الثقافة وهو صانع لها ومقوم رئيس من مقوماتها، وكذلك التمييز بين الديانات من حيث طبيعتها ومصادرها ودرجاتها.

٣- إن الثقافة الإسلامية باعتبارها علم، تشكل فرعا رافدا من فروع الدين الإسلامي وجزء من أجزائه كالتفسير والحديث، يتضمن الاستقلالية في النظر والمحتوى والتطبيق.

---

(١)رواه البخاري ومسلم.

(٢)سورة الكهف الآية ٥١

المبحث الثاني
علاقة الثقافة بالحضارة والمدنية

يعاني تحديد العلاقة بين الثقافة والحضارة والمدنية في الادبيـــات العربيـــة المعـــاصرة غموضا، واختلافا وخلطا كبيرا، مما يؤدي إلى التداخل والتشويش والالتبـــاس، وتعـــود أسباب الخلافات بين المفكرين والباحثين في هذه القضية وغيرها من المفاهيم المقاربـــة، في كثير من الأحيان إلى غموض التعبير، والتواء الأسلوب، وسوء الفهم، أو سوء اســـتخدام المصطلحات والمفاهيم، أو سوء تأويلها، وقد يرجع إلى ثنائية الروح والمادة التي كان لهـــا أثر واضح وخطير في تشكيل المذاهب الفكرية المعاصرة وتكويـــن الفلســـفات التربويـــة الحديثة، أو قد يكون هذا ناتج عن عبودية التقليد الاعمى، والنقل العشوائي للمصطلحات الاجنبية، التي لا تهم الا أصحابها، ولا تلزمنا بشيء، وخصوصا ما اكتنفها ورافقها مـــن خلط واختلاف، أصبح مثارا ومدارا للجدل البيزنطي، والتنابذ العقيم.

ومن هنا فإن من الواجب أن نبدأ بتحديد مفهوم الحضارة والمدنية لنفهم الروابـــط والعلاقات بين هذه المصطلحات، ونستطيع ان نقارن ونمايز بينها وبين المفاهيم الإســـلامية والثقافة الإسلامية، لتتضح المعالم وتتحدد الموضوعات، دون اختلاط أو لبس.

أولا: علاقة الثقافة بالحضارة.(*)

إن علاقة الثقافة بالحضارة مبنية على تحديد المعنى الاصطلاحي لكل منهما، وهذا أمر تختلف فيه وجهات النظر اختلافا كبيرا[1]. فمن الباحثين من يرى أن الحضارة والثقافـــة مصطلحان مترادفان. ومنهم من يرى أن الثقافة تتعلق بالأفكـــار والمعتقـــدات والأمـــور المعنوية. ومنهم من يرى أن الحضارة تضم الجانب المادي والمعنوي. ومنهم من يـــرى أن الثقافة والمدنية يدخلان في المعنى الواسع للحضارة. ومنهم من يرى انهما لفظان اذا اجتمعا تفرقا وان افترقا تجمعا.[2]

(*) لمزيد من الفائدة راجع معنى الحضارة والدلالة الإسلامية لهذا المصطلح في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، ص٥٨-٦٠.
(١) انظر: الثقافة والحضارة، والمدنية، د. حازم مشتاق ص ١ وما بعدها.
(٢) راجع: لمحات في الثقافة الإسلامية. عمر عوده الخطيب ص٤٢، وكتاب: تاريخ الحضارة لابي زيـــد شـــلبي ص٧، وكتاب دراسات في الحضارة الإسلامية. احمد ابراهيم الشريف ص ١٩، ٢٣.

والواقع أنه يجب التفريق بين الثقافة من جهة، وبين الحضارة والمدنية من جهة أخرى، ذلك لأن الثقافة تتصل بحياة الإنسان بكل إبعادها، بينما الحضارة والمدنية تتعلق بقدرة الإنسان على التكيف والاتصال بالكون والحياة. بمعنى آخر الثقافة بتعلق بالحقائق والاشياء، والحضارة والمدنية تتعلق بوظائف الاشياء.

ويمكن تلخيص علاقة الثقافة بالحضارة بعلاقة الشجرة بثمرها حيث تشكل الثقافة الجذور والساق حيث القيم الثابتة والمبادئ الراسخة، وتمثل الحضارة الثمار والاغصان حيث النتائج والاشكال، فالثقافة هي الركيزة التي تقيم الحضارة عليها صرحها.

وبتعبير آخر، المدنية والحضارة هما جسد الثقافة، والعلم روحها. والثقافة نسر لا يمكن أن يطير في الأجواء، ولا أن يحلق في الأعالي أو يحط على القمم إلا بجناحين هما المدنية والعلم، وان الثقافة هي ما نحن، والمدنية هي ما نستعمل، والعلم ما نبني، وتلك هي المعادلة الحقيقية الصحيحة للعلاقة العضوية الوثيقة بين الثقافة والمدنية والحضارة والعلم في مسيرتهما في المفهوم الإسلامي.

الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالحضارة:

١- إدراك التلازم بين الثقافة والحضارة، لأن كلا منهما خاص بالامة تابعا لوجهة نظرها.

٢- تحديد موقفنا من ثقافات الأمم الأخرى وحضاراتهم، ومعرفة ما يمكن أخذه وما يمكن رده.

٣- ادراك الابعاد العقيدية التي ترتبط بواقع الصراع بين الثقافة الإسلامية والثقافات الغازية، وبين المصطلحات وما تحمله من مضامين خطيرة.

٤- مصوغات الاحتفاظ بمسمى مقرر الثقافة الإسلامية بدلا من الحضارة الإسلامية.

فالذين يؤلفون في الثقافة باعتبارها الأساس يتناولون فيها جزءا من الحضارة، والذين يدرسون الحضارة باعتبارها الأساسي يتناولون فيها جزءا من الثقافة، ولكن الثقافة الإسلامية أشمل لأنها ذات علاقة مباشرة بالدين والعلوم الدينية، أما الحضارة الإسلامية فمنصبة على الإنجازات البشرية الأعمال الفنية والبناء والعمارة، والنحت، ونحن نريد أن نعلم الطالب عن الإسلام ذاتة وعن نظام الإسلام وليس عن نظم الإسلام، لأن نظم الإسلام وما يتعلق فيها من نحت وزخرفة وخطوط وفنون.. لها مقرراتها الخاصة في قسم الحضارة والتاريخ.

ثانيا: علاقة الثقافة بالمدنية(*):

اختلف الباحثون في إدراك العلاقة بين الثقافة والمدنية وتحديدها، لأسباب كثيرة منها:

١ - المدنية تتعلق بالوسائل، وهي تمثل الوجه المادي للثقافة، أما الثقافة فتتعلق بالغايات والأفكار والمعنويات، ولذلك فهي التي توجه المدنية الوجهة التي تريدها، وتحول المدنية وانجازاتها المادية إلى عمار أو دمار أو خير أو شر.

٢ - المدنية يمكن اقتباسها وتناقلها بين الأمم، لأنها في الغالب إنجازات محايدة، لا تتأثر بالعقائد والأفكار، بينما الثقافة تتحكم فيها المذاهب والافكار، وتستبطن في طياتها العقائد والأديان.

٣ - المدنية هي الأشكال المادية "التكنولوجية" التي نستخدمها في حياتنا اليومية والعامة، ولها جانبان:

أ- **المدنية العامة:** وهي لا تختص بامة دون امة، ولا تتأثر بفلسفة الحياة مثل الصناعات بانواعها المتعددة كالسيارات والأجهزة المختلفة المعروفة لدى الناس، وهذه تأخذها الامم عن بعضها دون حرج اوتردد، لانها ناشئة عن العلم وقوانينه وتطبيقاته، فهي تتسم بنوع من العالمية والعمومية وتقبل التوارث والانتقال بين الامم.

ب- **المدنية الخاصة:** وهي الصناعات التي تحمل اشارات وعلامات خاصة ترمز لوجهة نظر معينة ولفكر خاص، كالملابس التي تحمل النجمة السداسية التي ترمز إلى اليهود ووجهه نظرهم، أو قطعة المجوهرات التي تحمل شعار الصليب الذي يجسد عقيدة النصارى، أو تحفة مرسوم عليها صنم لفرعون أو صورة لامرأة تبرز مفاتنها، أو كاستخدام آنية الذهب والفضة والتماثيل والنحت والصور المحرمة، ولو كانت تخليدا لذكرى البطولة. فهذه لا يجوز أخذها ولا التشبث بها(١)

الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالمدنية:

١ - تحديد المصطلحات، وضبط المفاهيم، وذلك لتجنب الخلط في المسميات.

٢ - بيان موقفنا من المدنية الغربية حتى نميز خيرها من شرها، ونعرف ماذا نأخذ وماذا ندع من أنواع المدنيات الخاصة منها والعامة.

(*) لمزيد من الفائد راجع معنى المدنية والدلالة الإسلامية لهذا المفهوم في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ص ٦٢-٦٤.

(١) انظر: الاسلام وايديولوجية الإنسان. سميح عاطف الزين. ص٢٢٨، ونظرات في الثقافة الإسلامية، عز الدين التميمي ورفاقه ص٢٥١، ودراسات في الثقافة الإسلامية ص١٤ (مرجع سابق).

المبحث الثالث

بعض القضايا المتعلقة بمصطلح الثقافة والحضارة والمدنية في المفاهيم المعاصرة

هناك بعض القضايا والمسائل التي تولدت عن مصطلحات الثقافة والحضارة والمدنية بمفاهيمها المعاصرة، فافرزت بدورها دعوات خطيرة، من الواجب أن ننبه إليها:

أولا: وحدة الثقافات ووحدة الحضارات (دعوى عالمية الثقافات والحضارات)(*):-

ان دعوى عالمية الثقافات وعالمية الحضارات أو دعوى وحدة الثقافات والحضارات أو ما يسمى وحدة الديانات، أو التعددية الثقافة، ... كلها أقوال تحتوي على قدر كبـ من الخطأ والخطر، وهي من الشبهات المثارة، التي كثر ترددها من دعاة التغريب والعصرنه، وهي دعوات ارتبطت، بالبغي والنفوذ الاجنبي (الاستعمار)، وهي عبارات براقة الصورة، لكنها تخفي في اعماقها التعصب والاحتقار للثقافات الأخرى، وسوق الناس جميعا للولاء والسيادة الغربية، وهي محاولة لتذويب حضارات الامم وصهر ثقافاتها في حضارة الغالب وثقافته، واحلال قيم الغرب محل القيم الإسلامية.

ان هذه الدعوات مغالطة مكشوفة، فالثقافات تتميز بالاستقلالية والخصوصية وترتبط بجماعة معينة دون سواها من البشر، والثقافة بالنسبة للامم كالتربة بالنسبة للنبات والبذور، فكما أن كل تربة لها مقوماتها التي تستطيع أن تنقل حضانة نبات معين، فكذلك كل ثقافة خاصة بامتها، تتشكل وقف ركائزها المعينة التي تستمدها من عقائدها ولغاتها وبيئتها وموروثاتها التي تميزها عن غيرها من الامم.

(*) ان أول من تنبه إلى هذه المفاهيم الاستاذ محمد محمد حسين في كتاباته المتميزه، وخاصة في كتابه "الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر، وكذلك الاستاذ انور الجندي في موسوعته الإسلامية العربية، وخاصة الجزء السادس منها، وينصح بالرجوع إلى هذه الكتب لتفهم ابعاد هذه المفاهيم وثمارها الخبيثة ومخاطرها الكبيرة.

لهذا تختلف ثقافة الشعوب بعضها عن بعض، فثقافة أهل الشرق غير ثقافة اهل الغرب، وثقافة الالحاد غير ثقافة اهل الدين، وثقافة اهل الكتاب غير ثقافة الوثنين، وثقافة البدو غير ثقافة الحضر، وثقافة العرب غير ثقافة العجم، فكيف تكون التسوية بين الثقافات، وكيف تكون التسوية بين الثقافات الصالحة والثقافات الجاهلية، إنها تسوية ظالمة قال تعالى : ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ۝ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۝ ﴾ [١].

فويل ثم ويل للامة التي تتنازل عن شخصيتها وهويتها المستقلة، لانها تتنازل عن حقها في البقاء والبناء والارتقاء، وتتخلى عن ارادتها وعن ذاتيتها وكرامتها في الحياة، وويل للأمة التي تأخذ من أمة ثقافتها ونظمها دون تمحيص أو تحليل أو تمييز، لانها بذلك تتخلى عن اصالتها ومفاهيمها وعقائدها، وبالتالي سوف تخضع لها خضوع العبد للسيد، وترتبط بها ارتباط التابع بالمتبوع، وارتباط البذرة بالتربة.

والعالمية كما يقول الاستاذ أنور الجندي "هي مذهب فلسفي ينكر حقيقة الاوطان، ويرى ان انقسام العالم إلى أمم متعادية أو متناحرة، مضاد للعدالة والاخوة والانسانية"[٢]. ولكن هذا أمر بعيد المنال بل مستحيل ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ ﴾ [٣].

وقد نتج عن هذه الدعوى ما يسمى بوحدة الأديان أو مجمع الأديان والإخاء الديني، ولكن ماذا يراد بالاخاء الديني؟ هل هو اخاء على أساس تقريب المسيحية من الإسلام، وتقريب الإسلام من المسيحية، وأبعاد فجوة الاختلاف بينهما ؟ أن كان ذلك هو المطلوب فكيف يتم التقريب؟ وهل سيكون على حساب الإسلام؟ أم هو إخاء على أساس طرح المسيحية والإسلامية جانبا بعيدا عن الترابط بين الطرفين، ثم التصدي للشيوعية، وبعبارة أخرى: هل الاخاء الديني جماعة علمية دينية؟ أم هي جماعة سياسية؟ وهل هناك صلة بين العلمانية والاخاء الديني؟ أن هذه أسئلة كبيرة يصعب الإجابة عليها

(١) سورة القلم الأيه ٣٥ –٣٦.

(٢) الشبهات والاخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي. انور الجندي ص٣٦٥.

(٣) سورة هود اية ١٨٨– ١١٩.

في هذا المقام، لكن المسلمين اليوم في حاجة ماسة إلى التعاون على الاخذ بالاسلام في ترابطهم ...والبعد عن شعارات فيها الضياع لهم حاضرا ومستقبلا[١].

ثانيا: مصطلح التقدم والتأخر.

من ابرز الدعوات التي تولدت عن مفهوم الحضارة والمدنية "تفسير التقدم والتأخر" فالغرب يرى ان التقدم مادي خالصا، ويربطه بالانجازات المادية وحدها، موجهة لخدمة الإنسان ورفاهيته دون تقدير لاطار توحيد الله أو استهداف الغاية التي رسمها لبناء الحياة وحركة المجتمع داخل هذا الاطار. بينما يرى الإسلام، ان التقدم معنوي ومادي، وانه إنساني أصلا وتوحيدي أساسا، فكل تقدم في مفهوم الإسلام يجب أن يقوم على التحرر من عبودية غير الله، ومن كل سلطان غير سلطان الله، وان تجرى حركة التقدم في إطارها الأخلاقي.

وبناء على هذا المفهوم فان المجتمع الإسلامي الذي يطبق شريعة الله في كل جوانب الحياة هو وحدة المجتمع المتحضر، والمجتمع المتحضر هو الذي تكون القيم والأخلاق الإسلامية هي السائدة فيه، وهذه القيم هي التي تنمي خصائص الإنسان. وهذه القيم انما هي قيم ثابتة مقررة في الشريعة، وما على الإنسان الا أن يمضي في بنائها وصيانتها في كل المجتمعات التي يقيمها، حضرية كانت ام بدوية، صناعية كانت أم زراعية، اذ المهم في كل الاحوال الارتقاء بها وحراستها من النكسة إلى الحيوانية التي تؤدي بها إلى التخلف[٢].

وبناء على هذا المفهوم فان التخلف الحقيقي في مفهوم الحضارة الإسلامية هو تحويل منجزات الحضارات الهائلة إلى قوى باغية للتدمير والتسلط، وتسخير امكانات العلم في نشر الفوضى والعادات غير الخلقية، بدلا من استخدامها في اعلاء القيم الانسانية.

ولهذا يجب علينا الا ننساق وراء تضليل مصطلح التقدم والتخلف الذي يقدم الابداع المادي على الرقي الاخلاقي، الذي يمثل الاساس في تقدمنا الحضاري، والذي يعطينا على الغرب ميزة لا تعادلها ميزة أخرى، اننا اذا طبقنا هذا الاصطلاح بمفهومه المادي على تاريخنا، فسوف نسلك رسول الله صلى عليه وسلم وهو خير الخلق، ونسلك اصحابه رضي الله عنهم وهو خير جيل من البشر في عداد المتخلفين حضاريا، وذلك لأنهم عاشوا

(١) الاخاء الديني ومجمع الاديان وموقف الاسلام. د. محمد البهي ص٣.

(٢) الاسلام والحضارة، احمد عبد الرحيم السائح، مجلة الإنسان ص٧٢ عدد ١٣/٩٥.

حياة مادية بسيطة خالية من التكلف والتعقيد في المأكل والمشرب والملبس وطرائق الحياة المختلفة "و لم يستعملوا الغاز والهاتف.... اننا ونحن ننتبه إلى هذه المسالة، فاننا لا ننكر قيمة الرقي المادي ولا نقلل من قيمته، ولكن قضية التقدم المادي والاقلاع الحضاري وتحقيق النهضة والتقدم يخضع لقوانين وسنن ربانية هي:

أ- السنن الهادية .

ب- السنن البانية[1]

أي ان تجمع الأمم بين السنن التشريعية الهادية، سنن الهدى التي جاء بها الأنبياء، والسنن الكونية الشاهدة في الأنفس والآفاق ومعرفة ما يمكن في هذا الكون من معادلات ومسخرات، واستخدام هذه القوانين في مختلف المجالات العلمية.

وان انفكاك هذه السنن عن بعضها وغفلان إحداها يقود إلى التخلف. ولهذا فان الامم التي تقدمت في الاخذ بالقوانين الكونية بمعزل عن سنن التشريع الالهي أدي بهم إلى اصطناع حضارة شقية، كما ان الامم التي حافظت على سنن التشريع في غفلات السنن الاخرى أمست هزيلة ذليلة، والأمم التي لا تراعي مسؤوليات ما أمر به الله، ولا تاخذ بسنن التحضر والبناء والعمران التي أمر الله بها لتحقيق الاستخلاف المطلوب، فسوف تهزم في معركة الحياة بسبب خروجها عن قوانين الله في الاجتماع البشري، ذلك ان من شذ عن سنن الله في هذا الوجود فهو له بالمرصاد[1] .

ثالثا:- التثاقف والمثاقفه.

مفهوم المثاقفه يعني في المصطلح الغربي وعند دعاة التغريب: ضرورة ان تتبنى المجتمعات التقليدية، الثقافة الحديثة، كسبيل للنهوض والتطور، لأن تاريخ البشرية يسير في خط صاعد متقدم، متجاوز بصفة دائمة كل قديم، فكل قديم يحمل قيمة سلبية، وكل جديد يحمل قيمة إيجابية.

تجري المحاولات التغريبية إلى دعوة المسلمين إلى ازدراء القديم وكراهيته وتقديم الشبهات التي تحمل طابع السخرية والاحتقار لهذا القديم، وقد دعوا المسلمين والعرب إلى

---

[1] السنن الربانية في التصور الإسلامي، د. راشد شهوان ص ١٠.

[1] فقه السنة الربانية، د.راشد سعيد شهوان ص٨. محاضرة ألقيت في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان ١٩٩٨.

اعتبار الدين "موضه" قديمة معوقة للتقدم، ومانع من النهضة، وان على المسلمين اذا ارادوا ان يتقدموا ان ينفصلوا عنه كما فعلت اوروبا، ويأخذوا بالنموذج الغربي الجديد، وتجري المحاولات العلمانية ، وتجتهد المنظمات الغربية على قدم وساق لفرض الهيمنة الفكرية لنمط حضارتها المادية وترويج ثقافة الإنحلال والتحرر من الأديان وفرضها لتصبح تشريعات وقوانين ملزمة لجميع الدول.

رابعا:- التمدن والتحضر.

وشبيه بالدعوة إلى عالمية الحضارات ووحدة الثقافات، دعوة الأمة الإسلامية إلى التمدن والتحضر، واتخاذ الحضارة الغربية اسلوبا للعيش ووسيلة للوصول بها إلى ما وصلت الية الامم الغربية. بحجة انها الدول المتقدمة، أما نحن فمتخلفون.

وقد جرت محاولات ترمي إلى نقل الحضارة الغربية حلوها ومرها ما يحمد منها وما يعاب، واكثر الذين ساروا وتورطوا في هذا الاتجاه من مفكري النصف الاول من هذا القرن أمثال:

د. معن زيادة، ومحمود عزمي، وطه حسين ولطفي السيد وسلامة موسى وفارس نمر ويعقوب صروف، وشبلي الشميل، وحقى العظم، وميشال لطف الله، وجميل مردم وغيرهم كثير، وعمدوا إلى تصوير اقتباس الثقافة والحضارة الغربية أمر لاصلة له بالاسلام أو بالدين، واندفع الكثير إلى تأويل النصوص لتبرير مفاهيم هذه الحضارة والاخذ بمناهجها، بل لقد جرت محاولات لاستخدام النصوص في خدمة هذا الهدف. مثل محاولة الشيخ علي عبد الرازق في كتابة "الاسلام واصول الحكم"، والشيخ رفاعة الطهطاوي في كتابة "الذهب الابريز في اخبار باريس"

خامسا: حوار الحضارات.

كلمة حوار وما يدخل في اطارها، تهيمن على جزء كبير من عناوين الكتب والابحاث والندوات والمؤتمرات في عالمنا المعاصر، فكثيرا ما نسمع أو نقرأ عن حوار الحضارات أو المشروع الحضاري وما يدور حول ذلك من ملحوظات وطروحات.

والحوار لغة: حديث يتبادله شخصان أو أكثر، وأصل الكلمة من "حور"، و"حار" بمعنى رجع، وحار إلى ربه اذا رجع وتاب. وهي مقايسة ومحاكمة للاراء والافكار بطريقة

علمية نقدية متبادلة. ومفهوم حوار الحضارات يتعلق بالمسألة الثقافية من خلال بعديها الاكثر أهمية وهما الحداثة والهوية وصلتها بالحضارة الغربية. فجدلية العلاقة مع الغرب، وتفاقم الغزو الاستعماري والثقافي للامة العربية والاسلامية كان المحرك الاساسي لهذه المسألة، بما افرزته من تصورات عديدة واشكاليات متباينة في كل من البعدين.

ان حوار الحضارات ممكن وواقع، وقد حدث قديما وحدث في عصرنا، فقد أخذ المسلمون في عصورهم الذهبية عن الفرس والهنود واليونان، وانتفعوا بها بقدر اوبآخر، و لم يكن حتما عليهم أن يأخذوا كل ما في هذه الحضارات أو الثقافات، واخذ الاوربيون بعد ذلك من المسلمين المنهج العلمي التجريبي، وانتفعوا بهذا المنهج أيما انتفاع، و لم يكن لازما لذلك ان ياخذوا من المسلمين عقائدهم وتصوراتهم وعباداتهم واداهم، واخذ اليابانيون اليوم من الغربيين علمهم الطبيعي والرياضي، وما اثمره من تطبيقات تكنولوجية، فافادوا منه وتفوقوا فيه على اصحابه أنفسهم، و لم ياخذوا منهم ما يتعلق بالعقائد والشعائر والتقاليد، وما ضرهم ذلك شيئا، بل حفظ عليهم ذاتيتهم وشخصيتهم التاريخية المستقلة، وجعلهم في مقدمة الامم الصناعية.

المبحث الرابع

الثقافة والعلم

الثقافة الإسلامية ترتبط بالعلم بروابط وثيقة، وخصوصا في عصرنا الحاضر، التي تعمل فيه مع العلم ومن اجله، في كل ضرب من ضروب نشاطها، والعلم اصبح بدوره الان مستعدا لقبول ما تقدمه له الثقافة من عون، فهو يتآزر معها من اجل خدمة الوظيفة المشتركة للثقافة الإسلامية، وقضيتها الكبرى في العمل على صلاح الارض وعمارتها وبناء المعرفة والتعليم وقيام التربية والسلوك على ما يرضي الله ويسعد الإنسان، والوصول إلى التغيير المطلوب بما ينفع الناس ويمكث في الأرض. ان العلم لا بد ان يظل في الدائرة المأمونه مخافة ان يدمر أو يفتن، ولا بد له من سياج أخلاقي وغايات نبيلة يرضى عنها الله، وقيود تحفظه من التسلط والعقوق والطغيان، حتى لا يكون ضلالا ويذهب نوره ونفعه، وصدق الله العظيم حيث يقول: ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1] وقال جل جلاله: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا ﴾[2]. ولهذا لا بد أن يكون هناك تحالف رشيد بين الثقافات الصالحة السوية والعلم الجديد، لتوجيهه وجهة خيرة بناءة، يسعد الإنسان به ولا يشقى، حتى لا تتكرر مقولة ذلك الرجل "أنها غلطتي لقد علمتهم العلم و لم اعلمهم الاخلاق" وذلك بعد ان دمرت هوروشيما.

فلا يكفي ان يكون العلم راجحا، بل لا بد ان يكون راشدا، فلا يقف عند الظواهر العلمية ونفعها المادي، وانما يصل من خلالها إلى الهداية ومعرفة الخالق العظيم،

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧.

(٢) سورة يونس الآية: ٢٤.

فقيمة العلم بأيمانه ونفعه، وانما العلم الخشية، وشر العصيان الجهل بالله قال تعالى: قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ ﴾.[1]

العلاقة بين الثقافة والعلم :

١- من ناحية الموضوع:

فالعلم يدرس المحسوسات ليضع لها القوانين العامة التي تفسرها.

أما الثقافة فإنها تبحث في الوجود والمعرفة والقيم والمثل العليا، فهي تنصب على المعقولات، فموضوعها لا يقبل القياس والتجريب أو التقدير الكمي.

٢- من ناحية المنهج:

فالعلم يقوم على المنهج الحسي التجريبي، بهدف الكشف عن الاسباب المباشرة للظواهر الطبيعية التي يدرسها كأن يفسر غليان الماء بدرجة حرارة معينة، أو يعلل سر مرض معين بارجاعه إلى نوع معين من الجراثيم: ومحاولة العلم لتفسير الظواهر باسبابها المباشرة أو الكشف عن العلاقات الثابتة المطردة بينها، تقوم على الايمان بنظام وقوانين وسنن ثابتة مطردة قابلة لكشف الظواهر الطبيعية، والا لما امكن التنبؤ بوقوع الظواهر اذا وقع البعض الآخر.

اما المنهج الثقافي الاسلامي، مع تقديره وتأصيله لمنهج الاستقراء التجريبي الا أنه لا يقتصر على وصف ما يشاهد من الظواهر ومعرفة عللها العملية بل يحاول ان يتفهم هذه الظواهر ويتعقلها، وهوايضا لا يبحث عن الاسباب القريبة المباشرة الظاهرة كما يفعل العا لم،﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝ ﴾[2] بل يمضي مع ذلك إلى ابعد من هذا باحثا عن العلل الاولى والغايات البعيدة، لربط هذه الظواهر بالمدبر المهين العزيز الجبار الذي بيده مقاليد كل قال تعالى : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾[3] مثال ذلك: البحث عن علة الوجود أو

(١) سورة الملك : آية ١٠.

(٢) سورة الروم آية ٧.

(٣) سورة الملك آية ١.

تفسير سر الحياة،وظاهرة نزول المطر أو المد والجزر أو حركة الرياح والسحب، فلا يقف عند اكتشاف الظواهر الطبيعية ونفعها المادي، وانما يربطها بقيم الإيمان والغايات الربانية.

٣- من ناحية اثر كل من العلم والثقافة في حياة الإنسان: أن جوانب النفع الإيجابية في دراسات العلم ظاهرة لا تخفى على أحد في مختلف مجالات الحياة الزراعية والصناعية، والطبيعة الكونية، لكن بعض المفكرين يرى أن العلم مع كل خدماته للانسانية، مسؤول عن الدمار الذي قد يصيب البشرية وحضارتها، بما يخترعه الإنسان من وسائل الحرب الحديثة التي تهدد العالم بشر مستطير، وهذه المسؤولية التي يلقيها هؤلاء الناس على عاتق العلم في الواقع ليست صحيحه، فالخطأ لا يرجع إليه، انما يرجع إلى المخترعين ورجال السياسة والاعمال الذين يستخدمون نظريات العلم في الدمار والخراب بدلا من توجيهها إلى البناء والتعمير[1].

ان الثقافة الإسلامية بما تقوم عليه من قيم اخلاقية وما تنطوي عليه من غايات ربانية، وما تستبطنه من توجيهات انسانية خيرة نبيلة، هي التي تضبط مسيرة العلم التعقلية، وتوظفه لخير البشرية وتوجهه نحو التقدم والازدهار المحمود، كما ان الثقافة الإسلامية هي التي ترسم للعلماء اهدافهم ومثلهم على اساس من السياسة الشرعية، كما تشبع ارواحهم وتحسن اخلاقهم. لقد استطاع العلم ان يمهد الطريق امام الإنسان للحياة السهلة الميسرة بما أتاحه له من وسائل المدنية والرفاهية الحديثة، ولكن العلم لم يستطيع ان يشبع الجوانب الروحانية في الإنسان، كما أنه لم يستطيع أن يوجه الإنسان نحو المثل العليا التي ينشدها كهدف سام لحياته، يحقق له حاجته إلى السعادة وتطلعه إلى الكمال.

وعلى هذا فالانسان بحاجة إلى ثقافة راشدة صالحة ترسم له تعقل وجوده وتفهم نفسه، وتحدد مكانه وتبين غاياته ومثله واهدافه

الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالعلم:

١- العلم معرفة عالمية محايده، وميراث مشترك بين الشعوب، لا تختص به أمة دون غيرها، أو قارة من القارات فيكون غيرها عالة عليها فيه، أنه مشاع كالهواء الذي نتنفسه والبحار التي تحيط باليابسة، وتمخر فيها ألوف السفن حاملة مئات الاعلام، لذلك فالعلم

(١) مبادي الفلسفة والاخلاق، فؤاد فريد ورفاقه ص٤٣.

تتبادله الشعوب والأمم دون قيد أو شرط كعلم الطب وعلم الحاسوب وعلم الهندسة ...الخ.

وإذا كان العلم تراثا إنسانيا عالميا تتوقف نهضة أي أمه من الأمم على الأخذ به، فلن واجبنا أن نستفيد من علوم الشرق والغرب، والأوائل والأواخر، ونبني الصروح العلمية التي تجعلنا أمه قويه مرهوبة الجانب، وقد امرنا الله بذلك﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾[1] فان الدول الكبرى تتبارى وتتنافس في تحصيل العلوم، وتبذل الأموال النفيسة لمن يعرفها الأسرار العلمية التي توصلت إليها الدول التي تخالفها في عقيدتها ومبدئها[2].

أما الثقافة فهي الطابع الخاص الذي يميز أمه عن غيرها ويحدد هويتها وشخصيتها المستقلة، فلكل أمه ثقافتها التي تختص بها، وتحرص عليها وتمنع ابناءها من التأثر بغيرها، ومتى انسلخت الامه عن ثقافتها التي تمثل اخلاقها وقيمها وتشريعاتها وآدابها، فان ذلك مؤذن بزوالها ودمارها، وسقوطها إلى حضيض الثقافات الجاهلية التي جاء الدين لينقذها منها.

٢- العلم ومعطياته المادية، يجب أن يتحرك في إطار الثقافة الأخلاقية، ويعمل على خدمة الإنسان، لا أن يكون عامل بغي أو ظلم أو تحكم اوابادة، فالاسلام يوظف معطيات العلم في اطار التقوى والرحمة والاخوة الانسانية.

والاسلام وهو يقبل العلم ويستفيد من معطياته، فانه يقف من أسلوب العيش الغربي وثقافته موقفا مختلفا، ذلك ان ثقافة الغرب تقوم أساسا على الترف والحريات المطلقة.

٣- ادراك مهمة العلم في مفهوم الإسلام، فهو ليس قهرا للطبيعة أو انتصارا عليها تحديا للغيب، ولا خروجا عن تقدير الله وارادته، أنه مفاتيح لسنن الله الكونية واهتداء اليها. فالكون وما فيه من ظواهر قائم على الحق وعلى قوانين وحقائق علمية ثابتة منظمة مضطرده، قابلة للكشف.

٤- ربط العلم بالايمان وترشيد مسيرته الاخلاقية وتحالفه مع الثقافات الراشدة. مما يجعل البشرية تعيش في حياة مشرقة ملؤها الايمان والأمن والخير والسعادة.

---

[1] سورة الانفال ايه ٦٠.

[2] انظر: نحوثقافة إسلامية اصيلة ص ٢٤.

المبحث الخامس
الثقافة والتربية

بعد أن قدمنا المزيد من التعريف لمفهوم الثقافة، يقتضي الأمر لبيان علاقة الثقافة بالتربية ان نعرف بمفهوم التربية.

التربية مفهوم عام اذا ما اطلقت بدون وصف اوتقيد، شأنها في ذلك شأن الثقافة، فاننا لا ندري إلى أي اتجاه تنزع، أهي تربية جون ديوى ام تربية اشتراكية ام تربية انتقائية كما تطلقها كليات التربية في جامعاتنا العربية، ام هي تربية تلفيقية كما يريدها دعاة المستقبل الثقافي الجديد.

لقد اختلفت الآراء حول مفهوم التربية عند إطلاقها لاختلاف نظرة المربين وفلسفتهم في الحياة، وتصوراتهم للإنسان الذي تقع عليه عملية التربية الحديثة.

أما التربية في المصطلح الإسلامي: هي علم بناء البشر وتعديلهم وتعديل سلوكهم على أساس الإسلام بمعناه الشامل.(*)

وهي تربية موصوفة بوصف الإسلام تتناول الإنسان بوصفه فاعلا ومتفاعلا، وعلاقته بمحيطه وبيئته وتصوراته للكون والحياة من وجهة النظر الإسلامية. والتربية في الإسلام كما يقول أحد الباحثين هي، منظومة التصورات والقواعد المترابطة التي يقيمها الإسلام لتنمية فكر الإنسان وتنظيم سلوكه وعواطفه بقصد تحقيق أهداف الإسلام في حياة الفرد والجماعة.

ولكن من المؤسف أن التربية المعاصرة في أهدافها ومحتواها ووظائفها وأدوارها تتأثر بفلسفات وضعية، وتنطلق من منطلقات علمانية غير إيمانية، وهي أنظمة صغيرة تدور في أنظمة سياسية كبيرة، ولذلك فان التربية الحديثة في غالبها تمر في أزمة مختلفة في أطرها الأخلاقية والنفسية والاجتماعية والقيادية والاقتصادية، ولا مخرج من تلك الأزمة بكل

(*) لمزيد من الفائدة راجع معاني التربية في الطبعة الأولى من هذا الكتاب، ص ٧٦.

أبعادها المادية والمعنوية إلا بالتقدم إلى التربية الإسلامية، ومنهجها الرباني الموافق للفطرة الإنسانية[1] ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾[2].

علاقة الثقافة بالتربية:

١- التربية جزء من اجزاء الثقافة في منظورنا الإسلامي، لأنها الجانب السلوكي لما نتلقاه من الثقافة، فالثقافة اعم واشمل من التربية.

٢- يرى رجال التربية الحديثة ان التربية اعم من الثقافة، وان الثقافة جزء نظري من التربية.

٣- هناك من يرى ان الثقافة مرادفة للتربية (بالمفهوم العام للثقافة)

٤- وهناك من يرى ان المعارف هي المادة الخامة للثقافة، وموقف الثقافة من التعليم والتربية أنها الدرجة الأشمل من التعليم، فالتعليم قاصر على الإعداد المدرسي والدراسي، لتكوين العقلية المؤهلة للثقافة، أما الثقافة فهي الدرجة الأشمل التي تكون الفرد تكوينا ممتازا ومتكاملا[3].

٥- الثقافة ترتبط بالتربية ارتباطا عضويا، وهي تمثل الاطار العام للتربية، والتربية بكل ابعادها ووسائطها تعتبر اداة تنفيذ للثقافة، لبلورة شخصية الأمة على نمط متميز.

الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالتربية:

١- تحديد مصطلح كل من الثقافة والتربية وضبط مفهومهما وموضوعاتهما دفعا للتداخل والالتباس بين المقررات الدراسية، والمناهج التربوية، وتتميز بعضهما عن الآخر.

٢- نشر الثقافة الإسلامية وتعزيز قيمها بين المسلمين وطلاب العلم، من خلال مناهج التربية الإسلامية وإبراز دورها في العملية التعليمية.

٣- التحذير من استيراد المناهج التربوية الغربية لما تحمله من مضامين ثقافية غريبة لا تتفق مع ثقافاتنا.

٤- حماية الأمة من الذوبان والتآكل والاحتواء من قبل الآخرين والحفاظ على ذاتية الأمة امام رياح الثقافات الوافدة.

٥- تميز التربية الإسلامية واصالتها وموافقتها للفطرة.

٦- التخلص من المفاهيم الغربية والقضايا الاستعمارية المتعلقة بالثقافة والتربية والتعليم.

٧- التربية عملية سلوكية بالدرجة الأولى، بينما الثقافة بناء عام للشخصية الإسلامية وتحصينها.

---

(١) انظر: أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية د. زغلول راغب النجار ص ١٠٧.

(٢) سورة الملك: آية ١٤.

(٣)انظر: معلمة الاسلام "موضوع الثقافة " انور الجندي ص٥.

المبحث السادس
الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي

أولا: الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي:

لقد قدمنا تصورا كافيا عن مفهوم الثقافة الإسلامية، ويقتضي الأمر لبيان علاقة الثقافة الإسلامية بالفكر الإسلامي، أن نعرف بمفهوم الفكر الإسلامي.

الفكر الإسلامي هو المحاولات العقلية، والجهود العلمية التي بذلها المسلمون منذ انتقال الرسول علية الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى، لفهم الإسلام، وعرضه، ومواجهة المشكلات الواقعية في ضوء أصوله ومبادئه[٧] . وبعبارة أخرى: كل ما أنتجه المسلمون في ظل الإسلام من المعارف والتصورات (علوم المقاصد والغايات، وعلوم الوسائل والادوات).

ثانيا: علاقة الثقافة الإسلامية بالفكر الإسلامي.

جرى استعمال كثير من الباحثين لمصطلح الثقافة الإسلامية والفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية والنظام الإسلامي في المحاضرات والمؤلفات على أنها كلمات مترادفة، والواقع انها مصطلحات تختلف عن بعضها البعض من حيث المفهوم والأهداف والمضمون والمحتوى العلمي، وان كان بينها تداخل في بعض الوجوه، ولا يسعنا التفصيل لهذه المسألة في هذا المقام، ونكتفي بالإشارة إلى النقاط التالية:-

أ- مصطلح الثقافة الإسلامية أوضح في الدلالة من مصطلح الفكر الإسلامي، وذلك لما يتمتع به مصطلح الثقافة الإسلامية من مدلول واسع وعميق في دلالته السلوكية والتطبيقية، بوصف الثقافة نظرية في السلوك أكثر من كونها نظرية في المعرفة.

ب- كلمة فكر تومىء إلى المفكرين، في حين ان الثقافة تشير إلى جملة من الحقائق الموضوعية الخارجة عن اطار الفكر الاسلامي.

---

[٧] الفكر الاسلامي د. محمد البهي ص٦.

ج- الثقافة الإسلامية تمثل نظرة تركيبية شمولية عن الاسلام بوصفه عقيدة وشريعة ومنهج حياة، وتركز هذه النظرة الشمولية التركيبية على ارتباط نظم الحياة الإسلامية بعضها ببعض بحيث تظهر الحياة الثقافية في المجتمع الاسلامي في وحدة سلوكية ومعرفة جامعة.

د- أن موضوع الفكر الإسلامي، اقرب إلى الفلسفة الإسلامية، فهو يجنح إلى الفلسفة النظرية والقضايا الذهنية، وينصب على الإنجازات العلمية، فيتناول فكر المسلمين وجهودهم العقلية أكثر مما يتناول قضايا الإسلام ذاته، أو القضايا المعاصرة، بينما الثقافة الإسلامية تتناول الفكر والسلوك والتربية المستمدة من القرآن والسنة وميراث السلف الصالح.

ثالثا: الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالفكر.

١- ان الثقافة الإسلامية لها مدلول سلوكي وتطبيقي، وتتضمن حقائق موضوعية متميزة وتشتمل على قضايا ومشكلات واقعية ومستجدات عصرية، تجعلنا أن نرجحها في الاستعمال على الفكر الاسلامي.

٢- ان الاهدف من تدريس مقرر الثقافة الإسلامية لا يمكن تحققها في مقرر الفكر الإسلامي[*].

---

[*] راجع مزيدا من الثمار في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ص ٨١

المبحث السابع
الثقافة الإسلامية والنظم الإسلامية

ترتبط الثقافة الإسلامية بالنظم الإسلامية ارتباطا متينا، ولكن يمكن القول أن علاقة الثقافة أعم وأشمل من النظم الإسلامية، لأنها تشمل النظم وغيرها،فالنظم جزء من مكونات الثقافة الإسلامية، أو دائرة من دوائرها الكثيرة.

وقد جرت العادة في معظم الجامعات على تدريس الثقافة الإسلامية تحت مسميات كثيرة: كالدراسات الإسلامية والفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية، وخصائص التصور الاسلامي ومقوماته وتعريف عام بالإسلام، والفكرة الإسلامية، ونظام الإسلام، والثقافة والنظم الإسلامية، والثقافة الإسلامية والقضايا المعاصرة. وأول من أطلق على الثقافة الإسلامية "نظام الاسلام" الاستاذ محمد المبارك رحمه الله، واليه يعود الفضل والسبق في ريادة هذا المقرر على مستوى الجامعات، من حيث تقدير أهميته وضرورته من وجهة، ومن حيث وضع المناهج الدراسية والتأليف فيه من وجه آخر، وكان ذلك عام ١٩٥٤م في كلية الشريعة في جامعة دمشق[1]. وقد أطلق رحمه الله التسمية بصيغة المفرد لا بصيغة الجمع "الانظمة الإسلامية" اشارة إلى ان المقصود من هذه الدراسات ليس الانظمة التاريخية المعروفة في مقررات الحضارة الإسلامية مثل الادارة وتنظيم امور المجتمع والدولة وغير ذلك من امور السياسة الشرعية ونظام الخلافة أو الوزارة أو الحسبة أو البريد ... الخ.

ولكن اراد بالمقصود: نظام الحياة في الاسلام، بوحدته، وانسجامه وارتباط اجزائه بعضها ببعض، بحيث يمثل وحدة متكاملة في العقيدة والعبادة والأخلاق والاجتماع، وفلسفة المال والاقتصاد ومبادئ الحكم كمذهبية متماسكة.[2]

وقد خلف من ذلك كتابا من ثلاثة اجزاء يحمل الاسم السابق "نظام الاسلام" في العقيدة والعبادة، والاقتصاد ونظام الحكم والدولة، إلى جانب فصول أخرى وردت في بعض كتبة ومؤلفاته، ككتاب "بين الثقافتين الإسلامية والغربية" وكتاب "ذاتية الأمة

---

(١) الثقافة الإسلامية في الجامعات، د. عدنان زرزور ص٨-٩.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠.

المسلمة وتميزها"، و"التفكير العلمي في الإسلام"، و"مفهوم الأمة"، "وخصائص العربية" و"الدولة ونظام الحسبة عند ابن تيميه". ويعتبر الأستاذ محمد المبارك الانموذج التجديدي في مجال الثقافة الإسلامية، التجديد الملتزم بمقياس الإسلام وذاتيته المتميزة.

أما إطلاق حضارة إسلامية على مقرر الثقافة الإسلامية، فهذا ناتج عن الخلط في المفاهيم وضعف التصورات، فالحضارة في غالب تدريسها منصبة على الانجازات، والمعطيات الحضارية التي صنعها الإنسان، بينما الثقافة الإسلامية منصبة على الاسلام ذاته وعلومه وسلوكياته المباشرة كما ذكرت.

أما بخصوص تسمية الثقافة الإسلامية، بالثقافة والنظم الإسلامية أو الثقافة الإسلامية وتحديات العصر، أو الثقافة الإسلامية والقضايا المعاصرة، فهو أمر لا بأس به ولا مانع منه، إذ العطف أما أن يكون عاما على خاص أو خاصا على عام، ولا مانع من عطف الخاص على العام للتوضيح والتخصيص ولبيان أهمية هذا الخاص، فإذا عطف على الثقافة شيئا منها فلا مانع من ذلك، كقولنا أصول الفقه ومناهج الاجتهاد، أو حاضر العالم الإسلامي والقضية الفلسطينية، ومن الباحثين من يرى أن ذلك من باب الحشو والزيادة والتكرار.

وأحب ان اشير في هذا المقام إلى علاقة الثقافة الإسلامية بالفقه الإسلامي، فالثقافة الإسلامية تبحث في الحكمة وفي روح الشريعة، بينما الفقه الإسلامي يبحث في الحكم وتفاصيل الأحكام. فلو اردنا دراسة نظام الزكاة على سبيل المثال باعتباره ركنا من أركان الإسلام، وعبادة من ابرز العبادات في الإسلام وبابا من أهم ابواب الاقتصاد الإسلامي، فاننا نعنى بفلسفة نظام الزكاة الفقهي أكثر مما نعنى بتفاصيل أحكامها، فنبين صدى العقيدة الإسلامية بوضوح شديد فيها، ونتحدث عن اثارها ووجوهها التربوية والنفسية والاجتماعية والاخلاقية وأثرها في التنمية ...

الثمرة المترتبة على علاقة الثقافة بالنظم الإسلامية:

١ - تبصير الدارسين بمسوغات الاحتفاظ بمادة الثقافة الإسلامية بدلا من مقرر النظم الإسلامية أو الحضارة الإسلامية أو الفكر الاسلامي، اوقضايا إسلامية معاصرة، وهذا يعني أن الثقافة الإسلامية كمقرر أعم وأشمل من هذه التسميات.

٢ - أن محاولات الخروج عن مصطلح الثقافة الإسلامية جاءت من خلال آراء فردية من غير المتخصصين في هذا الفن أو محاولات نفعية لإحلال مؤلف مكان آخر.

الوحدة الثانية

مصادر الثقافة الإسلامية ومقوماتها وأهم معالمها



الفصل الأول

مصادر الثقافة الإسلامية

المبحث الأول: القرآن الكريم

تمهيد:

نعني بالمصادر : الأسس التي تقيم عليها الأمم عقيدها وشريعتها وفكرها وقيمها ومبادئها وأصل وجودها، والمنابع التي تستمد منها ثقافتها، والتي تنتج نمطاً معيناً من السلوك الثقافي في حياة الأمم.

فإذا انفصلت الثقافة عن المصادر والأصول، فقدت الأمة هويتها، واضطربت مفاهيمها، واهتزت شخصيتها، ومقوماها وملامحها التي تنفرد بها، وصارت تبعاً لغيرها(١) وستكون نهايتها إلى الاضمحلال، فلا تقدر على التحدي والصمود، ولا تستطيع الاستمرار في التاريخ لما أحاط بها من عوامل الضعف والانحراف والهبوط.

ويعتبر القرآن الكريم المصدر الأول للثقافة الإسلامية، الذي تستقي من نبعه الطهور، التوجيه الراشد، والمنهج القويم. وقد كان للقرآن الكريم الأثر الواضح في صياغة شخصية

---

(١) انظر مذكرة في الثقافة الإسلامية ، راشد شهوان كلية الدعوة وأصول الدين جامعة البلقاء التطبيقية ص ٢٣.

المسلمين، وإعلاء كلمتهم، وتنظيم حياتهم، وتقويم أخلاقهم[1] وضبط سلوكهم، وتوحيد لهجاتهم، وحل خلافاتهم، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [2]. لقد صار العرب بالقرآن الكريم خير أمة أخرجت للناس، وأحدثوا لأنفسهم به ثقافة شاملة فريدة عن غيرها من الثقافات السائدة ممتدة في تاريخ البشرية كلها، واستلموا به القيادة الفكرية دعاة مبلغين، والقيادة السياسية حماة حاكمين.

فبالقرآن الكريم، والإسلام العظيم امتدت الشخصية العربية عبر الزمان والمكان، وتغلغلت بين الشعوب والأمم، وأصبح العرب قادة الركب وبناة الحضارة العالمية وأساتذة للإنسانية[3].

تعريف القرآن الكريم في اللغة والاصطلاح:

قرأ تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة مصدر قراءة وقرآناً، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ۝ ﴾[4].

وقد خص القرآن الكريم بالكتاب المنزل على محمد ﷺ فصار كالعلم الشخصي له[5] والقرآن: كلام الله المعجز بأقصر سورة فيه، المتعبد بتلاوته، المنزل وحيا على رسول الله ﷺ، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بآخر آية من سورة الناس المنقول بالتواتر[6]. وقد سماه الله تعالى بأسماء كثيرة منها: الفرقان، الذكر ، الكتاب، إلى غير ذلك من الأسماء

---

(١) انظر المرجع السابق ص٢٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٣) انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي، إبراهيم زيد الكيلاني وزميلاه ط٥، دار الفكر للطباعة والنشر ١٩٩٥م، ص٣٢-٣٣.

(٤) سورة القيامة: الآيتان ١٧-١٨.

(٥) القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه القاهرة، ج١، ص ٢٤، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان ط٣، منشورات العصر الحديث ١٩٧٣م، ص ٢٠، مبادئ الثقافة الإسلامية، محمد فاروق النبهان، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت ١٩٨٣م، ص١٢٩، النبأ العظيم محمد عبدالله دراز، مطبعة السعادة، ١٩٦٩م، ص٧٠.

(٦) انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط٥، ص ٤٤-٤٥، مباحث في علوم القرآن، قطان، ط٣،ص٢١.

والأوصاف التي استعملها القرآن الكريم، ولم يصبيه ما أصاب الكتب السابقة من التحريف، وانقطاع السند[1]، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [2].

إعجاز القرآن الكريم:

تعريف الإعجاز:

هو إثبات العجز، وهو اسم للقصور عن فعل الشيء، وهو ضد القدرة وإذا ثبت الإعجاز ظهرت قدرة المعجز، والمراد بالإعجاز هنا إظهار صدق النبيﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة -وهي القرآن- وعجز الأجيال بعدهم، وقد تحدى النبي ﷺ العرب بالقرآن الكريم على ثلاث مراحل هي: [3]

أ- التحدي بالقرآن الكريم كله، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [4].

ب- التحدي بعشر سور منه، جاء ذلك في قوله تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ ﴾ [5].

ج- التحدي بسورة واحدة منه، جاء ذلك في قوله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [6].

---

(١) انظر النبأ العظيم ، ص٨.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩.

(٣) مباحث في علوم القرآن، ص ٢٥٨.

(٤) سورة الإسراء : الآية ٨٨.

(٥) سورة هود: الآيتان ١٣-١٤.

(٦) سورة البقرة: الآيتان ٢٣-٢٤.

١- جوانب الإعجاز في القرآن الكريم:

من أبرز جوانب الإعجاز في القرآن الكريم ما يلي:-

أ- الإعجاز البياني واللغوي:

وهذا هو الجانب الذي وقع التحدي به، وفي وقت وصلت اللغة فيه إلى أزهى عصورها، حيث كان الأدباء والشعراء يتنافسون بعرض أجود ما جادت به قرائحهم في بضاعة الكلام، وصناعة الشعر في جو صاخب محموم.

وفي اشد حالات المفاخرة والإعجاب بالذات جاء القرآن الكريم يتحداهم ويستفزهم، ويدفعهم للإتيان بمثل هذا القرآن الكريم، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة من مثله، ثم يعقب على ذلك ساخرا منددا بعجزهم(١).

ب- الإعجاز العلمي:

إن إعجاز القرآن الكريم العلمي ليس في اشتماله على النظريات العلمية التي تتجدد وتتبدل، وتكون ثمرة للجهد البشري في البحث والنظر، وإنما في حثه على التفكير والنظر في الكون. فالقرآن الكريم لا يشل حركة العقل الإنساني في تفكيره، أو يحول بينه وبين الاستزادة من العلوم ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

لأنه جعل التفكير السديد والنظر الصائب في الكون وما فيه أعظم وسيلة من وسائل الإيمان بالله تعالى، وقد تقدمت العلوم وكثرت مسائلها، و لم يتعارض شيء منها مع آية من آيات القرآن الكريم وهذا وحده إعجاز (٢).

ج- الإعجاز التشريعي:

يتميز القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية أنه وضع للناس كافة تشريعا شاملا ينظم لهم حياتهم في جميع جوانبها الدينية والدنيوية، وينظم مجال العلاقات بين أفراد المجتمع وأفراد الأسرة الواحدة، ووضع تشريعات تشمل الأحكام المتعلقة بالمعاملات

---

(١) انظر إعجاز القرآن الكريم للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر ص٤٨، نشر دار المعارف بمصر نقلا عن محاضرات في الثقافة الإسلامية عمر عودة الخطيب ، ط٧، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨١م، ص١٤٩، مباحث في علوم القرآن، قطان، ص ٢٦٤-٢٦٩.

(٢) انظر المصدر نفسه، ص ٢٧٠-٢٧١.

والأموال والعقوبات، ووضع قواعده المنظمة للمجتمع الإسلامي في علاقته مع الحاكم أو علاقة الحاكم به، في علاقته مع الدول الأخرى في حال السلم أو الحرب، في علاقته مع رعايا الدولة الإسلامية من غير المسلمين، وكان منهج القرآن الكريم في عرض هذه الأحكام مختلفاً بحسب الموضوعات، فالموضوعات الثابتة التي لا تقبل التغيير والتبديل كأحكام الميراث، والعقوبات المترتبة على الجرائم الكبيرة كالقصاص والحدود جاء بها القرآن الكريم بشكل مفصل ودقيق، نظراً لأن هذه الأحكام ثابتة.

وفي الوقت ذاته وضع الملامح العامة لكثير من الأحكام التي تناولها دون أن يتدخل في تفصيلاتها وجزئياتها، تاركا ذلك لولاة الأمور الذين يطبقون في مجتمعاتهم ما يلائمها، ويحقق المصلحة فيها في إطار المنهج القرآن العام(١).

د- الإعجاز الغيبي:

نستطيع ملاحظة هذا الجانب من جوانب الإعجاز القرآني من خلال ما عرض له القرآن الكريم من أخبار غيبية مما يخرج عن طاقة البشر نذكر منها ما يلي:

قضايا تاريخية عن أمم بائدة، أو قصص متعلقة بالأنبياء والمرسلين مما لم يكن معروفا لدى أحد من الناس، ولا مدونا في أي كتاب من الكتب الماضية، ولم يعرف من حياة النبي ﷺ التي نقلت إلينا بكل تفاصيلها ودقائقها أنه قد تلقى علما عن أحد، أو قرأ كتب الأولين، أو أخذ عن أحد من العالمين بها.

قضايا غيبية ستحدث في المستقبل مما لا يمكن لبشر أن يعرف عنها شيئا أو يتنبأ بها(٢)، كتبشير الله تعالى رسوله الكريم أنه سيظهر دينه على جميع الأديان، ونصره على المشركين في بدر، ونصر الروم على الفرس بعد هزيمتهم، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾(٣).
وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ

---

(١) انظر مباحث في علوم القرآن، قطان ط٣، ص ٢٧٦، مبادئ الثقافة الإسلامية ، ص ١٤٦.

(٢) انظر المصدر نفسه ص ١٥٠.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٣.

سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ (١).

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: "لعمري لئن كانت للقرآن في بلاغة تعبيره معجزات، وفي أساليب ترتيبه معجزات، وفي نبواته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات، لعمري إنه في ترتيب آية على هذا الوجه لهو معجزة المعجزة" (٢).

واجبنا نحو القرآن الكريم:

إن واجبنا نحو القرآن الكريم أن نسلك في فهمه مسلك السلف الصالح، فنعطي الثقافة القرآنية، والثقافة الإسلامية حقها من العناية، وأن نأخذ أنفسنا بالتدرج، ودوام الصلة بكتاب الله تعالى، حتى نحوز هدايته ونوره، ونحافظ على أصالة ثقافتنا الإسلامية المتميزة، وهذا يتطلب منا ما يلي:

أ- أن نعد أنفسنا لقراءة القرآن، وإحسان تلاوته بتعلم التجويد والترتيل، وإحسان الفهم لآياته.

ب- أن نفهم القرآن الكريم على مراحل، فنفهم معاني آياته، وأسباب النزول وتفسير النبي ﷺ، وتفسير الصحابة والتابعين.

ج- أن نحذر أهواء من يقولون في كتاب الله تعالى برأيهم، ممن يحاولون إخضاعه لأهوائهم، وللنظريات العلمية، القابلة للتغيير والتبدل(٣).

---

(١) سورة الروم، ١-٥.

(٢) النبأ العظيم، ص ٢٠٩.

(٣) الإسلام وبناء المجتمع، أحمد محمد العسال، الكويت دار القلم، ١٩٧٥م، ص ١٠٥-١٠٦.

المبحث الثاني

السنة النبوية الشريفة

تعتبر السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني من مصادر الثقافة الإسلامية بعد القرآن الكريم، وهي منهاج المسلم التفصيلي، وبرنامج حياته، وخطة عمله اليومية، وما من نشاط في شئون المسلم مهما دق أو عظم إلا ونظمته السنة النبوية المطهرة[1].

أولا:- تعريف السنة لغة واصطلاحا:

- تعريف السنة في اللغة:

هي الطريقة المعتادة، وهي من مادة "سن" وهو جريان الشيء واضطراده في سهولة، وسنة النبي ﷺ تحمل هذه المعاني لما فيها من جريان الأحكام واضطرادها، وصقل الحياة الإنسانية بها، فيكون وجه المجتمع السائر على هديها، ناضرا بخيرها وبركتها.[2]

- تعريف السنة في الاصطلاح:

هي ما صدر عن النبي ﷺ باعتباره مبلغا عن الله تعالى من قول أو فعل أو تقرير أو صلة خلقية من مبدأ بعثته حتى وفاته[3]، وكان مما أخبر الله تعالى عباده المؤمنين أن محمدا ﷺ معصوم في قوله أو فعله وإقراره أو صفته[4]. قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[5] قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ﴾[6]

---

(١) انظر في الثقافة الإسلامية، أحمد نوفل وزميلاه، ط١، دار عمان للنشر- عمان ١٩٨٤م، ص٢٢.

(٢) انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط٥، ص٨٧-٩٠.

(٣) انظر المصدر نفسه ص ٨٧-٨٨.

(٤) انظر الفكر المنهجي عند المحدثين، همام عبد الرحيم سعيد، ط١، دار الأمة، قطر ١٩٨٧م، ص٢٢٦.

(٥)سورة النجم : الآيتان ٣-٤.

(٦)سورة الحشر: الآية ٧.

ثانيا:– مكانة السنة النبوية من القرآن الكريم:

القرآن الكريم أصل لكل ما جاءت به السنة ، وإن كل ما في السنة من المعاني لا بد أن يكون له أصل قرآني، وأن السنة بيان لآيات القرآن الكريم، وتفصيل لأحكامها، نظرا لأن آيات القرآن جاءت في أكثرها عامة مجملة، وأحالت هذه الآيات الكريمة على السنة دور البيان والتفصيل، ولولا السنة الشريعة لاستحال القرآن إلى رموز لا يمكن تنفيذها ولا يمكن معرفة مراد الله سبحانه وتعالى منها[1]،قال تعالى : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [2]، وقد أمر الله تعالى بطاعة رسوله ﷺ ، وجعل طاعته وطاعة رسوله ﷺ مستقلة، لأن من يعتقد بوجوب طاعة الله وحده، ولا يعتقد بوجوب طاعة رسوله ﷺ فهو كافر خارج عن ملة الإسلام[3] ، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [4].

ثالثا:– مصدرية السنة الشريفة للأحكام والاحتجاج بها:

عندما يرتب العلماء مصادر الشريعة الإسلامية قائلين القرآن الكريم، ثم السنة النبوية، فإن هذا الترتيب ترتيب في الذكر والشرف، ولا يؤخذ بمعنى أن السنة متأخرة في مصدريتها عن القرآن الكريم، ولا شك أن السنة في معظمها تأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن من حيث ثبوتها، لأن القرآن كله متواتر، وقليل من السنة ما نقل بالتواتر[5]، قال رسول الله ﷺ : "ألا إني أوتيت القرآن ومثله، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بالقرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه.."[6].

---

(١) انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط٥، ص ٩٣-٩٦.

(٢) سورة النحل ، ٤٤.

(٣) انظر المصدر نفسه، ص ٩٤.

(٤) سورة النساء، ٥٩.

(٥) انظر الفكر المنهجي عند المحدثين، ص ٣٠-٣٣.

(٦) السنن، أبو داود سليمان بن الأشعث، تحقيق عزت الدعاس، دار الحديث حمص ١٣٩٣هـ، ج٥،ص١١، الجامع، محمد بن عيسى الترمذي، مصطفى الحلبي ، ط١٩٣٧م، ج٥، ص ٤٣٧، بمعناه، السنن في المقدمة، محمد بن يزيد ابن ماجه، ط٢، الرياض ١٩٨٤م.

رابعا:- أقسام السنة النبوية من حيث سندها وروايتها:

تقسم السنة باعتبار الرواية والسند ثلاثة أنواع هي:

أ- سنة متواترة:

وهي الأحاديث التي رويت في العصور الأولى بواسطة جمع يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب، ومن هذا النوع السنن العملية التي بينت مقادير الزكاة وأعمال الحج، وهذه تفيد العلم اليقيني.

ب- سنة مشهورة:

وهي الأحاديث التي رواها عن النبي ﷺ واحد أو اثنان، وعدد من الصحابة لا يبلغون حد التواتر، ثم يرويها عن الصحابة جمع يبلغ حد التواتر من التابعين، لا يأتي تواطؤهم على الكذب، ثم يرويها عن التابعين جمع من تابعي التابعين، ومثلها حديث" إنما الأعمال بالنيات" (١).

جـ- سنة آحاد:

وهي ما رويت عن رسول الله ﷺ بواسطة عدد لا يبلغ حد التواتر، ولم تتواتر في أي عصر، وهذا النوع يفيد العلم اليقيني الراجح بصحة نسبته إلى النبي ﷺ(٢).

وأما من جهة ثبوت الحديث نستطيع أن نطمئن تماما إلى أن الحديث الذي يشهد له العلماء بأنه صحيح أو حسن أو كذلك، ونستطيع أن نثق بشهادهم له بذلك، لأن علماء الحديث اتبعوا منهجا صارما في نقد الأحاديث، فلم يحوجوا من بعدهم من العلماء إلى جهد كبير في فرز الحديث صحيحه من ضعيفه، من الروايات الموضوعة والمكذوبة على الرسول ﷺ (٣).

---

(١) متفق عليه.

(٢) انظر حجية السنة، عبد الغني عبد الخالق، دار القرآن الكريم، آلمانيا الغربية، ١٩٨٦م، ط١، ص ٤١٠، وما بعدها، أصول الفقه الإسلامي، عبد السلام مدكور، ص١١٦، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١١، سنة ١٩٨٩، ص ١٩٢، نظام الإسلام، محمود السرطاوي وآخرون، المركز العربي للخدمات الطلابية، ط١، سنة ١٩٩٦م، ص٩٤، الثقافة الإسلامية عزمي السيد ص ٨٧.

(٣) انظر في الثقافة الإسلامية، ص ٢٣-٢٤، دراسات في الثقافة الإسلامية محمد عبد السلام هارون وآخرون، مكتبة الفلاح ، الكويت، ١٩٨٠، ط١، ص ٢٢٤، ٢٢٧، السنة ومكانتها في التشريع، مصطفى السباعي، ص ١٤٢، وما بعدها، مبادئ الثقافة الإسلامية، ص ١٦٧-١٦٨، ١٨١-١٨٣، الإسلام وبناء المجتمع، ص ١١١-١١٤.

المبحث الثالث

الفكر والتراث الإسلامي

أولا:- مفهوم الفكر الإسلامي:

إن مصطلح الفكر الإسلامي من المصطلحات الجديدة وهو يعني: "المحاولات العقلية والجهود العلمية التي بذلها المسلمون منذ انتقال الرسول ﷺ إلى جوار ربه، لفهم الإسلام وعرضه، ومواجهة المشكلات الواقعة في ضوء أصوله ومبادئه، أو بمعنى آخر: هو كل ما أنتجه المسلمون في ظل الإسلام من المعارف الكونية العامة المتصلة بالله سبحانه وتعالى والإسلام منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم إلى اليوم ".(1)

والفكر الإسلامي بمعناه الواسع هو ذلك التصور الناشئ عن استجابة المسلمين للإسلام الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ، فتخلصوا بهذه الاستجابة من الضلالة والحيرة إلى الهداية والرشد، ومن الظلمات إلى النور، ومن الموت والخمول إلى الحركة الواعية الناشطة، فدبت فيهم روح الحياة الحقيقية، وأمتن الله عليهم بأن طالبهم بالانقياد لأمره ونهيه وحكمه، فأسلموا له القيادة، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ ﴾ (2).

ولقد أبدع الفكر الإسلامي في مختلف مجالات العلوم سواء في مجال العلوم الشرعية كعلوم العقيدة، وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلوم الفقه وأصوله، وعلوم التفسير الذي يسميها سلفنا الصالح "علوم المقاصد والغايات" أو العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وآداب ونحوها، والتي يسميها علماؤنا "علوم الوسائل والأدوات" هذه العلوم تعتبر أصلا من أصول الثقافة الإسلامية، إذ لا بد للمسلم من الوسيلة المشروعة لتحقيق الغاية المشروعة، كما أبدعت العقول المسلمة علوما أخرى أسهمت في بناء المجتمع المسلم، كالعلوم

---

(1) محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص ٤٥، د. راشد شهوان.

(2) سورة الأنفال، ٢٤.

الاجتماعية، تاريخ، جغرافيا، علوم اجتماع ونحوها، والعلوم الطبيعية ، الفيزيـــاء، الكيميـــاء، والفلك ونحوها، والعلوم الرياضية، الحساب والجبر، الهندسة وما يتصل بها، وهـــذا الإبـــداع مؤشر على أن الفكر الإسلامي مخزن كبير من المعارف والتجارب للأجيال التي سبقتنا، وهـــو ميراث عظيم تستفيد منه أجيالنا والأجيال الآتية بعدنا، نستفيد منه ونستنير به، فكل إنســـان يستفيد من فكر من سبقوه، ثم يزيد عليه إن كان باستطاعته أن يزيد عليه[1]، وكمـــا قيـــل "كم ترك الأول للآخر "أما التنكر للماضي، وانتزاع النفس منه فمعناه انتزاع أنفســـنا مـــن تربتنا الخصبة، فنخرج منها وقد يبس عودنا، وجف ما فيه من عصارة الحياة.

ثانيا:- مفهوم التراث الإسلامي:

التراث الإسلامي هو مجموع ما خلفه المسلمون من إجماع وقياس واجتهاد في الفقـــه والتفسير والحديث، وما قاله اللغويون والنحويون وأهل البلاغة والبيـــان، ومـــا جمعـــه المؤرخون من أخبار وسير ومناسبات، وما خلفته الأجيال من حضارة وفنـــون وعلـــوم، فالتراث حركة الإنسان في التاريخ بعد أن يكون حركته في المكان والزمـــان، وأعمالنـــا بمجرد أن تنفصل عنا تصبح تراثا[2].

ثالثا:- نقل التراث:

يتم نقل التراث من جيل إلى جيل بشكل تلقائي، وفي الغالب من غير وعي، وقـــد ينقل بعض الناس ما ينفع وما يضر، وما يعقل وما لا يعقل، وقد يـــأخذ الـــتراث طـــابع القداسة، نظرا لانتمائه إلى الدين مثلا، فينقل بعض الناس تقديـــس القبـــور والأضرحـــة والصور والتماثيل إلى مجتمعهم على اعتبار أنها عقائد دينية، فتصبـــح في نظرهـــم تراثـــا مقدسا، ومعلوم أن الإسلام حرم تقديس الأضرحة والقبور، ونهى عن بناء المساجد عليـــها والتمسح والتبرك بها، والاستغاثة والاستعانة بأصحابهـــا لقضـــاء الحاجـــات الدنيويـــة والأخروية، واعتبرها من البدع والضلالات التي قد يقع الإنسان الذي يعتقد بها في الشـــرك الأصغر أو الأكبر ، بعلمه أو بدون علمه، وبحسب حاله من الاعتقاد.

---

(١) انظر محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص ٤٥-٤٦، الثقافة الإسلامية عزمي السيد وآخرون، ١٠٨-١٠٩.

(٢) انظر دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٠، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط٥، ص ٣٧٨.

رابعا:- تراثنا الإسلامي وتراث غيرنا.

وما دام التراث حركة الإنسان في التاريخ، والإنسان يخطئ ويصيب، فإن التراث يحتمل الخطأ والصواب، وبهذا فإننا ننفي عن التراث فكرة القداسة والهيبة والقبول المطلق، وعلى الرغم من كل هذه الاحتمالات من الخطأ والصواب في التراث، إلا أن تراثنا الإسلامي يبقى أنقى أنواع التراث في العالم، وأبعده عن الخرافة والأسطورة، لا سيما وأن تراثنا كانت تحكمه ضوابط معيارية على مختلف العصور، وإن كان الناس لا يستحضرون هذه الضوابط بنفس الدرجة من الالتزام.(١)

خامسا:- التراث والوحي.

الوحي كلمة الله، والتراث حركة الإنسان أو كلمته، وعلى هذا التفريق فإن القرآن الكريم والسنة النبوية يخرجان من التراث لأنه لا دخل للإنسان بهما ، إلا في بعض الأمور الشكلية، مثل خط المصحف، والمادة الكتابية، واستخدام الألوان، والتجليد ونقل المصحف إلى شريط التسجيل أو إلى الحاسوب، فهذه الأمور الشكلية تدخل في التراث، فالقرآن كلام الله تعالى، وليس لرسول الله ﷺ فيه سوى القراءة والحفظ والبيان.

والسنة وحي من عند الله تعالى باعتبار أن الله تعالى عصم نبيه ﷺ في أقواله وأفعاله، وأما اللغة التي نزل بها القرآن الكريم فلا بد أن تخرج من التراث لارتباطها بالوحي، ولأن القرآن الكريم أكسبها صفة العصمة والإعجاز، واللغة تدور مع النص ويدور النص معها، وقد ضبط علماء اللغة في عهد مبكر لغة التتريل، وميزوها عن غيرها. أما المفاهيم اللغوية التالية للنص فإنها تدخل في التراث المعرض للخطأ والصواب، وهذه الميزة التي يمتاز بها القرآن الكريم ولغته، وتمتاز بها السنة النبوية المطهرة لا تتوافر لأمة من الأمم الأخرى، فالوحي عند غير المسمين اختلط مع حركة الإنسان، ففقد صلابته وأصالته، ويعتبر من التراث الخاضع للنقد العلمي، وعليه فإن كل معيار أو ضابط لا بد أن يستمد من أصول فكرنا ومن القواعد الأساسية في ديننا .(٢)

أهمية إحياء التراث الإسلامي:

لقد حرص بعض المستشرقين والمبشرين ودعاة النفوذ الاستعماري على التركيز على جوانب معينة في التراث والاهتمام بها وإحيائها والمبالغة في إذاعتها، في مقدمتها دراسات

(١) انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط٥، ص ٣٧٩-٣٨٠، الثقافة الإسلامية، عزمي السيد وآخرون، ص١١٠-١١١.
(٢) انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي ، ط٥، ص ٣٧٨-٣٨١، الثقافة الإسلامية، عزمي السيد وآخرون ، ص١١٠-١١١.

الصوفية المنحرفة، والباطنية والحشاشين والقرامطة الكافرة، والدراسات الفلسفية الضالـــة، والكتب والمؤلفات التي غرقت في الشرك والضلالة والبدع والانحراف والمفاهيم الدخيلـــة على الفكر الإسلامي الأصيل.(١)

ومن هنا ينبغي أن يكون اتجاه حركة إحياء التراث الإسلامي من خلال بعـــث تراثـــه الأصيل، واستصفاء هذه الحصيلة الضخمة الثرية من أعمال الفقهاء والمحدثين والمفســـرين، والكتب العلمية النافعة في كل مجالات الحياة، وفصل هذا التراث عـــن الجوانـــب الحزبيـــة والسياسية التي ارتبطت به، والتي كانت مصدر خلاف قديم انتهى، أو فـــرق ظـــهرت في تاريخ المسلمين، والحق أن تراثنا الإسلامي جدير بهذه الجهود الضخمة التي يبذلها الأفـــراد والهيئات الإسلامية الكبرى، والجامعات ودور النشر المهتمة بالتراث الإســـلامي العظيـــم، وحركة بعثه وإحيائه وتنقيحه وتحقيقه لينتفع العالم بثمرات هذا التراث المبارك، لأن النهضـــة الفكرية والعلمية العالمية اليوم في حاجة إلى انبعاث هذا التراث مرة أخرى نفـــس حاجتـــها التي تحققت بترجمة هذا التراث ونقله في أول النهضة الأوروبية والتي أقامت علـــى تـــراث المسلمين قواعدها الفكرية والعلمية مما تزخر به مكتبات العالم الغربي اليوم، وقد أكد كثـــير من الباحثين المنصفين من علماء الغرب أن أوروبا أقامت نهضتها وجذور فكرهـــا علـــى التراث الإسلامي الأصيل، بالإضافة إلى التراث العالمي الذي نقله المسلمون إلى العربية، فلـــم يكونوا مجرد ناقلين له، أو مترجمين، بل درسوه جيداً، وأخضعوه للمنهج التجريـــبي الـــذي ابتكروه لأول مرة في تاريخ البشرية، وأخضعوا هذه العلوم التي نقلوها عن اليونان والفـــرس والرومان والهنود وغيرهم للنقد العلمي، وأضافوا عليها إضافات علمية نافعة، وحولوا هـــذه العلوم من التفكير النظري إلى التجربة العلمية والاستنباط المبني على المشاهدة والملاحظـــة، وكان هذا فتحاً هائلاً في دنيا العلم هو باعتراف المنصفين من علماء الغرب الـــذي مكـــن للعلم الحديث أن يقفز قفزات هائلة في البحث والكشف، والذي آتى ثمـــاره علـــى يـــد الأوروبيين فيما بعد حين تعلموه من المسلمين وأعطى المسلمين شخصية متميزة (٢).

---

(١) انظر الإسلام على مشارف القرن الخامس عشر، أنور الجندي، الموسوعة العربية الإسلامية، مطبعة زهران،ص٣٢٢.
(٢) انظر المصدر نفسه، ص ٣٢٣-٣٢٤، واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينـــة للصحافـــة، ١٩٨٧م، ط١، ص٨٩-٩١، معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١٩٨٢م، ص ٢٩٤-٣٠٤.

المبحث الرابع

الخبرات البشرية النافعة

تتراكم عبر العصور نتائج كثير من العلوم والمخترعات، وجوانب الرقي الإنساني المتعددة، والمتأخر مدين لمن سبقه بما يقدمه من نتائج فكره، ومنافع اجتهاده، وينبغي على المتأخر أن يبني علمه وأفكاره على ما يراه مفيدا ونافعا وحسنا عند من سبقه، توفيرا لجهده وإتماما لجهد غيره، ولا ينكر أحد أن استفادة الإنسان مما عند السابقين من علم نافع، أو جهد خير، أمر مستساغ ومقبول ومرحب به، ما لم يتعارض مع ثوابته ومبادئه. وقد وردت في الإسلام نصوص متعددة، ومواقف علمية تؤيد الأخذ من نتائج السابقين، والبناء على ما سبقوا إليه، والاقتباس مما اخترعوه واكتشفوه، لأن المسلم كائن إنساني اجتماعي، والرباط الحي موجود بينه وبين الأحياء، فهو يتعلم لغة غيره ليعطيهم من الخير الذي أكرمه الله به، أو ليأمن شرهم، وليبحث عن الحق أينما كان، فيلتقطه طالما ثبت له أنه حق وحكمة وخير.

ومثال ذلك ما فعله عمر بن الخطاب ﷺ حين أمر بنقل نظام الدواوين الذي كان مستخدما في الحضارتين الفارسية والرومية قبل الإسلام، فاجتهد عمر ﷺ ، وحكم بأن استخدام هذا النظام فيه مصلحة للمسلمين، ولذلك أخذ به وطبقه، بعد أن أجرى عليه بعض التعديلات الشكلية التي لا تمس الجوهر، حتى يصبح نظام الدواوين منسجما مع سياق الثقافة الإسلامية والممارسات الإسلامية، فلا يكون شاذا في نظر المسلمين، وجرى تعريب هذا النظام حين استخدمت اللغة العربية في تطبيقه بدلا من اللغات الفارسية أو الرومية.[(١)]

---

(١) انظر الثقافة الإسلامية، عزمي السيد وآخرون، ص ١١٤-١١٥.

لقد استطاع العلماء المسلمون الإفادة من التراث الحضاري الذي خلفته الأمم الأخرى في شتى المجالات العلمية، حين ترجموا كتب التراث الإغريقي والهندي والفارسي وغيره إلى اللغة العربية في عصر العباسيين، ثم أضاف العلماء المسلمون الجديد من فكرهم وإنتاجهم إلى هذا التراث الحضاري، فصححوا كثيرا من النظريات، وعدلوا كثيرا من الآراء، حتى استطاعوا أن ينتزعوا من مؤرخي الغرب اعترافا بعظمة التراث الإسلامي، وبتميز الحضارة الإسلامية ودورها الكبير في الحضارة المعاصرة كما أسلفنا من قبل. ومع ذلك لم يسمح العلماء المسلمون لذلك التراث أن يفقدهم كيانهم أو شخصيتهم، أو يغير من معالم ثقافتهم وفكرهم[1]. وقد اعتمد المسلمون على أنفسهم وعلى المناهج العلمية التي ابتكروها ، فافتتحوا المدارس والمعاهد والجامعات، وألفوا الكتب والمراجع والأبحاث، وأقاموا المراصد والمشافي والمختبرات، بهمة عالية، ونشاط وثاب، لفت الأنظار إليهم، وانتزع الإعجاب بهم حتى لهج أعداؤهم بالاعتراف لهم بالفضل والسبق. وقد تكشفت جملة من الحقائق نتيجة لليقظة الفكرية الإسلامية نجملها في الأمور التالية:

١- إن الانحراف عن الإسلام هو سبب التخلف العلمي والحضاري الذي يعاني منه المسلمون اليوم.

٢- إن لكل أمة ثقافتها القائمة على قيمها ومفاهيمها وذاتيتها وجوهر فكرها.

٣- من الممكن أن تتقارب الثقافات وتقتبس من بعضها بعضا في العلوم المختلفة، ولكن من المستحيل أن تمتزج الثقافات.

٤- كشف الفكر الإسلامي عن قدرته على التلقي والتقبل والانفتاح على مختلف الثقافات، دون أن تحتويه وأن ينصهر فيها، وقد أخذ منها ورفض [2].

الضوابط الإسلامية في الإفادة من الخبرات البشرية النافعة:-

١- أن لا تتعارض الإفادة من الخبرات البشرية النافعة مع العقيدة الإسلامية ومنهج الإسلام في الحياة.

---

(١) انظر مبادئ الثقافة الإسلامية، ص ٦٥.

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٦٧، الإسلام على مشارف القرن الخامس عشر، ص ٢٢، ٢٢٧-٢٣٤، ٢٥٤.

٢- أن لا يوجد في الإسلام ما يغني عنها، وهذا يوجب على العلماء المسلمين أن يتأملوا المصادر الإسلامية، والبحث فيها والتريث قبل أخذ المعلومة عن الآخرين.

٣- أن نجري عليها التعديلات اللازمة لتتطابق مع ديننا، فلا نأخذ ما عند الآخرين دون تصفية أو تنقية، فكما لا يجوز في الإسلام رفض كل شيء نافع، فإنه لا يجوز قبول كل شيء من الآخرين دون تحقيق أو تمحيص.[١]

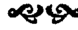
٤- إن الخطر الحقيقي لا يكمن في نقل جوانب المعرفة العلمية، وجوانب الحضارة الغربية المشرقة، التي أسهم المسلمون في بنائها، ولكنه يكمن في الذوبان والضياع في متاهات هذه الحضارة الشاردة عن الله تعالى ومنهجه في الحياة [٢].

(١) انظر الثقافة الإسلامية ، عزمي السيد وآخرون، ص ١١٦.

(٢) انظر مبادئ الثقافة الإسلامية، ص ٧٦، الإسلام على مشارف القرن الخامس عشر، ص ٣٣٨-٣٣٩.

الفصل الثاني

مقومات الثقافة الإسلامية



المبحث الأول
الدين الإسلامي

يعتبر الدين بصفة عامة من أهم المقومات التي تقوم عليها ثقافات الأمم والمجتمعات البشرية، ويعتبر الدين الإسلامي أهم مقومات الثقافة الإسلامية، فهو الأساس الذي بنت عليه الأمة الإسلامية قوام ثقافتها، وهو الذي حدد اتجاهاتها وشخصيتها، وعقيدتها التي تموت وتحيا لأجلها، وشريعتها التي تعمل على الالتزام بها.

ومعلوم أن الغاية الكبرى التي خلق الله تعالى العباد لأجلها وأرسل لهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب هي توحيد الله وإفراده بالعبادة، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ (1)، وعلى هذا فالعبادة هي الترجمة العملية لإيمان الإنسان بربه، وبقدر صدق إيمان الإنسان بربه، وإخلاصه في عبادته، تظهر استقامة أعماله في الحياة.(2)

وترتبط الثقافة الإسلامية بالدين الإسلامي ارتباطا وثيقا، فإذا انفصلت عن الدين، وانفصلت قيم المجتمع عن الدين فإن مشكلات المجتمع الإسلامي ستتفاقم، وأزماته سوف تشتد، ويصبح عاجزا عن التحرك الجدي ، والإنتاج المثمر، لتفترسه العلل، وتعصف به الأحداث، ويمزقه الضياع (3)، والدين الإسلامي كمقوم من مقومات الثقافة الإسلامية هو الذي يوحد ثقافة المسلمين، ويطهرها مما علق بها من أدران الثقافات الدخيلة، والأفكار المريضة، والبدع المهلكة، والضلالات المنحرفة، والهجمات الاستعمارية المتكررة، والغزو الفكري الخبيث.

---

(1)سورة الذاريات، ٥٦.

(2)انظر محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص ٤٩، د. راشد شهوان.

(3) انظر لمحات في الثقافة الإسلامية، ص ٣٥-٣٦.

المبحث الثاني

اللغة العربية

تعتبر اللغة العربية مقوما مهما من مقومات الثقافة الإسلامية، وعنصرا فاعلا من عناصر وحدة الأمة الإسلامية وثقافتها، ووسيلة من وسائل التخاطب والتفاهم بين الناس. ولما كان لكل قوم لغتهم، كان من المناسب أن يكون رسولهم المرسل بلسانهم ليبين لهم، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (١)، واختار الله سبحانه وتعالى للرسالة الخاتمة رسولا عربيا، وجعل رسالته باللغة العربية، قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (٢).

- مزايا اللغة العربية:

١- **القدم:** تضرب جذور اللغة العربية في أعماق التاريخ، وتدل الشواهد العملية والحفريات والنقوش والكتابات التاريخية على أن اللغة العربية كانت موجودة ومعروفة، أما اللغات الموجودة قديما قدمها فإما أنها اندثرت كالسريانية والقبطية والآشورية وغيرها(٣)، وأما أنها انقسمت إلى لغات متعددة لا يكاد يجمع بينها جامع.

٢- **التمام:** اللغة العربية لغة تامة لم يدخلها حروف جديدة أو أصول لم تكن فيها من قبل.

٣- **الجمال:** ويمكن أن يتجلى جمال اللغة العربية الباهر في فصاحتها وبلاغتها، وخصبها وغزارتها، والخط العربي الأنيق المتعدد في كيفياته، وطرائق تحسينه وتجميله المتعددة(٤).

---

(١) سورة إبراهيم، ٤.

(٢) سورة يوسف، ٢.

(٣) انظر الفصحى لغة القرآن، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري، ص٧.

(٤) انظر اللغة العربية أم اللغات ولغة البشرية، إسماعيل العوفي دار الفكر - دمشق ١٩٢٣م، ط١، ص ١٩.

٤- **السعة والمرونة:** تحتوي اللغة العربية على ثمانين ألف مادة، المستعمل منها عشرة آلاف فقط[1] بينما لا تحتوي كثير من اللغات الأخرى على أكثر من ستين ألف جذر.

ومن مظاهر مرونة العربية وسعتها ما يلي:

أ- كثرة ما يمكن اشتقاقه من ألفاظ من مصدر واحد.

ب- القدرة على تعريب المصطلحات والمخترعات المتعددة.

ج- وجود كم هائل من الألفاظ المهملة غير المستعملة في الشائع على ألسنة الناس.

د- كثرة علومها فهي تحتوي: علوم النحو والصرف، والبيان والمعاني، والبديع وغير ذلك.

هـ- كثرة أسماء الأشياء، فتجد فيها للشيء الواحد أسماء متعددة تتجاوز العشرات كأسماء الأسد وغيره [2].

٥- **القداسة والخلود:** إن اللغة العربية مقدسة قداسة القرآن الكريم الذي نزل بها، والتي لا تجوز العبادة بغيرها، وهي خالدة تبعا لخلوده، ومحفوظة من الضياع بحفظه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴾[3].

- **أهمية اللغة العربية:**

تبرز أهمية اللغة العربية في الأمور التالية:

١- تعتبر اللغة العربية بالنسبة للمسلم، لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث النبوي الشريف، ولغة التشريع الإسلامي، الذي يضبط حياة الناس وينظمها في كل زمان ومكان، وهي لغة الاجتهاد الذي له أكبر الأثر في قوة المسلمين وحيويتهم،

---

(١) انظر الفصحى لغة القرآن، ص٧.

(٢) انظر دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي، مطبعة دائرة القرن العشرين، ١٩٢٣، ط٢، ج١، ص ١٢٧٤.

(٣) سورة الحجر ٩.

ولذلك حرص المسلمون على دراسة اللغة العربية مع دراسة الأحكام الشـــرعية، لأنه لا بد لانتشار رسالة الإسلام والعربية أن يسيرا جنبا إلى جنب.

٢- ظهرت في الآونة الأخيرة دعوات تدعو إلى اعتماد اللغة العربيـــة، ورشـــحت لذلك نتيجة اتساعها الزماني وامتدادها المكاني، ولأنها غير قاصرة عن التعبـــير عن المفاهيم والعلوم والمخترعات والمصطلحات العلمية، وهي أقدر اللغات على التوالد والاشتقاق، وأسهل من كثـــير مـــن اللغـــات في نحوهـــا وإملائـــها ومصطلحاتها، وسبق أن كانت اللغة العربية لغة الحضارة والعلم، واللغـــة الأولى في العالم منذ القرن الثامن الميلادي إلا القرن الخامس عشر.

٣- إن اللغة العربية هي لغة دين رباني، وفكر إنساني عالمي، تعلمها المسلمون مـــن شتى أجناسهم ولغاتهم وألوانهم طواعية واختيارا وحبا لها، وهي ليست لغة أمـــة واحدة أو قومية معينة، ولا يعني هذا إهمال تعلم اللغات الأخرى، بـــل ينبغـــي على المسلمين أن يتعلموا اللغات اللازمة لهم شريطة أن لا يطغى ذلـــك علـــى تعلم اللغة العربية، ليأمنوا مكر أعدائهم، وليفيدوا مـــن الخـــبرات العلميـــة، والتجارب البشرية، والمستجدات العالمية، بما يتفق مع مبادئ دينهم الحنيـــف، وأحكام شريعتهم السمحة[1].

- حملات الطعن والتشكيك التي وجهت إلى اللغة العربية:

تعرضت اللغة العربية خلال فترات زمنية محددة لحمـــلات متواليـــة مـــن الطعـــن والتشكيك والحرب الهوجاء، وكان هدف من طعن فيها الوصول إلى الطعن في الإســـلام نفسه، وفي القرآن الكريم، والسنة الشريفة، مصدرا رسالته وثقافته، وقد لا نستغرب هـــذه الحملات الظالمة، وموجات التشكيك العاتية من أعـــداء الإســـلام، لكننـــا نســـتغربها ونستهجنها إن كانت من أبناء العروبة والإسلام، الذين أسلموا قيادهم بسهولة لأعـــداء الإسلام الذين طعنوا في الإسلام ولغته العربية، والقرآن الكريم والسنة المطهرة، ومن أبـــرز مظاهر الطعن والتشكيك والحرب التي شنت على اللغة العربية ما يلي:

---

(١) انظر نظرات في الثقافة الإسلامية عز الدين الخطيب التميمي وآخرون، دار الفرقان-عمان، ١٩٩٣م،ط٢، ص٢٠، إنسانية الثقافة الإسلامية، عدنان زرزور، المكتب الإسلامي، ١٩٨٠م، ط١، ص ٨٢٠٨٩.

١- محاولة إيقاف انتشار اللغة العربية في الدول الإسلامية، فقد حوربت اللغة العربية في الهند، والصومال وإندونيسيا وتركيا، حيث منع رفع الآذان في تركيا مثلا باللغة العربية، وأخرجت الألفاظ العربية من لغتها.

٢- الدعوة إلى التأليف والحديث بالعامية، ومحاربة اللغة الفصحى، وقد بدأت هذه الدعوة على يد عدد من المستشرقين، وانتقلت إلى مجموعة من المستغربين[١] أمثال ميخائيل نعيمة، ولويس عوض، وأحمد لطفي السيد وغيرهم، ولاقت هذه الدعوة معارضة شديدة، ومقاومة واسعة من علماء المسلمين، والغيورين على اللغة العربية.

٣- الدعوة إلى تطوير اللغة العربية بحجة أنها صعبة جدا، وتحتاج إلى تطوير وتحديث، والمقصود بذلك هو التخلي عن الإعراب، والكتابة بالحروف اللاتينية، وتغيير قواعد الصرف ، وحذف الألفاظ المترادفة والمتضادة، وترك المجاز والاستعارة والكناية، ولا ندري ماذا يمكن أن ينتج من مسخ بعد فعل هذه الأمور، وكيف سيتم التفريق بين المرفوع والمنصوب بعد التخلي عن قواعد الإعراب.

وكان من أبرز الدعاة إلى هذا التطوير الخطير، سلامة موسى، وجبران خليل، وطه حسين، وقاسم أمين، ومارون غصن وغيرهم.

ودعا إلى تطوير اللغة العربية بكتابتها بالحروف اللاتينية عدد من المستشرقين وتبعهم، عبد العزيز فهمي، وسعيد عقل، وأنيس فريحة[٢].

وعلى الرغم من كل الهجمات الشرسة على اللغة العربية الفصحى، إلا أنها بقيت وستبقى ثابتة بإذن الله تعالى، تحمل في ذاتها مقومات بقائها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) انظر أخطاء المنهج الغربي الوافد، أنور الجندي، دار الكتاب اللبناني -بيروت، ص ٢٦٢-٢٦٣.

(٢) انظر المصدر نفسه، ص٢٢٦.

المبحث الثالث

التاريخ الإسلامي

يعتبر التاريخ الإسلامي بشكل عام من المقومات المهمة للثقافة الإسلامية، والمرتكزات الأساسية لوحدة الأمة، وتكوين شخصيتها، ونظراً لأهمية التاريخ في حياة الأمم فإنها تنشئ له المتاحف والدراسات، وتبرز معالمه وآثاره المطمورة. وما ذلك إلا لشعورها بأن وجود الأمة في حاضرها إنما هو استمرار لوجودها في ماضيها. والتاريخ النظيف ينشئ أمة تعتز بذاتها ، ويعتز أبناؤها بالانتساب إليه، وأما التاريخ المزيف فإنه ينشئ أفراداً يتحرجون من الانتماء إلى أمتهم، ويخجلون من الانتساب إلى تاريخهم[1].

- أهمية دراسة التاريخ الإسلامي:

تبرز أهمية دراسة التاريخ الإسلامي في الأمور التالية:

١- دراسة سيرة الرسول ﷺ العطرة، وسيرة صحابته الكرام المشرقة، وحدثنا عن الدعوة الإسلامية في المرحلتين المكية والمدنية، وأعطانا صورة رائعة عن حياة المسلمين في المرحلتين في إيمانهم وتقواهم، وعلمهم وبذلهم وجهدهم.

٢- إعطاء صورة صادقة أمينة للفتوحات الإسلامية في الشرق والغرب.

٣- الإخبار عن كيفية تحول الديار التي فتحها المسلمون إلى ديار الإسلام من خلال التعاليم الإلهية التي سرت إلى الأرواح والعقول والقلوب، فنبذت الأساطير والمبادئ الضالة.

٤- إعطاء صورة صادقة للمسلمين في مجتمعاتهم، وللحكام في دولهم، وما جرى من أحداث عبر التاريخ.

٥- الإسهام المباشر في صياغة الشخصية المتميزة للأمة الإسلامية.

---

(١) انظر في الثقافة الإسلامية، ص٢٥، محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص ٣٥، د. راشد شهوان.

٦- تبيان الأعداء والأصدقاء للمسلمين وتعريفهم بأساليب أعدائهم ليحذروها[١].

- وسائل الأعداء في محاربة التاريخ الإسلامي:

ومن أبرز الوسائل المستخدمة في ذلك ما يلي:-

أولا: دراسة التاريخ الإسلامي وعرضه بشكل معين يحقق أغراضهم، إما بإخفاء حقائق كثيرة، وإما بالاقتصار على موضوعات معينة، وعرضها بأسلوب خاص، ثم توجيه الأنظار إلى تاريخ الأمم الأخرى للإعجاب بها كبديل[٢]، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر من ما يلي:-

أ- يدرس الطلاب أحوال الجاهلية تمهيدا لدراسة البعثة النبوية، وصدر الإسلام، وفي دراسة الجاهلية يتعلمون: أن العرب كانوا يعبدون الأصنام، ويئدون البنات، ويشربون الخمر، ويلعبون القمار، ويقومون بغارات السلب والنهب، فجاء الإسلام فنهاهم عن ذلك. هذه الجملة تبدو بريئة في ظاهرها، ولكنها خبيثة كل الخبث في دافعها، لأن العبارة لم تتحدث عن جوهر الجاهلية الذي جاء الإسلام لمحوه وتغييره، وإنما تحدثت عن مظاهر الجاهلية العربية التي أزالها الإسلام بالفعل، وحين نحصر مهمة الإسلام في محو هذه المظاهر وحدها، فماذا يكون قد بقي من مهام الإسلام في الوقت الحاضر. إن الإسلام -بهذه الصورة- يكون قد استنفذ أغراضه، وأن الإسلام جاء لزمن معين كان يتسع له ويحتاج إليه، ولم تعد هناك حاجة إليه في الوقت الحاضر، وهو جزء من التاريخ الغابر ولا زيادة، وهذا هو الإيحاء الخبيث للدرس الأول من دروس التاريخ.

ب- يدرس الطلاب بعد ذلك عصر البعثة النبوية الشريفة بطريقة قد تكون وافية، إلا أن الصورة المشرقة في ذلك العصر تطمس فجأة وتخبو.. ويدرس للطلاب بعد ذلك "التاريخ السياسي" للإسلام... أو التاريخ الذي يغلب عليه الانحراف.

والانحراف حقيقة تاريخية خصوصا في الجانب السياسي، وأنه ارتكبت فيه فضائع من أجل الاستيلاء على الحكم، أو استبقائه، لا يرضى الله عنها ولا رسوله ﷺ ، ولا تليق

(١) انظر المصدر نفسه، ص ٢٧.

(٢) انظر المصدر نفسه، ص ٢٧ (محاضرات في الثقافة الإسلامية).

بالمسلمين، ولكن التركيز على خط الانحراف وحده، وإسقاط بقية الصورة هو تشويه متعمد للتاريخ الإسلامي، ومن أجل هذا الهدف الخبيث يخفى ما في صفحة التاريخ الإسلامي من بياض، ويبرز الخط الأسود وحده على أنه هو التاريخ الإسلامي(١)، ولأجل هذا الهدف يخفون القضايا التالية من التاريخ الإسلامي:-

١- يخفون نشر العقيدة الصحيحة، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، في مساحة واسعة من الأرض.

٢- يخفون إجراء العدل الرباني المتمثل في تطبيق شريعة الله تعالى، وتحقيق العدل الرباني بالنسبة لمن بقي على دينه في تلك الرقعة الواسعة من الأرض مما لا مثيل له في تاريخ البشرية.

٣- يخفون فترة طويلة من الزمن كان المجتمع الإسلامي فيها نظيفا من الفاحشة، آمنا على أعراضه، آمنا على دمائه وأمواله في ظل شريعة الله.

٤- يخفون الحركة العلمية الإسلامية الهائلة التي نشرت نورها في الأرض، وتعلمت منها أوروبا في نهضتها الحديثة نتيجة احتكاكها بالمسلمين في أكثر من أرض وأكثر من مجال.

٥- يخفون الحركة الحضارية الإسلامية الضخمة بشقيها المادي والمعنوي المتعلق بالقيم الإنسانية العليا، والمادي المتعلق بالعمارة المادية للأرض، والأشكال التنظيمية للحياة، ويخفون تفرد الحركة العلمية الإسلامية، والحركة الحضارية بميزتها الخاصة المستمدة من المنهج الإسلامي، وحين يخفون هذا كله من التاريخ الإسلامي فماذا يبقى؟

يبقى إيحاءان خبيثان مقصودان هما:-

الأول: أن الإسلام لم يحكم إلا فترة قصيرة جدا في عهد الخلفاء الراشدين، ثم انتهى إلى غير رجعة .

الثاني: أن التاريخ الإسلامي بعد صدر الإسلام خال من كل القيم التي تقيم الحياة الإنسانية الصحيحة، وأنه عبارة عن عمليات دموية من أجل الجاه والمال والسلطان(٢).

---

(١) انظر واقعنا المعاصر، ص ٢٢٤-٢٢٦.

(٢) انظر المصدر نفسه، ص ٢٢٧-٢٢٩.

ج- وبعد أن يفرغ التاريخ الإسلامي من محتواه الحقيقي على هـــذا النحـــو يوجـــه الطلاب إلى أوروبا ، أوروبا هي العلم، هي القيم، هي الديموقراطية، هي حقــوق الإنسان، هي التقدم الصناعي، هي الصورة الصحيحة للوجود البشري، ويخفــون عمدا فظائع الاستعمار الوحشية في كل مكان دنسته أقدام المستعمرين، وخاصــة في العالم الإسلامي[1].

د- وبعد ذلك يتجرع المسلمون جرعة السم الخطيرة وهي:

أن سبب تخلف المسلمين عن العالم الغربي هو الإسلام، وأنهم ســـيظلون متخلفـــين، ومتأخرين عن اللحاق بالركب العلمي، والتقدم الحضاري الغربي طالما ظلـــوا متمســـكين بالإسلام، وأنهم لن يتقدموا إلا إذا تخلصوا من عقلية القرون الوسطى[2] التي كانت تعتـــبر الدين أساس الحياة.

ثانيا: التركيز العجيب على العصور السابقة على الإسلام، وتوسيع البحـــث فيـــها، وذلك بالاهتمام بالآثار والحضارات المحلية القديم، وإقامة المتاحف الوطنية، مثل وضعـــهم أصنام الفراعنة في مصر، وتماثيل السومريين في العراق، ونحو ذلك.

ثالثا: وتبعا لذلك زينوا الماضي الوثني ، وإعلائه عن طريق علـــم الآثـــار، وإحيـــاء الأساطير القديمة والملاحم، والفلسفات والسحر، ودراسة التراث الإغريقي والفرعـــوني، وإحياء الجاهلية العربية التي قامت على الشرك بالله وعبادة الأصنام، ونحو ذلك.

رابعا: عمد أعداء الإسلام إلى طي صفحات كثيرة مشرقة من التاريخ الإســـلامي، وإهمال أحداث مهمة ذات دلالات وعبر تصور الإسلام تصوير حق وصدق ، وأضفـــوا عليها كثيرا من الإهمال والتعتيم حتى صار كثير من أبنائنا يعرفون عن نـــابليون والثـــورة الفرنسية أكثر مما يعرفون عن الدعوة الإسلامية وأحداثها، كما عمدوا إلى التشـــكيك في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وشخصية رسول الله ﷺ ، وركزوا الأضواء على الجـــانب

---

(١)انظر المصدر نفسه، ص٢٢٩.

(٢) عقلية القرون الوسطى خاصة بأوروبا وحدها، حيث كانت غارقة في تلك الفترة في دياجير الجهل والخرافة والظلـم والشرك والوثنية، أما العالم الإسلامي، فكانت القرون الوسطى تمثل العصور الذهبية له، فقـــد كـــانت البلـــدان الإسلامية تشيع بنور الهداية الربانية والعدل والأخلاق، والحركة العلمية الزاهرة، والحركة الحضارية الرائدة، انظـــر أخطاء المنهج الغربي الوافد ، ص ١٤٦-١٤٧.

المادي من الإنتاج الحضاري الإسلامي، لتصوير التاريخ الإسلامي على أنه حركة إنتاج مادي، وأنه انتشر بالسيف، والغض من جانب العقيدة والروح والفكر[(١)].

- المنهج الإسلامي لتفسير التاريخ:

نستطيع تلخيص المنهج الإسلامي لتفسير التاريخ في الأمور التالية:-

١- أن القرآن الكريم ، والسنة النبوية هما أول من وجها نظر المسلمين إلى التعامل مع التاريخ، ووجها الفكر والنظر إلى سلوك الأمم وتجارهم، ومعرفة أسباب نشأتهم، وأسباب هلاكهم، وربط حركة التاريخ بالقواعد الإيمانية والأخلاقية.

٢- إظهار الرؤية الإسلامية في فهم حركة التاريخ وقراءة أحداثه.

٣- وضع الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم معيارا ثابتا ومحددا لانهيار الأمم، وبين أن هناك أمراضا تصاب بها الأمم، تؤدي إلى انحلالها وسقوطها وحتفها، وأن سنة الله في عقاب الأمم، وإهلاك الظالمين، ونحوهم ثابتة ماضية إلى يوم القيامة لا تتبدل قال تعالى : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ ﴾[(٢)].

٤- إن عذاب الأمم وانهيارها وزوالها يكون بأجل محدود ، قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ ﴾[(٣)].

٥- إن الأيام سجال بين الناس، تسقط حضارة، وترتفع أخرى، والميزان الذي تقاس به حضارة الأمم وفق التفسير الإسلامي للتاريخ هو مقدار التزام هذه الحضارة بشرع الله تعالى، أو مقدار بعد هذه الحضارة عن شرع الله تعالى[(٤)].

---

(١) انظر أخطاء المنهج الغربي الوافد، ص ١٤٦، ١٧٢-١٧٤، محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص ٥٧، في الثقافة الإسلامية، ص ٢٧-٣٠.

(٢) سورة الأنبياء، ١١.

(٣) سورة الكهف،٥٩.

(٤) انظر بتوسع حول المنهج الإسلامي لتفسير التاريخ، كتاب التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٥م، ص ١٠٦، ١١٠-١١٦، ٢٧٢-٢٧٣، موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ، أحمد العوايشة، المكتبة الإسلامية عمان، ١٩٨٤م، ط٢، ص٥٨٩-٥٩٦، أخطاء المنهج الغربي الوافد ، ص ١٧٧-١٨٠، محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص ٦٠-٦١. د. راشد شهوان.

المبحث الرابع

وحدة الفكر الإسلامي

تعتبر وحدة الفكر الإسلامي مقوما من مقومات الثقافة الإسلامية، فمنذ ظهور الإسلام أخذت الثقافة الإسلامية نفسها بتحديد طابعها ومظهرها وذاتيتها ومقوماتها حتى لا تختلط بالثقافات والعقائد الأخرى، وعلى الرغم من احتكاك الثقافة الإسلامية بالثقافات الأخرى، إلا أنها أخذت منها وردت، في ضوء القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فضلا عن أنها نفت الزيف وكشفت الخطأ.

وقد حفظت وحدة الفكر الإسلامي، والإصرار على التميز والذاتية الأصيلة الثقافة الإسلامية من الأساطير والوثنيات والعصبيات والعنصريات، وأكدت عالميتها التي ترمي إلى إقامة العدل الاجتماعي وفق المنهج الرباني(١).

– الأسس العامة للفكر الإسلامي:

١– التوحيد الخالص:

يقوم الفكر الإسلامي على توحيد الله تعالى في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وإفراده بالعبادة والطاعة والحاكمية والتشريع، لأنه لا معبود بحق تنبغي له العبادة إلا الله تعالى.

٢– إسلامية المصادر:

يستمد الفكر الإسلامي وجوده من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وبناء على ذلك:

أ– فالعقيدة الإسلامية لم تأت نتيجة تطور النظرة إلى الدين حتى توصلت إلى التوحيد الخالص، بل جاءت العقيدة بيضاء نقية دفعة واحدة من أول لحظة خالصة لله رب العالمين.

---

(١) انظر إطار إسلامي للفكر العربي الإسلامي أنور الجندي المكتب الإسلامي بيروت، ١٩٨٠م، ط١،ص١٠٦-١٠٧.

ب- ولم يأت الفكر الاجتماعي نتيجة حاجات اجتماعية معقدة، وإنما هو وحي من عند الله تعالى.

ج- ولم يأت الفكر الاقتصادي نتيجة تطور وسائل الإنتاج، ولا ثمرة الصراع الطبقي، وإنما جاءت مبادؤه وحيا من عند الله تعالى.

د- ولم تأت مكانة المرأة نتيجة الجمعيات النسائية والنقابات العمالية، وإنما جاءت مبادؤها وحيا من عند الله تعالى.

هـ- ولم تأت المساواة الإنسانية نتيجة ظهور الديموقراطية أو غيرها بل جاءت مبادؤها وحيا من عند الله تعالى.(1)

٣- إسلامية القيم:

إن قيم الفكر الإسلامي مستمدة من الإسلام، فالصدق والأمانة والشجاعة والرحمة والحياء، وغير ذلك مما جاء به الإسلام قيم لا تتغير مع تغير الأزمان والأشخاص، ولأجل ذلك استحقت الأمة الإسلامية أن تكون الأمة الوسط الشهيدة على سائر الأمم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(2).

٤- وحدة الدنيا والآخرة:

يقوم الفكر الإسلامي على اعتبار الدنيا ممراً للآخرة، وأن الآخرة هي دار القرار، وإليها المصير والجزاء.

٥- شمولية الفكر الإسلامي واستغناؤه عن غيره:

لا يحتاج الفكر الإسلامي إلى غيره، فهو شامل لنواحي الحياة كلها، ولا يقبل الترقيع كما يفعل بعض الناس الذين يأخذون الاقتصاد من الفكر الاشتراكي أو الرأسمالي، والأخلاق والاجتماع من الفكر الغربي.

---

(١) انظر إطار إسلامي للفكر العربي الإسلامي، ص٧٧، دراسات في الفكر العربي الإسلامي ، ط٥، ص٣٦-٣٧.

(٢) سورة البقرة، ١٤٣.

خصائص الفكر الإسلامي:

خصائص الفكر الإسلامي كثيرة نذكر منها ما يلي:-

١- **إنساني النـــزعة:** قال تعـــالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَـٰلَمِينَ ﴾ (١) ولا يقتصر هذا الفكر على الإنسان فحسب بل ينتفع به كل كائن حي.

٢- **يحترم العقل ويقدره:** كانت معجزة الفكر الإسلامي وهي القرآن الكريم عقليـة وليست حسية.

٣- يحترم العلم ويقدره.

٤- يقدر الخبرة الإنسانية والتجارب البشرية.

٥- وسطي معتدل (٢).

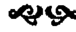
---

(١) سورة الأنبياء، ١٠٧.

(٢) انظر المصدر نفسه ص ٤٠-٤١، إطار إسلامي للفكر المعاصر، ص ١١٨-١١٩، ١٢٤.

الفصل الثالث

معالم الثقافة الإسلامية



المبحث الأول

بناء العقل الواعي

جاء الإسلام ليعيد ترتيب العقل الإنساني، ويكشف عنه الزيف والخرافة، ويفك عنه إساره، ثم يطلقه ليعرف ربه من خلال آياته المسطورة والمنظورة، ثم يأمره أن يفكر في نفسه، وفي الكون بقصد البناء والإعمار(1)، وقد اهتم الإسلام بالعقل اهتماما كبيرا حيث جعله مناط التكليف في جميع الاعتقادات والعبادات والتصرفات، فلم يخاطب الله تعالى إلا العقلاء، ولم يطلب إلا من العقلاء، سواء أكان الطلب أمرا أم نهيا(2)، وقد وضع الإسلام المنهج الصحيح للنظر العقلي، وأقامه على الأسس التالية:

١- تفريغ العقل الإنساني من المقررات السابقة التي لم تقم على يقين، وإنما قامت على مجرد الظن والتقليد، قال تعالى: ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ﴾(3).

٢- حرر العقل من الخرافة والأوهام والأساطير والجمود، ودحض منطق الانحراف والضلال، ونبه العقل إلى مشاهد هذا الكون بإثارة نزوعه الفطري الأصيل، نحو التأمل المنتج والتدبر الهادف فيما خلق الله تعالى في هذا الكون من مخلوقات،

---

(١) نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر سليمان الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٩١م، ط٢، ص٣١-٣٢.

(٢) انظر الثقافة الإسلامية، عزمي السيد وآخرون، ص ٢٥٤.

(٣) سورة النجم، ٢٨.

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴾ (1)، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾(2).

٣- أمر العقل بالتثبيت من كل أمر قبل الاعتقاد به، والأمثلة على ذلك من الكتاب والسنة كثيرة، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (3).

٤- صان العقل مما يؤثر فيه بحيث يؤدي إلى ضعفه، أو تغييبه تغيبا مؤقتا، وفي سبيل ذلك حرم الإسلام جميع المسكرات والمخدرات التي تحجب العقل، وتحول بينه وبين مواجهة الواقع ومعالجته.(4)

---

(1) سورة الشورى،٢٩.

(2) سورة الرعد، ١٩.

(3) سورة الإسراء، ٣٦.

(4) انظر الثقافة الإسلامية، عزمي السيد وآخرون، ص ٢٥٧.

المبحث الثاني

غرس العقيدة الصحيحة

إن العقيدة الإسلامية معلم بارز من معالم الثقافة الإسلامية، لأن توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله، وألوهيته وربوبيته، وإفراده بالعبادة وحده لا شريك له في ذلك هو الغاية العظمى التي لأجلها خلق الله الخلق، وأنزل بها الكتب، وأرسل الأنبياء والرسل، وهو الفارق بين الموحدين والمشركين، وعنه يسأل الناس يوم القيامة، وعليه يقع الثواب والعقاب في الدنيا والآخرة، فمن لم يأت بهذا التوحيد كان من المشركين، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[1]، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

ولا يشك عاقل في أن عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام، هي الفطرة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها[3]، قال تعالى: ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4].

---

(١) سورة النحل ٣٦.

(٢) سورة الذاريات، ٥٦.

(٣) انظر دعوة التوحيد، محمد خليل الهراس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ص ٧٤.

(٤) سورة الروم، ٣٠.

المبحث الثالث

بناء الشخصية الإسلامية

يعتبر بناء الشخصية الإسلامية من المعالم البارزة للثقافة الإسلامية، والعقيدة الإسلامية هي القاعدة المنهجية التي تقوم عليها القواعد الأخرى التي تشكل عقل المسلم ونفسيته وشخصيته.

١- ففي الجانب العقلي نجد المسلم يفكر على أساس الإسلام، لأنه المقياس الوحيد للمفاهيم عن الحياة والمجتمع[١].

٢- وفي الجانب النفسي يجد المسلم في نفسه من عواطف وانفعالات وميول واتجاهات، تجعله يحب ويكره كغيره من البشر، ولكن محبته هذه تبقى ضمن حد لا يتعارض مع محبته لله ورسوله ﷺ [٢].

٣- وفي الجانب الروحي يمكن تحقيق هذا الجانب في الشخصية الإسلامية من خلال ما يلي:

أ- استشعار الرقابة الدائمة لله سبحانه وتعالى، وتنمية تقواه في قلوب المؤمنين.

ب- إيقاظ الروح بأداء الطاعات والقربات، والتفكر في آيات الله المبثوثة في الكون، وقراءة القرآن الكريم، وتدبر آياته.

ج- تربية الروح بالعبادة، لأن العبادة صلة بين العبد وربه، ومن شأنها تزكية النفس وتهذيبها[٣].

٤- وفي الجانب الجسدي: لا يفرق الإسلام بين الروح والجسد والعقل، لأن الروح والجسد والعقل كيان واحد مترابط، والإسلام منهج شامل لكل مناحي الحياة، ومتوازن في ذات الوقت، يعطي كل جانب من جوانب الحياة الإنسانية حقه من الرعاية.

ويعطيه القدر المناسب، فلا يطغى منه جانب على جانب، ولا يهمل جانب على حساب جانب آخر.

---

(١) انظر الثقافة الإسلامية عزمي السيد وآخرون، ص ١٤٨-١٤٩.

(٢) انظر المصدر نفسه، ص ١٥٠-١٥١.

(٣) فقه الدعوة إلى الله، علي عبد الحليم، ج١، ص ٤٦٤-٤٧٢.

المبحث الرابع

التميز الإسلامي

من أهداف الثقافة الإسلامية البارزة بث روح التميز العام للأمة الإسلامية في القول والعمل والسلوك، تميزا ينأى بها نأيا كاملا عن التشبه بغيرها من الأمم المخالفة لها في العقيدة والشريعة والخلق والاتجاه، بل في كل شأن يمس وجودها الفريد، وأوضاعها الاجتماعية، وطابع شخصيتها العامة، وإن الشعور بالتميز يصون في الأمة الإسلامية مقومات وجودها، وينشئ لها كيانا راسخا صلبا لا يعتريه التصدع، أو ينفذ إليه الخلل، مادام هذا الشعور مستندا إلى الحق والخير والفضيلة، منبثقا عن جوهر العقيدة الإسلامية، وأصولها الثابتة، متصلا بأحكام الشريعة الإسلامية، بأوثق سبب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وقد بعث الله عبده ورسوله ﷺ بالحكمة التي هي سنته، وهي الشرعة والمنهاج الذي شرعه له، فكان من هذه الحكمة أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يباين سبيل المغضوب عليهم والضالين، وأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر- وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة- منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى الموافقة في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس.

ومنها: أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط حتى يرتفع التميز بين المهديين المرضيين، وبين المغضوب عليهم والضالين إلى غير ذلك من الأسباب الحكيمة، هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحاً محضاً لو تجرد عن مشابهتهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم فإنه يكون شعبة من شعب الكفر، فموافقتهم فيه موافقة في نوع من أنواع ضلالاتهم ومعاصيهم، فهذا أصل ينبغي أن يتفطن له والله أعلم".[١]

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٧٠م، ص٢، ١١-١٢.

المبحث الخامس

عمارة الأرض

خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان ليعمر هذه الأرض بالخير وللخير، وسخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، ويسر له بناء هذا الكون واستخلاص ما فيه من كنوز وخيرات، وقد ارتبط العمل في عمارة الأرض بنتيجته التي يجب أن تترتب عليه، وهي شكر الله واستغفاره، وتذكر المسؤولية الكاملة عن عمله في هذه الدنيا،قال تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[1]. وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن لا ينال الإنسان شيئاً مما على الأرض وما في باطنها من نعم وأرزاق وأقوات إلا بجهد وعمل يؤدى، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [2]، إن عمارة الأرض وإصلاحها نوع من العبادة بمعناها العام، وقد أدرك المسلمون الأوائل توجيهات الإسلام في عمارة الأرض وإصلاحها من تجارة وصناعة وزراعة وسقاية ونحو ذلك.

وإن حقيقة التوكل على الله تعالى واتخاذ الأسباب المشروعة، وهو طاقة إيجابية دافعة تتفق في تحقيق القيم العليا في دنيا الواقع لتصلح الواقع المنحرف، وتصلح الفرد والمجتمع، وترفعهما من المجتمع الأدنى المتمثل بالمجال الحسي الغليظ إلى الواقع الأعلى الذي تنطلق فيه كل طاقات الإنسان، جسده وعقله وروحه للقيام بمهمة الخلافة، وعمارة الأرض

---

(١) سورة هود، ٦١.

(٢) سورة الملك، ١٥.

وإصلاحها، بمقتضى المنهج الرباني التي هي حقيقته العبادة بمعناها الشامل الواسع ، والتي يتحقق بتحقيقها الكيان الأعلى للإنسان[1].

إن القعود عن الإنتاج وعن عمارة الأرض وإصلاحها مناقض لمنهج الله تعالى، وهدي رسول الله ﷺ وسيرة السلف الصالح، وإن ثقافة العيب في الأعمال المهنية والإنتاجية ثقافة دخيلة على أمتنا الإسلامية، مناقضة الحقيقة التوكل على الله، والسعي في طلب الرزق، واتخاذ الأسباب المشروعة.

---

(١) واقعنا المعاصر، ١٤٠-١٤١.

الفصل الرابع

انحراف مسار الثقافة الإسلامية

المبحث الأول

فقدان التوازن الاجتماعي

من سنة الله تعالى أن الانهيار، وفقدان التوازن في المجتمعات لا يحدث فجأة، خاصة حين تكون متينة البنيان، وقد كان المجتمع الإسلامي الذي أسسه رسول الله ﷺ متين البناء بدرجة فائقة غير معهودة في التاريخ، لذلك فإن عوامل الهدم التي عملت فيه سواء من الداخل أو الخارج، لم تستطع أن تحطم تماسكه إلا بعد قرون طويلة جدا، عاش فيها المجتمع الإسلامي ذبذبات متوالية من الصعود والهبوط، واليقظة والخمول.

ولكن سنة الله التي لا تختلف أبدا كان لا بد أن تعمل عملها في النهاية، حيث تراكمت عوامل الفساد التدريجي الطويل، وتزايدت على مر القرون فأدت في النهاية إلى هذه الحال البائسة التي يعيشها المسلمون اليوم في أرجاء الأرض[1]، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾[2].

(١) انظر: الثقافة الإسلامية، المستوى الرابع، محمد قطب وزميلاه، منشورات كلية الشريعة، مكة المكرمة، ص٥٧.

(٢) سورة الأنفال، ٥٣.

المبحث الثاني

فقدان الذات والهوية وعدم الانتماء

انتهت الحروب الصليبية وانتهت عهود الاستعمار، ولكن هل انتهت صلة العداء بين الشرق المسلم والغرب الصليبي، هل كفت الدول الأوروبية بشقيها الشرقي والغربي عن التدخل في شؤون البلاد الإسلامية، تدخلا سافرا مكشوفا في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى تدخلا مستترا، هل كف التبشير عن جهوده وقد كان أداة الاستعمار الهامة؟ وهل كف الاستشراق وأصبحت غاياته أبعد مدى وأعمق نفوذا؟ حيث صار يرمي إلى تغيير النفوس، واستعمار القلوب، بدلا من استعمار الديار والأوطان، وتشويه الصورة الحقيقية للإسلام.

ولقد اقتنع كثير من أبناء المسلمين بأن أمامهم سبيلين:-

أ- إما مجاراة الغرب في كل ما يأتي ويذر.

ب- وإما التأخر والقعود(1).

لقد ضعفت مناعة الشعوب الإسلامية أمام الهجمات الفكرية المناوئة لدينها، ومنيت الأمة بالتخاذل وضعف روح الجهاد، ونبتت في الأمة الإسلامية نابتة تمجد الدعوات الباطلة، وتتنكر لعقيدة الإسلام، وتفقد ذاتها الإيمانية، وهويتها الإسلامية، وتخجل من انتمائها إلى أمة الإسلام، لقد جهل هؤلاء ماضيهم، وغفلوا عن مبادئهم، وكانت قلوبهم خاوية من أصول الدين الإسلامي، وحقيقة دعوته، وفتحوا أعينهم على المدينة الغربية بتلك القلوب الخاوية، فبهرت هذه المدينة أبصارهم، وأخذت بألبابهم فصاغتهم بصياغتها، وطبعتهم بطابعها، وحملتهم على التنكر إلى أصولهم، ومبادئهم وحضارتهم وتراثهم، وركبت عقولهم ما ركب في عقول أبنائها من كراهية للقديم، وعدم انتماء للماضي، وكراهية للأديان، ووزنها جميعا بميزان واحد، ووصمها بوصمة واحدة(2).

---

(1) انظر المجتمع الإسلامي، محمد أمين المصري، دار الأرقم- الكويت ١٩٨٠م، ط١، ص ٦٢-٦٣.

(2) انظر المصدر نفسه ، ص ٦٣-٦٣.

المبحث الثالث

انحراف المفاهيم والمصطلحات، ونشوء البدع والخرافات

نتيجة لانحراف مسار الثقافة الإسلامية عن مسارها الصحيح، وبعدها عن منابعها الأصلية، أصبح الإسلام في نفوس كثير من المسلمين عبارة عن قشور ومظاهر، وتدين في القلب فقط، لا علاقة له بالسلوك إلا في أضيق نطاق، وتبدلت لديهم كثير من المفاهيم والمصطلحات، وظهرت في مجتمعاتهم بعض الخرافات والخزعبلات، واختلطت كثير من الأسس والمبادئ، وخفيت عليهم مسلمات الأمور، وبديهيات الدين، وفيما يلي مجموعة من الانحرافات في المفاهيم والمصطلحات، والبدع والخرافات:-

١- اختلاط مفاهيم العقيدة بشكل عام:

كانت العقيدة الإسلامية في أصلها واضحة صافية مستمدة من كتاب الله وسنة رسول ﷺ مؤدية إلى الإيمان بالله تعالى إيمانا صادقا خالصا من كل شك، هذه العقيدة الصافية اختلت موازينها، واضطرب فهمها، وكثر الجدال والنقاش في كثير من مسائلها، بحيث تحولت إلى مناقشات فلسفية، وجدال كلامي، وأدلة منطقية معقدة يستعصي فهمها ومعرفتها على المتخصصين، فضلا عن عامة الناس، كمسائل الصفات، ورؤية الله يوم القيامة، ومسألة خلق القرآن الكريم، وأفعال الله تعالى، وأفعال العباد، وتقديم العقل على الوحي وغير ذلك من مسائل العقيدة.

وقويت شوكة البدع والخرافات بصورة أوسع، واكبر مما سبق[١]، وقد اختلطت بعض المفاهيم من مسائل العقيدة نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:-

---

(١) انظر العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار مكة المكرمة للطباعة والنشر، ١٩٨٢م، ط١، ص ٥١٥-٥١٩، الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها، يوسف محمد صالح الأحمد، رسالة ماجستير – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- مكة المكرمة ١٩٨٧م، ص ٣٢٥-٣٢٦.

أ- سوء فهم الإيمان بالقدر، حيث ظهر الانحراف في مفهوم عقيدة القدر وفهمه في العصور المتأخرة.

فقد ظن كثير من المسلمين أن القدر في معناه الاستسلام للواقع ، وأن الإنسان مجبر على أعماله، وأن دوره هو المنفذ فقط، وأن ما كان مقدرا له لا بد أن يأتيه سواء أعمل أم لم يعمل، وأن ما لم يكن له فلن ينال منه شيئا سواء أعمل أم لم يعمل، هذا الفهم الخاطئ لعقيدة القدر أثر تأثيرا سلبيا على حياة المسلمين المعاصرة، وكان سببا مباشرا في الجمود الذي خيم على حياتهم، فقذف بالعالم الإسلامي إلى الانحدار وعزله عن تيارات الأحداث العالمية[1]، وولد لدى بعض المسلمين شعورا خاطئا بأن الإسلام هو سبب ضعف المسلمين .وانهزامهم في مواجهة الأحداث، وأنهم إذا أرادوا الالتحاق بركب التقدم والتطور فلا بد لهم من التخلي عن الدين.

ب- انحراف المفاهيم والمصطلحات في المجال الفكري:

وقد أدى هذا الانحراف إلى ضعف التفكير العلمي عند المسلمين، وتوقفهم عن السير في كشف سنن الكون، وأعرضوا عن ذلك إعراضا يكاد يكون تاما، فأهملت علوم الكون أو الطبيعة، وانتشرت الخرافات والأساطير والأمية بينهم، بعد أن كان الإسلام دافعا إلى إزالتها، وإلى نشر العلم والتعليم، واكتشاف آيات الله تعالى المبثوثة في الكون، وازدهار العلوم الكونية. ومال الناس ميلا عظيما إلى ذكر الخوارق والكرامات، وكثر عدد الدجالين والأدعياء والناصبين الذين ضللوا الناس بادعائهم وقوع الكرامات لهم، وظهور الخوارق على أيديهم. وعظم الناس من يعتقدون لهم من الكرامات، وغدت المقياس الوحيد لصلاحهم وتقواهم ومنزلتهم في الإسلام.

ولا نعني بهذا أنه ليس للخوارق والكرامات مكان في الإسلام وعقيدته، ولكن فرق بين أن تكون الكرامات أمرا استثنائيا نادرا يعتد به مع غيره في مقياس التقوى والصلاح، والتزام أحكامه القرآن الكريم ، والسنة المطهرة ومنهج السلف الصالح، وبين أن تكون هي القاعدة في حياة العظماء والصلحاء، وهي المقياس الوحيد لصلاحهم وتقواهم، وتمثل جوانب عظمتهم الحقيقية[2].

---

(١) انظر الإسلام قوة الغد العالمية ، باول شمتز، ترجمة محمد شامة، القاهرة، ١٣٩٤هـ، ص ٧٨.

(٢) انظر الثقافة الإسلامية، محمد قطب وزميلاه، ص ١٠٣.

٢- فساد مفهوم العبادة:

العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وعلى هذا فالدين كله داخل في مفهوم العبادة. ونتيجة للانحراف في مسار الثقافة الإسلامية أصبحت العبادة عند كثير من المسلمين حتى عند بعض المتخصصين في علوم الدين تعني الاقتصار على الأركان الخمسة للإسلام، وأصبحت العبادة مجرد حركات آلية وواجبات روتينية يؤدونها في أوقات معلومة، وهيئات محددة تؤدي لذاتها لا صلة لها بالواقع، ولا ارتباط لها بالحياة، مما جعلها لا أثر لها ولا فائدة منها في حياة المسلمين. هذه النظرة المنحرفة للعبادة هي تطور وامتداد خطير للفكر الإسلامي المنحرف، المتمثل بالصوفية المنحرفة، والإرجاء الخطير الذي فتح باب الشر والفساد على مصراعيه، وأطمع الفساق في عفو الله تعالى، حيث قال أصحابه كما لا ينفع مع الكفر طاعة، لا يضر مع الإيمان معصية، لأن الإيمان في نظرهم هو الاعتقاد بالقلب فقط، أو الإقرار باللسان فقط.

لقد أدى هذا الانحراف في مفهوم العبادة والإيمان إلى ابتداع الناس عبادات من عند أنفسهم، واستحسان أمور ليست من الدين في شيء، والالتزام بأدائها والمحافظة عليها، والمدافعة عنها، والانتصار لها، والاستمساك بها، أكثر من تمسكهم بالعبادات الصحيحة.

ومعلوم أن عبادة الله تعالى تكون كما شرع من غير زيادة أو نقص، ومن غير تحريف أو ميل بها عما جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فالله أمرنا أن نعبده بما شرع لا نعبده بالبدع، لأن البدعة ضلالة في الدين، وهي نتيجة حتمية للبعد عن حقيقة الإسلام.[1]

٣- تشعب الإسلام إلى شعب منفصلة:

لما ابتعد المسلمون في العصور الأخيرة عن حقيقة الإسلام، وفترت الهمم عن حمله جملة واحدة، ودب في المسلمين الضعف والكسل، تغير الأمر، وأصبح تقسيم الإسلام إلى موضوعات وتخصصات فرعية أمرا لا مفر منه، فانفصلت الوحدة الحيوية الكاملة التي تضمنها الإسلام في مصدرية الكتاب والسنة، وتمثلها ووعاها سلفنا الصالح من الأئمة والعلماء إلى ثلاث شعب هي:-

---

(١) انظر الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها، ص ٣٢٧-٣٢٦، الثقافة الإسلامية، محمد قطب وزملاؤه، ص ١١٣-١١٦.

أ – شعبة العقليات أو الجانب الفكري، وكانت من اختصاص علم التوحيد والعقائد.

ب – شعبة الفقه وأصوله، وتتعلق بالأحكام، وكانت من اختصاص علماء الفقه والأصول، وتشمل العبادات والمعاملات.

جـ–شعبة الوجدانيات، أو الجانب النفسي والخلقي، وكانت من اختصاص أهل الزهد والتصوف، ومع هذه التخصصات فقد كان المختص في جزئيه منها على إطلاع ومعرفة ببقية الشعب.

ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد، فقد حدثت تشعبات داخل ا لشعبة الواحدة، وتمزقت مسائل الدين، وتفرقت أحوال المتخصصين، وانطوى كل متخصص على مسألة جزئية، لا يزيد عليها، ولا يعرف غيرها، ويظن الإسلام متمثل فيها.

وواكب ذلك في العصور الأخيرة ما يعرف "بالعصبية المذهبية" تعصباً لا يستند إلى دليل، ولا يقوم على برهان، وإنما لمجرد النصرة والتقليد الأعمى.

إننا بحاجة ماسة إلى الاجتهاد والإبداع والتأسيس على اجتهادات علمائنا وفقهائنا في القضايا التي لم تكن معروفة لديهم، أو التي لم يولوها العناية الكبيرة لأن الحاجة لم تكن ماسة لها في وقتهم[1].

٤– ضعف الوعي الشامل للإسلام:

لقد فهم المسلمون الأوائل الإسلام بجميع أجزائه، و لم يقسموه إلى لباب وقشور، و لم يفرطوا في شيء منه، بل أدركوا موقع كل جزء منه، ودرجة أهميته، وموقعه بين الأجزاء الأخرى. إن كثيراً من الناس في العصور المتأخرة حتى خاصتهم تصغر في عيوهم ذنوب المستغلين لعباد الله، والموالين لأعداء الله، وتكبر في عيوهم ذنوب المخلين ببعض الآداب والمقصرين في بعض السنن، وتلك مصيبة كبرى أصابت المسلمين في فهمهم، وفي تفكيرهم ولا سيما حين يقع فيها بعض العلماء والدعاة إلى الإسلام[2]، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) انظر المصدر نفسه، ص ١٠٤–١٠٥، ١١٨–١١٩، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، دار الفكر ، بيروت، ط٥، ص ١٤١–١٤٣.

(٢) انظر المصدر نفسه، ص ١١٦–١٨٨.

٥- إغفال الجانب الاجتماعي:

من جملة أسباب انحراف المفاهيم والمصطلحات الإسلامية، التي أثرت على مسار الثقافة الإسلامية، إغفال هذا الجانب إغفالا كبيرا، ولهذا رأينا أن الجوانب التالية أصابها بعض الإهمال:

أ- القضايا العامة التي تهم المسلمين، أو تهم مجتمعا من مجتمعاتهم، سواء أكانت مبدأ من مبادئ الإسلام العامة كالجهاد في سبيل الله مثلا، أم حادثة مهمة كمأساة المسلمين في الأندلس بالنسبة إلى مسلمي الشرق، أو مأساة فلسطين والعراق والشيشان وغيرها من بلاد المسلمين المنكوبة. فالجهاد لم يكن يذكر بالتأكيد، ويعطى من الأهمية بمقدار ما تذكر بعض السنن والآداب المتعلقة بالحياة الشخصية، مع أن الآيات والأحاديث الواردة في الجهاد في سبيل الله شديدة اللهجة، وتضع الجهاد في قمة العبادات، وتجعله أثقلها وزنا في القيمة والأجر كما أسلفنا.

ب- حقوق العباد سواء أكانت حقوقا مادية أو مالية أو معنوية.

هذه الأمور المتعلقة بحقوق الناس أصبحت في ضمير كثير منهم في الدرجة الثانية، حيث عنوا بمظاهر العبادات، وبما ابتدعوه من أذكار وعبادات ظنا منهم أنها هي التي تنجيهم عند الله، وأنها تكفر لهم ظلمهم للناس، فتجد الإنسان يصلي ويصوم ويحج، وهو في الوقت نفسه لا يهتم بدين يماطل به، وربح فاحش يربحه على حساب المستهلكين من عباد الله، أو الغش في الصناعة التي يصنعها، كل هذه الحقوق التي تتعلق بالذمة، ولا تمحوا العبادات إثم الإخلال بها وهضمها، نجد الاهتمام بها قليلا، مع أن الإسلام جعلها في المرتبة الأولى بعد توحيد الله وإفراده في العبادة، وأولاها عنايته، بل إن من واجب المسلم أن يبحث عما يحتاج إليه عباد الله، فيحاول أن يسد حاجاتهم ويعينهم ، كأن يعين جاره، أو صاحبه إذا وجده بحاجة إلى مال أو طعام أو أي نوع من أنواع المساعدة المشروعة، فإن لذلك من الأجر ما يفوق بدرجات النوافل من العبادات[1].

---

(١) انظر المصدر نفسه، ص ١١١-١١١٢.

٦- الآداب الاجتماعية:

إن المسلمين في عصور التخلف الأخيرة عنوا بالجانب الفردي الشخصي والآداب الفردية المتعلقة بذات الإنسان أكثر من عنايتهم بالآداب الاجتماعية المتعلقة بالآخرين، فقد يكون المسلم نظيفا في ذاته، ولكنه لا يبالي بإلقاء القمامة في طريق الناس، ناسيا أن إماطة الأذى شعبة من شعب الإيمان، وقد يكون المسلم مراعيا لأحكام الطهارة، وشروط النظافة في نفسه، لكنه لا يبالي إن لوث البيئة، أو لوث للناس طرقهم وأماكن جلوسهم، أو أخل بالآداب الاجتماعية التي أمر الإسلام بها.

إن الانحراف في المفاهيم والمصطلحات، وانتشار البدع والخرافات، والبعد عن حقيقة الإسلام الذي صارت إليه حال المسلمين في العصور الأخيرة، يعتبر المنطلق الخطير، والطريق المباشر لكل ما أصاب المسلمين فيما بعد ولكل ما حل بهم في الداخل، أو من الخارج، وكان بمثابة التمهيد والتهيئة، أو بمثابة التفريغ، استعدادا لمرحلة التعبئة وملء الفراغ بكل ما يناقض الإسلام، ويفسد عقول المسلمين في جميع مجالات الحياة العلمية والفكرية والأخلاقية والسياسية والمادية والاقتصادية، وهو الذي جعل العالم الإسلامي في حالة شجعت أصحاب المطامع والأهداف التوسعية من الدول الغربية لغزو ديار المسلمين، واحتلالها ونهب خيراتها، وبث سموم الغزو الفكري في نفوس أبنائها، وهو بالتالي السبب في هذا الانبهار العظيم، والإعجاب الكبير، والتقليد الأعمى للحضارة الغربية المادية [1].

---

(١) انظر الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، ص ١٣، الوثنية الحديثة، ص ٣٣١-٣٣٢.

الوحدة الثالثة
خصائص الثقافة الإسلامية

الفصل الأول
الربانية

هذه هي الخصيصة الأولى من خصائص الثقافة الإسلامية وأهمها، وكل ما عداها من الخصائص الأخرى يبنى عليها. وقبل بيان هذه الخصيصة، نذكر المراد من الربانية.

الربانية: نسبة إلى الرب، وهو الله سبحانه وتعالى، وهو رب كل شيء أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق، لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك.

ويطلق الرب في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والقيم والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله تعالى، وإذا أطلق على غيره أضيف،فيقال: رب كذا. وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله تعالى، وليس بالكثير(١)

فالثقافة الربانية هي الثقافة المنسوبة إلى الرب، وهو الله سبحانه وتعالى، بمعنى أن مصدرها الأساسي هو وحي الله تعالى إلى نبينا محمد ﷺ.

وما دام أن الثقافة الإسلامية موحى بها من الله تعالى، فإن أصلها ومصدرها ثابت، ومتيقن به، وهو القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه.

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود الطناحي، وطاهر الزاوي، الناشر المكتبة الإسلامية، الطبعة الاولى، ١٩٦٣، ص١٧٩. لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، دار صادر، بيروت، مادة ربب، ٣٩٩/١،٤٠٠.

وقد بقي هذا المصدر صافياً، وحرص عليه الصلاة والسلام في تربيته للمسلمين على أن لا يختلط بغيره من المصادر، لأنه كان يريد أن يصنع جيلاً خالص القلب، والعقل والتصور، والشعور والتكوين من أي مؤثر آخر، ومرد ذلك كله إلى الله وحده[1].

وبهذه الخصيصة-الربانية- نرى أن الإسلام هو المنهج الوحيد في العالم الذي مصدره الوحي، قد سلم من تدخل البشر وتحريفهم، وبذلك فارق كل مناهج البشرية على هذه الأرض، لأنها إما مناهج بشرية محضة، أو الهية اختلطت بقول البشر وفكرهم، أو دينية حرفت وعدلت أو بدلت[2]

هذا هو أصل هذه الخصيصة-الربانية- أي مصدرها ومنطلقها ومنهجها. وهذا القول لا يعني أن الثقافة الإسلامية تهدر قيمة العقل أو تلغي دوره، أو تتخلى عن العلم، فاعتماد هذه الثقافة على العقل والعلم من البداهة بمكان، ولكن دون خروج عن المبادئ الأساسية التي أرساها الوحي الالهي[3]

وبما أن أصل الثقافة الإسلامية رباني، فكذلك غايتها وهدفها ووجهتها، ذلك أن الإسلام-في الدرجة الأولى- يجعل غايته الأخيرة وهدفه البعيد، ووجهته هو حسن الصلة بالله تعالى، والحصول على مرضاته، فهذه غاية الإسلام، وبالتالي هي غاية الإنسان، وهدفه ووجهته، ومنته أمله وسعيه في الحياة[4]. قال تعالى﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝ ﴾[5].

أهمية الثقافة الربانية:

إن للثقافة الربانية أهمية كبرى، وآثاراً عظيمة من أهمها:

---

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب الطبعة الثالثة، ١٩٦٨، ص٥٠، معالم الثقافة الإسلامية، عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٩٨١، ص٨٦.

(٢)الخصائص العامة للإسلام، ص٣٥، ٣٦. الإسلام مقاصده وخصائصه ص٢٤.

(٣)الإسلام، مقاصده وخصائصه، ص٢٥. معالم الثقافة الإسلامية، ص٨٧.

(٤) الخصائص العامة للإسلام، ص٧.

(٥)سورة الذاريات: ٥٦-٥٨.

١- العصمة من التناقض والتطرف والاختلاف الذي تعانيه المناهج والأنظمة البشرية والمحرفة.

ذلك أن الناس بطبيعتهم البشرية يتناقضون ويختلفون فيما بينهم، وفق اختلاف عقولهم وأمزجتهم وأوضاعهم وبيئاتهم، حتى الفرد الواحد ربما يختلف تفكيره من حالة إلى أخرى، فإذا كانت هذه هي طبيعة العقل البشري وضرورة تأثره بالزمان والمكان والأوضاع والأحوال، فكيف نتصور براءته من التناقض والاختلاف فيما يضعه من مناهج للحياة، ومثل ذلك ما نعرفه عن الأنظمة البشرية المتعددة، منها ما يعلي قيمة الفرد ويهدر الجماعة، ومنها تذيب الفرد في دولاب الجماعة، ومنها ما يركز على المادة دون الروح أو العكس[1]. "فإذا ابتغت البشرية لحياتها منهجاً سديداً، لا عوج فيه ولا اضطراب، ولا تناقض ولا تطرف، فلتصر إلى منهج الله، ففي أفيائه تجد السكينة للروح، وللأمن للفرد والجماعة، والسلامة في المعاش والمعاد"[2].

٢- الاحترام وسهولة الانقياد.

إن الثقة بمصدر الثقافة يجعل التزام العمل بها ينبع من داخل النفس وهذا أعظم مفاهيم الانضباط والانقياد والسمو في سير الحياة[3] وقد جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى تدل على مدى احترام المؤمنين وسرعة انقيادهم لتعاليم الله تعالى، نكتفي هنا بذكر مثال واحد، وهو ما جاء في تحريم الخمر ومدى سرعة انقياد المؤمنين للامتثال. قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾.[4]

---

(١)الخصائص العامة للاسلام، ص٤٦-٤٧، الإسلام مقاصده وخصائصه، ص٣٢-٣٣.

(٢)الإسلام ومقاصده وخصائصه، ص٣٣.

(٣)نظرات في الثقافة الإسلامية، ص٢١-٢٢.

(٤)سورة المائدة، ٩٠-٩١.

٣- البراءة من الجور والنقص والهوى.

إن الإسلام بتعاليمه وتشريعاته من الله تعالى، والله له الكمال المطلق الذي هو من لوازم ذاته بخلاف القوانين البشرية التي لاتنفك عن التحيز والظلم والنقص والهوى، لصدورها عن الإنسان[١].وقد وردت نصوص كثيرة تأمر بالعدل وتنهى عن الظلم، والحكم بالتشهي والهوى، قال تعالى ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ [٢] فالله تعالى أمرنا بإقامة القسط وهو العدل، وجاء بلفظ﴿ قَوَّٰمِينَ ﴾ جمع قوَّام وهو المبالغ في القيام بالشيء، والقيام بالشيء هو الاتيان به مستويا تاما لا نقص فيه ولا عوج، وهذا اللف "قوام" أبلغ ما يمكن أن يقال في تأكيد أمر العدل والعناية به، والمعنى في قوله ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ أي لتكن المبالغة والعناية باقامة القسط على وجهه صفة من صفاتكم، بأن تتحروا بالدقة التامة حتى يكون ملكة راسخة في نفوسكم. وأمر الله تعالى كذلك بأن تكون الشهادة لله﴿ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾ ومعنى كون الشهادة لله:أن يتحرى فيها الحق الذي يرضاه الله ويأمر به من غير مراعاة ولا محاباة لأحد، ﴿ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ ﴾ أى كونوا شهداء بالحق لوجه الله تعالى وامتثال أمره واتباع شرعه، الذي تنال به مرضاته ومثوبته ولو كانت الشهادة على أنفسكم أو على والديكم وأقرب الناس إليكم.فلا محاباة في الشهادة لأن المحاباة فيها من أسباب فشوّ الظلم والعدوان،﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ أي إن يكن المشهود عليه من الأقربين أو غيرهم، غنيا أو فقيراً، فالله أولى بهما، وشرعه أحق أن يتبع فيهما، فلا تحابوا الغني طمعاً في بره ولا خوفاً من شره، ولا الفقير عطفا عليه ورحمة به، فمرضاة الفقير ليست خيراً لكم ولا له من مرضاة الله تعالى، ولا أنتم أرحم بالفقير وأعلم بمصلحته من ربه عز وجل[٣].

(١) المدخل لدراسة الشريعة، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠، ص٣٩،٤٠.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٣، ٥/ ٤٥٦، ٤٥٧.

قال ابن العربي في قوله تعالى: ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ المعنى لا تميلوا بالهوى مع الفقير، لضعفه، ولا على الغني، لا ستغنائه، وكونوا مع الحق، فالله الذي أغنى هذا، وأفقر هذا، أولى بالفقير أن يغنيه بفضله بالحق لا بالهوى والباطل، والله أولى بالغني أن يأخذ ما في يده بالعدل والحق،لا بالتحامل عليه، فإنما جعل الله سبحانه الحقَّ والعدل معياراً لما يظهرُ من الخبث وميزاناً لما يتبين من الميل، عليه تجري الأحكام الدنيوية، وهو سبحانه يجري المقادير بحكمته، ويقضي بينهم يوم القيامة بحكمه[1].

٤- التحرر من عبودية الإنسان للإنسان.

إن العبودية أنواع متعددة، وإن من أشدها خطراً وأبعدها أثراً هو خضوع الإنسان لإنسان مثله، يحل له أو يحرم عليه ما شاء، ويأمره بما أراد، فيأتمر، وبتعبير آخر يضع له نظام أو منهج حياة فيلتزم به ويذعن له، والحق أن الذي يملك ذلك هو الله تعالى وحده، ولهذا أنكر الله تعالى على الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله. وأمرهم أن يعبدوه وحده سبحانه[2]. قال تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3]. جاء عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي البختري، قال: سئل حذيفة عن قول الله عز وجل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ هل عبدوهم؟ فقال: لا، ولكن أحلوا لهم الحرام فاستحلوه، وحرموا عليهم الحلال فحرموه" وقال أهل المعاني في قوله تعالى: ﴿ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾: جعلوا أحبارهم ورهبانهم كالأرباب حيث أطاعوهم في كل شيء[4]

---

(١) أحكام القرآن، أبو بكر محمد بن عبد الله، تحقيق علي البجاوي، طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، ١٩٧٢، ٥٠٨/١.

(٢) الخصائص العامة للاسلام، ص٥١، ٥٢.

(٣) سورة التوبة:٣١.

(٤) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧، ١٢٠/٨.

٥- أن يهتدي الإنسان إلى فطرته التي فطره الله عليها وأن يدرك غاية وجوده.

إذا اهتدى الإنسان إلى فطرته النقية فإنه يعيش في سلام ووئام مع نفسه ومع فطرة الوجود الكبير من حوله، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾. (١)

٦- سلامة النفس من التمزق والصراع الداخلي، والتوزع والانقسام بين مختلف الغايات وشتى الاتجاهات، لإدراك غاية الوجود الإنساني وهي إرضاء الله تعالى(٢)

٧- التحرر من العبودية للأنانية والشهوات.

إذا استقرت هذه الخصيصة "الربانية" في النفس، فإن صاحبها يتحرر من العبودية لرغباته الشخصية، لأن كل هدفه هو في إرضاء ربه(٣)

---

(١) سورة الروم: ٣٠.

(٢) المرجع السابق: ص١٤-١٥.

(٣) المرجع السابق، ص١٦.

الفصل الثاني

الشمول والكمال

هذه خصيصة أخرى من خصائص الثقافة الإسلامية، وهي الشمول والكمال. وأسس هذا الشمول والكمال في الثقافة هو الإسلام الذي هو عقيدة وشريعة وهو منـــهج حيـــاة بشرية واقعية بكل مقوماتها. منهج يشمل التصور الاعتقادي الشامل المرتكز على الحقـــائق الناصعة الثابتة القائمة على اليقين، والتي تبدو واضحة في نظرة الإسلام الكلية إلى الكـــون والحياة والانسان، والتي تحدد مكان الإنسان وغاية وجوده. ويشمل هذا المنهج كذلـــك النظم الحياتية كلها بما فيها من تشريع وتوجيه والتي تنبثق من ذلك التصـــور الاعتقـــادي وتستند إليه، وتجعل له صورة واقعية متمثلة في حياة الناس[1]

مجالات الشمول والكمال في الثقافة الإسلامية:

تتمثل خاصية الشمول والكمال في صور متعددة في العقيدة والأخلاق والتشريع. أمـا شمول العقيدة وكمالها، فإنها تتمثل في صور متعددة من الحقـــائق، كحقيقـــة الألوهيـــة، وحقيقة الكون، والحياة، والإنسان، والنبوة، والمصير.

أما حقيقة الألوهية فهي أعظم هذه الحقائق وأكبرها، وهي التي ترجع إليـــها كـــل الحقائق الأخرى، فيرد إليها الوجود كله، فالوجود بنشأته ابتداء وحركته، وكل ما يتعلـــق به لهو راجع إلى إرادة الله تعالى وسلطانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[2]، فقوله تعالى: ﴿ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ يشمل كل صغير أو كبير، نـــاطق أو صـــامت، متحـــرك أو ساكن، ماض أو حاضر، معلوم أو مجهول، كل شيء خلقه الله بقدر[3].

---

(١) السلام العالمي والاسلام، سيد قطب، دار الشروق، بيروت والقاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٢، ص١٣-١٤. معالم الثقافة الإسلامية، مصدر سابق، ص٨٩، ٩٠.

(٢) سورة القمر: ٤٩.

(٣) في ظلال القرآن، ٣٤٣٦/٦.

وغير ذلك من النصوص التي تدل على خلق الله لكل موجود، ومدى هيمنته وسلطانه عليه.

إن هذا التصور الشامل عن طريق هذه الخاصية يمنح القلب والعقل راحة وطمأنينة واتصالاً بحقيقة المؤثرات الفاعلة في هذا الوجود، ويعفي الفكر البشري من الضرب في التيه بلا دليل صحيح، هذا بالإضافة إلى العنصر الأخلاقي الذي ينشئه هذا التصور ويثبته في القلب البشري وفي الحياة البشرية، وهو يرد الوجود كله إلى الله تعالى وقدرته وسلطانه.(١)

وصورة أخرى من صور هذا الشمول في العقيدة بعد بيان القرآن الكريم لحقيقة الألوهية وخصائصها وآثارها وصفاتها يأتي بيان حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها، وهي ممثلة في حقائق الكون والحياة والانسان، ثم يربط بين هذه الحقائق كلها من جميع جوانبها في تصور منطقي فطري يتعامل مع الإنسان، مما يجعله موقنا بوجود الله تعالى(٢) وكأنه رأي عين. وصورة أخرى من صور هذا الشمول في العقيدة تبدو واضحة في نظرة الإسلام الكلية إلى الكون والحياة والإنسان. أما نظرة الإسلام إلى الكون، فالله تعالى هو الذي أوجده ابتداء، وهو الذي يسيره كيف شاء، وإذا ما نظرنا إلى كتاب الله تعالى نرى الكون المعروض فيه عاماً شاملاً، يشمل الأرض كلها وما عليها من إنسان، وحيوان، ونبات، وجماد من سهول، وجبال، وبحار، وعيون، وأنهار، وجنات من نخيل وأعناب وزروع... ثم يصعد بنا إلى ما فوق الأرض إلى السماء وما فيها من سحاب وكواكب ونجوم، وما يجري فيها من أحداث مما يبصره الإنسان ومالا يبصره(٣) جاعلاً كل ذلك مسرحاً للتأمل والتفكر والتدبر، ومذكراً بآلاء الله التي لا تحصى، ليقر الإنسان بخالق هذا الكون وما حوى، ويذعن له، ويكون هذا الإنسان عبداً خالصاً لله وحده لا شريك له، فكل شيء مرده إليه سبحانه.

أما نظرة الإسلام إلى الحياة، فإنه يعرف الناس مصدر الحياة الدنيا ومصدر الأحياء ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ (٤) وعرفهم شيئاً من خصائص هذه الحياة بالقدر الذي تسمح مداركهم بمعرفته، وأن الحياة كلها وجدت بإرادة الله، وهي وما فيها ملك لله،

---

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١١٣.

(٢)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١١٤-١١٥.

(٣)نظام الإسلام العقيدة والعبادة، محمد المبارك، دار الفكر بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥، ص٣٨-٣٩.

(٤)سورة الانبياء: ٣٠.

ومذكراً إياهم بنعمه عليهم في تسخير الكثير من هذه الأحياء لهم(١). إذ في هذه الحياة الدنيا جميع ضروب النشاط والعمل، وهي في ذات الوقت-مع قصرها- دار ابتلاء واختبار للانسان، وهي جسر عبور للحياة الآخرة التي سيحاسب فيها الإنسان على وفاق عمله في الدنيا، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وإذا ما نظرنا في حياة المسلمين الأوائل زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام-رضي الله عنهم- لرأينا أنهم كانوا يؤثرون الحياة الآخرة ورضاء الله تعالى على كل ما في الدنيا من منافع وشهوات، وأنهم بلغوا في التضحية والإيثار مترلة لا تضاهي، وتصلح أن تكون قدوة ومثلا للناس إلى قيام الساعة. هذا مع الأخذ بعين الاعتبار إلى أن الإسلام يوجه الإنسان إلى الجمع بين النظرة إلى الحياة الدنيا ومنافعها بل ملذاتها المشروعة، وبين النظرة إلى الحياة الأخرى والمصير النهائي في آن واحد، قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾(٢).

ولكل من الدنيا والآخرة سننها وطريق الوصول إلى أهدافها، فمن سلك الطريق إلى تلك الأهداف وصل إليها، وكذلك من سلك الطريقين وصل إلى أهدافه من الحياتين وجمع بين الحسنيين على أن تكون الآخرة غايته(٣).أما شمول نظرة الإسلام للانسان فتتمثل في بيان أصل خلقته، وعناصر تكوينه ومراحل حياته كلها من اجتنانه إلى طفولته ومراهقته وشبابه وشيخوخته، وما ينتابه من العجز والضعف والقوة أثناء هذه المراحل، وموته، وما اقتضته له مشيئة الله في الحياة الآخرة وفي هذا يقول تعالى: ﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾(٤).

وتتمثل هذه الخاصية في هذه النظرة للانسان كذلك في تكوينه المادي والمعنوي-جسد وروح- وفي غاية وجوده في هذه الحياة، ومجالات نشاطه، ثم في مصيره بعد الموت.

---

(١)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٠٩-١١١، ١٢١.

(٢)سورة القصص، ٧٧.

(٣)نظام الإسلام العقيدة والعبادة، محمد المبارك، ص ١٥٧-١٥٩.

(٤)سورة الحج: ٥.

الفصل الثالث

التوازن والاعتدال والوسطية وعدم التطرف

هذه خصيصة أخرى من خصائص الثقافة الإسلامية،وهي التوازن والاعتدال والوسطية وعدم التطرف.

سبق أن ذكرنا بأن الثقافة الإسلامية ثقافة ربانية وعليه فلا بد أن توصف هذه الثقافة بالتوازن والاعتدال، لأنها موحى بها من الله تعالى، وهو اللطيف الخبير،﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[1]، ومصدرها القرآن الكريم الذي يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [2].

في هذا النص القرآني مدح من الله تعالى لكتابه الكريم الذي أنزله على رسوله- صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن، بأنه يهدي لأقوم الطرق وأوضح السبل ويبشر المؤمنين به الذين يعملون الصالحات على مقتضاه أن لهم يوم القيامة أجرا كبيرا[3].

وثقافة هذا شأنها لابد أن تكون قائمة على العدل والوسطية، بعيدة عن التطرف والغلو، ولهذا كانت أمة محمد -ﷺ- هي أمة الوسط. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [4]. قوله تعالى: ﴿ وَسَطًا ﴾ أي عدلا، ووسط الشيء أو أوسطه بمعنى أفضله وأعدله وخياره[5].

يخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن أمة محمد-ﷺ-هي خيار الأمم قاطبة، ليكونوا يوم القيامة شهداء على الأمم كلها، لأن الجميع معترف لأمة محمد-ﷺ- بالفضل .

---

(١)سورة الملك: ١٤.

(٢)سورة الاسراء: ٩.

(٣) مختصر تفسير ابن كثير، ٢/٣٦٧.

(٤)سورة البقرة: ١٤٣.

(٥) لسان العرب، مادة وسط، ٧/ ٤٢٧، ٤٢٨.

وقد استمدت هذه الأمة وسطيّتها من هذا الدين وهو الإسلام عقيدة وشريعة، اعتقاداً وعملاً. ذلك أن سمة الإسلام الأساسية هي التوازن والاعتدال في كل الآفاق والنواحي.الاعتدال الذي يليق بهذه الشريعة الربانية الخالدة، الشاملة لجميع جوانب الحيلة. الاعتدال بين حقوق الجسد وبين أشواق الروح، والاعتدال بين مطالب الدنيا وبين مطالب الدين، الاعتدال بين العمل لهذه الحياة الدنيا وبين العمل لما بعد هذه الحياة[1].

إن شريعة هذه صفاها، لا بد أن توصف بالوسطية والاعتدال والتوازن، والبعد عن التطرف والغلو، وهذا هو شأن الثقافة الإسلامية المستمدة من هذه الشريعة الربانية الخالدة.

مظاهر التوازن والاعتدال والوسطية:

تبدو هذه الخاصية في جميع مبادئ الإسلام وتعاليمه، في جميع المجالات، نذكر منها:

١- التوازن بين عالم الشهادة:

وهو العالم المحسوس أو الكون أو الطبيعة أو ملكوت السموات والأرض، هذا العالم الذي تتلقاه الكينونة الإنسانية لتدركه وتبحث حججه وبراهينه، وتحاول معرفة علله وغاياته وتفكر في مقتضياته العلمية وتطبقها في حياها. وبين عالم الغيب الذي لا تدركه الحواس ولا يقع تحت التجربة، هذا العلم الذي تتلقاه الكينونة الإنسانية لتدركه وتسلم به وينتهي عملها فيه عند التسليم، وهو ما يأتي عن طريق الوحي الإلهي الملقى إلى أفراد من البشر اصطفاهم الله تعالى-الأنبياء- لتبليغ البشر ما يريد إبلاغه من الحقائق التي قد يصل العقل أو يعجز عن الوصول إليها وإن كان هذا العقل يبقى هو نفسه أداة المراقبة ووسيلة الإرشاد إلى النبوة نفسها لإثبات أصل مبدئها، ولإثبات صحتها وصدق مدعيها[2].

فالإنسان بفطرته النقية يستريح للعالمين-الغيب والشهادة- لأن كليهما يلبي في هذه الفطرة جانبا أصيلا مودعا فيها وهي تخرج من يد بارئها، وقد علم الله تعالى أن الإدراك البشري لن يتسع لكل أسرار هذا الوجود، ولا يستطيع إدراكها كلها، فأودع الله فطرة الإنسان الارتياح للمعلوم وهو عالم الشهادة، والارتياح للمجهول وهو عالم الغيب، والتوازن بين العالمين في كيانها، كالتوازن بينهما في صميم الوجود[3].

(١) العبادة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثامنة، ١٩٨١، ص١٧٩.

(٢) خصائص التصور الإسلامي، ومقوماته، ص١٣٤، نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص٨٣، ٨٤.

(٣) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ١٣٤ بتصرف بسيط.

٢- التوازن في علاقة المؤمن بربه:

بين موجبات الخوف والرهبة والفزع، وبين موجبات الأمن والطمأنينة والرغبة والقرب من الله تعالى والأنس به سبحانه وتعالى فصفات الله تعالى الفاعلة في الكون وفي حياة البشر تجمع بين الايحاءين في توازن تام(١).

فإذا ما نظرنا في القرآن الكريم وتدبرنا معانيه فيما جاء به من صفات الله تعالى، وما جاء في أهوال يوم القيامة ونعيمها، فإنا:

أولاً: نشعر تارة بالرهبة والخوف والفزع، كقوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾(٢) وقوله تعالى﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾(٣) وقوله: ﴿ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ۞ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾(٤).

إلى غير ذلك من النصوص التي ترهب الإنسان وتجعله في خوف وفزع.

ثانيا: ونشعر تارة أخرى بالرغبة والأمن والطمأنينة، كقوله﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(٥) ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ﴾(٦). إلى غير ذلك من النصوص القرآنية التي تشعر بالأمن

---

(١)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٥٨.

(٢)سورة غافر، ١٩.

(٣)سورة الكهف: ٨٧.

(٤)سورة البقرة: ٢٦٥-٢٦٧.

(٥)سورة البقرة: ١٨٦.

(٦)سورة النساء: ١٧٣.

والطمأنينة. وبناء على ما تقدم فإن الشعور بالرهبة والخوف والفزع، والشعور بالرغبة والأمن والطمأنينة يجعل الإنسان متوازنا بين الشعورين، ومن هذا وذاك يقع التوازن في الضمير بين الخوف والطمع، والرهبة والأنس، والفزع والطمأنينة. ويسير الإنسان في حياته، يقطع الطريق إلى الله، ثابت الخطوة، مفتوح العين، حي القلب، موصول الأمل، حذرا من المزالق، صاعدا أبدا إلى الأفق الوضيء، لايستهتر ولا يستهين، ولا يغفل ولا ينس، وهو في الوقت ذاته شاعر برعاية الله وعونه، ورحمة الله وفضله، وأن الله لا يريد به السوء، ولا يود له العنت[(١)]

ثالثاً: التوازن والاعتدال بين العبادة والعمل:

بين الروحية والمادية، بين أشواق الروح وحقوق الجسد، بين حق الله تعالى وحق الحياة، وبشكل عام توازن واعتدال بين الدين والدنيا. تلك عبارات متعددة بمدلول واحد أو متقارب. طلب الإسلام من الإنسان، وممن يؤمن به أن يكون معتدلا في عبادته وفي حياته كلها. فلم يطلب منه أن يكون منعزلا عن الناس للعبادة، لاشاغل له إلا الصلاة والصيام .. لم يطلب منه أن يكون راهبا في دير أو عابدا في خلوة قائم الليل صائم النهار، لا حظ له في الحياة ولا حظ للحياة فيه، ولم يطلب منه أن يكون لدنياه فقط تاركا أمر آخرته، ولا أن يكون مهتما بمأكله ومشربه وملبسه ومتعه الجسدية دون النظر إلى عبادته لله. وإنما طلب منه أن يأخذ من هذا وذاك، طلبه منه أن يكون إنسانا عاملا في الحياة، ساعيا في الأرض يعمرها ملتمسا الرزق في خباياها، مجدا في العمل في سبيل العيش، زارعا وصانعا وتاجرا، معلما أو متعلما، أو مكتشفا لموارد جديدة. وفي ذات الوقت عليه أن لا تشغله دنياه عن آخرته، عليه أن لا يقصر في العبادة لله تعالى[(٢)].

وإذا نظرنا في كتاب الله تعالى نرى أنه في كثير من آياته قد وازن بين العمل من أجل كسب العيش، وبين الصلاة لله تعالى، من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ

---

(١)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٦٠.

(٢)العبادة في الإسلام، القرضاوي ص١٧٩، منهج القرآن في تطوير المجتمع، د. محمد البهي، دار الفكر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٤، ص١١٧-١١٨.

﴿وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝﴾ (1) فهذه الآية الكريمة تطلب من المؤمن أن يؤدي صلاة الجمعة وأن يسعى في كسب العيش. فهي تبين أن سعي الإنسان نحو أداء العبادة لايقل في القيمة والمترلة عن سعيه في سبيل الرزق والعيش، فإذا أذن المؤذن لصلاة الجمعة فإنه يجب ترك العمل الذي هو مصدر العيش، والتوجه لأداء هذه الصلاة جماعة، فإذا انتهت ينبغي أن تعود حركة السعي من أجل الرزق إلى طبيعتها، وبذلك يكون هناك تكافؤ في المترلة عند الله تعالى بين أداء العبادة وبين مباشرة العمل في سبيل العيش(2).

ولهذا طلبت الآية الكريمة من المؤمن أن يصلي الجمعة بعد العمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ وطلبت منه بعد الصلاة العمل وذكر الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝﴾.

وجاء عن عراك بن مالك أنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال: اللهم إني أجبت دعوتك، وصليت فريضتك، وانتشرت كما أمرتني، فارزقني من فضلك وأنت خير الرازقين(3).

ومما يدل على التوازن والإعتدال وعدم الغلو في هذا الأمر ما رواه البخاري في صحيحه بسنده عن حميد بن أبي حميد الطويل أنه سمع أنس بن مالك-رضي الله عنه- يقول:"جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: انا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"(4)

(1)سورة الجمعة: ٩-١٠.

(2)منهج القرآن في تطوير المجتمع، ١١٨.

(3) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٨-/ ١٠٨، ١٠٩.

(4)صحيح البخاري، ٢/٧.

وهكذا علم رسول الله صلى الله عليه وسلم- أصحابه- رضي الله عنهم أن تقوى الله وخشيته لا تكون بترك الدنيا، والانقطاع للعبادة، فهو عليه الصلاة والسلام أخشى الناس لله، وأتقاهم له، وفي ذات الوقت لم يهدر حقه في متع الدنيا[1]، هكذا ينبغي أن يكون أتباعه صلى الله عليه وسلم.

ومما يدل أيضا على الأقساط في التمتع بما في الحياة الدنيا، بل الحث عليه كذلك، ما جاء في قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ۝ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝ ﴾[2] .

رابعاً: التوازن في الارتباطات والعلاقات بين الفرد والمجتمع. إذ لكل واحد منهما تجاه الآخر حقوق، وعليه واجبات، اعترف الإسلام بهما، فاعتد بشخصية الفرد، وبشخصية الجماعة فلم يلغ شخصية الفلاد في شخصية الجماعة، وفي نفس الوقت لم يطلقه فردا أثرا جشعا لا هم له إلا ذاته، وإنما يطلق من الدوافع والطاقات ما يؤدي إلى الحركة والنماء، ويطلق من النوازع والخصائص ما يحقق شخصية الفرد وكيانه ثم يضع من الضوابط ما يقف دون الغلو، ومن المنشطات ما يثير رغبة الفرد في خدمة الجماعة، وعلى الجماعة أن تحافظ عل الفرد، وتمد له يد العون والمساعدة إن احتاج إلى ذلك، وهذا ما قرره الإسلام من التكاليف والواجبات التي تجعل الفرد خادما للجماعة، والجماعة كافلة للفرد في تناسق واتساق[3]

ومن هذا التوازن والتناسق في الإسلام ما أقره للفرد وما أقره للجماعة: إعطاء الفرد حق التملك والتصرف بما يملك، بشرط عدم إلحاق الضرر بالجماعة.

---

(١)العبادة في الإسلام، ص١٨٤-١٨٥.

(٢)سورة الاعراف: ٣٢،٣١.

(٣)في ظلال القرآن، ١٣١/١.

الفصل الرابع

التطور والثبات

من الخصائص العامة للثقافة الإسلامية: التطور والثبات، هذه الخاصية لها علاقة وثيقة بالخصائص الأخرى لهذه الثقافة. وقد سبق أن ذكرنا خاصية الربانية التي تبين التصور الإسلامي الشامل لحقائق الوجود كلها، لصدوره من الله تعالى، إذ لا مجال فيه لفكر بشري، ولم يأت لبيئة معينة، ولا لفترة زمنية محددة، ولا دخل فيه لأي عامل ارضي، وإنما هو هبة خالصة من الله تعالى لبني البشر، ومن هذه الخاصية-الربانية- تنبثق خاصية التطور والثبات أو الحركة داخل إطار ثابت حول محور ثابت:ثبات في مقومات هذا التصور الأساسية وقيمه الذاتية، فهي من هذا الجانب ثابتة لاتتغير ولا تتطور. وأما التغير فإنما يكون في ظواهر الحياة الواقعية، وأشكال الأوضاع العملية، وفي ذات الوقت يبقى هذا التغير محكوما بالمقومات والقيم الثابتة لهذا التصور[(١)].

وسبق أن ذكرنا أيضا خاصية التوازن والاعتدال والوسطية"وإن من أجلى مظاهر التوازن والوسطية التي يتميز بها نظام الإسلام، وبالتالي يتميز بها مجتمعة عن غيره: التوازن بين الثبات والتطور، أو الثبات والمرونة، فهو يجمع بينهما في تناسق مبدع، واضعاً كلاً منها في موضعه الصحيح.. الثبات فيما يجب أن يخلد ويبقى، والمرونة فيما ينبغي أن يتغير ويتطور. والإسلام الذي ختم الله به الشرائع والرسالات السماوية أودع الله فيه عنصر الثبات والخلود، وعنصر المرونة والتطور معاً، وهذا من روائع الإعجاز في هذا الدين، وآية من آيات عمومه وخلوده، وصلاحيته لكل زمان وكل مكان"[(٢)]

وهذا يعني أن هناك حقائق ثابتة، وهناك أمور أخرى متغيرة ومتطورة إلا أنها في ذات الوقت تستند إلى تلك الحقائق الثابتة، وتستمد منها.

---

(١)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص٨٤.

(٢)الخصائص العامة للإسلام، القرضاوي ص٢٠٣-٢٠٤.

فمادة الكون ثابتة الماهية، سواء كانت هذه المادة هي الذرة أو الشعاع البسيط المنطلق عند تحطيمها أو آية صورة أخرى، إلاأنها تتحرك فتتخذ أشكالا دائمة التغير والتحول والتطور. والذرة ذات نواة تدور حولها الإلكترونيات في مدار ثابت، وكذلك كل كوكب وكل نجم له مداره، يتحرك فيه نحو محوره، حركة منتظمة محكومة بنظام خاص[1] قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.[2]

هذه الآيات وغيرها من النصوص القرآنية الكثيرة مما في معناها تدل على أن الكون تجري على مسرحه الحوادث، ويجري فيه تبدل وتغير ويتميز بالحركة، وتنتقل حوادثه من طور إلى طور، هذه الحوادث مرتبط بعضها ببعض ما بين سابق ولاحق بانتظام وإطراد يدل على أنها تتبع سننا مطردة في حدوثها وحركتها[3] وقد نقل ابن كثير في تفسيره عدة نقول لبعض علماء الإسلام في معنى قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ فنقل عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ ﴾ .. لكل منهما حد لا يعدوه، ولا يقصر دونه، إذ جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا. وعن عكرمة..يعني أن لكل منهما سلطانا، فلا ينبغي للشمس أن تطلع بالليل، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ يقول.. لا ينبغي إذا كان الليل أن يكون ليل آخر حتى يكون النهار، فسلطان الشمس بالنهار، وسلطان القمر بالليل. وعن الضحاك: لا يذهب الليل من ها هنا حتى يجيء اليها من ها هناك، وأومأ بيده إلى المشرق. وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ ﴾ المعنى أنه لا فترة بين الليل والنهار، بل كل منهما

---

(١)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص٨٤.

(٢)سورة الانبياء: ٤٠.

(٣)نظام الإسلام، العقيدة والعبادة، ص٤٠-٤١.

يعقب الآخر بلا مهلة ولا تراخ، لأنهما مسخران دائبين يتطالبان طلبا حثيثا، وقوله تعالى: ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ يعني الليل والنهار والشمس والقمر كلهم ﴿ يَسْبَحُونَ ﴾ أي يدورون في فلك السماء. قال ابن عباس-رضي الله عنهما-.. في فلكه كفلكة المغزل. وقال مجاهد: الفلكة كحديدة الرحى أو كفلكة المغزل، لا يدور المغزل إلا بها ولا تدور إلا به[1]. إنها سمة التطور والثبات أو الحركة داخل إطار ثابت وحول محور ثابت، تبدو واضحة في الكون، وهي من صنع الله تعالى الذي قدر كل شيء وأتقنه.ولا دخل للإنسان فيه على الإطلاق.

ومن هذا الباب كذلك: الإنسان، الذي هو أحد هذه المخلوقات الكونية التي أسكنها الله تعالى الأرض يشاركها الكثير من صفاتها، ويتميز هو بصفات خاصة به، ومن هذه الميزات الخلق السوي، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[2] وما فيه من نفحة روحية وهبه الله إياها[3]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾[4] ولهذا كانت إنسانية هذا الإنسان، المستمدة من كونه مخلوقا فيه نفحة من روح الله اكتسب بها إنسانيته المتميزة عن سائر طبائع المخلوقات حوله.. إنسانية هذا الإنسان ثابتة ولكن هذا الإنسان يمر بأطوار جنينية شتى من النطفة إلى الشيخوخة، ويمر بأطوار اجتماعية شتى، يرتقي فيها وينحط حسب اقترابه وابتعاده من مصدر إنسانيته، ولكن هذه الأطوار وتلك لا تخرجه من حقيقة إنسانيته الثابتة. ونوازعها وطاقاتها واستعداداتها المنبثقة من حقيقة إنسانيته.[5]

من أجل ذلك كرم الله تعالى هذا الإنسان، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ

---

(١)مختصر تفسير ابن كثير ٣/١٦٣/ ١٦٤.

(٢)سورة التين: ٤.

(٣)نظام الإسلام العقيدة والعبادة، ص٥٤-٥٦.

(٤)سورة الحجر: ٢٨-٢٩.

(٥) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص٨٤-٨٥.

﴿خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾[1]، وسبب هذا التكريم والتفضيل للإنسان أو لبني آدم هو أن الله تعالى جعلهم﴿ خلائف الأرض﴾ أي مستخلفين عليها، لإعمارها بالخير والعمل الصالح. قال تعالى: قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2] وقال: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾.[3]

فالله تعالى عهد إلى بني آدم وأوكل إليهم عمارة هذه الأرض والقيام بشأنها، ومكنهم منها، وجعل لهم سلطانا عليها، يتصرفون وينتفعون بها ويسخرونها لمصالحهم ومنافعهم[4] وكيفية التصرف والانتفاع تختلف وتتنوع وتتطور وتتغير، فمنهم الزارع، ومنهم الصانع، ومنهم من يغوص في أعماق البحار ومنهم من يرسل الأقمار الصناعية لتكشف له طبيعة الغلاف الجوي للأرض أو طبيعة الكواكب والتوابع من حولة، فهذه صور من صور الخلافة في الأرض قابلة للزيادة والاتساع، مع الأخذ بعين الاعتبار أن حقيقة الخلافة في الأرض تبقى ثابتة على كل حال[5](*)

(١)سورة الاسراء: ٧٠.

(٢)سورة البقرة: ٣٠.

(٣)سورة الانعام: ١٦٥.

(٤)نظام الإسلام، العقيدة والعبادة، ص٥٧-٥٨.

(٥)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص٨٧

(*) انظر مجالات التطور والثبات في الأحكام الشرعية في الطبعة الأولى ص ٢٢١

الفصل الخامس

الواقعية

هذه خصيصة أخرى من خصائص الثقافة الإسلامية وهي الواقعية، ويراد بها التعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي الثابت، لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مثاليات لاوجود لها في عالم الواقع[1] وبمعنى آخر مراعاة واقع الكون من حيث هو وجود حقيقي، ومراعاة واقع الحياة من حيث هي مرحلة حافلة بالخير والشر، ومراعاة واقع الإنسان من حيث خلقته المزدوجة، فهو نفحة من روح الله في غلاف مادي من طين[2].

مجالات الواقعية في الإسلام:

نجد الواقعية في جميع مجالات الإسلام العقدية والتشريعية والأخلاقية،ففي مجال العقيدة فهي بجميع أركانها حقائق ثابتة، وليست أفكارا متخيلة في الأذهان تقوم على الظن والوهم، فهي تتعامل مع حقائق ثابتة في الوجود، فإن الله تعالى واجب الوجود يدل خلقه على وجوده، والإيمان به، إنما يكون عن طريق الإدراك الحسي والوجداني لكل ما في الكون من الأشياء والظواهر، ففي الليل والنهار وتعاقبهما والشمس والقمر والنجوم والكواكب والسحب والأرض وما عليها ونحو ذلك دلائل قاطعة على وجوده سبحانه وتعالى، وأما أمور الغيب كالملائكة واليوم الآخر والرسل فإنها حقائق ثابتة أخبرنا بها الله تعالى، وقد آمنا بوجوده إيمانا جازما عن طريق العقل والآيات المنزلة[3] قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[4] وقال تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ

---

(١) خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٩٠، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص٩٤.

(٢) الخصائص العامة للاسلام، ص١٤٩.

(٣) نظرات في الثقافة الإسلامية، ص٩٤.

(٤) سورة الذاريات: ٢٠-٢١.

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (1) إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الكثيرة التي تصف الحقيقة الإلهية للناس، وتعرفهم بخالقهم تعريفا بينا عن طريق واقع الكون، وما فيه في منطق فطري ميسر(2) وكذلك نجد الإسلام يتعامل مع الإنسان الذي خلقه الله سبحانه، وهو أعلم بمن خلق، فهو يتعامل مع هذا الإنسان الواقعي بروحه ومادته، الإنسان من لحم وعظم ودم، وأعصاب، وعقل ونفس وروح، فالإسلام بتعامل من واقع الإنسان، برغباته وأشواقه، وما يحتاج إليه، من أكل وشرب ونوم..وما يقوم به من خير أوشر، فهو ليس بالملاك الذي لا يخطئ، وليس بالحيوان الذي لا يعي إلا مأكله ومشربه وشهواته، وفي مقابل ذلك جعل الله تعالى هذا الإنسان مسؤولا عن كل تصرفاته وأنه سيحاسب على ما يقوم به، إن أحسن فلنفسه وإن أساء فعليها.

وكذلك نجد الواقعية في بيان حقيقة الرسل عليهم الصلاة والسلام، فهم بشر يأكلون ويشربون ويفرحون ويحزنون ولكن الله تعالى اصطفاهم وفضلهم على الخلق بما أوحى إليهم، قال تعالى ذاكرا بشرية الرسل عليهم السلام: قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾(3) وقال لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (4).
ونجد الواقعية في التشريع، ومنه واقعية العبادة، فقد راعى الإسلام ظروف الناس وحياهم واحتياجاهم المعيشية، فهو لم يكلفهم فوق طاقتهم، ورفع عنهم الحرج والمشقة(5) قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾(6) وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

(1) سورة البقرة: ١٦٣-١٦٤.
(2)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص ١٩٧.
(3)سورة الفرقان: ٢٠.
(4) سورة الكهف: ١١٠
(5)الثقافة الإسلامية، مفهومها، مصادرها، خصائصها، مجالاتها، ص١٣٧.
(6)سورة البقرة: ٢٨٦.

﴿ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾ (١) فهذه التكاليف التي ذكرها القرآن الكريم فراعى فيها فطرة الإنسان وطاقته(٢) وقد ثبت في أصول الشريعة" أن شرط التكليف أو سببه القدرة على المكلف به، فما لا قدرة للمكلف عليه لا يصح التكليف به شرعا(٣) وقال تعالى: ﴿ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾(٤). وقال تعالى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾ (٥) والحكمة في رفع الحرج عن الإنسان، هو مراعاة لطبيعة هذا الإنسان، حتى لا يقع في السآمة والملل أو كراهة ما كلف به والانقطاع عنه، وعليه" فإن الله وضع هذه الشريعة المباركة حنيفية سمحة سهلة، حفظ فيها على الخلق قلوبهم، وحببها لهم بذلك، فلو عملوا على خلاف السماح والسهولة لدخل عليهم فيما كلفوا به ما لا تخلص به أعمالهم، ألا ترى إلى قوله تعالى: قال تعالى : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾(٦) إلى آخرها، فقد أخبرت الآية أن الله حبب إلينا الإيمان بتيسيره وتسهيله، وزينه في قلوبنا بذلك وبالوعد الصادق بالجزاء عليه، وفي الحديث"عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا"(٧) وفي حديث قيام رمضان" أما بعد فإنه لم يخف علي شأنكم، ولكن خشيت أن تفرض عليكم صلاة الليل فتعجزوا عنها(٨)..وحديث أنس "دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين، فقال: ما هذا؟ قالوا: حبل لزينب، تصلي، فإذا كسلت أو فترت أمسكت به،

---

(١)سورة الحج: ٧٧-٧٨.

(٢)في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٤٦.

(٣)الموافقات في أصول الأحكام، الشاطبي، ابو اسحاق ابراهيم بن موسى، تحقيق محمد محي الدين، مطبعة المدني، القاهرة، الناشر، محمد علي صبيح وأولاده، ٢/٧٦.

(٤)سورة الأعراف، ١٥٧.

(٥)سورة البقرة: ٢٨٦.

(٦)سورة الحجرات: ٧.

(٧)صحيح مسلم، مطبعة دار احياء الكتب العربية، القاهرة، ١/ ٥٤٠.

(٨)صحيح مسلم، ١/٥٢٤.

فقال: حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا كسل أو فتر قعد"[1] وحديث معاذ حين قال له النبي عليه السلام" أفتان أنت يا معاذ حين أطال الصلاة بالناس وقال: إن منكم منفرين، فأيكم ما صلى بالناس فليتجوز، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة"[2]..هذا كله معلل معقول المعنى بما دل عليه ما تقدم من السآمة والملل والعجز وبغض الطاعة وكراهتها"[3]ومن هذا الباب مراعاة الشريعة الظروف الطارئة والمتغيرة للناس، مقدرة واقعهم وظروفهم وأحوالهم فجاءت بالرخص والتخفيفات التي يحبها الله تعالى،ومنها الأحكام المتعلقة بالسفر، لما فيه من المشقة، روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه، فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله"[4] فهذا الحديث النبوي الشريف يدل على مشقة السفر، مما يفتح مجالا واسعا للترخص والتخفيف، للرفق بالمكلف عن تحمل المشاق، فيؤخذ به، ولا ينبغي تركه، وإلا وقع الإنسان في السآمة والملل وربما أدى به إلى الكراهة والنفور، ومنه الرخص الأخرى، كالفطر في رمضان لأصحاب الأعذار، وأكل الميتة والمطعومات المحرمة للمضطر إذا خاف الهلاك، ونحو ذلك من الرخص، فعن نافع عن ابن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن الله عز وجل يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه" وفي رواية أخرى "يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معاصيه"[5] وما ذاك إلا مراعاة لواقع الإنسان وأحواله.

أما واقعية الأخلاق، فقد حث الإسلام على الأخلاق الحميدة، وهي من المبادئ الثابتة، وهي أخلاق واحدة في جميع الأحوال مع الأقارب وغيرهم قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[6]

---

(١)صحيح مسلم، ٥٤٢/١.

(٢)القزويني، ٥١٩/١.

(٣)الموافقات، الشاطبي ٩٧/٢.

(٤)صحيح البخاري، مطابع الشعب القاهرة، ١٠/٣.

(٥)سنن البيهقي، ١٤٠/٣.

(٦)سورة المائدة: ٨.

وفي ذات الوقت راعت الظروف الاستثنائية للإنسان فأباحت له الكذب في الحرب لخداع العدو وكذا الكذب لإصلاح ذات البين[1]

ومن واقعية الأخلاق كذلك أن الإسلام لم يفترض في المؤمن أن يكون ملاكا بريئا من كل عيب، وإنما راعت ظروفه وما به من شهوات، فهو عرضة للخطأ، وإنما مزيتة في التوبة والرجوع إلى الله تعالى[2] قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾[3] فهذا النص القرآني فيه بيان لصفات المؤمنين، ومنه يبدو أن المؤمن ليس بمنأى عن فعل الفاحشة والوقوع في الإثم، إلا أنه لا يصر على ذلك، وبالتالي فإنه يعود إلى الله تعالى بالتوبة الاستغفار والأعمال الصالحة[4] وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **"كل بني آدم خطاء. وخير الخطائين التوابون"**[5]

(١) الثقافة الإسلامية مفهومها، ومصادرها، وخصائصها، مجالاتها، ص١٣٧-١٣٨، الإسلام مقاصده وخصائصه، ص٦٧.

(٢)الخصائص العامة للإسلام، ص١٥٨.

(٣)سورة آل عمران: ١٣٥-١٣٦.

(٤)الإسلام مقاصده وخصائصه، ص٦٧.

(٥)سنن ابن ماجة، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي ٢/١٤٢٠، الدارمي، أبو عبد اله بن عبد الرحمن، سنن الكتب العلمية، بروت، دار حياء السنة النبوية، ٢/٣٠٣.

الفصل السادس

الإيجابية

هذه خصيصة أخرى من خصائص الثقافة الإسلامية، وهي الإيجابية. والتي هي ضد السلبية.إنها الإيجابية الفاعلة في علاقة الله تعالى بالكون والحياة والإنسان، وهي كذلك في حياة الإنسان ذاته في حدود المجال الإنساني[1].

فالثقافة الإسلامية ترى الإنسان أنه يتعامل مع إله خالق لكل شيء، فعال لما يريد، وإليه يرجع كل شيء" ولا يتم في ذلك الكون شيء إلا بإرادته وعلمه وتقديره وتدبيره. وهو سبحانه مباشر بإرادته وعلمه وتدبيره لكل عبد من عباده، في كل حال من أحواله، ولكل حي ولكل شيء، وفي هذا الوجود كذلك"[2]

وقد جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى تقرر هذه الخصيصة وتعرض مظاهرها في كل جانب من جوانب الكون وما فيه، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾.[3] هذه النصوص القرآنية تعرض قصة خلق السموات والأرض،

---

(١)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٧٠، معالم الثقافة الإسلامية ص٩٠.

(٢)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٧٣.

(٣)سورة الاعراف: ٥٤-٥٨.

وتوجه الأبصار إلى مكنونات هذا الكون وأسراره، وإلى ظواهره وأحواله إلى الليل الـذي يطلب النهار في ذلك الفلك الدوار،وإلى الشمس والقمر والنجوم وهن مسخرات بـأمر الله، وإلى الرياح وهي تقل السحاب إلى البلد الميت فإذا هو حي، وإذا الموات يؤتي من كل الثمرات، كل ذلك بأمر الله وقدرته[(١)]

"إن استقرار هذه الحقيقة في ضمير الإنسان وفي حياته يتوقف عليه كل شيء في أمـر العقيدة، كما أنه هو الذي يمد الحياة البشرية بكافة المشاعر الأخلاقية. بواعثها وموازينـها، والسلطان القائم عليها. [(٢)]

"إن هذه الإيجابية في علاقة الله سبحانه في خلائقه كلها، هي مفرق الطريـق بـين العقيدة الجدية المؤثرة، والعقيدة الصورية السلبية. وشمول هذه الإيجابية وتوحدهـا، هـي مفرق الطريق كذلك، بين التجمع في الكينونة الإنسانية والنشاط الإنساني، والتمـزق في هذه الكينونة ونشاطها الحيوي.

"وتصور الإنسان للإله، وتعلق صفاته بالحياة الإنسانية، هو الذي يحدد قيمة هذا الإلـه في نفسه، كما يحدد نوع استجابته لهذا الإله.

"واستقرار هذه الحقيقة في ضمير الجماعة المسلمة الأولى هو الذي أنشأ هذه المجموعـة الفريدة الممتازة في تاريخ البشرية كله على الإطلاق. فقد عاشوا هذه الحقيقة، عاشـوها حية في نفوسهم.. عاشوا مع الله يحسون وجوده في نفوسهم وفي حياتهم أعمق من حـس اللمس والرؤية، عاشوا في كنفه وفي رعايته وعاشوا تحت عينه وفي رقابته، والتمسوا يـده سبحانه تتدخل تدخلا مباشرا في الصغير والكبير من أمورهم.. ومن ثم صنع الله هـم في هذه الأرض ما صنع من الصلاح والعمار، ومن الرفعة والطهارة، مما لم يسبق و لم يلحق في تاريخ بني الإنسان"[(٣)]

وهكذا كان رسول الله ﷺ تجاه أصحابه -رضي الله عنهم- وهكذا، كان صحابته - رضي الله عنهم- امتثلوا أوامر الله تعالى، واجتنبوا نواهيه، واقتدوا برسولهم الكريم، وهـذا

(١)في ظلال القرآن، المجلد الثالث، ص١٢٩٥.

(٢)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٧٥-١٧٧.

(٣)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٨٢.

ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان المسلم في جميع أحواله، وفي كل الازمنة والأمكنة أن يكون ايجابيا مع نفسه وذلك بحملها على فعل الخير وبتزكيتها بطاعة الله تعالى، وتطهيرها من الأخلاق الذميمة، قال تعالى: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝ ﴾[1].

وأن يكون ايجابيا مع أهله وأسرته، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ ﴾[2].

فقوله تعالى: ﴿ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ أي اعملوا بطاعة الله تعالى واتقوا معاصيه، وامروا أهاليكم كذلك، وأمروهم بطاعة الله، وانهوهم عن معصيته. فحق على كل مسلم أن يعلم أهله من قرابته ما فرض الله عليهم وما نهاهم عنه[3].

وأن يكون ايجابيا مع اسرته، فعلى الزوجين أن يكونا ايجابيين مع بعضهما لتحقيق مصالح الأسرة، وذلك بقيام كل واحد منهما ما يجب عليه تجاه الآخر، وكذلك اتجاه أولادهما وأقاربهما. وأن يكون ايجابيا مع غيره من المسلمين وغير المسلمين، وذلك بالتعاون الخير والبعد عن الآثام[4].

قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾[5].

وأن يكون ايجابيا مع الطير والحيوان ففي كل كبد رطبة صدقة، فقد دخل رجل الجنة لأنه سقى كلبا كان يلهث من شدة العطش.

إنها الثقافة الإسلامية التي تتميز بالايجابية تشعر المسلم "أن وجوده على الأرض، ليس فلتة عابرة، إنما هو قدر مقدور، مرسوم له طريقه ووجهته وغاية وجوده، وأن وجوده على

---

(١)سورة الشمس: ٧-١٠.

(٢)سورة التحريم: ٦.

(٣)مختصر تفسير ابن كثير، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة السابعة، ١٩٨١، ٣/ ٥٢٢.

(٤)أهداف التشريع الإسلامي، دار الفرقان، عمان، الطبعة الاولى، ١٩٨٥، ص٢٥٠- ٢٥٣.

(٥)سورة المائدة: ٢.

الارض يقتضيه حركة وعملا ايجابيا في ذات نفسه، وفي الآخرين من حوله، وفي هذه الارض التي هو مستخلف فيها، وفي هذا الكون المحسوب حسابه في تصميمه، وأنه لا يبلغ شكر نعمة الله عليه في الوجود، ونعمة الله عليه بالايمان، ولا يطمع في النجاة من حساب الله وعذابه، الا بأن يؤدي دوره الايجابي في خلافة الارض، وفق شرط الله ومنهجه وتطبيق هذا المنهج في حياته، وفي حياة غيره، والجهاد لدفع الفساد عن هذه الارض التي هو قيم عليها"(١).

ومن ذلك الدعوة إلى الله على بصيرة ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ (٢).

إنها الايجابية الفاعلة التي تنغرس في نفس المؤمن فتدفعه من داخله إلى الدعوة إلى هذا الدين "يقود الخطى على درب السلامة في حب وإيثار وانسانية عالية عميقة الادراك، مرهفة الشعور، تملك من طاقات العطاء الخير، والاحسان الكبير نبعا ثرا لا ينفد"(٣).

---

(١)خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٨٩.

(٢)سورة يوسف: ١٠٨.

(٣)لمحات في الثقافة الإسلامية، ٨٤.

الفصل السابع

الانسانية العالمية

ومن خصائص الثقافة الإسلامية: الإنسانية العالمية، ونعني أنها تلائم الإنسان، كل إنسان، في جميع الأحوال والأزمنة والأمكنة، بغض النظر عن جنسه أو قومه أو لونه، فهذه الثقافة إنسانية، لأنها:

تلائم فطرة الإنسان وخلقه قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (1).

هذه الاية الكريمة تأمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن يسدد وجهه ويستمر على الدين الذي شرعه الله تعالى له من الحنيفية، ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم الذي هداه الله لها، وكملها له غاية الكمال، ويامره أن يلازم فطرته السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه سبحانه وتعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره. وقوله تعالى: ﴿ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾، لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. وفي قول آخر: معناه أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة، ولا تفاوت بين الناس في ذلك، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من مولود يولد إلا على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء، ثم يقول:﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ (2).

---

(1)سورة الروم: ٣٠.

(2)مختصر تفسير ابن كثير، ٥٤/٣.

قال ابن الأثير في قوله صلى الله عليه وسلم "كل مولود يولد على الفطرة": الفطـــر: الابتداء والاختراع، والفطرة: الحالة منه، كالجلسة والركبة. والمعنى أنه يولد على نوع مـن الجبلة والطبع المنهي لقبول الدين، فلو ترك عليها لاستمر على لزومها، ولم يفارقـــها إلى غيرها، وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد، ثم تمثل بـــأولاد اليـــهود والنصارى في اتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم عن مقتضى الفطرة السليمة، وقيل معنـــاه: كل مولود يولد على معرفة الله والاقرار به. فال تجد أحدا إلا وهو يقر بأن له صانعـا وإن سماه بغير اسمه، أو عبد معه غيره"[(١)].

فهذه الثقافة إذا إنسانية، لملاءمتها لفطرة الإنسان وخلقه، وما ركب فيه من غرائـــز واستعدادات، فهي شاملة لجوانبه المتعددة، البدنية والعقلية والروحية، وبتوازن دقيق بحيـــث لا يطغى جانب على غيره من الجوانب[(٢)] ولهذا نرى أن الإسلام كـــرم هـــذا الإنســـان، فاعترف به كله -مادة وروحا- كما فطره الله تعالى، فأمره بعبـــادة الله تعـــالى وحـــده، والتقرب غليه بأنواع الطاعات، وأمره بالسعي في الأرض والاستمتاع بما خلق الله فيـــها، وبالنظر والتفكر في ملكوت السموات والأرض، كل ذلك يوافق فطرة هذا الإنســـان في إطار ما شرع الله تعالى[(٣)].

والثقافة الإسلامية إنسانية، لأنها تلائم الإنسان، حال قدرته وضعفه، وصحته ومرضه، وحله وترحاله، فلم تكلفه أكثر مما يطيق.

وهي كذلك إنسانية عالمية، لمخاطبتها كل الناس، على اختلاف أجناسهم وأنسـابهم، ولغاتهم، والوانهم، واختلاف عصورهم وأماكنهم، فهي عالمية مناسبة للنـــاس في العـــالم باسره[(٤)] ولهذا جاء الإسلام إلى الناس كافة، قال تعالى مخاطبا رسوله محمد صلى الله عليـــه وســـلم: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَـٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[(٥)]وقـــال ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ إِلَّا

---

(١) النهاية لابن اثير ٣/ ٤٥٧.

(٢)الثقافة الإسلامية، عزمي السيد ورفاقه، منشورات جامعة القدس المفتوحة، الطبعة الاولى، ١٩٩٦، ص٨٠.

(٣)الخصائص العامة للإسلام، ص٧٦.

(٤) الثقافة الإسلامية، د. عزمي طه، ص٨٠.

(٥)سورة سبأ: ٢٨.

كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[1]، وقال: قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾[2].

ولهذا نرى أن الرسول محمدا صلى الله عليه وسلم أرسل إلى الناس جميعا، وأن الله تعالى أراد هذا القرآن بيانا لجميع الناس، وميزانا للحكم يرجعون إليه في شؤوتهم ومعالماقم[3] ذلك أن الإسلام يرى أن الناس جميعا يشكلون وحدة إنسانية، وقد تحدث القرآن الكريم في كثير من الآيات عن هذه الوحدة، وبين أنها ترتكز على دعائم ثابتة من وحدة الأصل أو المنشأ، ووحدة الدين ووحدة المسؤولية والمصير، وغير ذلك من مظاهر الوحدة الانسانية التي افتن القرآن في عرضها بألوان متعددة من التعبير قصدا منه إلى ايقاظ الضمير الانساني إلى مغازي الوحدة ليحتفل بها، ويجعل منها وشيجة إخاء وراربطة رحم تبعث على البر وتدفع إلى التعاون وتحذر من القطيعة والظلم[4] قال رسول الله ﷺ "الناس سواسية كأسنان المشط" فالناس جميعا سواء في أصل الخلقة وأنه لا تفاضل في هذا الأصل، وإنما أكرمهم وأفضلهم عند الله هو أتقاهم لله وأقربهم منه فالثقافة الإسلامية بهذا المعنى إنسانية عالمية في مقابل الترعات العنصرية أو القومية التي تفرق بين الناس في اصل خلقتهم حسب عنصرهم أو قوميتهم[5].

ومن معاني العالمية كذلك أن هذا الدين وهو الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم يجب على أمته أن تبلغه وتحمله إلى العالم كله لانقاذه مما هو فيه من الشقاوة، ولذلك كانت نظرة هذه الثقافة إلى الناس نظرة انسانية عامة[6].

---

(١)سورة الأنبياء: ١٠٧.

(٢)سورة النساء: ٧٩.

(٣) معالم الثقافة الإسلامية، ص١٢١.

(٤)أبو ليل، محمود، أسس العلاقات الدولية في الإسلام، رسالة دكتوراة جامعة الأزهر -كلية الشريعة- دار المصطفى للنسخ والطبع، القاهرة، ١٣٩٨هـ، ص١٢٤.

(٥)الثقافة الإسلامية، د. عزمي، ص٨١، نظرات في الثقافة الإسلامية ص ٢٤.

(٦)نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ٢٤.

الوحدة الرابعة

الإسلام والعلم



الفصل الأول

قضايا العلم والإيمان في الإسلام

المبحث الأول: العلاقة بين العلم والإيمان في الإسلام

إن العلم والدين ، والإيمان والتوحيد، بدأ مع آدم عليه السلام ، كما بينه القرآن الكريم، وأكدته الكتب السماوية السابقة على الرغم مما أصابها من تشويه وتحريف، والقرآن الكريم هو المصدر الوثيق في الحديث عن نشأة الإنسان الأول، وعن الفترة المبكرة جداً في حياة البشرية، وأن أحاديث العلماء، وتخميناتهم وفرضياتهم، عن النشأة الأولى هي ظنون لاتصل إلى درجة اليقين، قال تعالى: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾[1].

وإنه لمن باب العقوق والغرور أن يقرر بعض الناس أن العلم ظاهرة متأخرة في حياة الناس، وأن الدين بدأ بالخرافة والشرك، ولم يبدأ بالتوحيد، مع أن القرآن الكريم، والكتب السماوية السابقة تؤكد أن أول أسرة ظهرت على وجه الأرض هي آدم وحواء، كانت على التوحيد والإيمان بالله تعالى.

---

(١) سورة الكهف: آية ٥١.

وقد أبانت لنا النصوص القرآنية الكريمة أن الإنسان الأول قد أنزل الله تعالى عليه شريعة، قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴾[1]، وآدم عليه السلام وذريته أمة، وهو نذيرهم ومبلغهم شريعة ربهم. ثم تتابعت الرسل كما هو معلوم في تاريخ الرسالات الربانية. وبما أن العلم لم يقطع بنوعية الديانة الأولى لدى الإنسان الأول، فلا مناص من الاعتماد على الرواية الحقة الصادقة، التي بينت أصل الديانة الأولى وهي طريق الوحي. والوحي الصادق يتمثل في القرآن الكريم الذي لم يدخله ولن يدخله التحريف والتبديل، لأن الله تعالى تكفل بحفظه إلى يوم القيامة [2]. ومعلوم أنه لم توجد حقبة في التاريخ خلت فيها البشرية من الدين والرسل، حتى ختم الله تعالى الأديان والرسل برسالة محمد ﷺ، وهي الإسلام. و لم توجد فترة في حياة البشر خلت من العلم، حتى وإن تخللها الضعف في بعض فترات مسيرة البشرية الطويلة.

"وأما تعريف العلم من حيث علاقته بالإيمان: فهو محاولة بشرية لفهم الكون ورصد حقائقه، ومحاولة استيعابها عن طريق مختلف القدرات الذهنية والحسية، والاستقراء للسنن الكونية الثابتة، وللظواهر المتكررة، وهو بذلك عميلة متنامية في محاولة الوصول إلى الحقيقة المطلقة، ومنتهاها قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3] "[4].

"فليس كالعلم قوة تكشف عن توافق الحقائق الكونية مع الحقائق القرآنية، فالعلم الصادق يعمق الإيمان في النفوس، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[5]، وكم من آية معجزة في كتاب الله المنظور (الكون) نطقت به آيات كتاب الله المسطور"[6].

فالإسلام يعترف بوجود مصدرين للمعرفة، لا يقوم أمر البشرية إلا بهما معاً، ولكل مصدر مجاله واختصاصه، ولا تعارض بينهما، أما أحدهما : فهو الوحي وهو يختص بما لا

---

(١) سورة فاطر:الآية ٢٤.

(٢) انظر موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ ، ص ٤٩٢-٤٩٣. أحمد العوايشة.

(٣) سورة محمد:الآية ١٩.

(٤) مذكرة في العلم والإيمان، راشد شهوان، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة البلقاء التطبيقية، ص ١-٢، ١٩٩٧م.

(٥) سورة فصلت:الآية ٥٣.

(٦) مذكرة في العلم والإيمان ، ص٣، (المرجع السابق).

يقع تحت الحس والمشاهدة والتجربة. وعملية حصر المعرفة في أحدهما تعتبر في نظر الإسلام فكرة خاطئة ليس لها سند تعتمد عليه.

فالكنيسة عندما جعلت تعاليمها باسم الدين هي مصدر كل العلوم، فحاربت العلم والعلماء، كانت على خطأ لا يقره الإسلام، ولا يعترف به. والعلمانية عندما أهملت الدين، وضخمت الجانب العلمي من المعرفة، كانت أشد همجية وجاهلية. والإسلام لا يعرف هذه ولا تلك، ولا يقر الواقع الذي تدركه الحواس وحده، لأنه بذلك يكون قد تجاهل عالماً واسعاً كبيراً من الحقائق لا تصل إليه الحواس، ولا تصل إليه التجربة، وهو عالم الغيب، أي ما وراء الحس والطبيعة، وهو ما يعلم عن طريق الوحي الرباني"[1].

لقد كانت توجيهات كتاب الله عز وجل للمسلمين أن ينظروا في ملكوت السماوات والأرض، ويتدبروا في هذا الكون الواسع، وينقبوا عن سننه وقضاياه، كانت هذه التوجيهات هي المحرك الأول للحركة العلمية الإسلامية، التي قامت في ظل العقيدة الإسلامية، وبدافع من الدين الإسلامي، وهو عنصر تفردت به الحركة العلمية الإسلامية في التاريخ.

فالمسلمون بتوجيهات دينهم، حولوا العلم من التفكير النظري إلى التجربة العلمية، والاستنباط المبني على المشاهدة والملاحظة، وكان هذا فتحاً هائلاً في دنيا العلم – وهو باعتراف المنصفين من علماء الغرب – الذي مكن للعلم الحديث أن يقفز القفزات الهائلة في البحث والكشف، والذي أتى ثماره على يد الأوروبيين فيما بعد، حين تعلموه من المسلمين. ونستطيع أن نجمل العلاقة بين العلم والإيمان في الإسلام في الأمور التالية:

١- قامت الحركة العلمية الإسلامية بدافع من العقيدة والإيمان بالله تعالى، حيث كان العالم المسلم يؤدي العلم تدريساً، وطالب العلم يتلقاه تحصيلاً بروح الفريضة.
٢- كان العالم المسلم يزداد قرباً من الله تعالى كلما ازدادت معلوماته عن الكون، ويشعر بمقدار النعمة التي أنعمها الله عليه بتعريفه بأسرار الكون.
٣- إن العلم والإيمان بالله تعالى ليسا ندين متعاديين، كل منهما يسعى للسيطرة على حساب الآخر ورغماً عنه، ولكنهما متساندان متعاونان بلا تنازع ولا خصومة. ولم يكن العلم في الإسلام مصدر فتنة يفتن الناس عن الإيمان بالله تعالى، وعن الدين الإسلامي، ولم يفتن العلماء المسلمون بما وصل إليه علمهم،

---

(١) انظر: سقوط العلمانية، ص ٤٠-٤٥، الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها، ص ٢٧١.

ولم يكن دافعاً لهم إلى الإلحاد والشرك بالله تعالى، وإنما كان ذلك دافعاً قوياً لمزيد من الإيمان والتثبت، وقوة الثقة بدين الله والاعتصام به، فربطوا كل ما وصل إليه علمهم في ميدان التجربة العلمية، والأسباب الظاهرة في الكون والإنسان بالدين، وردوا كل شيء في النهاية إلى مشيئة الله تعالى وقدرته التي يجريها على شكل سنن وقوانين مبثوثة في الكون[1].

٤- إن العلم هو خير وسيلة هادية للإيمان بالله تعالى، إذا وجه التوجيه الصحيح، لأنه يكشف عن الحق، ويوصل إلى اليقين، ولهذا كان العلماء هم أحق بالخشية والتعظيم لله تعالى، لما يطلعهم الله عليه من سنن الكون التي جعلها في خدمة الإنسان، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ ﴾[2].

٥- إن الإسلام وإن كان يشجع العلم، ويدعوا إليه، ويحفز الإنسان لطلبه، ويحترم العلماء، ويجعلهم في مرتبة ورثة الأنبياء، إلا أنه لا يسمح أن يصل الأمر بالعلماء إلى درجة الطغيان والإلحاد، وأن يصبح العلم، إلهاً يعبد من دون الله. ولا يقر الإسلام للعلم بالعصمة، ولا بالقدرة على الوصول بالإنسان إلى المعرفة القصوى، التي ترتب عليها الحرية القصوى، المعرفة المسلمة بكل شيء، والمؤدية إلى القدرة على كل شيء، كما يريد الذين هزقم نشوة الانتصارات العلمية في العصر الحديث، فأدى بهم إلى الشرك والوثنية، وإنكار كل ما جاءت به الرسالات السماوية، من أفكار ومعتقدات دينية يتعذر إخضاعها لوسائلهم وعلومهم، واعتبارها وهماً وخرافة لا وجود لها.

٦- إن حياة الإنسان لا تستقيم إلا باستكمال شعاب العلم الشرعي، والعلم الطبيعي، فالشريعة تهدي الإنسان، وتضبط حياته، ويزيده علمه العقلي هدى وعبادة، وإلا فهو يوشك أن يجعل من اكتسابه العلم الطبيعي والتقوي به غاية في ذاتها، فيؤدي به الأمر إلى عبادة العلم من دون الله تعالى، ويصير عبداً ذليلاً مسخراً في طاعة المادة الصماء[3].

---

(١) انظر: الإيمان وأثره في حياة الإنسان، حسن الترابي، دار القلم، الكويت، ط٣، ص ٢٥٨-٢٥٩، سقوط العلمانية، أنور الجندي، ط١، ص ١٠٩-١١٢، ١٥٦، الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها، ص ٢٧٥.

(٢) سورة فاطر:الآية ٢٨.

(٣) انظر المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

المبحث الثاني

الأسس الإسلامية للعلم

١- يقدم الإسلام منهجا متكاملا يقوم على التوفيق بين حاجات الإنسان الفطرية جميعها، فيجعل منه كائنا بشريا متزنًا ومنسجما مع الواقع المادي من حوله، فلا تعارض في فطرة الإنسان السوية بين نزعة العبادة، ونزعة المعرفة، ولا بين الإيمان بالغيب، والإيمان بما تدركه الحواس، ولا تنازع ولا خصومة بين الدين -المحتقر المنبوذ في نظر العلمانية- وبين العلم المقدس فيها، فالعالم المسلم لا يصرفه العلم عن الدين، ولا يصرفه الدين عن العلم[1].

٢- إن اقتصار العلم على الماديات والمحسوسات دون الغيبيات، لا تعتبر عيبا ولا خللا ولا نقصانا فيه، ولا تضييقا عليه من وجهة النظر الإسلامية، لأن هذا في الأصل هو مجاله واختصاصه، وهذه حدوده، فالعلم منهج صحيح وسليم لمعرفة المادة بأساليبه وقوانينه وقواعده، ولكنه ليس منهجا صالحا لمعرفة ما وراء المادة، فالعلم كان وما زال قاصرا أن يحيط بما هو مخصص فكيف يتجاوز حدوده لينفي أو يثبت شيئا ليس من اختصاصه، قال تعالى :﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2]. فمهما تقدم العلم البشري، وتطورت أساليبه، واتسعت آفاقه، فإنه يبقى محدودا لا يستطيع أن يحيط بكل شيء، وعليه أن لا يتجاوز حدوده[3].

٣- "لقد كانت الخطوة الأولى التي شيدها الإسلام في بناء الفكر، أنه أولى العلم والعلماء عناية كبرى، فقد نزلت أولى آيات القرآن الكريم تكريما للعلم، وتعظيما

---

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، ص ٤٧٩، ٥١٧-٥١٩، الإيمان وأثره في حياة الإنسان، ص ٢٦١، الوثنية المعاصرة وموقف الإسلام منها، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٢) سورة الإسراء:الآية ٨٥.

(٣) انظر: الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط١٢، ص ٣٢٨-٣٣٠.

لوسائله وأدواته، قال تعالى : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝ ﴾ [1]، فكانت هذه الآيات القرآنية الكريمة أول انطلاقة حاسمة لإنهاء عهد الأمية البشرية، وبدء عهد التعليم الناضج الذي يستخدم كافة الملكات والطاقات... لقد كانت العناية بالعلم جزءا لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها القرآن الكريم، حيث جعله أساس الإيمان، قال تعالى : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2]، وبين القرآن الكريم أن إدراك معانيه لا يتسنى إلا للعلماء، وأن العلماء بما يصلون إليه من علم وتدبر وإيمان هم الأعظم إجلالا لله تعالى والأشد خشية منه، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[3] "[4].

وقد جعل القرآن الكريم شهادة العلماء في أكبر مسائل الفكر، وهي مسألة وجود الله ووحدانيته وأحقيته بالعبادة ، بأن تقرن بشهادة الله تعالى لنفسه والملائكة له بذلك،قال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ ﴾ [5].

كما جعل القرآن الكريم العلم من المسؤوليات الكبرى، وجعل كتمانه، يستوجب المؤاخذة والعقاب، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ۝ ﴾ [6].

وفي القرآن الكريم نصوص كثيرة تبين رفعة العلم، ومكانة أهله، لا يتسع المجال لحصرها[7]، ويكفينا من العقد ما أحاط بالرقبة[8].

---

(١) سورة العلق:الآيات ١-٥.
(٢) سورة محمد:الآية ١٩.
(٣) سورة فاطر : الآية ٢٨.
(٤) انظر: الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، ص ٦٢، راشد شهوان، رسالة ماجستير قسم الثقافة الإسلامية، كلية الشريعة ، الرياض، ١٩٨٧ ، ص٦٢ وما بعدها.
(٥) سورة آل عمران:الآية ١٨.
(٦) سورة البقرة:الآية ١٥٩.
(٧) إن تمجيد القرآن الكريم للعلم وأهله، وضخامة هذه المادة في القرآن الكريم كبير جدا، حيث وردت كلمة العلم واشتقاقاتها نحو ٨٨٠ مرة، انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، ١٩٨١م، ط٢، ص ٤٦٩-٤٨١.
(٨) مذكرة في العلم والإيمان، ص ٦٣-٦٤. (مرجع سابق)

وفي السنة النبوية فيض عظيم من الأحاديث النبوية الشريفة، التي تأمر بالعلم وتحض عليه، وتعلي من قدره ومكانة أهله، فقد جعله الرسول ﷺ بمثابة النور الذي يهدي به الناس، وينير لهم السبل، وجعله ﷺ فريضة تؤدى كما تؤدى الصلاة والصيام والزكاة، قال ﷺ: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"(١). كما وردت آثار وأخبار عن سلف الأمة، وأئمتها في فضل العلم وأهميته ومكانة أهله. وقد تحدث العلماء عن طرق تحصيله واكتسابه، وبيان آدابه وشروطه ومجالسه، ولهم في هذا الباب ذخائر لا تحصى، ولا يتسع المجال لذكرها(٢)، وليس من شك في أن تلك الدعوة العلمية كانت السبب الأول التي دفعت العقول نحو الحضارة والازدهار(٣).

والمسلمون هم أول من عرف أسلوب التجريب في العلم، وكان ذلك بدافع من الدين الإسلامي الذي شجع العلم، وقدر العلماء، ودعا إلى التأمل والتفكر والتجريب، وأوروبا مدينة لهم بذلك(٤).

ولكون الإسلام مشجعا للعلم على أساس البحث والتجريب والتثبت واليقين، فهو لا يقر الظنون والشكوك والتخرصات، وينفي كل الاعتقادات الباطلة التي لا سند لها من العلم أو الشرع، وتتنافى مع المنهج العلمي الصحيح، فهو يحارب الخرافات والأوهام، والكهانة والسحر والتنجيم، والشعوذة وتحضير الأرواح، والتبرك بالأحجار والأشجار، ويبطل جميع التصورات الباطلة عن الكون والإنسان والحياة، ويحرر الناس من أسر الخرافات التي تردت فيها البشرية فترة طويلة من الزمن، ويرفع عنهم العوائق التي تعيقهم عن ممارسة الفهم الصحيح، والتفكير المستبين(٥). وكانت أولى مهام النبي ﷺ أنه :

---

(١) سنن ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٢، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، ص ٨١، رقم ٢٢٤.

(٢) انظر: على سبيل المثال مفتاح دار السعادة لابن القيم، الجامع لأخلاق الراوي والسامع للخطيب البغدادي، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، أدب الدنيا والدين للماوردي وغيرها.

(٣) انظر : الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي ، ص ٦٥.(مرجع سابق)

(٤) انظر الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة عمر فروخ، دار العلم للملايين، بيروت، ص ٧٠-٧١، مذكرة محاضرات في العلم والإيمان، ص ٦٥-٦٦، الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٥) الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها، ص ٢٧٦.

﴿ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (١).

لا يقر الإسلام المبدأ الوثني الذي يسير فيه العلم في الجاهلية المعاصرة، وهو "العلم للعلم" أو "المعرفة للمعرفة" لأن العلم أو المعرفة في الإسلام موجهان في سبيل تقوية الإيمان بالله تعالى، وإقامة العبودية الكاملة له. ولم يكن طلب العلم لذاته هدفا ولا غاية في نظر العلماء المسلمين، بل كان طلبهم للعلم في طاعة الله ورضاه، ليزداد الذين آمنوا إيمانا، ويستيقن المتشككون، ويهتدي الضالون الحائرون". (٢)

ثمرات العلاقة بين العلم والإيمان في الإسلام:

إن العلم في الإسلام أداة ضرورية من أدوات عمارة الأرض، والسعي وراء الرزق، والقيام بدور الخلافة في الأرض، لذلك فهو مسخر لهذه الأهداف، وليس هو هدفا في حد ذاته، فالعلم عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى ويبتغي بها مرضاته. وحين يكون العلم في الإسلام على هذا النحو ينتج عنه ما يلي:

١- إن العلم لا يمكن أن يكون عدوا للدين:

إن العلم والدين كلاهما نزعة فطرية في كيان الإنسان، والنزعتان -في الفطرة السليمة- أصيلتان ومتكاملتان ومتعاونتان في تحقيق الوجود الصحيح، والرغبة في المعرفة والرغبة في التفاعل مع الكون المادي، واستخدام ثمار المعرفة في تيسير الحياة وتحسينها وتجميلها فطرة كذلك، فالإنسان مفطور على حب "المتاع" وعلى السعي إلى تحسين وسائل المتعة، حتى ترتفع من الضرورات إلى الحاجيات إلى الزينة، فما الذي يجعل إحدى النزعتين في موقف الحرب والتضاد مع النزعة الأخرى؟

لقد ضلت الجاهلية الأوروبية الحديثة حين فصلت العلم عن الدين، ووضعتهما موضع التقابل والتضاد، فمن أراد العلم فليترك الدين، ومن أراد الدين فليترك العلم، وأججت البغض في العلاقة بين العلم والدين، حتى أصبح الأمر في حسها كما يقول

---

(١) سورة الأعراف : آية ١٥٧.

(٢) انظر المصدر نفسه ، ص ٢٧٥، الإيمان وأثره في حياة الإنسان ٢٥٨-٢٥٩، سقوط العلمانية، ص ١٠٩-١١٢، ١٥٦، مذكرة في العلم والإيمان، ص ٦٦-٦٧.

الكاتب الملحد "جوليان هكسلي" في كتابه "الإنسان في العالم الحديث"، "إن الإنسان كان يخضع لله في عصر الجهل والعجز، أما الآن وقد تعلم وسيطر على البيئة، فقد آن له أن يحمل على عاتق نفسه ما كان من قبل في عصر الجهل والعجز يلقيه على عاتق الله ثم يصبح هو الله"(١) تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً.

لقد استخدمت العلم –متعمدة– في محاربة العقيدة بترويج أضاليل ليس لها وجود حقيقي، ولا مدلول علمي، كالطبيعة الخالقة، والمادة أزلية أبدية بغير برهان علمي(٢)، وكالأنباء التي تنتشر بين الحين والحين في المجلات العلمية الرصينة عن خلق الخلية الحية في المعمل، ثم تنشر الصحف الرصينة ذاتها بعد فترة من الزمن أن الخبر كان غير صحيح(٣).

ويظل للحركة العلمية الإسلامية تميزها بصحة المنهج واستقامته، وأخذها الإنسان على حقيقته الشاملة، كلا مترابط الأجزاء، متناسق النشاط، يعمل بجميع نزعاته، ومجالات نشاطاته في اتجاه موحد، لا تصطدم فيه نزعة بنزعة، ولا يتعارض مجال للنشاط مع مجال آخر، لأنها كلها متجهة إلى عبادة الله تعالى بالمعنى الواسع، وتشمل كذلك رفع الإنسان إلى مكانة اللائق به، ودوره المنوط به، وهو حمل "الأمانة" التي أشفقت من حملها السماوات والأرض، وحملها الإنسان(٤).

٢– إن العلم في الإسلام لا يكون وسيلة لإفساد الأخلاق:

ما دام أن العلم نشاط بشري، والنشاط البشري كله في المنهج الرباني الإسلامي، محكوم بالميثاق الأخلاقي المعقود بين الإنسان وربه، فإنه لا يمكن بداهة أن يستخدم في إفساد الأخلاق. والجاهلية الأوروبية المعاصرة أنموذج فذ للتقدم العلمي، ولاستخدام العلم كذلك في إفساد الأخلاق، كما استخدمته في محاربة العقيدة سواء بسواء، وعلى سبيل المثال استخدام وسائل منع الحمل وخصوصا في صورة حبوب، وإنتاجها على نطاق واسع، وأكبر بكثير من حاجة البشرية الراشدة، وتخفيض أسعارها حتى تصبح في متناول أي فتاة تريد أن تحصل عليها، والهدف من ذلك واضح، فحين تأمن الفتاة نتائج اتصالاتها

---

(١) نقلا عن واقعنا المعاصرة، ص ٩٥–٩٦.

(٢) انظر المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٣) انظر المصدر نفسه ، ص ٩٦.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ٩٦–٩٧.

غير المشروعة، فما الذي يمنعها – في الفوضى الضاربة أطنابها في الجاهلية المعاصرة– أن تغرق في هذه العلاقات إلى آخر المدى.

واستخدم العلم في إفساد الأخلاق كذلك في السينما والإذاعة والتلفزيون والفيديو والانترنت، وما يمكن أن يجد من هذه الأشياء، التي كان بالإمكان استخدامها في هداية البشرية، وتوجيهها الوجهة الصالحة. إنها تستخدم اليوم للإفساد المتعمد الذي تجاوز في كثير من الأحيان دائرة الإفساد الخلقي بمعناه الاصطلاحي، إلى إفساد الفطرة الإنسانية ذاتها، بإشاعة التفاهة والضحالة والسطحية والجزئية، وشغل النفس عن معالي الأمور، وتوجيهها إلى سفاسفها(١).

٣- لا يكون العلم في الإسلام وسيلة للشر:

إن الإنسان كله في المنهج الإسلامي موجه إلى عمل الخير، ومراقبة الله تعالى في كل أعماله، والتوجه بكل ذرة من نشاطه إلى الله تعالى. والعلم جزء من نشاط الإنسان ، وهناك حاجز عقيدي وأخلاقي يمنع من استخدام ثمار العلم في الشر، ولأجل ذلك اتجهت الحركة العلمية الإسلامية إلى البحث عن الحقيقة، وتسخير العلم وثماره لما ينفع الناس، وحافظت على عقائد الناس وأخلاقهم لأنها جزء من هذا الدين، محكوم بالمنهج المنزل من عند الله تعالى. والجاهلية المعاصرة هي التي تستخدم العلم في الشر، فسباق التسلح في العلم خصوصاً النووي، وإنفاق الأموال الطائلة عليه، وما أحدثه من ألوان الشر والرعب، مما يعجز الإنسان عن تصوره، كانت هذه الأموال كفيلة برفع الفاقة والعوز عن البشرية كلها، وتوفير وسائل الحياة الكريمة لمجموعات ضخمة من البشر، تعيش أدنى درجة الآدمية(٢).

---

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ٩٧-١٠٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٩٧-١٠٠.

المبحث الثالث

آيات الله في النفس والآفاق

إن المتأمل في النفس الإنسانية وما فيها من إتقان في الصنعة، يجزم قطعاً أن هذا الإتقان وهذه العناية الفائقة به، والتركيبات الدقيقة التي كونته لم تكن عبثاً، ولم تأت بمجرد صدفة، لأن الصدفة لا تكون عامة شاملة، ولا تكون متكررة مضطردة، بل تأتي حسب مدلولها مصادفة، والمصادفة تعني الندرة في الحدوث، وعدم التكرار، إذ لو تكررت لما سميت بهذا الاسم، ولاختلف المسمى والمدلول.

ولو بدأنا مثلا بأبسط مكونات الإنسان –الحيوان المنوي- لوجدنا أن خلق الإنسان لا يمكن أن يأتي مصادفة، أو يأتي كيفما اتفق، فدور الوالدين يتمثل في عملية النقل والانتقال بالنطفة، أما كيف خلقت النطفة ، ومن خلقها؟ فلا يمكن إسناد ذلك للأب ولا للأم، إذ يجهلان حقيقتها على البداهة، ومن جهل شيئا لا يمكن أن يكون موجدا له. كما لا يمكن لهذه النطفة أن تكون خلقت نفسها، إذ لو استطاعت ذلك لاستطاعت بداهة أن تنتقل في غير ما أعدت له من مكان، والعاجز لا يخلق نفسه، فتعين على البداهة أيضا، أن يكون لهذه النطفة خالق أعطاها صفات معينة، وقدرة معينة على النمو والتكيف في الجسم، هي في الأصل غريبة عنه، ليتكون الوجود البشري الذي هو الإنسان[1]، وإلى هذا أشار الله تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠ ﴾[2]. لقد أودع الله تعالى في الإنسان ما يستطيع به إدراك الحقائق الكبرى في الوجود ، قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝٧٨ ﴾[3] ، وندبه للقيام بمهمة التعرف على هذه الحقائق التي يراها الحس

(١) انظر الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، مكتبة مصر، ط٢، ص٥٤.

(٢) سورة القيامة:الآيات ٣٦-٤٠.

(٣) سورة النحل:الآية ٧٨.

والعقل والوجدان في الأنفس والآفاق وفي كل شيء، قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[1] ، ففي الأرض آيات للمؤمنين، وفي السماء مثل هذه الآيات وأعظم ، قال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[2].

ولا تقف قدرة الله سبحانه وتعالى عند تكوين الإنسان فقط، ولا النظر والتفكر والتدبر في آياته العظمى في نفس الإنسان، بل تعدته إلى تنظيم حياة الكائنات الحية الأخرى، من حيوانات وطيور ونباتات، وإعطاء كل جنس من هذه الأجناس المواصفات الخاصة لحفظ نوعه، سواء من حيث تكوينه الداخلي، أم من حيث نظام حياته الخارجي[3].

وما دام هذا الكون بما فيه من مخلوقات بشرية وحيوانية ونباتية، محاطا بنظام دقيق، وبعلاقات واضحة محددة.

فلا يمكن إلا القول بأن وراء هذا النظام إلها منظما، وهذا التقدير ربا مقدرا، هو الخالق المقدر المريد العليم، وهو الله سبحانه وتعالى، الذي لا إله غيره، ولا رب سواه [4].
« وقد نبه القرآن الكريم إلى جوانب علمية شتى فيما يتعلق بهذا الكون، وأكثر من الإشارة إليها، لكي يجعلها العلماء موضع اهتمامهم ودراساتهم العلمية فمن ذلك:-

أ- تشير آيات كثيرة في القرآن الكريم، مثل قوله تعالى:﴿ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾[5]، فكل شيء خلق بالحق، ونظم تنظيما دقيقا، وكل ما يكتشف من أسرار هذا الكون إنما هو اهتداء إلى قوانين الله الحقة، وكل طاقة علمية يهتدي إليها البشر، إنما تقدم دليلا على قدرة الله تعالى".[6]

ب- يوجه القرآن الكريم الأنظار إلى قاعدة عريضة من القواعد العلمية التي ترد في آيات الله العظيمة في مسألة تسخير الكون، لكي يمارس الإنسان دوره في عمارة

---

(١) سورة فصلت:الآية ٥٣.
(٢) سورة الذاريات:الآيتان ٢٠-٢١.
(٣) انظر العقيدة الإسلامية، راجح الكردي وآخرون، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، عمان، ١٩٩١م، ص ٣٧-٣٩، معالم الثقافة الإسلامية، ص ١٦.
(٤) انظر العقيدة الإسلامية، راجح الكردي، وآخرون ، ص ٤٠.
(٥) سورة الروم:الآية ٨.
(٦) الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي،ص٦٧.

الأرض، واستخلافه عليها، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (1)، ولقد أراد الله تعالى من هذا التسخير أن يربي الإنسان على التفكير والتدبر في حكمته وعنايته بخلقه، لتكون صلتهم به صلة إيمان وعبادة، وشكر وطاعة، ولتكون صلتهم بالكون صلة استثمار وانتفاع بالمعاش والعمران(2). وبهذا التوجه للقرآن الكريم ولأغراضه استعمر المسلمون الأرض، واستثمروا ما في الكون ، وكشفوا ما فيه من حقائق علمية، لأنهم أدركوا أن ذلك سيساعدهم على اتباع سنة الله، ويعينهم على الاستفادة من مخلوقاته حسب رضاه سبحانه وتعالى. وبهذا أوجد المسلمون المناخ للابتكار والإبداع، وغرسوا النواة الطاهرة للمعرفة، وبحثوا عن العلم النافع، ووجهوا ما في هذا الكون من قوانين لمصلحة العباد التي تقود إلى رضا الله سبحانه وتعالى(3).

ج- أشار القرآن الكريم إلى هيئة الأشياء، وتركيبها وصفاتها، وكيفية وقوع الظاهرات الكونية، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(4) ، وتأتي في القرآن الكريم أساليب أخرى من التعبير توجه النظر إلى أسرار الكون، وتسمح بكثير من الاستدلالات العلمية، ومن هنا ينبغي علينا أن نجتهد في دراسة ما ينبه القرآن الكريم إليه الفكر من آيات ولفتات علمية في الأنفس والآفاق، بما يمكن أن نصل إليه من علوم جديدة بالأشياء تتيح لنا استخدامها في مصالح الحياة(5).

---

(1) سورة الجاثية:الآية 13.

(2) انظر: المصدر نفسه، ص 69.

(3) انظر نظام الإسلام العقيدة والعبادة، محمد المبارك، دار الفكر بيروت، 1980م، ط2، ص 58-64، وانظر: الأصالة والتجديد، ص 70-71.

(4) سورة الروم:الآية 50.

(5) الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، ص 69.

المبحث الرابع

أسباب الجفوة المفتعلة بين العلم والإيمان

يمكننا أن نوجز أهم الأسباب التي عملت على افتعال المشكلة بين الدين والعلم على النحو التالي:-

أولاً: الصراع بين الكنيسة والعلم:

لم تكتف الكنيسة الأوروبية بفرض سلطانها على أرواح الناس وأجسامهم وأموالهم، واحتفاظها لنفسها بالأسرار التي لا تناقش، والعقيدة التي لا تفهم، بل تعدى سلطانها على العقل والأفكار، خوفاً على بنائها من الانهيار، أمام صوت الحق القادم من بلاد المسلمين وحضارتهم، وقد ارتكبت الكنيسة خطأين فادحين في وقت واحد:

أ- تحريف حقائق الوحي وخلطها بكلام البشر، وهذا الخطأ أدى إلى تسرب الخرافات الوثنية، والمعلومات البشرية إلى كثير من تعاليم النصرانية، إذ جعلتها الكنيسة عقائد إلهية تدخل في صلب الدين وصميمه، وعدت الكفر بها كفراً بالوحي والدين.

ب- فرض الوصاية الطاغية على ما ليس داخلاً في دائرة اختصاصها، وهذا الخطأ نشأ عن ضيق صدر الكنيسة بما يخالف تعاليمها المزوجة، وإصرارها الأعمى على التشبث بها، فكان الامتداد الطبيعي للطغيان الديني طغياناً فكرياً عاماً، وحاسبت الناس ليس على معتقدات قلوبهم فحسب، بل على نتائج قرائحهم وبنات أفكارهم، وتوهمت أن في قدرتها أن تملك ما لا تستطيع أي قوة طاغية أن تحتكره، وهو الحقيقة العلمية فيما يتعلق بالتجربة المحسوسة، أو النظر العقلي السليم، وبذلك أقحمت الكنيسة نفسها في متاهات كانت غنية كل الغنى عن عبورها، وأثارت على نفسها حرباً ضروساً لا هوادة فيها. وبما أن الدين بصفته الإلهية لم يدخل المعركة فإن الأصح أن نسمي ما حصل في الغرب صراعاً بين

الكنيسة والعلم، وليس بين الدين والعلم. وأول عمل مارسته الكنيسة في هذا المجال هو احتكارها للعلم، وهيمنتها على الفكر البشري بأجمعه[1].

لقد كان من سوء طالع الكنيسة أن النظريات الكونية والعلمية سبقت النظريات الإنسانية في الظهور، والنظريات العلمية أثبتت مشيئة الله تعالى بمرور الأيام صحتها إجمالا، بخلاف النظريات الأخرى، وبذلك قدر للكنيسة أن تصطدم بالصحيح قبل الزائف، فلما خسرت معركتها أمام الصحيح سهلت هزيمتها أمام الزائف[2].

إن الإسلام لم يعرف تلك النظرة الكريهة بين الدين والعلم، ولا العداوة بين البشر وخالقهم، وإنما ينظر الإسلام وعلماء الإسلام إلى الاكتشافات الكونية، والابتكارات العلمية، على أنها أدوات تعزيز للإيمان، وتوجيه للعقول في الاهتداء إلى الله تعالى. ونحن لا نبرر كفر أوروبا وإلحادها برب العالمين، ولا تمردها على شريعة الله، ولا نبرر كذلك غطرسة رجال الكنيسة، ولا غرور العلماء الذين استخدموا العلم في الإلحاد والشر والفساد والإفساد في الأرض [3].

ثانيا:- النظريات العلمية المؤقتة:

إن كثيرا من العلماء حين يصوغون نظرياتهم يقيمونها على أسس نسبية غير جازمة، ويعلمون بإمكان تغيرها أو تعديلها، وعلى سبيل المثال تعصب بعض الناس لنظرية دارون، على الرغم من قول دارون في تقييم نظريته: "إن هنالك حلقة هامة مفقودة في السلسلة العضوية التي تصل الإنسان، وأقرب الحيوانات الحية إليه" وقال أيضا: "إن مسألة الحياة خارجة عن نطاق العقل، ويستحيل أن يكون هذا العالم قد صدر عن طريق الصدفة، لأن الصدفة لا تخلق نظاما ، ولا تبدع حكما، وذلك عندي أكبر دليل على وجود الله" [4]. لقد ألغيت كثير من النظريات العلمية، وعدلت نظريات أخرى، ولا زال السخفاء لا

---

(١) انظر: العلمانية، ١٤٥-١٤٧، محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص ٥٠.

(٢)انظر معالم تاريخ الإنسانية ، ج١، ص ١٦، العلمانية ص ١٤٨.

(٣) انظر دراسات في الثقافة الإسلامية، رجب سعيد شهوان وآخرون، مكتبة الفلاح - الكويت، ١٩٨٠م، ط١، ص ٤٨-٤٩، محاضرات في الثقافة الإسلامية ، ص ٥١.

(٤) بين الدين والعلم، عبد الرزاق نوفل، دار الشعب، ص ١٢٥.

يعرفون ولا يتابعون"[1]. ومع ذلك لم يصل العلم الصحيح إلى حقيقة علمية واحدة تنافي الدين الإسلامي، أو تعارض القرآن الكريم.

ثالثا:– الجهل الديني والعلمي:

من أسباب افتعال الخصومة والجفوة المفتعلة بين العلم والإيمان، إنكار بعض المتدينين لبعض حقائق العلم ظنا منهم أنها تتنافى مع الدين، مثل إنكارهم التفسير العلمي لتكوين الغيوم، ونزول المطر، وغزو الفضاء، ونحو ذلك، مع أنهم لم يقفوا على علوم الفلك، وفضاء الكون. وفي الطرف الآخر فريق من العلماء يتسرع في إنكار بعض الحقائق العلمية التي سبق الدين العلم في الإشارة إليها، فيسخفها ويعتبرها خرافة ، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ ﴾[2] ، فقد كان العلم يقول إن الماء يطفئ النار، فكيف يصبح الماء نارا؟ وبقي العلماء في موضع الشك من هذه الآية، حتى تمكنوا أخيرا من إثبات هذه الحقيقة بفعل عمليات كيميائية معقدة [3].

والأمثلة كثيرة على هؤلاء وهؤلاء، وهذا من قصر النظر، بل من الجهل والغرور، فإن التكذيب بما لم يحط الإنسان بعلمه، أو لم يأته تأويله خطأ لا يجوز أن يرتكبه الراسخون في العلم[4].

رابعا:– اختلاف المنهج العلمي:

إن ظهور المنهج العلمي الغربي الذي يقوم على التجربة والبرهان العلمي، ولا يؤمن إلا بالمحسوس والمشاهد، أدى إلى نتائج سلبية دفعت بعض العلماء والباحثين إلى اعتبار مسائل الغيب من الخرافات والأوهام. ولكن المنهج العلمي الإسلامي يقوم على الإيمان بالمحسوس والمشاهد، كما يقوم على الإيمان بمسائل الغيب، التي هي فوق إدراك العلم والعقل، ولا سبيل إلى معرفتها إلا بنصوص الوحي الصحيحة. وعلى هذا فالحقائق الغيبية

---

(١) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٥٠.

(٢) سورة التكوير:الآية ٦.

(٣) انظر : بين الدين والعلم، ص ١٣٣.

(٤) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٥٠-٥١.

ثابتة في نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة تماماً كثبوت الحقائق المادية الثابتة بالحس والتجربة.

إن على الفكر الغربي أن يعدل من منهجه، فقد أصبح العلم الحديث يعترف بنوع من مسائل الغيب في الكون والحياة، وأخذ يسلم بأن وراء كل مرحلة يقطعها من عالم الشهادة مراحل أخرى من عالم الغيب، بل إن كثيراً من العلماء يعترفون بأنهم محاطون من كل جانب ببحر لجي من الأسرار الغامضة[1].

خامساً:من الأسباب التي شجعت العداء بين العلم والإيمان، السياسات التي وضعتها بعض الدول والأحزاب الهدامة لمقاومة الدين والعمل على تجميده وتدميره، لأن الدين لا يقبل الدكتاتورية، وحكم الفرد المطلق، والطغيان، وإثارة الخلافات العنصرية ، واستغلال الفقراء، والجهلة وعوام الناس، ونحو ذلك من التصرفات السيئة، ولا يقرها، بل يحاربها. فالشيوعيون قبل زوالهم كانوا محتاجين إلى أصنام من الفقراء والضعفاء يقفون خلف الآلات يصفقون لقادتهم باستمرار. والرأسماليون محتاجون إلى عبدة الجنس من الجهلة والمخدرين لتسيير مصانعهم، وقنطرة أموالهم. إلا الإسلام فإنه يرتفع بأبنائه إلى صعيد الحرية والكرامة، ويغرس في كيانهم مشاعر الاعتزاز بالله تعالى[2]. وسيبقى العلم الصالح والنافع من أفضل القربات إلى الله تعالى، وأحسن ما يثاب عليه الإنسان.

---

(١) انظر : محاضرات في الثقافة الإسلامية، ص ١٢-١٣.

(٢) انظر: دراسات في الثقافة الإسلامية ، ٤٩.

الفصل الثاني

قضايا طبيعة معاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية



المبحث الأول

التداوي والوقاية والصحة في الإسلام

أولاً: نظرة الإسلام إلى التداوي والأخذ بالأسباب.

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون لكل شيء سبب ، فالأمراض التي تصيب الإنسان لا بد لها من أسباب، فإذا أردنا التخلص من هذا المرض كان لا بد من معرفة سببه، وإزالة هذا السبب.

وبذلك السبب يزول المرض، ويعود الإنسان سليماً معافى، لانتظام الترابط بين الأسباب والمسببات، حيث ربط رسول الله ﷺ بين المرض والعلاج، وبين أنه لا يوجد مرض إلا وله علاج، ولا يوجد داء إلا وله دواء، قال رسول الله ﷺ : "لكل داء دواء، فإذا أصاب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى "[1]، ومعنى الحديث أن الله تعالى حين قدر الداء، قدر له الدواء، وأن المريض إذا أخذ هذا الدواء متبعاً جميع شرائط تناول الدواء، فإنه يبرأ بإذن الله تعالى[2]. وإن عدم وصول الأطباء إلى معرفة بعض الأدوية لبعض الأمراض المستعصية، لا يعني أنه لا علاج لها على الإطلاق، لكن قدرات الأطباء والعلماء المختصين في علم الأدوية العقلية والعلمية لم تتوصل إلى كشف الدواء المناسب لها.

---

(١) المسند، الإمام أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤٠٥هـ، ج٣، ص ٣٣٥.

(٢) انظر دراسات في الثقافة الإسلامية، ص ٤٥٣.

ثانياً: عناية الإسلام بالجسم:

عني الإسلام عناية كبيرة بالجسم، وتتمثل هذه العناية في طرق متعددة منها:-

أ- النظافة:

شرع الإسلام النظافة، ودعا إليها في مواقف كثيرة منها: الوضوء، والغسل، وغسل اليدين قبل الطعام وبعده، وبعد الاستيقاظ من النوم، لأن الإنسان لا يعلم أين باتت يده أو أين أصبحت، ونظافة الفم والأسنان، وذلك باستعمال السواك في مواقف متعددة، بعد الوضوء، وفي الصلاة، وعند قيام الليل، وغير ذلك، ويجوز استخدام الفرشاة ومعجون الأسنان، وكذلك المضمضة في الغسل والوضوء، وتدليك الأسنان بالأصابع أثناء الوضوء، وجعله من السنة. كما حث الإسلام على نظافة الرأس، وتكريمه والعناية به، بغسله وتسريحه، وقد شبه النبي ﷺ التاركين شعورهم دون عناية أو رعاية بالشياطين في هيئتهم. كما حث الإسلام على لبس الثياب النظيفة، والاهتمام بزينة المسلم. ولا شك أن الثياب الجميلة والنظيفة لها فوائد عديدة منها، حفظ الصحة، وكرامة من يتجمل بها في نفوس الناس، وإظهار نعمة الله تعالى على لابسها. والمؤمن يثاب على كل ما هو محمود من هذه الأمور بالشكر عليها.

ب- الرياضة:

عني الإسلام بالرياضة لأنها تعطي الجسم قوة وحيوية، والمسلم مطلوب منه أن يكون قوياً في بدنه، حتى يقوم بحق الله عليه في الصلاة والصيام والحج والجهاد في سبيل الله، والاستعداد للجهاد بالتدريب على السلاح، وألوان الرياضة المختلفة التي يتاح له ممارستها، مما لا يتعارض مع أحكام الشريعة الإسلامية. وقد أرشد النبي ﷺ إلى الرمي، والسباحة، وركوب الخيل، والجري، والمصارعة ، ونحو ذلك من ألوان الرياضة التي كانت تمثل القوة في تلك الفترة وما تزال، وهكذا وضع النبي ﷺ الأسس التي تنشئ المسلم القوي الشجاع، الذي يكون عدة للوطن، وفخراً للأمة[1].

---

(١) انظر المصدر نفسه، ص ٤٥٧-٤٦٦.

جـ- عناية الإسلام بالجسم عن طريق الرخص:

الرخص في اللغة: اليسر والتخفيف، وأما في الاصطلاح فهي: اسم لما شرع من الأحكام لعذر تخفيفا وتيسيرا على أصحاب الأعذار.

إن الإتيان بالرخص وإن كان أمرا تعبديا، إلا أن فيه حكمة أخرى، ألا وهي المحافظة على صحة المسلم، وإبعاده عن الأمراض، وإنقاذه من المهالك، وتوفير كل السبل التي ترفع من مستواه الصحي، وتشمل الرخص المرأة والرجل على السواء، ومن هذه الرخص على سبيل المثال لا الحصر:-

١- **التيمم**: فلو أصيب إنسان بمرض جلدي، أو أي مرض، أو جراحة في جسمه، أو أي عضو من أعضاء الوضوء، وأخبره الأطباء الثقات بخطورة استعمال الماء، لأنه سيزيد من علته، أو يؤخر شفاءه،جاز له أن يتيمم، أو يمسح على الجبيرة، ونحو ذلك من الرخص في الغسل والوضوء.

٢- **الفطر في رمضان** : رخص الإسلام للمسافر والمريض، الرجل والمرأة، الفطر في رمضان، وإعادة ما أفطرا بعد العودة من سفرهما، أو شفائهما من مرضهما، فالمريض بحاجة إلى الغذاء والدواء للقضاء على المرض، والصيام يضعفه ويؤخر الشفاء، ويزيد من مرضه لأنه يمنعه من تناول الدواء والغذاء. والسفر قطعة من العذاب لأنه مشقة وتعب، والمسافر يفقد كثيرا من قوته وطاقته، والصيام قد يزيد من فقدان القوة والطاقة. كما أوجب الإسلام على المرأة الحائض والنفساء الإفطار في رمضان، وقضاء ما أفطرت بسبب عذرها، فالحائض أو النفساء يخرج منها كمية من الدماء مصحوبة بالآلام والمشاق تؤثر على قوتها بالضعف والهزال، وإمدادا للمرأة بالقوة والحيوية، وتعويضا لما فقدته من دماء، أوجب الإسلام عليها الإفطار في رمضان. وهكذا نجد الإسلام برحمته الشاملة، وفضله العميم قد رخص للمسلم والمسلمة في ترك بعض الواجبات مراعاة للبنية الجسمية، والصحة البدنية، وحفاظا على الحيوية والنشاط لديهما[1].

---

(١) انظر المصدر نفسه، ص ٤٦٧-٤٦٨.

د- عناية الإسلام بالجسم عن طريق جعل التكاليف قدر الطاقة:

من رحمة الله سبحانه وتعالى بالإنسان المسلم أنه حين كلفه بالعبادات، أو بأي أمر من أمور الدين والدنيا لم يكلفه فوق طاقته، ولم يفرض عليه شيئا لا يستطيع القيام به، ولم ينهه عن أمر لا يستطيع الانتهاء عنه، قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (1) . ومن رحمة الله تعالى بعباده، جعله العبادات ميسرة، لا إرهاق فيها، ولا ضرر يلحق بصحة الإنسان المسلم وبدنه، وجعله العبادات شاملة لكل شيء في حياة المسلم.

هـ- عناية الإسلام بالجسم عن طريق حل كل ما فيه نفع له:

يسير الإنسان بقدرة الله تعالى في طريق النمو شيئا فشيئا حتى يصير شابا جلدا قويا، فما الذي صيره قويا، إنه الغذاء الذي أحله الله له، ومنه الدهنيات، والنشويات والبروتينات والسكريات... وكل هذه الأنواع المفيدة للجسم أحلها الله تعالى للإنسان، طالما أن مصدرها حلال، وثمنها من المال الحلال(2)، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (3).

ثالثاً:- الطب الوقائي:

إن الإسلام حين وضع أسس الطب الوقائي صبغ ذلك بصبغة دينية، حتى يتمسك المسلم بها تمسكا قويا، ويعمل بها لأنها صادرة عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ.

أ- وقد حرم الله سبحانه وتعالى مجموعة من الأطعمة والأشربة، لأن فيها أضرارا جسدية نفسية واعتقادية على الإنسان المسلم. أكد الطب الحديث أضرار هذه المحرمات على صحة الإنسان، قال تعالى: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ

---

(1) سورة البقرة : آية ٢٨٦.

(2) انظر المصدر نفسه، ص ٤٦٨-٤٧١.

(3) سورة الأعراف : آية ٣٢.

﴿وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ﴾[1].

ب- نهى الله تعالى عن الإسراف في تناول الأطعمة والأشربة الحلال وقاية للمسلم، وطالب بالاعتدال والوسطية، لأن المعدة في الإنسان هي أساس المرض، وبيت الداء[2]، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[3].

جـ- الإفرازات التي يفرزها جسم الإنسان:

هذه الإفرازات التي يفرزها جسم الإنسان إذا لم تراع فيه نظم الإسلام وأسسها كانت وبالا عليه وعلى المجتمع من حوله، وتجلب له ولبيئته الأمراض المختلفة التي قد تفتك بالناس، وهذه الإفرازات قسمان:

١- **البول والبراز:** وهما من المستقذرات التي يفرزهما الإنسان، وفيهما من الطفيليات ومسببات المرض الشيء الكثير، وقد أمر النبي ﷺ بالاستنجاء من البول والغائط، بالماء والحجارة أو ما يقوم مقامهما، ونهى عن البول والبراز في الماء الراكد والجاري، أو في طريق الناس، أو في مكان يستظلون به، لأن رائحتهما تؤذي الناس، فضلا عما يسببه البول والبراز لهم من أمراض ناشئة عن الجراثيم الموجودة فيهما[4].

٢- **الحيض:** كان من عادة اليهود أنهم لا يؤاكلون الحائض والنفساء، ولا يلمسونها، ولا يتحدثون معها، لأنها في نظرهم نجسة، تجب مقاطعتها. ولما جاء الإسلام وسأل الصحابة النبي ﷺ عن حكم التعامل مع الحائض والنفساء، أمرهم النبي ﷺ أن يفعلوا كل شيء مع نسائهم إلا الجماع، ومن يأتي امرأته زمن الحيض أو

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

(٢) انظر المصدر نفسه، ص ٤٧٦-٤٧٧.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣١.

(٤) انظر المصدر نفسه، ص ٤٧٧.

النفاس يكون عاصيا لله تعالى، ومتعديا لحدوده، وقد أثبت الطب الحديث الأضرار الجسمية والنفسية التي تلحق بالرجل والمرأة على السواء في الجماع وقت الحيض أو النفاس[1]، قال تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ [2].

د- ظهور بعض الأمراض المعدية:

لقد عالج الإسلام هذه القضية، ووضع ما يسمى في العصر الحديث بالحجر الصحي، حيث قرر أن المرض المعدي إذا ظهر في منطقة من المناطق يلزم القيام بأمرين:

١- منع الخروج من المنطقة الموبوءة إلى منطقة أخرى، حتى لا تنتقل العدوى من هذه المنطقة إلى المناطق الأخرى، فينتشر المرض، ويعم كثيرا من الناس.

٢- منع الدخول إلى المنطقة الموبوءة حتى لا تنتقل العدوى إلى الناس خارجها.

ونجد قواعد الحجر الصحي التي وضعها الإسلام، في جملة من أحاديث نبوية شريفة منها: قول النبي ﷺ في بعض الأمراض المعدية كالطاعون مثلا: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"[3]، واعتبر النبي ﷺ أجر المسلم الصابر الذي لا يخرج من بلده إذا أصابها وباء عام كأجر الشهيد، قال ﷺ: "فليس من عبد يقع الطاعون فيتمكن في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان مثل أجر الشهيد"[4].

---

(١) انظر المصدر نفسه ، ص ٤٨٠-٤٨١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٢٢.

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، استنابول تركيا، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ج٧، ص٢٢.

(٤) المصدر نفسه، كتاب الطب ، باب أجر الصابر في الطاعون، ج٧،ص٢٢.

المبحث الثاني

العقم

إن حب الذرية أمر فطري لا تقهره عقبات مصطنعة توضع في طريقه، فالإنسانية مهما بذلت من جهود كبيرة في مجالات تنظيم الأسرة، أو تحديدها، فسيبقى حب الذرية مسيطراً على مئات الملايين من البشر هنا وهناك. والزواج في الإسلام يترتب عليه الإشباع الجنسي المباح شرعاً من جهة، ويترتب عليه حفظ النوع عن طريق الإنجاب من جهة أخرى، فكل إنسان يرغب أن يكون له أبناء وبنات تتجدد بهم حياته وتمتد [1]، قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾[2].

العقم في اللغة: عدم الجدوى، يقال عقل عقيم أي لا يجدي على صاحبه شيئاً، والعقيم الذي لا يولد له، ويطلق على الذكر والأنثى.

العقم في الاصطلاح الطبي: هو عدم الحمل لمدة سنة أو أكثر بعد الزواج، إذا كانت العلاقة الجنسية منتظمة، وبدون استعمال وسائل منع الحمل.

أنواع العقم:

للعقم نوعان:

أ- العقم الأولي: وهو العقم في المرأة التي لم تلد أبداً بالرغم من تعرضها للحمل، وكذلك الرجل الذي لم يولد له قبل ذلك.

ب- العقم الثانوي: وهو العقم في المرأة التي ولدت من قبل ثم انقطع إنجابها بعد ذلك.

---

(١) انظر تنظيم النسل في ضوء الشريعة الإسلامية، أحمد العوايشة، اللجنة الوطنية للسكان، الأمانة العامة، عمان،ص٢٢.

(٢) سورة النحل: الآية ٧٢.

علاج العقم:

يعتبر العقم بين النساء والرجال مشكلة تحتاج إلى الرعاية والاهتمام، وللعقم أسباب خاصة بالرجال، وأسباب خاصة بالنساء، وأسباب خاصة بهما، وقد تمكن العلماء من معرفة كثير من أسباب العقم عند الرجال وعند النساء، ولا يزال ١٠-٢٠% من حالات العقم لا يعرف لها سبب، لا في الرجل ولا في المرأة، وقد توصل الطب الحديث، بإرادة الله تعالى إلى طرق مختلفة لعلاج العقم منها:

١- العلاج الكيماوي بالهرمونات والعقاقير الأخرى.

٢- العلاج الجراحي، ومعظمه جراحات دقيقة لإزالة العقبات في طريق الخلايات الجنسية"الإنجاب"، "مثلاً بإعادة فتح قناتي فالوب المسدودتين".

٣- التلقيح الصناعي: وهو تلقيح البوينضة بماء الزوج مع تفادي العقبات، مثل خيط المخاط المكثف والضار للحيوانات المنوية، والموجود حول عنق الرحم، ويكون ذلك التلقيح بيولوجياً، أي يحدث داخل الرحم، أو صناعياً خارج جسم المرأة، مثل طفل الأنابيب[1].

التعقيم:

يقصد بذلك التعقيم الصناعي بغرض منع الحمل بصفة دائمة" التعقيم الدائم" أو بصفة مؤقتة "التعقيم المؤقت" .

حكم التعقيم في رأي علماء الشريعة الإسلامية:

١- التعقيم المؤقت: وهو الذي يمكن رده حسب رغبة الزوجين، ويرى العلماء أنه مباح قياساً على وسائل منع الحمل.

٢- التعقيم الدائم لضرورة صحية كوجود السرطان في البروستات عند الرجل، أو سرطان المبيض عند المرأة، وهذا مباح شرعاً للضرورة الصحية، والضرورة تقدر بقدرها.

---

(١) انظر: تنظيم الأسرة في الإسلام، عبد الرحمن عمران، نشر صندوق الأمم المتحدة للسكان، مزيدة ومنقحة من الطبعة الإنجليزية ، ١٩٩٤م، ص ٢٧٦-٢٧٨.

٣- التعقيم الدائم لغير ضرورة صحية وشرعية: وهذا التعقيم محرم في الشريعة الإسلامية، وقد ندرك الحكمة من تحريم التعقيم الدائم لغير ضرورة صحية ملزمة، بأن التعقيم الدائم مخالف لمقاصد الشريعة الإسلامية من الزواج، وفيه إدخال الضرر على أحد الزوجين أو كليهما، سواء أكان بعد الإنجاب أم قبله، ولأن أولادهما عرضة للفقد دفعة واحدة، أو على التوالي، فما يكون حال الأبوين وقد ذاقا طعم الأبوة والأمومة، كما أنهما أو أحدهما قد يفقدان بالتعقيم الصلاحية للإنجاب، مما يوقعهما في محنة ومشقة نفسية قاسية، إذ لا يستطيعان تدارك ما فاتهما. [١]

(١) انظر تنظيم النسل في ضوء الشريعة الإسلامية، ص ١٩.

المبحث الثالث

الاستنساخ وطفل الأنابيب

يمثل موضوع الاستنساخ Cloning واحد من موضوعات عـــدة مثـيرة للجــدل، تشملها علوم الأحياء الحديثة ، وبخاصة علوم الوراثة والبيولوجيا الجزئية. وقد أقرت بلـدان العالم، وبخاصة المتقدمة منها في سنوات الثمانينات، والتسعينات قوانين تضبط كـــل مـــا يتعلق بأخلاقيات البحث العلمي وتطبيقاته في مجال الثورة البيولوجية الحديثة.

ما المقصود بالاستنساخ؟

يقصد بالاستنساخ بصفة عامة، الحصول على نسخة أو أكثر طبق الأصل من الأصـل نفسه، وبالمعنى البيولوجي يعني معالجة خلية جسمية من كائن معين كي تنقسم وتتطور إلى نسخة مماثلة لنفس الكائن الحي الذي أخذت منه[1].

من أين جاءت فكرة الاستنساخ؟

إن فكرة الاستنساخ ليست جديدة، بل هي معروفة للعلماء، فهناك حيوانات أوليــة تستنسخ نفسها بأمر الله تعالى، مثل البكتيريا والخميرة، وكلاهما يتكـــاثر تكـــاثراً غـــير تزاوجي، فالبكتيريا والأميبا تتكاثران بطريقة الانشطار، والإسفنج والخمـــيرة يتكـــاثران بطريقة التبرعم، والنبات يستنسخ نفسه بأمر الله تعالى، كالتكاثر بالدرنـــات والأبصـــال والفسائل، كما في البطاطا والنخيل ونحوهما[2].

كيف يتم الاستنساخ ؟

المعادلة: نواة خلية بدلاً من نواة بويضة:

(١) الاستنساخ قنبلة العصر، صبري الدمرداش، دار الفكر الحديث، الكويت، ١٩٩٧م، ص ١٧-١٩.

(٢) انظر المصدر نفسه، ص ٨٠-٨٢.

أ- أخذت بويضة غير مخصبة، منزوعة النواة "الكروموسومات صفر في البويضة" من نعجة اسكتلندية سوداء، وأخذت نواة خلية مكتملة الكروموسومات من نعجة فنلندية بيضاء، وضعت البويضة المفرغة في محلول ذي كثافة منخفضة (نيترونات) بهدف توقيف النشاطات الجينية.

ب- أطلقت شحنة كهربائية لدمج النواة في البويضة المفرغة.

ج- أطلقت شحنة كهربائية ثانية لتحفيز الطاقة المسببة للإخصاب الطبيعي، ليبدأ بعد ذلك الانقسام التضاعفي للخلايا على النحو المالوف الذي يتم لأية بويضة مخصبة.

د- ترك الجنين المتكون ستة أيام في المحلول، ثم نقله بعدها إلى رحم النعجة السوداء (صاحبة البويضة المفرغة).

هـ- بعد فترة الحمل العادية للنعجة أنجبت "دوللي" والتي جاءت شبيهة للنعجة البيضاء (التي أخذت منها نواة الخلية، التي احتوت على كامل الكروموسومات) وقد نجحت عملية استنساخ "دوللي" بعد إجراء نحو ٢٧٧ تجربة، واستغرقت هذه المحاولات أكثر من عشر سنوات ، والذي أكد عليه العلماء في الاستنساخ هو أن تكون النواة المأخوذة من الخلية الجسمية من الكائن المراد استنساخه من نفس البويضة التي ستندمج معها، بعد تفريغ البويضة من نواتها الأصلية، وبلغة الوراثة يكون لكل منهما نفس العدد من الكروموسومات، فالخلية الجسمية للإنسان تحتوي على ستة وأربعين كروموسوماً "٢٣ كروموسوماً من الأب، ٢٣ كروموسوماً من الأم".

محاذير الاستنساخ وأضراره، وحكم الشريعة الإسلامية فيه:

إن الاستنساخ من حيث هو إجراء علمي، ومن حيث آثاره لا يخلو من محاذير تصادم نصوص الشرع الإسلامي الحنيف، وقواعده المقررة، وقد يبدو الضرر في بعض صوره وآثاره في الأمور التالية:

١- إن الاستنساخ تغيير لخلق الله تعالى، ومناف للفطر السليمة التي فطر الله الناس عليها، فقد فطر الله الناس على غرائز كثيرة من أهمها غريزة الزواج، إشباعاً لها، وحفظاً للتناسل.

٢- إن الاستنساخ اعتداء صريح على كرامة الإنسان التي صانها الله تعالى، فإخضاع الإنسان لتجارب الاستنساخ، واللعب في جيناته، امتهان لإنسانيته.

٣- قد يكون الاستنساخ اصطفاء واختياراً لصفات محددة دون غيرها، كاختيار صفات الخوف أو الشجاعة ، أو الخير أو الشر، أو القوة أو الضعف، فيكون هذا الفعل عبثاً مخلاً، وهوى متبعاً، ولا شك أن هذا من المحرمات والضرر المحض.

٤- يوقع الاستنساخ في إشكالات شرعية عديدة ، كعلاقات الأخوة أو الآباء المستنسخين، ومن هم من الأصلاب نسباً، وكقضايا الميراث ونحوها.

٥- إن الاستنساخ هدم للأسرة التي بناها الزوجان، وما جمع بينهما من رحمة ومودة وحسن عشرة، وربط بينهما بعقد الزواج المشروع.

٦- يوقع الاستنساخ في اختلاط الأنساب، ولا يحترم العلاقات الأسرية، وعلاقات المصاهرة والنسب، ولا يقيم لها وزنا، لأنه لم يقم أساسا على قيام حياة زوجية مشروعة، ويصادم أحد الضروريات الخمس المطلوب الحفاظ عليها، وهو الحفاظ على النسل.

٧- إن التمادي في الاستنساخ يدخل الإنسان في دائرة الغرور، وإغواء الشيطان حتى يهلكه ويدمر حياته وحياة غيره. والله تعالى يذكر الإنسان ويحذره من الكبر والغرور، وطاعة الشيطان ، ويعيده لأصله المهين ويذكره به، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ﴾[١].

٨- وبناء على ذلك فإن الاستنساخ البشري محرم في الشريعة الإسلامية بطريقتيه، الاستنساخ بالتشطير [٢]، أو بالنقل النووي، أو الإحلال النووي للخلية، وهو الذي يفهم من كلمة الاستنساخ إذا أطلقت، وهو الذي حدث في النعجة "دوللي" أو بأي طريقة أخرى تؤدي إلى التكاثر البشري.

---

(١) سورة المؤمنون: الآيتان ١٢-١٣.

(٢) التشطير هو : فصل اصطناعي للبويضة المخصبة في مرحلة تسبق تمايز الأنسجة والأعضاء، وقد أمكن هذا في الحيوان، ولم يبلغ عن حدوث ذلك في الإنسان، وقد اعتبر ذلك نوعا من الاستنساخ أو التنسيل، لأنه يولد نسخا أو نسائل متماثلة، انظر : تصريحات الدكتور عبد السلام العبادي، وزير الأوقاف الأردني عن قرارات مجلس مجمع الفقه الإسلامي، الدورة العاشرة، جريدة الدستور الأردنية، ٦/٢/١٩٩٧م.

وقد نص المجمع الفقهي الإسلامي في دورته العاشرة في جدة على تحريم كل الحالات التي يقحم فيها طرف ثالث على العلاقات الزوجية، سواء أكان رحماً، أم بويضة، أم حيوانا منويا، أم خلية جسدية للاستنساخ. كما تبنى المجمع الجواز الشرعي للأخذ بتقنيات الاستنساخ والهندسة الوراثية في مجالات الجراثيم، ووسائل الأحياء الدقيقة والنبات والحيوان، بما يحقق المصالح ويدرأ المفاسد، وفي حدود المصالح الشرعية، ودعا إلى عقد الندوات واللقاءات لبيان الأحكام الشرعية المتعلقة بالاستنساخ ومستجداته العلمية، وضبط مصطلحاته[1].

استجابة لقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ ﴾[2].

أطفال الأنابيب:

إن تسمية هذا النوع من العلاج البيولوجي بطفل الأنابيب تسمية خاطئة، لأنه يوحي بأن الجنين ينشأ وينمو في الأنابيب، وهذا خطأ، والصحيح أن التلقيح فقط هو الذي يحدث في الأنابيب، ولكي يتم ذلك لا بد من استكمال الخطوات التالية:

١- الحصول على بويضات من الزوجة تحت تأثير هرمونات معينة.

٢- أخذ بويضات سليمة حية، وفصلها عن إفرازات المرأة، وزرعها داخل أنبوبة اختبار.

٣- إضافة مني الزوج إلى أنبوبة الاختبار لكي يتم التلقيح.

٤- أخذ البويضة الملقحة، وزرعها في رحم الزوجة، حيث ينمو الجنين كالحمل العادي[3].

حكم التلقيح الصناعي، أو أطفال الأنابيب:

١- أثار التلقيح الصناعي جدلا فقهيا في العالم الإسلامي بين العلماء والفقهاء والأطباء وأهل الفتوى والمجامع الإسلامية، وصدر عنهم فتاوى وقرارات نلخصها بما يلي:-

---

(١) انظر : تصريحات الدكتور عبد السلام العبادي السابقة، وانظر: حول موقف الإسلام من الإسلام من الاستنساخ كتاب الإسلام والاستنساخ، ص ٥١-٥٧، ٥٩-٦٢، ٦٥-٧٧، والاستنساخ قنبلة العصر ، ص ٦٧-٧٠، ومقال الدكتور عجيل النشمي.

(٢) سورة النساء: آية ٨٣.

(٣) انظر: تنظيم الأسرة في التراث ، الإسلامي، ص ٢٧٨-٢٧٩.

٢- التداوي بغير المحرم جائز شرعا، وعلاج العقم في واحد من الزوجين نوع من التداوي.

٣- تلقيح الزوجة بمني زوجها دون استبداله، أو اختلاطه بمني غيره جائز شرعا.

٤- إذا كان التلقيح بمني رجل آخر غير الزوج محرم شرعا.

٥- أخذ بويضة الزوجة التي لا تحمل، وتلقيحها بمني زوجها خارج رحمها (طفل الأنابيب) وإعادتها بعد إخصابها إلى رحم الزوجة دون استبدال أو اختلاط بمني رجل آخر، ولداع طبي، وبعد نصح طبيب مجرب حاذق جائز شرعا.

٦- التلقيح بين بويضة الزوجة، ونطفة زوجها، ثم الجمع بينهما في رحم أنثى من الحيوان لفترة معينة، يعاد بعدها الجنين إلى ذات الرحم فيه إفساد الخليفة الله في الأرض، ويحرم فعله.

٧- الطبيب هو الخبير الفني في إجراء التلقيح الصناعي أيا كانت صورته، فإذا كان بعلمه أو عمله ساعد على حصول التلقيح بالصور المحرمة، كان آثما، وكسبه حرام، وعليه أن يقف عند حد المباح شرعا.

٨- كل طفل ناشئ بالطرق المحرمة قطعا من التلقيح الصناعي يعتبر لقيطا، ولا ينسب إلى أب جبرا، وإنما ينسب لمن حملت به، ووضعته باعتباره كولد زنا.

٩- لا يكون طفل الأنابيب المتولد من طرق محرمة إبنا شرعيا للرجل، والذي يقبل أن تحمل زوجته نطفة غيره سواء بالزنا الفعلي، أو بما في معناه ديوث لا يغار على أهله وعرضه.

١٠- الرحم المستأجر، ولو كان رحم زوجة أخري للرجل نفسه حرام.

١١- إنشاء (بنك) تحفظ فيه نطف رجال لهم صفات معينة، لتلقح بها نساء لهن صفات معينة، شر مستطير على نظام الأسرة، ونذير بانتهاء الحياة الأسرية كما أرادها الله تعالى. فمن باب سد الذرائع، وحفظا لروابط الأسرة، وصونا للأنساب، يحرم الانطلاق في التلقيح الصناعي، ولا يجوز إلا بين الزوجين فقط[1].

---

(١) انظر المصدر نفسه، ص ٢٧٩-٢٨٠، نقلا عن فتوى الشيخ جاد الحق، مارس ١٩٨٠م، المجلد٩، الفتاوي الإسلامية، ص ٣٢١٢-٣٢٣٨، مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة الثالثة لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي، منظمة المؤتمر الإسلامي، ١٩٨٠م، عدد٣، ج١، ص ٤٤٨-٤٥٧، ٥١٥-٥١٦.

المبحث الرابع

زواج الأقارب بين الطب والقرآن الكريم

شاع بين الناس أن زواج الأقارب يأتي بنسل ضعيف، حتى قيل أن العلم الحديث أثبت هذا، واشتهر على الألسنة أن النبي ﷺ قال:"اغتربوا لا تضووا" هذا الحديث اشتهر على ألسنة علماء اللغة، وقد ذكر ابن الأثير معنى الحديث فقط، و لم يذكر من رواه ولا إسناده [1]، وكذلك فعل ابن قتيبة بعد أن ذكر أحاديث الصحابة فالتابعين ومن بعدهم، قال : أحاديث سمعت أصحاب اللغة يذكروها ولا أعرف أصحابها[2]، ثم قال: جاء في الحديث "اغتربوا لا تضووا" وبين المعنى، ثم قال: "وقد أكثرت الشعراء في هذا المعنى، وذكر أربع أبيات. فابن قتيبة لا يعرف صاحب هذا الحديث، ومعنى لا تضووا لا تأتوا بأولاد ضاوين أي ضعفاء، ومنه : لا تنكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلق ضاوِيا، وما زعمته العرب، وما ردده الشعراء ليس بحجة لا في الدين ولا في العلم ، وما ذكر من حديث يكون حجة لو ثبت عن الرسول ﷺ.

وقد قلب الدكتور أحمد الكباريتي أستاذ علم الاجتماع بجامعة الكويت الاعتقاد الشائع بأن زواج الأقارب يسبب انتشار الأمراض الوراثية، ودلل على ذلك بطرح نظريات حديثة تؤكد ذلك، وقال إنه نتيجة للبحث العلمي في مجتمع ينتشر فيه زواج الأقارب، وآخر يكثر فيه زواج الأباعد، وثالث يكثر فيه الزواج بين أجناس مختلفة، ثبت عدم وجود أي فرق بين هذه المجتمعات من ناحية انتشار الأمراض الوراثية، وانتهى من ذلك إلى أن زواج الأقارب لا يشكل أي خطورة على الأجيال المتعاقبة[3].

وبناء على ما تقدم نقول: إن زواج الأقارب لم يثبت علميا على حد معلوماتنا لغاية الآن أنه السبب المباشر في نقل الأمراض الوراثية، بل إن بعض الناس كما هو مشاهد

---

(١) انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير ج٣، ص ١٠٦.

(٢) انظر غريب الحديث، ابن قتيبة ، ج٣، ص ٧٣٣.

(٣) انظر صحيفة القبس الكويتية، ٢٥ ديسمبر ١٩٧٧م.

ومحسوس تزوجوا من الأباعد فظهرت فيهم أمراض وراثية، كما أنه لم يرد نص في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يحرم الزواج بين الأقارب، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١)، ولا شك أن الآية الكريمة، واضحة في دلالتها على إباحة الزواج بين الأقارب من الدرجة الأولى والثانية.

وقد تزوج النبي ﷺ من بنات قريش، وزوج ابنته السيدة فاطمة رضي الله عنها من ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وزوج بناته لأقاربه من قريش، إلا أن ذلك لا يمنع زواج الأباعد لما فيه من تآلف بين المسلمين، وتوحيد لصفهم، قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (٢) ولم يجعل الإسلام حرجا على المسلم في الزواج من الأباعد، فالنبي ﷺ تزوج من بني المصطلق، ومن الأقباط، ومن مختلف قبائل قريش والعرب، ليعمق علاقات المودة والمحبة بين الناس، وليقتدي المسلمون به في حياتهم، وحتى لا يكون على المسلمين حرج في أن يتزوجوا المؤمنات الطاهرات من أي بلد كان، أو أي جنس كان. إن الدعوة إلى تحريم الزواج بين الأقارب دعوة مرفوضة عقلا وشرعا، لأن النصوص التي دعت إلى تغريب النكاح لا تصل إلى درجة النصوص التي وردت في إباحة الزواج بين الأقارب، ونستطيع الجمع بين النصوص التي دعت إلى تغريب النكاح، والنصوص التي أباحت النكاح بين الأقارب، بأن نشجع على الزواج من الأقارب من الدرجة الثالثة والرابعة والخامسة وهكذا، والأهم من ذلك كله أن نشجع على الزواج من صاحبة الدين والخلق، ونزوج صاحب الدين والخلق، مع ملاحظة أن الشريعة الإسلامية لا تشجع على الزواج ممن يعلم أن سلالتهم ضعيفة، أو لديهم بعض الأمراض الوراثية والله تعالى أعلم.

---

(١)سورة الأحزاب: الآية ٥٠.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١٣.

المبحث الخامس

المحافظة على البيئة في الإسلام

إن موضوع المحافظة على البيئة في الإسلام موضوع مهم، وله جوانب متعددة جديرة بالبحث والبيان، ومن ذلك:

١- مفهوم البيئة:

إن علماء العصر الحديث توسعوا في مفهوم البيئة، وقالوا : البيئة هي ذلك المحيط الذي نعيشه حسا ومعنى، ويحتوينا بكل معنى الاحتواء، وهي مجموعة من البيئات المختلفة، كالبيئة الاجتماعية، والاستوائية، والمدارية، والقطبية والبحرية، والجبلية، والصحراوية، والمدن، والقرى والبادية إلى غير ذلك. وهذا عرف اصطلاحي لا يتعارض مع الإسلام(١). والكرة الأرضية هي البيئة الكبرى لحياة الإنسان، جعلها الله تعالى صالحة لحياته وعيشه، فأودع فيها العوامل الأساسية للحياة، وهي التربة والماء، والهواء والغذاء، والحرارة والبرودة. وكان قدر الإنسان أن يعيش فيها، وليس في مقدوره أن يكون منفصلا عنها، أو عن نظامها لأنه من طينتها، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ۝ ﴾(٢)، وبناء علي ذلك فإن على الإنسان أن يكافح في سبيل العيش في الأرض، ويتذرع بكل قوة لمجابهة ظروفها ، ويشمر عن ساعد الجد في سبيل تحويل جفافها إلى خضرة، وتحويل صحاريها إلى جنات فيحاء، وتحويل جبالها إلى غابات خضراء، واستخراج الخيرات الدفينة من باطنها.

---

(١) انظر مقال الشيخ عز الدين الخطيب التميمي عن البيئة، جريدة الرأي، ١٩٩٩/٧/٢٤م، ص٢٢، التلوث البيئي بين الإسلام والقانون الدولي والتطبيق الأردني، محمد خلف اللافي، ١٩٩٤م، ص ١٣-١٤.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٠.

٢- قيمة الإنسان وكرامته:

إن الإنسان مخلوق يكرم، وهو حجر الأساس في الرسالات الإلهية، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[١] ، فمن حق هذا الإنسان أن يشم هواء عليلا، ويشرب ماء نقيا، ويأكل طعاما مفيدا ، ويسكن بيتا نظيفا، ويتمتع ببيئة جميلة. وأن أي عامل من العوامل الضارة التي تفسد الهواء الذي يتنفسه، والماء الذي يشربه ويستعمله، والغذاء الذي يتناول يتعارض مع كرامته، ويجب أن ينفى من حوله، وأن يستبعد من محيطه وبيئته[٢].

٣- فضل الإسلام في نظرته إلى البيئة والمحافظة عليها:

ويمكننا إجمال فضل الإسلام في نظرته إلى البيئة والمحافظة عليها في النقاط التالية:

أ- سبق الإسلام الأنظمة المعاصرة في تأكيده على المفهوم الواسع للبيئة، بحيث يشمل الموارد الاجتماعية، والموارد المادية المتاحة لإشباع حاجات الإنسان.

ب- قرر الإسلام أن البيئة بكل ما فيها سخرها الله للناس حتى ينتفعوا بما فيها استمرارا لمعاشهم، وعمرانا لحياتهم، وهي نعمة من الله تعالى تستحق الشكر من جانبهم.

ج- قرر الإسلام أن الأرض جعلها الله تعالى صالحة لحياة الإنسان، وأن تلوثها كان من جراء إفساد الناس لها، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾[٣]، ونهى عن الإسراف في استتراف مواردها، كالماء والكهرباء والمحروقات، وأكد على أن استمرار عطاء الأرض بما فيها مشروط بالمحافظة على مواردها، ودفع حقوق الله، وحقوق المحرومين الواجبة فيما يخرج منها.

د- حث الإسلام على نظافة البيئة أرضا وماء وهواء، قال ﷺ : " امط الأذى عن الطريق لك صدقة "[٤]، وقال ﷺ: "من قطع سدرة في فلاة يستظل ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها، صوب الله رأسه في النار"[٥].

---

(١)سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢)انظر المقال السابق.

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٦.

(٤) الجامع الصغير، جلال الدين السيوطي، ج١، ص ٢٥١.

(٥) السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، مجلس دائرة المعارف النظامية- الهند ١٣٤٤هـ، ط١، ج٦، ص ١٤١.

هـ- طبق الإسلام عمليا مبادئه، ومفهومه عن البيئة، وجعل الالتزام بها من قبل الأفراد والدولة عبادة لله تعالى، فقد فهم المسلمون واجبهم نحو البيئة، وتمثلوه في حياتهم في السلم والحرب، حيث أوصى أبو بكر الصديق ﷺ أسامة بن زيد وجنده قائلا: "لا تخونوا، ولا تغدوروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا طفلا، ولا شيخا كبيرا، ولا امرأة، ولا تعقروا نخيلا ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاه ولا بقرة ولا بعيرا" [1].

هذا الموقع المتميز للإسلام يميزه بوضوح عن الأنظمة الجاهلية المعاصرة، التي تطلق القنابل النووية، والجراثيم وتحرق الأخضر واليابس في سبيل فرض سيطرتها، دون تفريق بين طفل وامرأة، ونبات وحيوان، وما تزال تسعى إلى تدمير الكون من خلال ما تسميه حرب النجوم، واستغلال فقر الدول ومديونيتها، في دفن النفايات السامة، ومخلفات مصانعها النووية، والجرثومية والكيماوية وغيرها في أراضيها[2] بمساندة الفاسدين من حكامها.

٤- تلوث البيئة والوقاية منه:

لا شك أن تلوث البيئة كما يهدد الإنسان، فإنه يهدد الثروة الحيوانية والزراعية والمائية والصناعية، وهو يثير القلق والمخاوف، ويلحق بالحياة كثيرا من الخسائر الجسيمة. ومصادر التلوث كثيرة، منها الغازات بأنواعها، والمبيدات الحشرية، والإشعاعات النووية، وغبار الأرض والمصانع وغيرها من الملوثات، التي تصل إلينا، عن طريق الهواء الذي نتنفسه، والماء الذي نشربه، والطعام الذي نأكله، والثوب الذي نلبسه، وعن طريق الجلد الذي يكسوا أجسامنا. ومن هنا فلا بد من الوقوف بحزم أمام أخطار التلوث البيئي، وبذل الجهود المشتركة المخلصة الواعية للوقاية منه، والعمل على معالجة أسبابه، والحد من آثاره بكل ما لدينا من قوة وإرادة. وقد وجه الإسلام أتباعه للوقاية من التلوث ، بجملة توجيهات منها:-

أ- أنه أمر المسلمين بدفن الموتى في باطن الأرض، لأنه عنصر مهم من عناصر المحافظة على البيئة، وحمايتها من التلوث ، وتكريم للميت.

---

(١) تاريخ فتوح الشام، الأزدي، ص ١٢.

(٢) انظر دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط٥، ص ٣١٠-٣١١، التلوث البيئي، ص٥٤-٥٥، مقال الشيخ عز الدين الخطيب السابق.

ب- الحجر الصحي، وقد كان الإسلام سباقا إلى الحجر الصحي، وقد تجلى ذلك في توجيه النبي ﷺ للوقاية من الأمراض قبل وقوعها وبعد وقوعها.

٥- نماذج من دعوة الإسلام للمحافظة على البيئة:

أ- عناية الإسلام بنظافة الإنسان وطهارته، ذلك أن عبادة الله تعالى لا تصح إلا بالطهارة.

ب- عناية الإسلام بنظافة المنازل وما حولها، حيث دعا المسلمين إلى تنظيف منازلهم وأفنيتهم من القمامة والقاذورات، لأنها بؤر للروائح الكريهة، ومكان لتوالد الجراثيم، وملتقى الحشرات والبعوض والذباب والجرذان، فقذارة البيئة تسبب الضرر والضرار، ونهى المسلمين عن التشبه باليهود الذين لا ينظفون بيوتهم وأفنيتهم.

ج- عناية الإسلام بنظافة المساجد: حث الإسلام على نظافتها لتستقبل أفواج المصلين، فتنشرح صدورهم ويطيب لهم المكوث فيها.

د- عناية الإسلام بنظافة الطرق: إن المشاركة في تنظيفها، ورفع الأذى عنها نوع من العبادة، وقد اعتبر النبي ﷺ إماطة الأذى من الطريق صدقة لأنها مرفق عام. وقد جاءت تشريعات مهمة في كتب الفقه الإسلامي لها علاقتها المباشرة في المحافظة على بيئات المدن، ودور نظام الحسبة في المحافظة على البيئة، وتنظيم الصناعات والحرف والمرور والطرق، وتحديد بناء أماكن السكن والأماكن العامة، والشوارع ونحو ذلك.

هـ- عناية الإسلام بالغذاء وحمايته من التلوث:

أباح الله سبحانه وتعالى للإنسان الغذاء الذي يستفيد منه في بناء جسمه، والقيام بأعماله، قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ ﴾ (١)، فأباح الله للإنسان أن يأكل من طيبات الرزق التي أحلها لعباده من لحوم الأنعام والطيور والأسماك، والخضر والفواكه والحبوب ونحوها، واستثنى بعض المأكولات والمشروبات، فحرمها حماية للإنسان من أضرارها المادية وأضرارها

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٨.

على الإيمان، مثل الميتة والدم، ولحم الخنـــزير، والخمر والمخدرات وغير ذلـــك مما ذكرنا سابقا. والغذاء المباح بجميع أصنافه وأنواعـــه ينبغـــي أن يحفـــظ في الأمكنة النظيفة، والأوعية المطهرة لئلا يكون عرضة للحشـــرات أو جراثيـــم تسقط فيه فتلوثه وتحوله إلى سم قاتل.

و- عناية الإسلام بالماء:

يعتبر الماء عنصر البيئة الأهم، الذي تعتمد عليه حياة الأفراد والشعوب، والحيوان والنبات، وعليه قامت الحضارات وازدهرت، فلولا الماء لما كانت الحيـــاة، ولا كان الأحياء، فهو من نعم الله الكبرى، قال تعـــالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾(1). ومن الأخطار الكبرى أن يتعرض الماء للتلـــوث، في البرك والسدود والآبار والأواني، والأنهار والبحار والبحـــيرات والمحيطـــات وغيرها، بتفجير الأسلحة النووية، أو استعمال المتفجرات من صيادي ا لأسمـــاك في العالم. فالنبي ﷺ نهى عن تلويث الماء بالبول فيه سواء أكان الماء راكـــدا أم جاريا، ونهى الإنسان أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه، أو يشرب من فم الســـقاء حتى لا ينتنه، ونحو ذلك.

ز- التحذير من النار والحرائق:

لقد امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بأنه جعل لهم النار يستخدمونها في شـــؤون حياتهم، ويقضون بها كثيرا من حاجاتهم، وكما أن في النار مصلحة فإن فيها مضـــرة كبيرة إذا أهملت ، فكثيرا ما تحدث الأضرار الجسيمة في الفنـــادق، والمستشـــفيات، والمنازل والمزارع والغابات، والسفن، والطائرات، والمتاجر والأرواح، وغير ذلـــك، فضلا عن تلويث الهواء بسبب ما تحدثه من دخان ينتشر فيه. وقد حذر النـــبي ﷺ من الغفلة عن النار، وعدم الاهتمام بما تحدثه من خسائر وأضرار. وفي تحذيـــره ﷺ دعوة إلى اتخاذ الاحتياطات والإجراءات الوقائية من أخطارها مهما كان مصدرهـــا، الحطب، الحجر، الزيت، الغاز، الكهرباء، المتفجرات(2).

---

(1) سورة الأنبياء: الآية ٣٠.

(2) انظر مقال الشيخ عز الدين الخطيب السابق.

٦- الثقافة واجب شرعي:

انطلاقا من القاعدة الشرعية" ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب نستطيع القول: إن عملية التثقيف البيئي، أمر ضروري، وواجب شرعي، ذلك أن الثقافة البيئية طريق إلى المحافظة على البيئة، التي هي واجب من الواجبات الشرعية، للاعتبارات المذكورة في الكتاب والسنة، اللذان يقدمان تثقيفا إيمانيا رائعا عن البيئة، وعما يحميها من عوامل الفساد، وعما يقيها سليمة صالحة لحياة الإنسان والحيوان والنبات، وإن صلاح البيئة له أبعاد إيجابية اقتصادية وسياسية، واجتماعية وأمنية في حياة الشعوب والأمم، فمن خلاله تظهر قدرة البلاد على تأمين غذاء كاف لشعبها، والكائنات الحية الأخرى في كل الأوقات والأحوال، ضمن حياة رغيدة مفعمة بالنشاط والصحة والحيوية، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَـٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[1]، إن المغزى العظيم من النصوص الإسلامية المتعلقة بالبيئة هو توطيد الإحساس العميق لدى المسلمين، واستنهاض هممهم للإسهام في المحافظة على البيئة، واستغلال خيراتها، وحمايتها من كل ما يؤذيها، بدافع من عقيدتهم وشريعتهم[2].

---

(١) سورة السجدة: الآية ٢٧.

(٢) انظر مقال الشيخ عز الدين الخطيب السابق.

الوحدة الخامسة

قضايا ثقافية معاصرة من منظور اسلامي

الفصل الأول

الأصالة والتجديد والمعاصرة ومشكلة الحداثة

المبحث الأول: الأصالة

الأصالة في الاصطلاح: من المسائل الحديثة، ونظرا لحداثة هذا المصطلح فقد تباينت تعريفاته عند من تناوله بالدراسة في هذا العصر.

فهو يعني ارتباط الامة بمنابعها الصافية وجذورها الصحيحة في اطار التأثير والتأثر الثقافي والاخذ والعطاء والاقتباس بين الحضارات. ويعني أيضا الحفاظ على الذاتية في مقاومة التبعية والتغريب. ويعني أيضا التمسك بالثوابت والمحافظة على الاصول وتقدير قيمة التراث الإسلامي في اطار الصراع بين القديم والجديد. وهو يعني أيضا تنقية الفكر الإسلامي مما علق به من اختلاط الوثنيات وما تسلل إليه من الفلسفات والافكار الباطلة. فالاصالة في مجملها تعني الاطار الذي يضبط التجديد والمعاصرة والتحديث والتغير والاقتباس ويوجهانه الوجهة الصحيحة ويحفظانه من الانحراف والضلال.

وكل معنىً من هذه التعريفات يحمل على زاوية من زوايا الأصالة. وكل هذه المعاني يتطلبها مفهوم الأصالة[1]. فمباحث الأصالة تدور على معان كبيرة ينبغي ان نعرفها ونفصل القول فيها ليتضح امرها ونعرف كيف نحافظ على اصالتنا.

---

(١) الأصالة والتجديد، د. راشد شهوان ص١٣-١٥.

المعاني التي يتطلبها مفهوم الأصالة:

١- الاعتزاز بالانتماء الإسلامي:

الاعتزاز بانتمائنا إلى الإسلام، المؤثر الأول في صنع ثقافتنا، والذي وجهها وجهته، وصبغها بصبغته﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾(1) هذا الاعتزاز بالانتماء الإسلامي هو واجب كل مسلم رضي بالله تعالى ربا وبالاسلام دينا وبالقران اماما، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا. فهو يعتز بنعمة الإسلام ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾(2). وهو يعتز برسالة محمد عليه الصلاة والسلام﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾(3).

ويعتز بانتسابه إلى "الأمة الوسط" التي بوأها الله مكان الشهادة على سائر الامم ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾(4) ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(5) فهي أمة دعوه ورسالة، وليست أمة عنصرية منغلقة على نفسها، أمة هداية وليست أمة جباية. وقال الله تعالى: ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(6) معنى (ذكر لك) أي فخر ومجد لك ولقومك، تذكركم به الامم، ويقول سبحانه: ﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾(7) أي فيه شرفكم وفخركم تذكرون به أبدا.

---

(١) سورة البقرة اية ١٣٨.

(٢) سورة المائدة اية ٣.

(٣) سورة آل عمران اية ١٦٤

(٤) البقرة : ١٤٣.

(٥) آل عمران: ١١٠.

(٦) الزخرف: ٤٣ -٤٤.

(٧) الانبياء: ١٠.

وننقل هنا ما يؤكد هذا من كلمات ربعي بن عامر –رضي الله عنه– أمام رستم قائد جيش الفرس، فقد سأله رستم: من انتم ؟ فقال ربعي رضي الله عنه: نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الاديان إلى عدل الإسلام[1]" .

٢– العودة إلى الاصول

وثاني ما تتطلبه منا الأصالة –إذا كنا أصلاء حقا _ ان نعود إلى أصولنا وجذورنا العقدية والفكرية والاخلاقية، نستمسك بعراها، ونحول اعتزازنا النظري والعاطفي إلى سلوك عملي.

ان الاعتزاز مطلوب، ولكنه يصبح فاقد القيمة، عديم الجدوى، إذا لم يتحول إلى عمل. بل إن الاعتزاز هذا يصبح ظاهرة مرضية إذا ظل مجرد كلام يردد، وشعارات ترفع، وصيحات تتعالى، لسرد الامجاد، وتعظيم الاجداد، ثم لا نفعل شيئا، ولا نخطوخطوة إلى الامام.

٣– ضرورة معرفة العصر(فقه الواقع):

من مقتضيات الأصالة ان يعرف الإنسان عصره الذي يعيش فيه معرفة دقيقة، فان الجهل بالعصر، اومعرفته على غير حقيقته يفضي إلى عواقب وخيمة، كالطبيب الذي يصف دواء جيدا، ولكنه قد يقتل مريضة اويضاعف عليه سقمه، إذا لم "يشخص" داءه تشخيصا دقيقا. ولقد قال المستشار طارق البشري في حديثه عن "الإسلام والعصر" ان المشكلة ليست في جهلنا بالعصر !. وهويوجه كلامه إلى العلمانيين ودعاه والتغريب والتحديث، وهويعيب عليهم عدم معرفتهم العصر الذي يتباهون بالانتماء إليه، أكثر مما يعيب عليهم عدم معرفتهم بالاسلام، فهذا مفروغ منه، وهم لا يدعونه لانفسهم، واذ كان من دعاه التحديث من يجهل العصر، فإن في دعاة الإسلام من هوأكثر جهلا به.

٤–القراءة المستبصرة والانتفاع الواعي لتراثنا:

من دلائل الأصالة: ان نجتهد في الانتفاع بتراثنا الغني بكنوزه ومعارفه. ولا يتصور من أمة عريقة في الحضارة والثقافة ان تهمل تراثنا الغني وتبدأ من الصفر، اومن التسول لدى الغير، فهذا لا يقبله عاقل، لأن تسول الاغنياء ذلة تنكرها الأخلاق وجريمة يعاقب عليها القانون.لكن

---

(١) انظر: تاريخ الطبري ٥١٧/٣.

كلمة التراث كثيرا ما اسيء فهمها، ووضعت في غير موضعها حيث لم يتحدد المـــراد منـــها تحديدا يزيل اللبس عنها. وكثيرا ما يخلط بين الإسلام والتراث- خلطا قد يكـــون مقصـــودا بحيث يوهم ان احدهما يعني الاخر. وهذا ليس صحيحا، فالاسلام ليس مجرد تراث يؤخذ منـــه ويترك، شأنه شأن شعر امرئ القيس اوابي فراس، اوكتاب الاغاني اوالف ليلة وليلة. ان اعتبار الإسلام العظيم من جملة التراث تهوين من شأنه، وحط من قـــدره، وتضليـــل للقـــارئ اوالسامع عن حقيقته. والواجب ان يعبر الإسلام باسمة كما ارتضـــاه الله ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ .(1)

٥- ضرورة المعرفة والفهم لثقافتنا:

من المعاني التي تتطلبها الأصالة، المعرفة بخصائص الثقافة ومكوناتها الاساسية، فهمـــها من مصادرها الاصلية، وليس من المصادر الدخيلة المحرفة، وفهمها مـــن أهـــل الثقافـــات المأمونه، وليس من المجروحين المغرضين المهزومين المشككين المستغربين. وفهمها بادواتهـــا ومناهجها الخاصة المتميزة، لا بمناهج غربية منحرفة، وأفكار استشراقية مستعارة.(*)

---

(١) سورة المائدة اية ٣.

(*) لمزيد من الفائدة انظر إلى شرح مفصل للمعاني التي يتطلبها مفهوم الأصالة في الطبعة الأولى من هذا الكتـــاب، ص ٣١٤-٣٢١.

المبحث الثاني

التجديد

مفهوم التجديد لغة واصطلاحاً:

التجديد من المصطلحات الإسلامية الاصيلة، حيث نشأ مفهومه من حديث صحيح رواه ابوداود السجستاني "عن أبي هريرة عن الرسول الله صلى عليه وسلم قال: ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائه سنه من يجدد لها دينها"(١) .

وتفيد استعمالات كلمة التجديد في اللغة والقرآن والحديث معنى: **الاحياء، والبعث، والاعادة والتقوية.**(٢)

أقوال العلماء في معنى تجديد الدين:

١- قال العلقمي: التجديد: احياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والامر بمقتضاهما.

٢- قال المناوي: تجديد الدين: بيان السنة من البدعة، وتكثير العلم ونصرة اهله وكسر اهل البدعة واذلالهم.

٣- المح ابوسهل في احدى عباراته إلى ان التجديد يعني اعادة الدين إلى ما كان عليه في عهد السلف الأول. ويمكن القول ان هذا المعنى الذي اشار إليه ابوسهل، هوالمعنى العام للتجديد.

٤- وقد اورد ابن كثير إلى ان التجديد يعني احياء العلم بنقله عن السلف من جيل إلى جيل نقيا سليما وحفظه من التحريف والانتحال، فهما واستنتاجاً مما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين"(٣).

---

(١) اخرجه ابوداود، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة ج٤، ص٩

(٢) الأصالة والتجديد ، راشد سعيد شهوان، ص ٢٤٧.

(٣) رواه ابن عبد البر في التمهيد ج١ ص٥٦.

٥- وقد بين بعض الباحثين ان التجديد له صور كثيرة منها: الاجتهاد ووضع الحلول الإسلامية للمشكلات التي تطرأ على حياة البشر[١].

تصور الرعيل الأول لمفهوم التجديد:

مما تقدم يتبين مجمل تصور السلف الصالح والرعيل الأول للتجديد، ويمكن اجمال عناصر هذا التصور على النحوالتالي:

أ- إن تجديد الدين هوالسعي لاحيائه، وبعثه واعادته لما كان عليه في عهد السلف الأول.

ب- من ضرورات التجديد حفظ نصوص الدين الاساسية صحيحة نقية اصيلة.

ج- من مستلزمات التجديد سلوك المناهج السلمية لفهم نصوص الدين.

د- من غايات التجديد، جعل احكام الدين نافذة مهيمنة على اوجه الحياة.

هـ- من مجالات التجديد، الاجتهاد ووضع الحلول الإسلامية لكل طارئ وتوسيع دائرة احكام الدين لتشمل ما كان نافعا ومتفقا مع مقاصد الدين وكلياته.

و- ومن خصائص التجديد تمييز ما هومن الدين وما يلتبس به، وتنقية الدين من الانحراف والبدع سواء اكانت هذه الانحرافات ناتجة عن عوامل داخلية في المجتمع المسلم أم كانت بتأثيرات خارجية.

هذا بعامة ما يمكن اعتباره فكرة السلف عن معنى التجديد.

وهو في مجمله: سعي للتقريب بين واقع المجتمع المسلم في كل عصر، وبين النموذج المثالي للدين الذي كان في العهد النبوي وعهد الصحابة[٢]

لماذا اختلفت مفاهيم السلف حول تحديد مفهوم التجديد؟

من الملاحظ ان اقوال السلف الصالح تكاد تكون مختلفة في تصور مفهوم التجديد، والسبب في ذلك يرجع لأن كل واحد حاول ان يصور التجديد من خلال تصوره لتحديات عصره، فعندما ظهرت الحركة الباطنية في حياة الامة الإسلامية، دار التعريف على كسر اهل البدع. وعندما كثرت البدع والزيادات في الدين دار التعريف على اعادة

---

(١) الأصالة والتجديد ص٢٤٧.

(٢) انظر: مفهوم تجديد الدين، بسطاكي محمد سعيد، ص٢٩، وما بعدها.

مجتمع السلف. وعندما خف طلب الناس للعلم، لحظ ابن كثير اهمية العلم في التجديد وعول عليه، وعندما طرأت مشكلات اجتهادية دار تعريف التجديد على ايجاد الحلول لها. وهكذا نلحظ ان التجديد عملية مستمرة تتسع اوتضيق بمطابقة الزمن للاسلام ومفارقته، وبحجم الابتلاءات للاسلام وامته(١) .(٢)

التجديد بين الأصالة والانحراف:

التجديد في التصور الإسلامي من المسائل الشرعية المعتبرة، له ضوابطه ومجالاته، وهوخصوصية من خصائص بقاء هذا الدين واستمراره وخلود أحكامه.فتجديد الدين ليس حركة طارئة على الإسلام، بل هو مكرمة أقامها الله لهذه الامة، وعامل من عوامل الحراسة لدين الله وشرعه. والتصور الإسلامي لمفهوم تجديد الدين يختلف عن مفهوم التجديد في التصورات الغربية التي تقوم على الحذف والاضافة، فإننا إذا تصورنا أننا سوف نتوصل بتجديد الدين إلى فكر جديد في الدين لم يكن معروفا في عهد الرسول وصحابته – كما يفهم الغرب من مفهوم التجديد، فإن هذا أمر غير معقول ولا مقبول في تصوراتنا، فما لم يكن دينا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم لا يكون دينا حتى قيام الساعة، قال عليه الصلاة والسلام" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"(٣)، وتقول عائشة رضي الله عنها "من زاد على هذا الدين اوأنقص منه فقد زعم أن محمدا خان الرسالة"(٤)

لأن الدين قد اكمله عليه السلام قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾(٥). وليس التجديد في الإسلام كما صورته العلمانية: من جعل العقل مقياسا وحيدا لكل تقدم ومعيارا وحيدا لكل جديد.

---

(١) الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي. ص٢٥٠-٢٥١.

(٢) لمزيد من الفائدة راجع الموضوعات التالية في مبحث التجديد في الطبعة الأولى لهذا الكتاب من هو المجدد وما شروطه، تعدد المجددين في القرن .

(٣)رواه البخاري ومسلم.

(٤)وروي أيضا أثر عن مالك والحسن البصري.

(٥)سورة المائدة آية٣.

المبحث الثالث

المعاصرة[1]

العلاقة بين المعاصرة والتجديد:

ليس التجديد في الإسلام نظاما "ديالكتيكيا"حتميا وصراعا دائما بين القديم والجديد، كما تزعم الماركسية، ولا هونظاما (ميكانيكيا) تتم عملية التغيير فيه بصورة تلقائية كما تزعم الرأسمالية، ولا هوتغييرا يقوم على (الواقعية) التي دعا اليها (اوجست كونت)، ولا كما تزعم التربية (البرجماتيه) الحديثة عند (جون ديوى) بأن كل شيء متغير باستمرار.

كما أن مفهوم تجديد الدين في التصور الإسلامي يختلف عن حركات الاصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر وكلفن، أو الحركات النصرانية التي عرفت (بالعصرانية) التي حاولت التأليف بين ايمان الاباء وبين أفكار العالم الحديث، فادخلت في الديانة النصرانية بعض التحسينات والزيادات البشرية.أوالحركات اليهودية المتحررة التي أقامها اليهود في اوائل القرن التاسع عشر في المانيا بتأثير من الزعيم اليهودي ميدلسون (١٧٢٩-١٧٨٦م) التي عرفت باسم اليهودية المتحررة Libieral judaism أواليهودية التجديدية أو الاصلاحية[2] Refoom Judaism، التي قدمت مفهومات متحررة لتجديد كل من الديانتين (اليهودية والنصرانية) وتطويع مبادئهما وعقائدهما لقيم الحضارة الحديثة وتطوراتها. حيث شملت التعديلات عمليات الصلوات في لغتها ومحتواها، وحذف منها ما يعتقد انه مناف للروح العصرية، وسمح باستعمال الآت موسيقية وبعض الترانيم أثناءها لجذب الاجيال الجديدة اليها، وشملت التعديلات وضع المرأة اليهودية، ومسألة الطلاق ومسألة الاختلاط، حتى اصبحت تجلس في جانب الرجل في المعابد، وفي اثناء الصلوات، وخففت بعض المحرمات الصارمة يوم السبت، وأهمل الختان واعتبر ممارسة خرافية، مما كان له اثر واسع النطاق

---

(١) الأصالة والتجديد، د. راشد شهوان ص٢٥٥- ص٢٦١.

(2)Encyclopedja of Religion and Ethics vol.p.900 the Religions of the world ,John.lewisl ,p.81 and Blan.p.48

على تكوين العقل الاوروبي الحديث، وتغير كثير من المفهومات الغربية تغيرا جذريا(١).

ومن المتناقضات العجيبة ان هذه القصة بكل فصولها نقلت إلينا من الغرب ... فظهرت لها نزعات مشابهة في العالم الإسلامي منذ القرن الماضي بسبب عدوى الاتجاهات الاوروبية وبعض التأثيرات التي فرضها الاحتلال على البلاد، وما أصابنا من غزوثقافي، وما حملته إلينا بعض تشكيلات المثقفين الذين نشأوا في اجواء الجامعات الغربية، وما نقلوه إلينا من نتاج ثقافاتها الفاسدة، ومن هذه التشكيلات والالوان:

أ- البعض نادى بتفسير بعض القضايا الإسلامية تفسيرا عقلانيا، واخضعوا القرآن والسنة للمقاييس المادية. وقد ذكر الشيخ مصطفى صبري في كتابه النفيس "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين" نماذج وامثلة لهذه المنهجية الفاسدة، وهاجمها في الجزء الأول والثاني من هذا الكتاب القيم، والذي ننصح بقراءته واقتنائه.

ب-وهناك نماذج اخرى متنوعة ظهرت باسم التجديد، فدعت إلى تقييد تعدد الزوجات واباحة الاختلاط، وتعدد العشيقات بدلا من تعدد الزوجات وسوغت الفوائد الربوية، ودعت إلى نسف كل قديم، وان كان هواساس هوية المجتمع وسر بقائه. ولتأخذ بعض الامثلة على دعاويهم المنحرفة ومناهجهم الباطلة واتجاهاتهم التغريبية التلفيقية في تجديدهم المنشود:

١-الدعوى إلى الارتماء في احضان الغرب، وأخذ حضارته دون وعي ولا تمييز، وقد ترجم هذا الاتجاه كثير من الذين تقدموا إلى الصفوف الاولى في قيادة الامة بعد زوال الخلافة الإسلامية أمثال طه حسين وسلامة موسى وقاسم امين واحمد لطفي السيد وصهره اسماعيل مظهر في مصر.

فسلامة موسى في كتاب "اليوم والغد" (١٩٢٦م) يرى ان مصر جزء من اوروبا وليست جزء من اسيا (أي من الإسلام)، ويرى "اننا إذا اخلصنا النية مع الانجليز فقد نتفق معهم إذا ضمنا لهم مصالحهم. وهم في الوقت نفسه إذا اخلصوا النية لنا فاننا نقضي على الرجعية في مصر وننتهي منها فلنول وجهنا شطر اوروبا"(٢)

وطه حسين في كتابة مستقبل الثقافة في مصر (١٩٣٨ م) يقول فيه "ان سبيل النهضة

(١) تكوين العقل الحديث، جون هرمان راندال جـ٢، ص٢١٧، ترجمة جورج طعمة.

(٢) الاتجاهات الوطنية، محمد محمد حسين، ج ٢ ص٢٢٢.

واضحة بينة مستقيمة ليس فيها عوج ولا التواء وهي ان نسير سير الاوربيين ونسلك طريقهم، لنكون لهم اندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها وحلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره وما يحمد وما يعاب"(١). وهذا شبيه بقول أغا احمد احد غلاة الكماليين من الترك في احد كتبه: "اننا عزمنا على ان نأخذ كل ما عند الغربيين، حتى الالتهابات التي في رئيهم والنجاسات التي في امعائهم"(٢) يقصد الخمر ولحم الخنزير. وقاسم امين يقول في كتاب ((المرأة الجديدة)). بعد ان تحدث عن اوضاع المرأة المسلمة في مصر: "هذا هوالداء الذي يلزمنا ان نبادر إلى علاجه وليس له دواء إلا ان نربي اولادنا على ان يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على اصولها وفروعها وآثارها، واذا أتى ذلك الحين — ونرجوالا يكون بعيدا — انجلت الحقيقة امام اعيننا ساطعة سطوع الشمس وعرفنا قيمة التمدن الغربي، وتيقنا ان من المستحيل ان يتم اصلاح ما في أحوالنا إذا لم يكن مؤسسا إلى العلوم العصرية"(٣)

ولنستمع إلى جرأة سلامة موسى على الإسلام والمسلمين، وهويدعوالى منهجه التجديدي حين يقول "ان الرابطة الشرقية سخافة ... فما لنا وهذه الرابطة الشرقية، وأية مصلحة تربطنا بأهل (جاوه)؟ اننا في حاجة إلى رابطة، غربية كأن نؤلف جمعية يكون اعضاؤها من السويسريين والانجليز والنروجيين وغيرهم(٤) ..."، ويقول في موضع آخر "وها نحن اولاء نجد انفسنا الان مترددين بين الشرق والغرب، لنا حكومة منظمة على الاساليب الاوربية. ولكن في وسط الحكومة أجساما شرقية مثل وزارة الاوقاف والمحاكم الشرعية تؤخر تقدم البلاد، ولنا جامعة تبث بيننا ثقافة التمدن، ولكن كلية جامعه الازهر تقف إلى جانبها تبث بيننا ثقافة القرون المظلمة، ولنا أفنديه قد تفرنجوا لهم بيوت نظيفة ويقرأون كتبا سليمة ، ولكن إلى جانبهم شيوخا لا يزالون يلبسون الجبب والقفاطين ، ولا يتورعون عن الضوء على قوارع الطرق في الارياف، ولا يزالون يسمون الاقباط واليهود كفارا كما كان يسميهم عمر بن الخطاب قبل ١٣٠٠ عام(٥) !!" .وهذا المنهج التجديدي بتشكيلاته وتلون

---

(١) مستقبل الثقافة في مصر. ص٤١.

(٢) موقف العقل والعلم والعالم، مصطفى صبري ج١ هامش ص٣٦٩.

(٣) المرأة الجديدة ص١٩٢.

(٤) مصطفى صادق الرافعي كاتبا عربيا ومفكرا اسلاميا، د. مصطفى الشكعه ص٤.

(٥) الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر (مرجع سابق)ج٢ ص٢٢٧

اصحابه، هم الحرب الدائبة على الإسلام وأهلة، ولا يحصرهم ميدان بل يمتدوا إلى شعب الحياة جميعها.ويسبق حربهم حرب السلاح، بل يواكبه، حتى يكسبوا ما عجز السلاح عن تحقيقه، فتشل ارادة المهزوم وعزيمته ويلين ويستكين وينقض تماسكه النفسي ويذوب كيانه، فيقبل التلاشي والفناء في بوتقة اعدائه ويصبح امتدادا اويصبح امتدادا ذليلا لهم.

وقد دمغ الله سبحانه وتعالى قادة هذا اللون من الحرب، باسماء وصفات غاية في النكارة مثل: الشياطين، السفهاء، المعوقين، المرجفين الستهزئين، اكابر المجرمين، وائمة الكفرة الذين في قلوبهم مرض، المنافقين، وكذلك سمى هذا اللون ذاته بصفات اساليبه الخسيسة ونتائجه الخبيثة مثل: زخرف القول، الغرور، الخبال، الفتن . . . .[١]

وهؤلاء هم الذين سخر منهم مصطفى صادق الرافعي رحمه الله، حين دخل معركته معهم في كتابه العظيم "تحت راية القرآن" ووقف لهم بالمرصاد منافحا بذلك عن عقيدة الإسلام، وقال انهم يريدون ان يجددوا الدين واللغة والشمس والقمر، ولا يسعنا المقام ان تقف عند بعض كلمات الرافعي في وصف اصحاب هذا التجديد المرقع وافكاره اللقيطة[٢].

لقد كان الرافعي رحمه الله أمة في الناس حمل هم الإسلام العظيم، في مرحلة كانت بهرجة الحضارة الغربية تخطف الابصار وتعمي البصائر، وله الفضل بعد الله عز وجل، في عودة بعض اولئك المستغربين إلى الإسلام وعقيدته، امثال الدكتور محمد حسين هيكل، الذي تحول إلى داعية اسلامي بعد ان كان من ابرز دعاة التغريب المتحمسين له. وكذلك رد عليهم شاعر الإسلام محمد اقبال بأن "الكعبة لا تجدد بجلب حجارة لها من اوروبا"، واشار اليهم احمد شوقي في قصيدته عن الازهر، وكشف زيفهم ومناهجهم التجديدية المضللة الدكتور محمد البهي في كتابه القيم" الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي "ان رموز هذا التجديد المضلل جروا وراءهم كثيرا من الفساد والافساد لامة الإسلام وكانت مناهجهم التغريبية تحمل كل الوان التدليس والتلبيس والخداع، والباس التجديد زيا غير زيه الإسلامي، كالذي يلبس الخواجا الاوروبي جبة وعمامة، فيبدو كأنه شيخ ازهري مسلم، وما هومن الإسلام ولا الازهر في شيء."

---

(١) الغزوالفكري، د. عبد الستار فتح الله سعيد ص١١،٧

(٢) انظر على سبيل المثال تحت راية القرآن ص١٩

٢-ومما ارتبط بالدعوة إلى الجديد قضية الدعوة إلى تجديد اللغة العربية، والدعوة إلى العامية.

٣-ومنها قضية المساواة بين الرجل والمرأة .

٤-قضية احتقار الماضي الإسلامي، وتربية الاجيال تربية علمانية لا دينية

ومن الاتجاهات الفكرية التي حملت وزر هذه الدعوة، تلك التي دعت إلى احياء الحضارات القديمة، كالفرعونية والاشوريه والبربرية والفنيقيه والرومانية وغالت في دراسة الحضارات القديمة على حساب الحضارة الإسلامية، وذلك لتعميق النزعات الاقليمية، واحياء الارتباط بالحضارات الجاهلية، وتربية الاجيال الجديدة على تجاوز اثر الإسلام في حياة الشعوب، وقطع اواصر الوحدة بين المسلمين.

٥-ومما ارتبط بقضية التجديد الدعوة إلى تطوير المناهج الدينية وخاصة الازهر.

يقول الشيخ محمد كامل حسن أحد شيوخ الأزهر في مقال له بعنوان: "تطيير لا تطوير" لقد مكث الازهر يحمل راية الإسلام ودعوة الله، والمحافظة على لغة القرآن الكريم أكثر من الف سنة، و لم يستطع الاستعمار أن يؤثر عليه بشيء، حتى جاء ابن جلدته فطيره في ثوب طوره[1].

٦- ومنها الدعوة إلى اقتباس الانظمة والمناهج والمذاهب اللادينية من الفكر الغربي[2].

---

(١)راجع: التطوير بين الحقيقة والتضليل، د. جمال عبد الهادي، وعلي أحمد لبن، ص٢٦ الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩١ القاهرة.

(٢)انظر تفصيل هذه الدعوات في كتاب حاضر العالم الإسلامي، د. جميل المصري ص١٥٣-١٥٧.

المبحث الرابع

مشكلة الحداثة

تعريف الحداثة:

محاولة لاقامة نظام معرفي كامل للحياة والكون والانسان، ينطلق من مفاهيم مادية علمانية يمثل قلق الإنسان الغربي وحيرته وشكه.

ولدت الحداثة في الغرب نزعة جديدة في الفكر والفن والادب وقضايا الإنسان والحياة والجماعة.

الحداثة حصيلة مجموعة من المذاهب والمعتقدات المادية الالحادية، تمخضت من افكار العصور السابقة وتياراتها الفنية والفلسفية والاجتماعية عن اسوأ ما فيها، فانتجت تيارات ومدارس متنوعة ومتعارضة، ولكن وحد بينها جميعا الثورة على كل قديم، وتحطيم جميع الثوابت والاعراف. واطلق على كل ذلك مصطلح الحداثة.

جذور الحداثة وانتقالها إلى العالم العربي:

ونهض القوم عندنا كالعادة يستوردون الحداثة كما استوردوا من قبل الواقعية والرومانسية والوجودية، وما لا حصر له من الافكار والتصورات الشاذة، ومرجعيتهم الفكرية في ذلك كله اقلام الغربيين الذين غرقوا حتى الاذقان في بحورهم، وصاروا بوقا من ابواقهم، يرددون معهم بغباء عجيب ان الحضارة الغربية هي حضارة الإنسان في كل زمان ومكان، مهما كان دينه ووطنه وثقافته[٣].

لقد تسللت الحداثة إلى عالمنا مع سائر ما تسلسل من موبقات العالم الغربي على بوق الرغبة في التجديد والعصرنه والتحديث والتطور. ونهض انصار لها، كما نهض أنصار للسفور ولمحاربة اللغة العربية، والدين والاخلاق تحت شعار التجديد والنمو، ولقد كان الغرب يهدف، وهوبنشر هذه الموبقات إلى ان تستهلك الامة طاقاتها في حُمى الفتنة والشهوة والضياع. ولكن يبدو ان الدعوات في الارض مهما ظلت فستجد انصارا، كما

وجد لعبادة القردة والبقر والحجر انصارا.

ولم تفد الحداثة إلينا موجة واحدة مفاجئة، ولكنها حاولت التسلسل إلى ديارنا وعقولنا وقلوبنا على مراحل، ولم تاتي كذلك بزي واحد ثابت نعرفه، ولكنها حملت ازياء الوطنية والتقدمية، وتزيت بزخرف الحرية والعدالة والانسانية، وصبغت نفسها باصباغ الفكر والفلسفة، والسياسة والاقتصاد والاجتماع والتربية، وجاءتنا كذلك في ازياء وزخارف واصباغ الادب من جميع ابوابه، دون ان تفقد صلتها وارتباطها بجذورها الفكرية في الغرب.

الشخصيات الذين روجوا لها:

ومن دعاتها في الغرب: لوي اراجوان، وهنري لوفيفر، وأوجين جرنـدال، ودولان بارت،ودومان باكوبسون، وليفي شتراوس، وبياجيه، وغيرهم.

اما دعاتها في العالم العربي فحدث ولاحرج. وأولهم يبدوأنه:

أدونيس (علي أحمد سعيد) وزوجته خالده سعيد، والشيوعي عبد الله العروي والدكتور كمال ابوديب، ومحمد عفيفي مطر، ومحمود درويش، وسميح القاسم، وحسين مروه وصلاح عبد الصبور، وعبد العزيز المقالح، وعبد الوهاب البياتي، وغيرهم..

ولقد دفع رجال الحداثة مصطلحات في دنيا الفكر والادب، وقذفوا باسماء وكأنها الطلاسم: غموض في الفكرة والكلمة، وغموض في الاسماء والمصطلحات، تزاحم في الالفاظ، اختلاط في المفاهيم تضيع معه المعالم والملامح[1].. إنها اسماء سموها هم واباؤهم ما انزل الله بها من سلطان.

انها دفقات الشهوة الحائرة من الإنسان الضائع. انها جميعها تلتقي في بوتقة المادية والضلال، ذلك لانها لم تستضيء بنور الإسلام، ولم تهتد بهدي الايمان ... واذا كانت هذه المذاهب قد حرمت من نور الايمان فما هوعذرنا نحن اهل الايمان وارض الإسلام.

أهم ما تتميز به الحداثة:

١- الحداثة مذهب عقدي باطني فلسفي يسعى إلى تحديث مصادر التلقي، وصرف النظر عن المصادر الشرعية المعتبرة.

---

(١) الحداثه من منظور ايماني ص٢٥ وما بعدها (مرجع سابق)

٢- الحداثة مذهب غريب على الامة الإسلامية، مستورد من الحداثة الغربية وما صدر عنها من فلسفات وبخاصة الماركسية والوجودية.

٣- الحداثة نشأت في العالم العربي بحدود منتصف القرن العشرين الميلادي، ولها اتجاهات عرفت بها في اول نشأتها، ثم خف تمسك الحداثيين بتلك الاتجاهات، لذا نجد ان الحداثي يخلط بين أكثر من اتجاه.

٤- ان الحداثة تقوم على صراع الفكر الحديث مع العقائد القديمة.

٥- الحداثة ليست مذهبا ادبيا فحسب، بل فلسفة عامة تطرق معظم ابواب الحياة عن طريق الادب، وباسم الكلمة تمزق الادب والفكر والقيم، ثم تمزق الإنسان، دون ان تدعوالى شيء جديد حقا، ولا تحمل من الجدة إلا اسما ومظهرا.

٦- ان في بحوثهم واطروحاتهم كم هائل من انحرافات عقدية وفكرية في ضوء ما يسمونه ابداعاتهم، وهوفي الحقيقة انحرافات فكرية تحت رداء الادب والابداع الادبي، وكلها تحمل زخرفاً كاذبا، وغموضا تائها، ﴿ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ ﴾[1]، والى هذا الزحرف والضلال، تميل قلوب الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فيرضونه ويقترفون من الآثام ما يقترفون[2].

(١) سورة الأنعام: ١١٢.

(٢)الحداثة في العالم العربي دراسة عقدية. محمد عبد العزيز العلي، رسالة ماجستير (النتائج) كلية اصول الدين القصيم.

الفصل الثاني

الثابت والمتغير في منهج الإسلام

المبحث الأول
مظاهر هذه القضية ودلائلها في منهج الإسلام

المقصود بالثوابت والمتغيرات: الثوابت والمتغيرات، تعبير يقصد به التفريق بين مواضع الاجماع والنصوص القاطعة التي لا تحل المنازعة فيها، ويعد الخروج عنها خروجا عن جماعة المسلمين.

تعريف الثوابت: هي القطعيات ومواضع الاجماع التي اقام الله بها الحجة بينة في كتابه اوعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم ولا مجال فيها لتطوير اواجتهاد، ولا يحل الخلاف فيها لمن علمها. قال الشافعي رحمه الله " كل ما اقام به الله جل جلاله الحجة في كتابه اوعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم منصوصا بينا، لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه)[1]. اوما عبر عنه ابن تيمية بالشرع المترل، وهوما شرعه الله ورسوله من الاقوال والاعمال مما ليس للاجتهاد فيه مجال، اوالنص الصحيح الذي لا معارض له، اوالاجماع الصريح الذي لا منازعة في ثبوته[2]

تعريف المتغيرات: يقصد بها موارد الاجتهاد،وكل ما لم يقع عليه دليل قاطع من نص صحيح اواجماع صريح وهوما عبر عنه ابن تيمية بالشرع المؤول، وهوموارد النزاع والاجتماع بين الامة.

مظاهر الثبات والمرونة في المنهج الإسلامي:

يحدد الامام الشاطبي مصادر الإسلام بقوله: الادلة الشرعية ضربان: أحدهما: ما يرجع إلى

---

(١) الرسالة: ص٥٦٠.

(٢) مجموع الفتاوى: ج٣٥ ص٣٩٥.

النقل المحض. والثاني: ما يرجع إلى الرأي المحض ... فاما الضرب الأول فالكتاب والسنة، وأما الثاني فالقياس والاستدلال ... فيلحق بالضرب الأول الإجْماع.. ومذهب الصحابي وشرع من قبلنا ... ويلحق بالضرب الثاني الاستحسان، والمصالح المرسلة[1] ...) . وللثبات والمرونة في مصادر الإسلام واحكامه مظاهر ودلائل شتى وهي كما يلي:

١- يتجلى الثبات في " المصادر الاصلية النصية القطعية للتشريع، من كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

٢- وتتجلى المرونة في المصادر الإسلامية التي اختلف فقهاء الامة في مدى الاحتجاج بها ما بين موسع ومضيق ومقل ومكثر، مثل الاجماع والقياس والاستحسان والمصالح المرسلة، واقوال الصحابة، وغير ذلك من مآخذ الاجتهاد وطرائق الاستنباط.

وأحكام الشريعة نجدها تنقسم إلى قسمين:

قسم يمثل الثبات والخلود، وقسم يمثل المرونة والتطور.

نجد الثبات يتمثل في:-

أ- العقائد الاساسية من الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

ب- وفي الاركان من الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج.

ج- وفي المحرمات اليقينية، من السحر وقتل النفس والزنى واكل الربا واكل مال اليتيم وقذف المؤمنات الغافلات والتولي يوم الزحف والسرقة والغيبة والنميمة مما يثبت بقطعي القرآن والسنة.

د- وفي امهات الفضائل من الصدق والامانة والعفة والصبر والوفاء بالعهد، والحياء وغيرها من مكارم الأخلاق التي اعتبرها القرآن والسنة من شعب الايمان.

هـ- وفي شرائع الإسلام القطعية في شئون الزواج والطلاق والميراث والحدود والقصاص ونحوها ونحوها من نظم الإسلام التي تثبت بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة.

ونجد في مقابل ذلك القسم الآخر الذي تتمثل فيه المرونة، وهوما يتعلق بجزيئات الاحكام وفروعها العملية، وخصوصا في مجال السياسة الشرعية[2].

---

(١) الموافقات: الشاطبي، ج٣ ص٢٤

(٢) الخصائص العامة للاسلام، د. يوسف القرضاوي ص٢٠٧.

يقول ابن القيم: الاحكام نوعان:

نوع لا يتغير عن حالة واحدة هوعليها، لا بحسب الازمنة ولا الامكنة،ولا اجتهاد الأئمة كوجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم، ونحوذلك، فهذا لا ينصرف إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه.

والنوع الثاني ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له، زمانا ومكانا وحالا، كمقادير التعزيرات واجناسها، وصفاتها، فان الشارع ينوع فيها بحسب المصلحة[1]

وهذا الذي قرره المحقق ابن القيم، قرره بصورة ما – علماء محققون في المذاهب الاخرى مثل الامام القرافي المالكي في كتابه (الاحكام في تمييز الفتاوى عن الاحكام)، وكتاب (الفروق) والعلامة الحنفي ابن عابدين، في رسالته " نشر العرف في بناء بعض الاحكام على العرف ".

وقد بين الشاطبي[2] ان مقاصد الشارع في التشريع لا تعدوثلاثة اقسام:

احدها: ان تكون ضرورية، والثاني ان تكون حاجية، والثالث ان تكون تحسينية.

أ- **أما الضرورية:** فهي التي لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت اختلت حياة الناس في الدنيا، ووقعوا في الخسران المبين، ومجموع الضروريات خمس: حفظ الدين والنفس والعقل النسل والمال

ب- **واما الحاجيات:** وهي التي يحتاج اليها لرفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة، كالرخص.

ج- **واما التحسينات،** فمعناها الاخذ بما يليق من محاسن العادات ومكارم الأخلاق، كالطهارة في العبادات، وآداب الاكل والشراب وعدم الاسراف.

وقد ذكر الشاطبي ان الشريعة لها ثلاث خواص:-

أولها: العموم والاطراد. وثانيها: الثبوت. وثالثها: كونها حاكمة لا محكوما عليها[3] .

وهناك في كتب الفقه واصوله تفصيلات واسعة للمجالات الثابتة التي تقبل الاجتهاد، والمجالات المتغيرة القابلة للاجتهاد، تختلف مسمياتها وعرضها من باحث لآخر، وهي اقرب إلى الدراسات الفقهية المتخصصة، يحسن عدم التطرق اليها[4] .

---

(١) اغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ابن القيم، ج١ ص ٣٣٠-٣٣٣.

(٢) الموافقات ج٢ ص٤٠

(٣) الموافقات ج٢، ص٤١.

(٤) راجع: المناهج الاصولية بالاجتهاد بالرأي ص ١٩، وما بعدها.

المبحث الثاني

القيم بين الثوابت والمتغيرات

القيمة كلمة حديثة في مفهومها ومدلولها واستعمالاتها.

وهي اصطلاح اقتصادي ولكنه عمم، فاصبح يعني الاسس التي يستند اليها في كل ما تصدر الامم والافراد من اقوال وافعال ، مادية وروحية.

القيم في التصورات الوضعية والاصطلاحات المادية:

التفسيرات المادية للقيم الانسانية تتمثل في مجموعة من النقاط نجملها فيما يلي:

أ- نفي وجود قيم ثابتة بحكم التطور الذي يغير القيم كلها كلما تغير الوضع المادي والاقتصادي.

ب- تضخيم العامل المادي والاقتصادي وجعله اساس كل شيء في حياة الإنسان.

ج- اعتبار القيم المعنوية كلها مجرد انعكاس للوضع المادي والاقتصادي.

د- السخرية بالدين، وتهوين شأنه، ورده إلى اسباب مادية واقتصادية.

هـ- السخرية بالحق والعدل، والقول بخضوع الناس للحتميات المادية والتاريخية[1].

القيم الفكر البرجماتي: القيم في نظره نسبية، واحكام الناس حول القيم قابلة للتغيير، وهي تقاس بنتائجها النفعية، وتسمى فلسفة الذرائع، اوالفلسفة النفعية اوالعملية، لأنها تتخذ من النتائج العملية مقياسا لتحديد قيمة الافكار وصدقها، ولهذا ترى هذه الفلسفة ان التربية هي الحياة نفسها، وليس الاعداد للحياة، لذا فان من الواجب في نظرهم استخدام المواقف الحياتية في عملية التعليم، ويرون ان الإنسان هونتاج عملية التفاعل بين البيئة الاجتماعية والبيئة الطبيعية، وان ما يقدمه المجتمع للطفل من خبرات وتجارب هوالذي

---

(١)مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب ص ٣٢٣.

يحدد كون الطفل شريراً اوخيرا. وحيث ان الحياة الاجتماعية والمستجدات التكنولوجية في تغير دائم، فإن التربية وقيمها وأهدافها وفلسفتها والحالة هذه ستخضع لقانون التغير الدائم. بدوام الحياة، ويعد أصحاب هذه الفلسفة من أكثر الفلاسفة الذين أثروا في سير التربية في امريكا، ومن ثم في معظم اقطار العالم. وتقوم التربية في نظام المدارس المعاصرة في الدول الإسلامية والعربية على هذه الفلسفة. ولا شك ان الإسلام يرفض هذه الفلسفة الجبرية، الذي يكون فيها الإنسان كالريشة في مهب الريح، فيكون اذواقه الجديدة بالاكراه، ذوقا في الملبس وذوقا في المأكل وذوقا في الادب، ذوق يتولد من فرض قيم اجنبية لم يكن للمرء خيار في رفضها،في وقت يجد نفسه محاصرا بحراها ومجبرا على ان يتلبس لبوسها.

والاسلام ولا شك يرفض نظرة الحياة الاجتماعية الامريكية التي تقوم على الذرائع، والتي تعتبر المنفعة هدفا اساسيا بصرف النظر عن المثل والثواب والقيم، ومن الذين نادوا بها وروجوا لها عند العرب لطفي السيد وغيره.

القيم في التصور الإسلامي.

المصدر الذي تستقي منه القيم الإسلامية معاييرها هوالوحي الالهي، وهوالينبوع الذي يصدر عنه السلوك الانساني، ولا يمكن ان تكون القيم في الإسلام نتائج اجتماعية تتشكل في محتويات اجتماعية معينة، وتستخلص من الانشطة الانسانية والمطالب الاجتماعية وتوجدها الالات والمصانع والحياة الجديدة، ذلك ان القيم الإسلامية من عند الله تعالى، فلا يحددها الافراد اوانشطتهم الاجتماعية، ولا يمكن أن تكون نابعة من خبرة الكائن البشري، ولا يمكن أن تكون القيمة أي شيء نرى فيه خيرا مثل الحب والشفقة والقناعة والهدوء والمدح والامانة، فما يراه بعض الناس خيرا لا يراه الآخرون كذلك، فهذه النسبية قد تكون مزاجية. وليست القيم اتجاهات كما ذهب كثير من علماء النفس الاجتماعي، ذلك أن القيم في الإسلام حقائق يكون الافراد نحوها اتجاهات سلبا اوايجابا. وليست القيمة هي العمل، والعمل هوالذي يخلق القيمة كما يرى الماركسيون، وانما الذي يحدد قيم الاشياء في الإسلام بما في ذلك العمل نفسه، هو الله تعالى. وليست القيم كما يراها علماء الاجتماع والانثربولوجيا، المستويات الثقافية المشتركة التي نحتكم اليها في تقدير الموضوعات والاتجاهات الاخلاقية أوالجمالية أوالمعرفية. أن هذا وان كان مقبولا عند علماء الاجتماع

وعلم الإنسان، إلا انه لا يمكن ان يكون مقبولا في نظر الإسلام، ذلك لأن المقاييس التي يحتكم اليها المسلمون في تقدير الموضوعات والاتجاهات الاخلاقية وغيرها، هي مقاييس ربانية لا شأن للبشر في تحديد أي منها[1] قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [2]. فالقيمة في الإسلام لا يمكن ان تنفصل عن الشرع، فهي بالشرع تقوم، وتؤتي اكلها كل حين باذن ربها ن وبغير الشرع لا يقوم لها كيان، ولا ينتشر لها اشعاع في دنيا الإنسان. وما هذه الوضعية الاليمة المحزنة التي آلت اليها الامة المسلمة، إلا نتيجة تخليها عن قيمها، وفقدان ارتباطها بذلك المعين الخالد من قيم الإسلام.

(١) المنظومة القيمية الإسلامية ص١٤،١٦ مرجع سابق

(٢) سورة الحديد الآية ٢٥

الفصل الثالث

التقليد والتبعية واثرهما في كيان الامة الإسلامية



المبحث الأول

التقليد والتبعية والنهي عنهما في الكتاب والسنة

التقليد في اللغة: مصدر قلد، وهومأخوذ من القلادة وهوما يحيط بالعنق ونحوه. يقال قلد البعير، إذا جعل في عنقه حبلا يقاد به.[1]

ويفهم من المعاني اللغوية للتقليد انه يستعمل لمعان كثيرة اغلبها ذات دلالات سلبية، واشهرها الانقياد والخضوع بلا اختيار. والتقليد الذي نحن بصدد بحثه هوان يتبع الإنسان غيره في قول اوفعل اواعتقاد اوسلوك من غير دليل ولا نظر ولا تامل، ودون ادراك ولا وعي، هذا من ناحية ثقافية.

اما التقليد في اصطلاح الاصوليين، فقد اشبع بحثا ودراسة، وليس هوموضوع حديثنا في هذا المقام. وعلى هذا فالتقليد في مصطلح الثقافة الإسلامية مرحلة ضعف، وحالة مرضية تمر بها حياة الافراد والأمم والشعوب. وقد رفض الإسلام ظاهرة التقليد الاعمى والتبعية الزائفة، وذم اصحاب الاتجاهات المهزومة الذين تأسرهم عصبية التقاليد في شتى المجالات، قال عليه الصلاة والسلام " لا تكونوا امعة تقولون ان احسن الناس احسنا، وان ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا انفسكم، ان احسن الناس ان تحسنوا، وان اساءوا فلا تظلموا[2] "، ومنه حديث ابن مسعود "لا يكونن احدكم امعة،قيل وما الامعة ؟ قال الذي يقول انا مع الناس[3] ".

---

(١) المعجم الوسيط ج٢ ص٧٦٠.

(٢) رواه الترمذي باب البر ص ٦٣.

(٣) النهاية لابن كثير ج١ ص٦٧

المبادئ والتقاليد والعبادة والعادة:

ونحن المسلمين عندما ناخذ بالاسلام، وما اجمع عليه السواد الاعظم من المسلمين الملتزمين الواعين. انما نتبع بذلك مبادئ وتشريعات عظيمة. وواضح الفرق بين المبادئ والتقاليد في الفهم الإسلامي. فالاسلام مبادئ لا تقاليد فيه، مبادئ وتشريعات وعقائد، تقوم على النظر والعلم والتفكير والوعي، لا تقوم على المحاكاة والتبعية العمياء قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(١) .

ولا يفوتني في المقام ان اشير إلى الفرق في الإسلام بين العادة والعبادة: وهوان العبادة تعتبر قيمة تجريدية بفضل النية التي تشترط فيها، وبدونها تصبح مجرد عادة ليس إلا.

وان الحد الفاصل بين القيم والعادات: ان العادات مجرد سلوك متكرر لفرد معين بطريقة تلقائية في مواقف محددة، في حين ان القيمة تتضمن تنظيمات أكثر تعقيدا من السلوك المكرر، انها تنطوي على احكام معياريه للتمييز بين الصواب والخطأ والخير والشر، وهذا كله لا يمكن توافره في العادة.

التقليد في مصطلح الثقافة الإسلامية:

المقصود بالتقليد في مصطلح الثقافة الإسلامية هوما سلكه المسلمون وقلدوه، من غير وعي ولا تمحيص من اتباع الاغيار، والاخذ منهم والتشبه بهم في شتى الوان الحياة وانماط السلوك والاخلاق والاداب والفنون واشكال النظم والمذاهب والفلسفات.

وليس معنى هذا اننا ضد الاستفادة من العلوم والخبرات البشرية النافعة، والاخذ بمقتضيات التقدم الحقيقي، الذي يوجب الإسلام علينا الاخذ بها ممن كان، وعمن كان، ولكن التقليد شيء والاستفادة من هذه العلوم شيء آخر.إننا نقصد بالتقليد الاعمى الاخذ من الحضارة الغربية قشورها ونفاياتها، والتنكر لقيمنا واخلاقنا، والجري وراء الشكليات ومظاهر الحياة التافهة، واهمالنا التقنية والتصنيع والادارة والتنظيم.

ونقصد بالتبعية أيضا المتابعة بغير يقين عقلي واقتناع برهاني لمباديء الغرب وحياته وقيمه، وحمل المسلمين على قبولها وتقبلها بعيدا عن ضوابط العقيدة الإسلامية ومفاهيم الولاء والبراء.

---

(١) سورة محمد آية ١٩ .

والتقليد والتبعية الفاظ أتراب لا يقوم احدهما إلا بالاخر، وقد تكون التبعية نتيجة وأثر للتلقيد وهي دعوه تسعى إلى اخراج المسلمين عن قيمهم وتنازلهم عن مقوماتها وصهرهم في بوتقة القيم الغربية، وتذويبهم تحت الوية النفوذ الاجنبي(العولمة)، كما انها تهدف إلى الاغتراب والتمزق، وافساد معالم التميز لهذه الأمة، والقضاء على الهوية الإسلامية والانتماء القرآني.

النهي العام عن التقليد في الكتب والسنة:

أولا – النهي في القرآن الكريم.

كثيرا ما نهى الله جل جلاله في كتابه العظيم، عن التقليد الأعمى لغير المسلمين، ومقته وحذر من مغبته وعواقبه الوخيمة، في ايات كثيرة ومناسبات عديدة، واساليب متنوعة.

فتارة بالنهي عن تبعيتهم وطاعتهم، وتارة بالتحذير منهم والاغترار بأرائهم والتأثر باعمالهم وسلوكهم واخلاقهم، وتارة بذكر خصالهم التي تنفر المؤمنين منهم، ومن تقليدهم. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴾(1).

وبين الله تعالى خطر موالاتهم واتخاذهم بطانة، لما في ذلك من خطر عام يهدد مصالح الامة وكيانها قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾(2)، وقال سبحانه: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾(3).

ثانيا– النهي في السنة:

ارشد الرسول عليه الصلاة والسلام إلى هذه القضية الهامة، ونبهنا إلى اصل جوهري في تكوين المسلم وبناء الامة المسلمة والمحافظة على كيانها المتميز.

---

(1) سورة آل عمران آية ١٠٠.

(2) سورة ال عمران اية ١١٨

(3) سورة المجادلة اية ٢٢

فقد ورد النهي عن التقليد والتبعية في السنة المطهرة بصورة مفصلة لما أجملته الآيات في هذا المقام، ومن ذلك: "من تشبه بقوم فهومنهم[1]" ، وقولة عليه الصلاة والسلام: "خالفوا اليهود"[2]، "وخالفوا المشركين[3]" ، "لا تتشبهوا باليهود"[4] وقوله: "لا تسألوا اهل الكتاب عن شيء فالهم لن يهدوكم، وقد ضلوا، وانكم اما ان تصدقوا بباطل، وإما ان تكذبوا بحق، وانه والله لوكان موسى حيا بين اظهركم، ما حل له إلا ان يتبعني"[5].

وقد ورد في السنة المطهرة احكام تفصيلية اخرى ورد النهي عنها، تتعلق بامور العبادات والشعائر والعادات والاعياد واحكام الحلال والحرام وانماط السلوك التي يمارسها غير المسلمين في الزواج والاجتماع واللباس وغير ذلك، وذلك لما تضمنته من خطورة على العقيدة والاخلاق الإسلامية، ولا يتسع المقام لذكرها، ونحيل في هذا المقام على كتاب "اقتضاء الصراط المستقيم" لابن تيميه، فان الكتاب يحمل في طياتة ابلغ الدلالات واقواها في تحذير الامة الإسلامية من تقليد غيرها، ويؤكد على التزامها بعقائدها وشرائعها وتميزها عن غيرها من الامم، وينبهنها إلى اصل جوهري من اصول بقاء الامم واستمرار الحضارات.

من صور التقليد واشكاله:

للتقليد صور واشكال كثيرة، منها ما يتعلق بتقليد أمة لامه، ومنها ما يتعلق بتقليد الاباء للكبراء، ومنها ما يتعلق بتقليد الغالب للمغلوب، ومنها ما يتعلق بتقليد النساء للرجال والرجال للنساء، إلى غير ذلك من صور واشكال، ونظرا لأن المقام لا يتسع للحديث عن هذه الاشكال والصور، فسوف نشير إلى واحدة منها وهي:

تقليد النساء للرجال وتقليد الرجال للنساء:

لقد فرق الله سبحانه وتعالى بين الرجل والمرأة بالخلقة والتكوين الجسماني، والنفسي والعاطفي، ومن ثم جعل لكل منهما وظيفة ورسالة في الحياة، بحسب تكوينه الخاص.

---

(١) سنن أبي داود في كتاب اللباس.

(٢) سنن أبي داود.

(٣) صحيح البخاري.

(٤) رواه ابوداود باب الاستئذان.

(٥) مسند الامام احمد.

... ولن تستقيم امور الناس حتى يقوم كل من الرجل والمرأة بدوره الخاص به. ولقد جعل الإسلام دور المرأة متناسبا مع فطرتها وتكوينها. من تربية وتعليم وعلاج وغير ذلك مما لا يقوم به إلا المرأة. ومتى حاول الرجل انتزاع بعض خصائص المرأة فهوفاقد للرجولة الحقة والحياة السوية، وكذلك المرأة متى حاولت انتزاع بعض خصائص الرجل فهي خارجة عن طبيعتها وانوثتها. ولكي لا ينحرف كل من الجنسين عن طبيعته ورسالته،فقد نهي كل منهما عن التشبيه بالآخر، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المتخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء[1]"، وعنه أيضا قال لعن رسول الله صلى عليه وسلم المتشبهات بالرجال من النساء.. والمتشبهين بالنساء من الرجال[2]"وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ثلاث لا يدخلون الجنة " وذكر منهم المرأة المترجلة المتشبهة بالرجال[3]". والاسلام لا يرضى ما يفعله كثير من الناس اليوم – ولا سيما الشباب من التميع والاستهتار، والتخنث في المشية والهيئة، واللباس والزي، والجري وراء " الموديلات" "والخنفسة"!! فإن ذلك كله انما هومسخ وانحراف عن الفطرة والهزامية والانحطاط على حساب أخلاق الامة الإسلامية ودينها، ومقومات عزها ونهضتها، وهذا الوضع الشاذ الذي يعيشه بعض الشباب، اعظم كارثة غزا بها الاعداء زهرات شبابنا وفلذات اكبادنا، ومن المبكي حقا أن نرى قطعانا من الشباب في عالم المسلمين تسير هائمة بلا اهداف ولا غاية ...إلا التهريج والانحراف، ولا تفرق بين ذكورهم واناثهم في المظهر[4] .

---

(١) رواه البخاري

(٢) رواه الترمذي قال حديث صحيح

(٣) رواه الامام احمد

(٤) التقليد والتبعية. ناصر العقل ص٩٣ وما بعدها.

المبحث الثاني
أثر التقليد والتبعية في كيان الامة الإسلامية

يحلل الشيخ ابن تيميه الاثار الناجمة عن التشبه بالامم الاخرى، وما يحدثه من خلل في شخصية الامة المسلمة من الشعور بالضعف والانهزامية والامراض الاجتماعية، ثم البعد عن منهج الله وشرعه شيئا فشيئا فيقول: "ان متابعتهم تورث محبتهم وإئتلاف قلوبنا بقلوبهم، وتدعونا إلى موافقتهم في امور أخرى[1]"، ويستدل على ذلك بما هو مجرب ومحسوس فيقول "فان اللابس لثياب أهل العلم مثلا يجد في نفسه نوعا من الانضمام اليهم، واللابس لثياب الجند المقاتلة يجد في نفسه نوعا من التخلق باخلاقهم، ويصير طبعه مقتضيا لذلك إلا ان يمنعه من ذلك مانع"[2].

وكما أن طاعة الله تعالى وعبادته، والخضوع لاوامره والانتهاء عن نواهيه تورث انشراحا في الصدر وسعادة في النفس ونورا في القلب، وبالضد من ذلك فإن المعاصي تورث كآبه النفس وظلمه القلب، وتسبب الغم، والحزن والضيق. واذا كان ابن تيمية يتكلم عن ثقافات فارس والروم بصفة خاصة، وما أحدثته من اثار سلبية في الامة الإسلامية في زمنه، فماذا عساه أن يقول لو عاش في عصرنا الحاضر، الذي تشابكت فيه الثقافات والحضارات، وكثرت فيه التيارات الموبوءة والحلول المستوردة والقوى الشريرة والميكروبات الثقافية والافكار المعادية للاسلام؟!.

إن اثار ومضار التبعية والتقليد كثيره ومتعدد المجالات والنواحي، ويمكن إجمالها باختصار في النقاط التالية:

١ – آثار في الانظمة والتشريع.
٢– آثار في الناحية الاخلاقية.
٣– آثار في المظاهر العامة
٤– آثار في الادب واللغة والتاريخ.
٥– آثار في الناحية الفكرية والنفسية. (*)

---

(١)اقتضاء الصراط المستقيم ص١١

(٢) المرجع نفسه ص١٣

(*) انظر تفصيل هذه النقاط في الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، ص ٣٥٧-٣٦٢.

المبحث الثالث
ضوابط الانفتاح وشروط الاقتباس من الحضارة الغربية

نحن في عالم اكتسبت فيه الحضارة الغربية المركزية في الاختراع والعلوم الكونية، ويميل معظم الناس في العالم إلى تقبلها العلمي، باعتبارها النقطة المرجعية للتقدم التكنولوجي، ويجب علينا نحن المسلمين ان نستفيد من هذه العلوم وهذا التقدم. ومن الطبيعي ان يأخذ الإنسان ويعطي، ويقتبس ويختار من غيره. وكل حضارة أخذت واعطت، ولم توجد قط حضارة ابدعت ولم تنقل، فالنقل ليس وباء وعارا، وانما هوغذاء وفخار.

والانغلاق الحضاري قاتل للانسان، والتبعية الحضارية هي الاخرى قاتلة للابداع، وليس عجيبا ان ناخذ من حضارات الامم ما يفيدنا، ولكن العجيب ان نظل عالة على امم الارض نأخذ منها ولا نعطي، والعزلة الحضارية والجهل صنوان، وكلاهما تخلف، وعقبة في طريق التقدم والتطور المادي. والامة الإسلامية،وهي تتطلع إلى مستقبل مشرق، لا بد ان تخوض معركة الذات وتجديدها، وتستفيد من آليات الفكر الغربي ومنجزاته العلمية المعاصرة، طبق الضوابط التالية:-

أولاً: اعطاء الحضارة الغربية حجمها الحقيقي وقيمتها الصحيحة.

ثانياً: التمييز بين الحضارة الغربية (والاستعمار) الغربي.

ثالثاً: الحصانة والقوة والثقة بالذات. (*)

قال تعالى ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾ (٢) .

ان الحضارة الحديثة عاتية تجرف امامها أقوى الاسوار والحواجز. وقبل ان نفتح الابواب لها لا بد ان تكون على متانة من الاستعداد الفكري والعلمي والروحي وعلى

(*) انظر تفصيل هذه الضوابط في الطبعة الأولى لهذا الكتاب ، ص ٣٦٢-٣٦٦.

(٢) سورة الزخرف آية ٤٣

وعي في التعامل مع هذه الحضارة[1].

ان الثورة المعلوماتية التي أخذ المفكرون في العالم الصناعي يعتبرونها العلامة البارزة لانتقال بمجتمعاتهم من مرحلة العصر الصناعي برمته، إلى العصر المعلوماتي باعتباره عصراً جديداً بميزاته وخصائصه الاجتماعية والفكرية، لا يستطيع ان يعيش فيه الإنسان بلا عدوى، وبلا مكروبات الحضارة شاء ام ابى، فمناخ الحضارات كمناخ الاجواء في تدافع مستديم، بين ضغط مرتفع وضغط منخفض.ولكن علينا ان نعي ان اختراق هذه الحضارة لا يتم لنا نحن المسلمين إلا بتحسين اقلاعها، وتحسين ايمانها واخلاقها، حتى تقلع وتحلق كالنسر باجنحة متوازنة، جناح يحلق بالسنن الهاديه، وآخر يحلق بالسنن البانية، والا بقيت حضارة عرجاء تسير برجل واحدة، وهذه مهمة المسلمين في هذا العصر، بأن يكونوا على مستوى عصرهم من القوة وتحمل المسؤولية في النهضة، وان يتعايشوا مع فيروسات هذه الحضارة بقوة ومناعة ويقظة ووعي، وعقيدة وايمان، دون ان يذوبوا، أو ينسحبوا من الحياة، اويسمحوا لها باختراقهم، وعليهم ان يجعلوا من هذه الحضارة ميدانا لدعوتهم، لاحتواء هذه الحضارة وتصويبها وترشيدها على اسس اسلامية، وتوظيفها لتحقيق الوراثة الصالحة للحياة، والاستخلاف المطلوب لعمارة الارض[2] .(*)

---

(١) انظر: تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها، د. احمد جابر الانصاري ص٦٣/٦٤

(٢)راجع: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ابوالحسن الندوي (المقدمة) دار القلم

(*) راجع مزيدا من الضوابط في الطبعة الأولى من هذا الكتاب، ص ٣٦٤.

الفصل الرابع

مشكلات الشباب وموقف الإسلام منها

المبحث الأول

أهمية الشباب في الإسلام

يمثل الشباب الثروة الغالية والثمينة للامة، ولكن هذه الثروة قد يستفاد منها، وتوجه نحوالخير والفضيلة والبناء، وقد تهدر أوتستغل للشر والفساد والهدم والرذيلة.

فالشباب هو رأس مال الأمة، وعدتها وعتادها، وحاضرها ومستقبلها، وهوثروة الأمة التي تفوق ثرواتها ومواردها كلها ؛ فإذا أدركت الأمة كيف تحافظ على أغلى ثرواتها، وكيف تنميها وترعاها، وكيف توجهها وتستفيد منها وتفيدها، استطاعت أن تؤدي رسالتها في الحياة وتحقق سر وجودها، وإن لم تدرك ذلك كتب لها الشقاء والتعاسة في دينها ودنياها.

ولهذا حرص النبي صلوات الله وسلامه عليه الحرص الكامل على تكوين الشباب، وتربيتهم وإعدادهم لحمل المسئولية، وتهيئتهم لأداء الامانة التبليغية، وكان ينصح عليه الصلاة والسلام في مناسبات كثيرة ومجالات عدة، باستغلال فترات الشباب وأيامه في الصلاح والاصلاح والجهاد والبناء والتعمير[1].

وفي دعوة الشباب لاغتنام فرص حياتهم فيما يعود عليهم بالفائدة والنفع يقول عليه الصلاة والسلام: "اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك[2]... وفي حث الشباب على تحمل المسؤولية ومحاسبة النفس. يقول صلى الله عليه وسلم " لا تزول قدما عبد يوم

---

(١) دور الشباب في حمل رسالة الإسلام، عبد الله علوان ص٩

(٢) رواه الحاكم

القيامة حتى يسأل عن اربع: عن عمره فيما افناه، وعن شبابه فيما ابلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما انفقه، وعن علمه ما عمل فيه[1] ". وفي عصمة نفوس الشباب من الميوعة والانحلال واحصانها بالزواج الذي شرعه الله يقول صلوات الله وسلامه عليه "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (أي القدرة على الزواج) فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ..."[2]

(١) رواه الترمذي

(٢) رواه الجماعة

المبحث الثاني

أهم المشكلات التي تواجه الشباب المسلم

يواجه الشباب عدة أزمات يمكن تلخيصها تحت أربعة أنواع:

١- **الازمة الروحية:** وما تتضمنه من اختلال في التوازن بين المادة والروح في شخصية الشباب.

٢- **الازمة الفكرية:** وما تحمله من الصراع الفكري بين الأصالة والمعاصرة في زحمة الايديولوجيات المتصارعة.

٣- **الازمة الاجتماعية**، وما تحتويه من اتجاه للتقليد الاعمى لشباب الغرب والقلق النفسي الذي يعتورهم.

٤- **الازمة السياسية:** وما تتضمنه من شعور الشباب بالاسى وخيبة الأمل تجاه الامة وعدم وحدتها والأخطار التي تواجهها وبخاصة الخطر الصهيوني في فلسطين المحتلة ونفوذ اليهود في دول المشرق والمغرب[1] .

ويرى الدكتور عباس محجوب في كتابه القيم "مشكلات الشباب والحلول المطروحة والحل الإسلامي" — والذي ننصح بقراءته، أن مشكلات الشباب تكمن فيما يلي:

١- افتقاد الهوية والذاتية الإسلامية.

٢- مشكلة الجنس، ويرى أن اسبابها اتت إلى الشباب مما يلي:

أ - الغزوالمرتبط بالاحتلال.

ب- المفهومات المغلوطة عن وظيفة الجنس.

ج- المثيرات الخارجية.

د- العقبات في سبيل الزواج.

---

(١) مشكلات الشباب في ضوء الإسلام. اسحاق الفرحان ص١١-١٣، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٢.

هـ - الفراغ الفكري والعقلي والعاطفي(الروحي).

و- توفر اسباب الانحراف، وعدم وجود رادع مادي.

٣- ضعف التعليم والثقافة والتخلف العلمي.

٤- اضطراب المفاهيم في قضايا المرأة.

٥- افتقاد التربية على تحمل المسؤولية.

٦- افتقاد القدوة الصالحة.

٧- ضعف اجهزة الاعلام ورعاية الشباب[1]

إن الشباب في البلاد العربية أوالاسلامية ودول العالم الثالث يعيشـــون في متـــاعب كثيرة، وتنتابهم هموم واحزان متعددة، فهم اولا محرومون في الغالب من الحقوق السياسـية، لأن أغلب الانظمة الحكومية عسكرية استبدادية، ويشعرون أمام الغزوالفكـــري والبغـــي الاجنبي والثقافي الغربي ومحاولات التغريب، بأنهم دون الناس، ويفتقدون الكثير من حقـوق الحياة الحرة الكريمة، وتهدد بعضهم المجاعات المتكررة وحوادث الطبيعة مـــن فيضانـــات وغيرها، ويعانون أحيانا من الثالوث المخيف الهدام وهو(الفقر والجهل والمرض) ولا يتوفـــر لديهم الدخل المادي الكافي، واذا حصلوا على الشهادة الجامعية عجزوا عن تدبير شـــؤون الزواج، واعداد المنزل المقبول نسبيا، وظلوا سنوات يبحثون عن العمل إمـــا في وظـــائف الدولة أوفي القطاع الخاص، وهم في زهرة العمر ما يزالون يعتمدون على تمويل الاب ممـــا زاد من نسبة البطالة وانتشارها في المجتمع.

وكثير من الشباب يعاني من مشكلة الفراغ الذي يملأ به وقته (الفراغ بكل انواعـــه) ولا يخفى علينا أن الانحراف والشذوذ ... انما هو من ثمار الفراغ.

كما أن العزوف عن القراءة والاكتفاء بتصفح الجرائد اليومية والمجلات الاســـبوعية، والاستماع إلى المذياع ومشاهدة التلفاز كل ذلك أوجد نقصا في تكوين الشباب وتمكينهم

(١) مشكلات الشباب والحلول المطروحة والحل الإسلامي. د. عباس محجوب ص٢٩ -٦٩.

وانظر: العلم والإيمان وقضايا الشباب ص٢٠، د. وهبة الزحيلي. وراجع: مشكلات الشباب للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.

من معالجة أمور الحياة برأي صائب، وفكر ثاقب، وعقل سليم، وربما اعتمد بعض الشباب في تكوينهم على أفلام الجريمة والجنس.

ومن أخطر ما يعاني منه شبابنا اللامبالاة وعدم القدرة على تحمل المسؤولية، والعجز عن تحمل مسؤوليات تكون الأسرة، والخوف من مطالب الحياة الأمر الذي يدفع الشباب إلى العزوف عن الزواج وبناء البيت.

كل هذه المشكلات ونحوها أوجد نوعا من التمرد لدى الشبان، وربما ساعدهم على ذلك سوء التربية في الاسرة اوفي المدرسة، اوفي المعاهد والجامعات، كما وجه الشباب في بعض البلاد توجيها غير صحيح، إذ أصبحوا أبواق السلطة الحاكمة، وعنوا بقضايا جانبية، وتركوا واجباقم الاساسية، وآل الأمر بسبب هذا التمزق الفكري وسوء التوجيه إلى الانحراف واتباع الشهوات والاهواء[1]

(١) العلم والايمان وقضايا الشباب: ص٢٠ وما بعدها (مرجع سابق).

المبحث الثالث

بعض الحلول الإسلامية لعلاج مشكلات الشباب

لا علاج لمشكلات الشباب إلا بالعودة إلى أصول التربية الصحية التي تعتمد قوة الوازع الديني واحترام نظام الاسرة المسلمة، وتعويد الشباب على الاعتماد على النفس، وتربيتهم على الجد وحب العمل، والتربية بهذه الاصول مجالها الاساسي أمران: البيت اوالأسرة المتمثل في رعاية الوالدين، والأمر الثاني: المدارس والجامعات.

اما البيت فهو المدرسة الاولى للتربية الدينية والاخلاقية، ولهذا فعلى الابوين تعليم ابنائهم القيام بواجباتهم الدينية قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ ﴾[2]، أي أن الاباء والامهات مطالبون بأمر أبنائهم وبناتهم بالصلاة التي تصلهم بربهم وبالخير الذي يملأ نفوسهم وبالتكاليف الشرعية والاخلاق الرضية الطيبة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مروا اولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم ابناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع"[3]، والاسرة المسلمة هي الحصن الوحيد الذي بقي في ايدي المسلمين، فعليهم ان يحافظوا عليه.

اما المدارس والمؤسسات، فهي أرض خصبه تستطيع أن تؤتي أكلا طيبا كل حين باذن ربها. غير أن الذين يتولون أمرها قد يغرسون فيها غرسا طيبا ينتفع الناس بثمره، وقد يغرسون فيها الشوك والزبد، فلا ينفع الناس ولا يمكث في الارض، ولا يخرج إلا اجيالا نكده. ومن الثابت أن المدرس يؤثر بسلوكه وعمله أكثر مما يؤثر بقوله وتلقينه، ولهذا ينبغي ان يكون المدرس حسن السيرة وان يكون على جانب عظيم من الأخلاق الكريمة

(١) سورة التحريم ايه ٦

(٢) سورة طه الاية ١٣٢

(٣) رواه الامام احمد وابوداود والحكم.

والسلوك المستقيم، وعليه أن يبدأ بتربية نفسه قبل أن يبدأ بتربية غيره، فيتخلص من العادات والتصرفات التي لا يحسن أن تنتقل إلى طلابه بالعدوى، وعليه أن يلزم نفسه بعبادات وتصرفات جديرة بالاقتباس والتقليد باعتباره قدوة، فالمدرس نائب عن الوالدين وموضع ثقتهما، وهوايضا نائب عن المجتمع الذي عهد إليه أن يربي ابناءه، ومن الخطأ أن نجعل هذا الأمر مقصورا على مدرس الدين وحده، لأن المدرسين على اختلاف موادهم وتخصصاتهم هم في نظر الطلاب قدوة يقتدى بهم جميعا.

اما المشكلة الجنسية عند الشباب: فالواقع أن المجتمع المسلم لم يعرف الجنس كمشكلة لارتباط الحياة فيه بمنهج الإسلام والتزام الطرق الشرعية في تلبية حاجات الجنس، ثم تربية المسلم القائمة على اساس الاعتزاز بالشرف والعفة والطهارة والفضيلة والخلق الكريم، ولكن الذي جعل الجنس مشكلة اسباب كثيرة نذكر منها[1]:

١- الغزو الثقافي الذي عم بلاد المسلمين، والذي زين المعاصي للناس وشجع الحريات المنفلتة .فنشأت أجيال ترى المحرمات مباحة، وتدافع عن الموبقات باسم الحريات الشخصية.

٢- المثيرات الخارجية التي تؤجج الجنس لدى الشباب مثل الازياء العالمية، والمجلات الجنسية والافلام التي انتشرت في الفضائيات بصورة حطمت القيم والحياء والاخلاق، والصور العارية الفاتنة التي تلصق للدعايات في المنتجات والصناعات العالمية..

٣- الاختلاط وعمل المرأة بشكل خارج عن قواعد الشريعة، مما يزيد من سعار الجنس ويشجع دواعيه ويزيد من ظاهرة العنوسة بين الجنسين.

وعلاج هذه الظاهرة يكمن في الرجوع إلى قواعد الإسلام التي نظمت علاقة الرجل بالمرأة، ووضعت حدودا لعمل المرأة وواجباتها، بصورة يحفظ عليها دينها ويحفظ لها انوثتها ورسالتها العظيمة ودورها الكبير في المجتمع الإسلامي.

٤- غلاء المهور: الإسلام يحث على عدم المغالاة في المهور، حتى لا يكون الزواج صعبا، فيعرض الشاب عنه، قال عليه الصلاة والسلام: "خير الصداق أيسره"[2].

---

(١) مشكلات الشباب. د. عباس محجوب ص٤١ وما بعدها

(٢)اخرجه ابوداود والحاكم

ظاهرة ضعف الايمان عند الشباب[1]:

ظاهرة ضعف الايمان من الظواهر التي عم وانتشر بلاؤها بين الشباب، فعدد كثير من الشباب يشتكي من قسوة قلبه، وتتردد عباراتهم "أحس بقسوة في قلبي" "لا أجد لذة للعبادة" "أشعر ان ايماني في الحضيض" "لا أتأثر بقراءة القرآن" "أقع في المعصية بسهولة". وكثير من الشباب آثار المرض عليهم بادية كما يقول ابن القيم: "أن للحسنة نورا في الوجه، وإن للسيئة ظلمة في الوجه[2] ... وفيما يلي محاولة للتعرف على مظاهر وأسباب وأعراض وعلاج ضعف الإيمان عند الشباب والتي منها:

١- الوقوع في المعاصي وارتكاب المحرمات.

٢- ومنها الشعور بقسوة القلب وخشونته، وصاحب القلب القاسي لا تؤثر فيه موعظة ولا نصيحة قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾.[4]

٣- ومنها عدم اتقان العبادات: ومن ذلك شرود الذهن أثناء الصلاة وتلاوة القرآن.

٤- ومن مظاهر ضعف الإيمان عند الشباب الفتور والتكاسل عن العبادات، واداءها بحركات جوفاء لاروح فيها ولا حضور ولا خشوع قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾.[5]

٥-ومن المظاهر: ضيق الصدر عند الشباب وتغير المزاج وسرعة التضجر والتأفف من أدنى شيء.

٦- ومن مظاهر ضعف الايمان عدم التأثر بايات القران.

٧- ومنها الغفلة عن الله عز وجل، وقد وصف الله الغافلين بقولة: ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ ﴾.[6]

٨- ومن مظاهر ضعف الايمان عدم الغضب إذا انتهكت محارم الله عز وجل.

---

(١) ظاهرة ضعف الايمان، محمد صالح المنجد ص٩-٢٣، (بتصرف واختصار).

(٢) راجع: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم.

(٣) سورة البقرة آية ٧٤

(٤) سورة المطففين: ١٤.

(٥) سورة النساء آية ١٤٢

(٦)سورة النساء اية ١٤٢

٩- عدم الاهتمام بقضايا المسلمين ولا التفاعل معها لا بدعاء ولا بصدقة ولا إعانة.

١٠- كثرة الجدال والمراء المقسي للقلب، قال عليه السلام: "ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا اوتوا الجدل"(١)

أسباب ضعف الايمان عند الشباب:

إن لضعف الايمان عند الشباب اسبابا كثيرة، منها ما هومشترك مع الاعراض ومنها ما هومتميز عنها ومن هذه الاسباب:

١- الابتعاد عن الاجواء الايمانية وبيئات المساجد فترة طويلة.

٢- الابتعاد عن القدوة الصالحة والرفقة الطيبة.

التدابير الشرعية لعلاج ضعف الايمان عند الشباب:

من التدابير الشرعية التي يمكن للشباب ان يعالج بها ظاهرة ضعف ايمانه ما يلي:-

١- تدبر القرآن العظيم الذي انزله الله عز وجل تبيانا لكل شيء .

٢- استشعار عظمة الله عز وجل، وتعظيم اوامره، والرغبة فيما عنده واليقين على موعوده.

٣- ومن التدابير الشرعية التي تقوي الايمان عند الشباب ملء الوقت بالاعمال الصالحة والمسارعة بها لقول الله تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ ﴾(٢) وقال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾(٣)، وامتدح الله زكريا واهله بقوله: ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾(٤).

والمداومة على الاعمال الصالحة تقوي الايمان، وقد سئل النبي عليه الصلاة والسلام أي الاعمال احب إلى الله ؟ قال: "أدومها وان قل"(٥).(*)

(١) رواه احمد في المسند

(٢) سورة ال عمران اية ١٣٣

(٣) سورة الحديد اية ٢١

(٤) سورة الانبياء اية ٩٠.

(٥) رواه مسلم

(*) لمزيد من التفصيل والبيان لهذا النقاط راجع الطبعة الأولى من هذا الكتاب، ص ٣٧٤-٣٨١.

الفصل الخامس

آفة المخدرات وخطرها على المجتمع

المبحث الأول

تعريف المخدرات وانواعها وحكم تعاطيها

تعريف المخدرات:

المخدرات في اللغة مأخوذة من الخدر، والخدر فتور يغشي اعضاء الجسم، والخادر: الفاتر الكسلان، وفي كتب اللغة نجد ان المخدر والمفتر معناهما متقارب: جاء في لسان العرب[1] الفتر الضعف، وفتر فتورا لانت مفاصله وضعف. وفي المصباح المنير ومعجم متن اللغة: خدر العضواسترخى فلا يطيق الحركة، وخدرت عينه ثقلت من قذى اوغيره، والخدرة الضعف والفتور يصيب الاعضاء والبدن.

وجاء في معجم لغة الفقهاء ان مادة خدر وما اشتق منها في اللغة تطلق على عدة معان منها[2]

أ- ما يستر الجهاز العصبي عن فعله ونشاطه المعتاد.

ب- كل ما يورث فتورا واسترخاء في البدن.

أما التعريفات الاصطلاحية للمخدرات: فكثيرة ونكتفي بتعريف واحد منها وهو تعريف منظمة الصحة العالمية وهو: كل مادة إذا ادخلناها في جسم حي تغير سلوكه وعمله.

أنواع المخدرات:

اقتصر اسم المخدر في الماضي على المخدرات التقليدية التي تشمل الافيون ومشتقاته، ثم اضيف الكوكا والقنب الهندي إلى القائمة. وخلال السنين القريبة ظهرت في الاسواق

---

(١) لسان العرب فصل الخاء.

(٢) معجم لغة الفقهاء (ص١٩٣، ص٤١٥)

مركبات جديدة تتمتع بتأثير واضح على الجملة العصبية الدماغية وتؤدي إلى انحراف عقلي ظاهر.

وعلى هذا الاساس لم يعد لكلمة (العقار المخدر) أي معنى محدد، بل أصبح معناها واسعا جدا.

ولكن نستطيع أن نحدد أن جميع أنواع المخدرات تعود في اصلها إلى نوعين: مخدرات طبيعية، ومخدرات كيماوية.

أ – **فاما المخدرات الطبيعية:** فهي مجموعة من النباتات التي تؤخذ وتستعمل كما هي دون تغيير يذكر في مكوناتها، مثل الافيون والحشيش والقات وزهرة القطن والكوكايين.

ب– **واما الكيماوية:** فهي مجموعة من المستحضرات الطبية التي تستخرج من النباتات السابقة، وتمزج بمواد كيماوية بنسب معينة، إذا اخذت بطريق الفم اوالانف اوالحقن ادت إلى نفس النتيجة السابقة، بل اشد فتكا بالاجسام، ومنها على شكل اقواص تباع في الصيدليات ... المنبهة والمنشطة والمخدرة[1] .

حكم الشريعة في تعاطي المخدرات:

المخدرات محرمة في الشريعة الإسلامية إلحاقا بالمسكرات، وهذا الحكم في المخدرات مبني على حكم الإسلام في الخمر التي حرمها الإسلام بطريقة حازمة لخطورتها وعظيم اثمها قال تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾[2]، ويوضح هذا قول الرسول صلى الله عليه وسلم " لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة له[3]".

وأساس على التحريم في الخمر هي الأسكار، فكل سكر حرام، كما جاء في الأحاديث النبوية، وفعل المخدرات أشد من الإسكار.

---

(١) ظاهرة المخدرات، د.جبر محمود ص١٩

(٢) سورة المائدة اية ٩٠-٩٢

(٣) اخرجه ابوداود وغيره.

المبحث الثاني

أسباب انتشار المخدرات

هناك ملحوظات وأسباب عديدة تدفع بعض الناس للوقوع في حبائل المخدرات والادمان عليها، وسوف اجملها على شكل عناوين، لأن المقام لا يتسع لتفصيلها، ومن أهم هذه الاسباب ما يلي:

١- ضعف الوازع الديني، وانعدام التوجيه **(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)**.

٢- البيئة السيئة والعيش في اجواء الانحراف، والرغبه في تقليد قرناء السوء في العمل والمدرسة أوفي السجون.

٣- عدم وجود عقوبات رادعة، وقصور بعض الاجراءات الامنية.

٤- جديد، وتقليد الغير تقليدا أعمى.

٥- ترويج هذه البضاعة الخبيثة وتشجيعها ونشرها وتزيينها من قبل عصابات مفسدة في الارض، لأهداف إستعماريه لاضعاف المسلمين والنيل من شبابهم.

٦- لعدم حصوله على فرص كان يطمح اليها في الحياة.

٧- المشاكل الاسرية وتتمثل في: غياب أحد الابوين، والخلافات بين الابوين من جهة وبين الاولاد من جهة ثانية، وسوء التربية، وعدم الرقابة.

آثار المخدرات واضرارها على الافراد والمجتمعات:

ان نظرة سريعة إلى الجداول الاحصائية، التي تنشرها المكاتب المتخصصة في العالم، تبين بشكل لا يقبل الجدل، خطر هذه المأساة التي لم ينج منها عالمنا الإسلامي والعربي مع الاسف. وبدأت اثارها تنعكس على تطور الجريمة، وتفكك العائلة، والانحطاط الخلقي، والتخلف الصحي، والعقلي، والولادات المشوهة.. وما إلى ذلك من آثار بدأت

تتكشف لنا يوما بعد يوم. وما انتشار مرض "الايدز" إلا احدى نتــائج تعــاطي هــذه الموبقات.[1]

أهم الاضرار التي تلحقها المخدرات بالافراد:

١- الانحراف والشذوذ والسآمة والاكتئاب، والضياع والضجر والعدمية والعبثية.

٢- ينسى المدمن نفسه وآخرته، ويسرح في أودية الخيال والاوهام والاحلام، ويتخيل ما ليس واقعا بواقع، وتكثر الحوادث بسببه وخاصة حوادث السير

٣- هبوط في الصحة، وخور في النفس، وتحلل في الارادة، وتميع في الخلق، وعــدم تحمل المسؤولية، وضعف الشعور بالواجب (جيل غير مسؤول).

٤- إتلاف المال وخراب البيوت، وربما انحرف المدمن إلى السرقة أو التســول أو إلى طريق غير شريف لتأمين ثمن هذه المخدرات إذا كان من الطبقات الفقيرة.

(١) راجع هذه الجداول وهذه الأضرار الاجتماعية في كتاب: الاضرار الصحية للمسكرات والمخــدرات والمنبــهات، للدكتور محمد علي البار ص٩-١٠، وص ٥٥، ص٧١، ١١٤.

المبحث الثالث
معالجة الشريعة الإسلامية لظاهرة المخدرات

اما عن كيفية معالجة الشريعة الإسلامية لظاهرة المخدرات. فالواقع أن الإسلام يقدم منهجا متميزا ينفرد به، وهذا المنهج يقوم على المحاور التالية:

١- العمل على صناعة الإنسان الصالح.

٢- العلاج الوقائي ضد الجريمة، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج، وذلك بتنقية المجتمع من الاسباب التي قد تدفع إلى ارتكابها.

٣- الرقابة الاجتماعية.

٤- التحريم: فقد ورد آيات وأحاديث تدل على تحريم المسكرات والمخدرات.

٥- العقوبة الحازمة الزاجرة.

٦- تشديد الرقابة على بؤرة الفساد وتجمع خلان السوء واجتثاث وجودها.

٧- فسح المجال للتربية الإسلامية لتكون هي الاساس والمنطلق في مؤسساتنا الثقافية والاجتماعية والتربوية. ويتطلب ازالة التناقض والتعارض بين المؤسسات الثقافية والتربوية.

متى يبلغ البنيان يوما تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

٨- الاهتمام بدور المسجد في صيانة المجتمع من مظاهر الانحلال والانحراف مما يقتضي العودة بالمسجد إلى رسالته الحضارية التي ارادها الإسلام.

٩- احياء رسالة الدعوة الإسلامية.

١٠- ان علاج مشكلات البشرية وخلاصها مما تعانيه من شرور وآثام في هذا المجال وغيره، يمكن في العودة إلى دين الله.

فلقد أدرك كثير من العلماء والباحثين، أنه ليس هناك مهذب لطبائع الشعوب كالدين، فهو الذي يحمي الإنسان ويحيطه بسياج من الوقاية من الخبائث، بعد أن يغرس في نفسه قواعد الحلال والحرام، ويعرفه على المباح والمحظور. وبدون ذلك ستظل البشرية تتخبط في تجاربها بين نظام وآخر.(*)

(*) لمزيد من التفصيل والبيان راجع الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، ص ٢٨٣-٢٩٧.

الفصل السادس

حقوق الإنسان والتمييز العنصري

المبحث الأول

أهمية موضوع حقوق الإنسان في الإسلام

تزداد أهمية الحديث عن حقوق الإنسان هذه الأيام ويتعاظم ذكرها في ظل ما يسمى "النظام العالمي الجديد" -والأصح أن يقال النظام المادي الجديد- حيث ترى ونسمع ضياع الحقوق عالميا ودوليا، حيث يتحكم القوي بالضعيف ويعمل على افقار الشعوب واضعافها واستغلال ثرواتها والتحكم بمقدراتها. مما جعل معظم شعوب العالم تعيش في حالة من القلق والقهر والظلم.

مفهوم حقوق الإنسان في الإسلام:

يقصد بحقوق الإنسان في الإسلام: هي الواجبات والمبادئ والمفاهيم التي لا يمكن أن يعيش الإنسان بدونها، ولا يستمتع بالحياة إلا مع توافرها، فهي من مكملات ومتممات منحة الحياة التي وهبها الله عز وجل للانسان على الارض.

وهذه الحقوق في جملتها ليست من مستحدثات العصر، ولا من مبتكرات الغرب، وإن الإسلام سبق باقرارها، بل الدعوة اليها والمحافظة عليها، واعتبار الفرد والمجتمع والدولة حراسا على رعايتها، بوصفها واجبات شرعية يثاب من فعلها ويعاقب من تركها.

و لم تأت حقوق الإنسان أو واجباته في الإسلام كما جاءت في غيره، نتيجة كسب بشري، أو صراع تاريخي، أو غلبة طائفية أو ذكاء لعبقرية.

وعندما نتحدث عن هذه الحقوق في الإسلام، فانما نتحدث عنها باعتبارها حقوقا

مقررة من قبل الله تعالى كما بلغها عنه الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذه الحقوق منحة ربانية وعطاء ونعمة من الله عز وجل لنبي الإنسان.

أنواع حقوق الإنسان في الإسلام:

ترجع أهم حقوق الإنسان العامة في الدساتير والمواثيق العالمية إلى مذهبين أو إلى حقين رئيسين:

الأول: أن اساس هذه الحقوق هو العدل، فيجب على الدولة توفيره للقضاء على أشكال الظلم والاستغلال والاستعباد.

الثاني: أن أساس الحقوق هو الحرية، فبغير الحرية لا يوجد العدل وبالحرية يشعر الإنسان بوجوده وشخصيته، والعدل يتطلب المساواة.

أما في المنظور الإسلامي فأساس حقوق الإنسان في الحياة وغيرها هو تكريم الله للانسان، والحرص على أمنه واستقراره.

وتقوم حقوق الإنسان في الإسلام على الحريات الخمس وهي:

١- حرية الاعتقاد والتفكير.

٢- وحرية الرأي والتعبير.

٣- حرية العمل.

٤- حرية التعليم.

٥- حرية التملك والتصرف وتقرير المصير(١).

لقد ادعت الديموقراطية الحديثة أن العالم الانساني مدين لها بتقرير هذه الحقوق فلدعى الانجليز أهم أعرق شعوب العالم في هذا المضمار، وزعم الفرنسيون أن تلك الحقوق كانت هي القطوف الدانية لثورتهم الشهيرة المجيدة، وانكرت أمم أخرى على الانجليز والفرنسيين هذا الفضل وادعته لنفسها. والحق أن الإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في اكمل صورة وأوسع نطاق، وأن الامة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله

---

(١) انظر: حقوق الانسان في الإسلام، د. ابراهيم مدكور والدكتور عدنان الخطيب، ص٣٣.

عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده كانت أسبق الامم في السير عليها[1].

وحقوق الإنسان في الإسلام اما حقوق سياسية تعتمد على رابطة الانتماء والولاء للعقيدة، وهذه ليست محل بحثنا هنا، وإما حقوق أساسية تشمل المسلمين وغيرهم، من غير أي تمييز، وهي تتناول جميع الحقوق التي تضمنها البيان العالمي لحقوق الإنسان، وأهمها الحق في الحياة والكرامة الانسانية، والحرية بانواعها، والعدل، وسوف أذكر فيما يلي بيانا مختصرا عن كل حق من هذه الحقوق:

- حق الحياة:

أما حق الحياة الذي هو هبة من الله تعالى، والذي أجمعت جميع الشرائع والاديان على تقديسه واحترامه وحفظه ورعايته، وحرمت الاعتداء على صاحبه تحريما قطعيا، وإنا لا نجد مثيلا لهذا التقديس والصون نظريا وعمليا في غير القرآن المجيد حين يعلن قال تعالى: ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾[2]، إلى غير ذلك من آيات.

- حق الكرامة الانسانية:

يتطلب حق الحياة حماية الكرامة الانسانية. لأن الكرامة تمثل عزة النفس والاحساس المعنوي بالحياة، دون تمييز بين أمير وصغير ولا بين حاكم ومحكوم، لذا أمر عمر بالقصاص من جبلة بن الأيهم الأمير الغساني الذي ضرب اعرابيا فجدع أنفه، لأنه داس رداءه أثناء الطواف حول الكعبة المشرفة، وقال عمر لجبلة الذي استغرب القصاص بقوله: (أنا أمير وهو سوقه): (الإسلام سوى بينكما)، كما أمر بالقصاص من ابن عمر بن العاص قائلا له: (دونك الدرة فاضرب بها ابن الاكرمين) ثم أمره بضرب صلعة عمرو بسبب استغلال ابنه نفوذ أبيه وسلطانه، فلم يفعل القبطي، مكتفيا بضرب الابن، فقال عمر لعمرو وابنه: "متى استعبدتم الناس وقد ولدهم أمهاتهم أحرارا".

(١) حقوق الانسان بين تعاليم الإسلام واعلان الامم المتحدة، الشيخ محمد الغزالي ص٢، دار التوفيق.

(٢) سورة المائدة: ٣٢.

- حق العدل والمساواة:

العدل يتطلب المساواة في الحقوق والواجبات فالناس في نظر الإسلام سواسية كاسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا تمييز لأحد إلا بالتقوى والعمل الصالح الذي ينفع المجتمع، ولا يعرف الإسلام أي لون من ألوان التمييز العنصري بسبب الجنس أو اللون أو العرق أو الدم أو الطبقة أو غير ذلك قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

ومنبع الشعور بالمساواة الانسانية الاصيلة أعلنه الدستور القرآني بقوله تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.[2]

وضمن الإسلام المساواة بين الناس امام القانون قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾.[3]

وقد قرر الرسول عليه الصلاة والسلام المساواة بين الناس وأعلن وحدة الجنس البشري منذ خمسة عشر قرنا، فقد جاء في خطبته عليه السلام في حجة الوداع: "يا أيها الناس ان ربكم واحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، ليس لعربي فضل على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على ابيض ولا لابيض على أحمر إلا بالتقوى".

- حق حرية الاعتقاد والتفكير والرأي:

المقصود بحرية العقيدة هنا اختيار الإنسان للعقيدة التي يؤمن بها من غير اجبار من أي مصدر من المصادر غير ذاته وضميره. يقول تعالى في عبارة صريحة قاطعة: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾[4].

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) سورة النساء: ١.

(٣) سورة المائدة: ٨..

(٤) سورة البقرة: ٢٥٦.

- **حق العمل والتعليم:**

العمل المشروع من أشرف الأوامر التي أمر الغسلام بها ودعى إليها قال تعـالى﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]. وقال تعـالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[2]، وكذلك التعليم من أقدس الحقوق الانسانية في الإسلام قال عليه الصلاة والسلام: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[3]، وكفى الإسلام أن أول آية نزلت فيه تأمر الناس بالقراءة والكتابة..

والحقيقة أنه لا يسعنا المقام أن نتحدث عن جميع الحقوق التي دعا الإسلام اليها، ويكفينا من العقد ما يحيط بالعنق، فحقوق الإنسان في مجال الإسلام قد استوعبت الاتجاهات الوضعية كلها قديما وحديثا وتفوقت عليها.[*]

- **مزايا حقوق الإنسان في الإسلام:**

تتميز حقوق الإنسان في الإسلام بالمميزات التالية:

١- ترتبط حقوق الإنسان في الإسلام بالدين ارتباطا عقديا وثيقا، مما يجعل الايمان بالله وسلطانه رقيبا في الضمير والنفس، فيضمن حمايتها ورعايتها ويرعى وجودها وحرمتها، ويسأل المرء عنها امام الله في السر والعلن.

٢- السبق التشريعي: فقد سبق الإسلام كل الانظمة بتشريعه العالمي المجرد بالدعوة الحاسمة لحماية حقوق الإنسان واحترامها وتقديسها منذ أربعة عشر قرنا، وكان هذا السبق قبل القرن الثامن عشر الميلادي الذي عد قرن حقوق الإنسان.

٣- الشمول وسمو الهدف: فحقوق الإنسان في الإسلام شملت الرجال والنساء والاطفال، كما شملت المسلمين وغير المسلمين في داخل دولة الإسلام وخارجها.

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٥.

(٢) سورة الملك: الآية ١٥.

(٣) أخرجه الطبراني الكبير والبيهقي في "شعب الايمان".

(*) لمزيد من البيان راجع الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، ص ٤٠٢-٤٠٧.

لأن البر في الإسلام انساني عـــالمي﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾.[١]

٤- ان تقرير الحقوق في الإسلام يستند إلى عقيدة الايمان، وهي في عمقـــها وشمولهـــا ودوامها لا تقارن بفكرة "القانون الطبيعي" أو "العدالة" أو العقد الاجتمــاعي، أو "العقل الجمعي" أو "المذهب الفردي".

٥- ان استناد تقرير الحق إلى الله عز وجل وشريعته يؤدي إلى اقتران الحق بـــالواجب، واقتران حق الفرد بحق الجماعة، واقتران الحقوق الفكرية والسياســـية بـــالحقوق الاجتماعية والاقتصادية، ومن خلال اداء الواجبات ترعى الحقوق، إذ ما من حـــق لفرد أو جماعة إلا كان هو واجبا على غيره فحقوق المحكومين انما هي واجبـــات على الحكام، وحقوق المستأجرين إنما هي واجبات على المالكين، وحقوق الاولاد انما هي واجبات على الوالدين[٢]

٦- ان الإسلام يمتاز عن الفكر الغربي بما قرره من التوازن بين الحقوق والواجبـــات. فالانسان في حضارة الغرب يركض دائما وراء ما هو له، ولا يهتم كثيرا بما هـــو عليه، والانسان في الإسلام مشدود إلى ما يجب عليه أولا، وفـــرق كبـــير بـــين الموقفين، فرق بين من يقول ماذا لي؟ ومن يقول: ماذا علي؟، فالأول يدور حـــول حاجته، والآخر يدور حول قيمة أخلاقه. قال عليه الصلاة والسلام: "ادوا الـــذي عليكم واسألوا الله الذي لكم".

---

(١) سورة الممتحنة: ٨.

(٢) حقوق الانسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الغربي، د. فتحي عثمان القاهرة.

المبحث الثاني

التمييز العنصري

التمييز العنصري أو التفرقة العنصرية والدعوة إلى تفاضل الاجناس، هي إحدى مبتدعات الفكر الغربي، وقد استمدها من مفهوم روماني قديم أطلق عليه "روما سادة وما حولها عبيد"، وقد تجدد هذا المفهوم في ظل استشراء النفوذ الاجنبي والاحتلال الغربي كمبرر له، بحجة القول إن هناك شعوبا متخلفة تحكم، وشعوب ممتازة تحكم. وجرى القول بالتفرقة بين العنصر السامي تخلفا والعنصر الآري تقدما، وحاول الكاتب الفرنسي (جوبنيو) أن يقول إن بعض العناصر خلق للسيادة وبعضها خلق للخضوع. واستغلت دوائر البغي العالمي هذه المعاني في مجال البلاد المحتلة، وجرت محاولة اقناع المسلمين والعرب أن يستسلموا تحت لواء هذه النظرية للغزو والاحتلال.

ولقد سجل القرآن الكريم ظاهرة التمييز العنصري التي برزت في حياة الشعوب بقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ﴾[1]. وقال تعالى ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾[2].

– موقف الإسلام من التفرقة العنصرية:

إذا كانت بعض الرسالات السماوية، قد اختص الله بها قوما بعينهم تصديقا لقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾[3] وقال تعالى: قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ

---

(١) سورة البقرة: آية ١١١.

(٢) سورة المائدة: آية ١٨.

(٣) سورة الروم: ٤٧.

(٤) سورة الاعراف: ٥٩.

أَخَاهُمْ هُودًاۚ ﴾[1] إلى غير ذلك من آيات، واذا كانت رسالة الدين اليهودي قد اختص الله بها شعب بني اسرائيل تصديقا للحديث النبوي: "بعث الانبياء قبلي إلى أممهم خاصة، وبعثت إلى الأمم كلها عامة"[2]، كما اختص الله برسالة عيسى عليه السلام أمه بعينها؛ فإن رسالة الدين الإسلامي للناس كافة قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾[3]، وهي دعوة عالمية تخاطب البشر جميعا، فلا نفرق بين حبشي وعربي، ولا بين فارسي وتركي ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾[4]، ويرى الإسلام أن بني البشر سواء، يرجعون إلى أصل واحد وطبيعة مشتركة، كلهم لآدم، وآدم من تراب، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ ﴾[5].

ولا محل لأن نقارن تعاليم الإسلام في هذا بما أخذت به الثقافات القديمة والحديثة، فالفرق شاسع، والموقف مختلف كل الاختلاف. ذلك لأن هذه الثقافات جميعها تسلم بالتفرقة العنصرية وتقيم عليها سلوكها وتشريعها، في حين أن الإسلام يرفضها رفضا قاطعا. نجد أن اليونان، وفلاسفتهم يعتمدونها، وعلى رأسهم أرسطو، وكلنا يذكر تلك المقولة المشهورة (كل ما وراء أثينا بربر) وجاراهم. الرومان الذين كانوا يعتزون بعنصريتهم كل الاعتزاز، وقد أقاموا عليها تفرقة في تشريعهم وقوانينهم بين الرومان وغير الرومان، ولهم قسمتهم الشهيرة للشعب بين: (البترشيان والبليبيان). ونظام الطبقات سمة واضحة من سمات الثقافة، الهندية، وعلى رأسه البراهمة، ويزعم اليهود ولا يزالون يزعمون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم الشعب المختار، برغم ما لاقوا من تشتيت وبعثرة في أركان الدنيا، وقد حرصوا ما وسعهم على أن لا يختلط دمهم بدم أجنبي، وليست الصهيونية المعاصرة إلا امتدادا لهذا الزعم الكاذب، و لم تخل النصرانية هي الاخرى من نزعة عنصرية وان كانت أخف شأنا من العنصرية اليهودية، وكم قاسى زنوج أمريكا من هذه النظرة

---

(١) سورة هود: ٥٠.

(٢) رواه مسلم.

(٣) سورة سبأ: ٢٨.

(٤) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٥) سورة النساء: ١.

العنصرية التي كانت تعدها الكنيسة أمرا واقعا لا مفر منه، ورغم قانون الحقوق المدنية الذي حاول أن يساوي بين البيض والسود، إلا أنه لا يزال لهذا الأمر رواسب وذيول في نظم بعض الدول الكبيرة وشرائعها[1]. فلا يزال الابيض الامريكي ينفر من الاسود أو مساكنته أو معاشرته مع انهم ينتسبون إلى دولة واحدة، والقانون الامريكي في بعض ولاياته يحمي هذا التمايز، فمن ذلك أن النكاح بين شخص أبيض وآخر زنجي يعتبر باطلا، ومن يحاول أن يطبع أو ينشر ما فيه حث للمساواة الاجتماعية والزواج بين الابيض والاسود يعاقب بالسجن مدة ستة شهور أو بغرامة مالية تصل إلى خمسمائة دولار[2]، فالتفرقة العنصرية في البلاد الديموقراطية تمارس في كل الميادين في مجال الحقوق السياسية، والمرافق العامة وخاصة في مجال التعليم، حتى أن الجمهور الابيض قد نسف مدرسة في مدينة ناشفيل في ولاية (تنيسي) في الولايات المتحدة نظرا لوجود طالب زنجي بها ودمر الانفجار معظم مباني المدرسة، كما تمارس التفرقة في مجال الجيش والاسكان والعمل والحماية القانونية[3].

وعلى هذا أن دعوة الإسلام لا تزال قائمة، وما أجدرنا أن نعززها وننشرها، وما أحوج البشرية أن تهتدي بهديها، لا سيما ونحن نعيش حتى اليوم في جو التفرقة العنصرية، بين البيض والسود، بل بين البيض أنفسهم، ولست في حاجة أن نذكر بأن النازية والفاشية قامتا على أساس من تفرقة عنصرية، وزنوج جنوب أفريقيا معزولون حتى اليوم اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، وقد آن الأوان لأن يسووا بسائر البشر، وهم لا محالة واصلون، وانتصار (زيمبابوي) آية حاسمة في هذا المضمار.

---

(١)حقوق الانسان في الإسلام، ص٧٢ (مرجع سابق).

(٢) المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، عبد الكريم زيدان ص٣٦، ط١٤، مؤسسة الرسالة.

(٣) حقوق الانسان وحرياته الاساسية، عبد الوهاب الشيشاني ص ٢٧٣، طبعة ١٩٨٠.

الوحدة السادسة

تحديات تواجه الثقافة الإسلامية

الفصل الأول

مفهوم الغزو الثقافي ومخاطره



المبحث الأول: الغزو الثقافي مفهومه وبدايته

تمهيد:

أما وقد ظهر لك عزيزي الطالب من خلال ما مضى من وحدات ومباحث، مفهوم الثقافة الإسلامية، وخصائصها ومصادرها، وأثر هذه الثقافة في نهضة الأمة، وإقامة كيانها المعنوي، فإننا نشرف معك من خلال هذه الوحدة الخاصة، على أبرز التحديات التي تواجه الثقافات الإسلامية في عصرنا الراهن.

ونلفت نظرك ابتداءً، إلى أن مضمون هذه التحديات وغاياتها ليست وليدة اليوم، فلقد شهد الإسلام منذ فجر تاريخه العديد من الوسائل والأساليب التي سعت إلى تقويض دعائم الإسلام، وتشويه حقائقه والتشكيك في قدسية مصادره وأسسه، وسجّل القرآن الكريم العديد من تلك الأساليب التي استعملها أعداء الإسلام من المشركين والمنافقين، سعياً لصرف الناس عن نور الإسلام وهداه. وكان مما ذكرته آي الكتاب العزيز:

١- محاولة التشكيك بنبوة الرسول ﷺ عن طريق إتهامه بالسحر، والشّعر، والجنون، والكذب، ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾ [1].

﴿ فَقَالَ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [2].

---

(١) سورة الحجر، ٦.

(٢) سورة المدثر، ٢٤، ٢٥

٢- عمليات التشويش برفع الاصوات بالصياح والصفير أثناء قراءة القرآن وتلاوة آياته، حتى لا يعي المستمع دلالة الآيات، ولا يدرك معناها، وهي العملية التي وصفها القرآن الكريم: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (١).

٣- بث روح الضعف، والهزيمة والفتنة داخل الصف المسلم، عن طريق نشر الإشاعات والأراجيف، والأكاذيب، التي تضعف من تماسك المسلمين وقوتهم، وتحطم الجاهزية المعنوية عند الفرد المجاهد.

وهو ما نبّه القرآن الكريم ، إلى بعض صوره ومظاهره: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ (٢).

وعلى ذلك، فإنّ ما سنعرضه لك من تحديات تواجه ثقافتنا الإسلامية اليوم، ما هي إلا حلقة من سلسلة حركة المؤامرة على الإسلام العظيم، تلك الحركة التي تجذرت في عمق التاريخ، وظهرت في واقعنا المعاصر في أجلى صورها وأشكالها.

والجديد في الأمر أن وسائل أعداء الإسلام قد تعددت وتنوعت، وأخذت أبعادها التخطيطية المنظمة، وجهودها الموصولة الدؤوبة، أما غاياتها فهي واحدة لم تتغير أو تتبدل، سواء في الماضي أو في الحاضر، وهو ما أسفر عنه القرآن الكريم: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ ﴾(٣).

فالمقاتلة التي نبهت إليها الآية الكريمة، تشمل الغزو العسكري المجهز بالمعدات الحربية والتقنيات العلمية والجنود والخبرات، وتشمل أيضاً الغزو الثقافي الذي يتمثل في إغارة الأعداء على أمتنا الإسلامية عن طريق الكلمة والفكرة والشبهة، وبالإعتماد على

(١) سورة فصلت، ٢٦، واللغو: هو مالا معنى له من نحو الصياح، والمكاء (الصفير)، والتصدية (التصفيق).

(٢) سورة الأحزاب:١٢-١٣

(٣) سورة البقرة، ٢١٧.

الصحيفة، والكتاب، والتلفاز، والقصة، وغيرها من الوسائل والأساليب لتدمير قوة الأمة الداخلية، وتحطيم عزيمتها ومقوماتها، وإنتهاب كل ما تملك"[1].

بداية الإعداد للغزو الثقافي:

وتشير الدراسات إلى أن هذا الغزو قد بدأ يأخذ شكله المنظم والمركّز بعد فشل الحروب الصليبية في البلاد الإسلامية، حيث بدأت الجهود تتوالى لدراسة سر قوة الأمة ومكمن عظمتها، وعندما تطلعت الدول الغربية إلى إعادة الغارة على العالم الإسلامي عمدت إلى دراسة موسعة لأحوال المسلمين من حيث اللغة، والدين، والتاريخ، والثقافة[2].

وسنبرز لك في هذه الوحدة، الأساليب التي استعملها المستعمر في الغارة على الأمة الإسلامية ثقافياً وفكرياً.

---

(١) في الغزو الفكري، د. عبد الرحيم السائح، ط١، كتاب الأمة، وزارة الأوقاف، قطر، ص٣٣.

(٢) راجع ذلك تفصيلاً: الغارة على العالم الإسلامي، شاتلية، ط٢، الدار السعودية للنشر، جدة ١٣٨٧هـ، ص٢٧، وما بعدها، والغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د. علي جريشة من أبحاث مؤتمر الفقه الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٣٩٦هـ، ص ٢٨٦.

المبحث الثاني

مخاطر الغزو الثقافي

وإذا كانت الجيوش في الحرب العسكرية تحتل الأرض فإن الغزو الثقافي يرنو إلى احتلال العقل والشخصية الإنسانية، وإذا كان من أهداف الحروب المادية السيطرة على ثروات البلاد وخيراتها، فإن الهدف من الغزو الثقافي السيطرة على العقل والقلب والوجدان.

ومن هنا يعتبر العديد من الدارسين أن التحديات الثقافية التي تواجه الأمة أشد خطراً وبلاءً من التحديات العسكرية، من حيث:

أ- أن الغزو الثقافي يتميز بالشمول والامتداد والدوام، وهو غزو لا يحدّه ميدان، فيشمل شعب الحياة كلها، الفرد، والأسرة، والمجتمع، ويتسلل من خلال التعليم والإعلام والنوادي والتنظيمات، أما الحرب العسكرية فإنّ أمدها ينتهي بمُجرد تحقيق الانتصار العسكري، وتحقيق الغلبة على المهزوم (1).

ب- أن الغزو العسكري يأتي للقهر وتحقيق أهداف استعمارية دون رغبة من الشعوب المستعمرة، أما الغزو الثقافي فقد ينطلي بنعومة، ويتسلل بخفاء، دون إدراك من الأمة المهزومة ثقافياً، فتسير إلى غازيها عن طواعية، وإلى جزّارها عن رضا واقتناع وحبّ، لا تحاول التمرد أو الخلاص.(2)

ج- إن استسلام الأمة المستهدفة فكرياً وثقافياً لهذه التحديات والمؤثرات، قد يصل إلى درجة انقلاب المعايير والمفاهيم والقيم، فتتشكل لديها أنماطاً جديدة في

---

(1) انظر: وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، د. حسان محمد حسان، الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، ص10، وما بعدها.

(2) انظر: في الغزو الفكري، د. عبد الرحيم السائح، ص33، كتاب الأمة، ط1، وزارة الأوقاف، قطر.

السلوك والأخلاق والأذواق تجعل المهزوم يفخر بتبعيته للغازي ثقافيا وفكريا[1]، بدلا من أن ينهض لمقاومته ورده، ودحره.

وإن هذه الأبعاد للغزو الثقافي، هي التي حدت بمؤسسات الغزو العسكري أن تقرن بين احتلال البلاد عسكريا، وبين احتلال الإنسان الذي يرابط فوق تلك الأرض، فإذا هزم ثقافيا وفكريا، تحقق للعدو جميع أطماعه وأمانيه.

وهذا يفسر لنا قول غلادستون وزير المستعمرات البريطانية عندما أعلن أمام مجلس الوزراء البريطاني، عام ١٨٩٥م.

"لن تحقق بريطانيا شيئا من غاياتها في العرب والمسلمين إلا إذا سلبتهم سلطان هذا الكتاب أولا –أي القرآن الكريم–، أخرجوا سر هذا الكتاب مما بينهم، تتحطم أمامكم جميع السدود"[2].

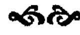
ونظهر لك عزيزي الطالب، أهم الأسس التي اعتمدت عليها موسسات الغزو الفكري، للتمكن من اجتياح العالم الإسلامي، ثقافيا وفكريا، من خلال الفصول الآتية.

---

(١) انظر : الغزو الفكري والتحديات المعادية للإسلام، د. عبد الستار فتح الله سعيد، مؤتمر الفقه الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٣٩٦هـ، ص١٨٠.

(٢) انظر: من روائع القرآن، د. محمد سعيد، رمضان البوطي، ط٤، مكتبة الفارابي، ١٣٥٩هـ، ١٩٧٥م، ص٦.

الفصل الثاني
التبشير



المبحث الأول
حقيقة التبشير

كلمة التبشير من المصطلحات التي شاعت في أيامنا هذه، وإذا أطلقت أريد بها: حركة دينية سياسية استعمارية تستهدف في الظاهر نشر الديانة النصرانية في المجتمعات الإسلامية خاصّة، ودول العالم الثالث عامة، وتريد في الواقع: إحكام السيطرة على هذه الشعوب[١].

ومن هنا يرى العديد من الدارسين والباحثين المعاصرين أن الأولى تسمية هذه الحركة "بالتنصير" لا "التبشير"[٢] لأن كلمة التبشير تعني: الخبر الذي يفيد السرور، ولا شكّ أن هذه الحركة لا يراد منها هذه المعاني البتة، إنما يراد تخريب عقيدة المسلمين وطمس هويتهم، حتى يتم إحكام سيطرة الدول الإستعمارية عليهم بعد ذلك.

وعليه يتبين، أن الإستعمار يستعمل النصرانية كغطاء للوصول إلى أهدافه غير المشروعة، وليس المقصود حقيقة إدخال الناس في النصرانية وإنما المطلوب والمقصود إبعاد المسلم عن دينه.

وهذا ما صرّح به صمويل زويمر وهو من روّاد حركة التنصير في العالم الإسلامي حيث قال في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م: "لكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم هي : أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق الحميدة، التي تعتمد عليها الأمم في حياتها"[٣].

---

(١) انظر: في الغزو الفكري، د. أحمد السائح، ص ٤٥.
(٢) انظر: المرجع السابق.
(٣) انظر : أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط١، دار القلم، ١٩٣٥هـ، ١٩٧٥م، دمشق، ص٥٩.

المبحث الثاني

تاريخ التبشير وجهوده المعاصرة

يعتبر المبشر ريمون لول أول نصراني يتولى التبشير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها، إذ إنه تعلم اللغة العربية وأخذ يجول في بلاد المسلمين مناقشا علماء المسلمين، ثم تتابعت بعد ذلك في القرن الخامس عشر الميلادي، إرساليات التبشير إلى الهند، وجزائر السند، وجاوه، وبدأ إختلاط المبشرين بالمسلمين بتزايد مع مرور الزمان والأيام(١).

وأخذ العمل التنصيري بعد ذلك بعده المنظم، حيث حض البارون "دوينز" سنة (١٦٦٤م) على تأسيس مدرسة تكون قاعدة لتخريج المبشرين بعد تعليمهم أصول التبشير ووسائله(٢) حتى يكون القائم بهذا العمل على مستوى من الأهلية والكفاءة ، إذ ليس كل رجال الدين صالحين لأداء هذا الدور.

وهكذا بدأ التنصير ينمو ويتسارع ، ويأخذ تنوعا في الأساليب والوسائل، حتى يعم جميع طبقات الشعب، فتأسست عام ١٩٠٢م، جمعية تبشير الشبان، وعام ١٩٠٧م جمعية التبشير للكهول، إضافة إلى عشرات الجمعيات التبشيرية الأخرى التي انتشرت في بلاد العالم (٣).

وتوسعت بعد ذلك الجهود الرامية إلى خدمة التنصير عن طريق عقد المؤتمرات العامة، حيث عقدت عدة مؤتمرات تبشيرية تعني ، بدراسة سبيل تنفيذ الأهداف، وزيادة المتابعة للتأكد من تحقيق أعلى درجة من الإنجاز، وكان من هذه المؤتمرات مؤتمر القاهرة عام ١٩٠٦م، ومؤتمر القدس عام ١٩٢٤م، وعام ١٩٣٥م، وعام ١٩٦١م، ومؤتمر كولورادو

---

(١) ملخص تاريخ التبشير، أدوين بلس نقلا عن: أجنحة المكر الثلاثة، الميداني، ص ٢٨.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٨.

(٣) انظر: ملخص تاريخ التبشير، أدوين بلس، نقلا عن أجنحة المكر الثلاثة، ص٢٨.

١٩٧٨م، [١] وما زالت هذه المؤتمرات تتابع حتى يومنا هذا، وتركز على ضرورة السيطرة على البرامج التنموية في البلاد الإسلامية، ونشر كمائن التبشير من الجمعيات الخيرية، والعيادات الطبية ، والمدارس، والجامعات والمعاهد، ويغذي كل هذه النشاطات روح التعصب الأعمى ضدّ كل ما هو إسلامي، والتمهيد للاستعمار في البلاد الإسلامية.

وإن مما يرشد إلى الارتباط الوثيق بين التبشير والاستعمار ما قاله (أيوجين روستو) رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية: " يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية، لقد كان الصراع محتدماً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى وهو مستمر حتى هذه اللحظة [٢].

وهذه النزعة العدوانية عبر عنها المارشال اللنبي أثناء الحرب العالمية الأولى بعد دخوله القدس، حيث قام فقال: الآن انتهت الحروب الصليبية.

وبعد سقوط دمشق في يد القوات الفرنسية وقف الجنرال غورو أمام قبر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله وقال: "ها قد عدنا يا صلاح الدين" [٣].

ومن هنا فإنه تنفق الأموال على الجهود التنصيرية تماماً كما تنفق على الجيوش، والمعدات العسكرية حيث يبلغ عدد المبشرين في[٤] العالم (٢٢٠,٠٠٠) مائتي عشر ألفاً ينفقون بليون دولاراً سنوياً ، كل ذلك خدمة للأطماع الاستعمارية في بلاد المسلمين.

---

(١) انظر: في الغزو الفكري، د. السائح، ط١، ص ١٤٨، والمرجع السابق، ص ٤٦-٥١.

(٢)انظر قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام وأبيدوا أهله، دار الأرقم، عمان، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص٢٩.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ثقافة المسلم، إبراهيم الإبراهيم، ط١، ص ١٩٢.

المبحث الثالث

أهداف المبشرين

أشرنا فيما تقدم إلى أن الهدف الظاهر للتبشير هو إدخال الناس في النصرانية، ونوهنا إلى أن الهدف الحقيقي هو طمس الهوية، والقضاء على الثقافة لتيسير استعباد الشعوب والقضاء على مقوماتها الفكرية والخلقية.

ويمكن أن نجمل لك أبرز الأهداف الخبيثة التي يسعى إليها المبشرون فيما يلي:

الهدف الأول: تمزيق وحدة العالم الإسلامي:

يدرك المستعمر دور الإسلام في وحدة العالم الإسلامي وما يساهم به في تلاقي القلوب والأفئدة، وهذه الوحدة لا يمكن أن تظهر بغير الروح الإسلامية العميقة، وهي مصدر خطر وقلق على مخططات المستعمرين ومشاريعهم، ومن هنا كان الجهد الدؤوب والعمل الموصول لضرب الإسلام، سعياً لتمزيق العالم الإسلامي والقضاء على وحدة المسلمين، وهذا ما صرح به المنصر لورانس براون:

"إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية، أمكن أن يصبحوا لعنةً على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا أيضاً نقمة له، أما إذا بقوا متفرقين، فإنهم يظلون حينئذٍ، بلا وزن ولا تأثير"[1]. وكان العمل على إسقاط الخلافة الإسلامية في سبيل القضاء على أساس وحدة العالم الإسلامي، وسبب تماسكه وترابطه.

وكان السعي أيضاً لصرف المسلمين عن القرآن الكريم نظراً لما يمثله من رابط ثقافي يجمع بين جميع أفراد الأمة ويمنع من انصهار المسلمين في بوتقة الثقافة الغازية.

---

(١) انظر : التبشير والاستعمار، مصطفى الخالدي وعمر فروخ، طد، بيروت ، ص ٣٧.

الهدف الثاني: إثارة الطائفية والعصبية في بلاد المسلمين.

وكان من أهداف التبشير أيضاً: إثارة النزاع بين أفراد المجتمع الواحد، من المسلمين، وغير المسلمين الذين ارتضوا أن يعيشوا في المجتمع الإسلامي، وأخذت الدعوات التنصيرية تبث في قلوب النصارى في المجتمعات الإسلامية أنهم أقليات تنتمي إلى أمم المسيحية، وتشعرهم بأنهم زوائد غريبة في منابتها لا تأخذ حقها الكافي من الرعاية والتقدير، وأنهم مواطنون من الدرجة الثانية أو الثالثة، لا يحظون بالحقوق والامتيازات التي يحظى بها المسلمون، ومن شأن ذلك كله أن يعمل على تلغيم المجتمعات الإسلامية بتكريس الطائفية كنظام اجتماعي قائم" (١).

رغم أن الحقائق التاريخية تدحض هذا الزعم، حيث كان الذمي في الدول الإسلامية يتمتع بالجنسية الإسلامية، وإن لم يكن مسلم العقيدة. ويعيش في ظل المجتمع الإسلامي له ما للمسلمين وعليه ما عليهم.

الهدف الثالث: تدمير الأخلاق والقيم الإسلامية.

لقد وعى المستعمر قوة الإسلام النافذة وإمكاناته الهائلة في سرعة الانتشار، وأن في دين الله من الخصائص والمزايا ما يجعله مقبولا عند جميع الشعوب والأمم حيث تجد فيه راحتها من العناء والنصب، فتقبل للدخول فيه أفواجا، فتركزت جهود المستعمر لتفريغ المسلمين من كل القيم والمعاني والأخلاق الإسلامية، حتى يمسوا شكلا من غير جوهر، ومظهرا من غير مضمون، وبالتالي يأتي الجيل الإسلامي القادم على نمط لا يهتم إلا بشهواته وغرائزه ومتعه، فإذا طلب العلم من أجل شهوته، وإذا تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل شهوته، وإذا جمع المال فمن أجل شهوته.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف العامة لجأ المبشرون إلى جملة من الوسائل والأساليب، وهو ما جعلناه محل البحث والبيان في المبحث الرابع.

---

(١) انظر: مقدمات الاستتباع، مرشو تحريغوار منصور، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٦، ص٥٣.

المبحث الرابع

أساليب المبشرين

لقد استعمل المنصرون كل وسيلة خيّرة يمكن أن تجذب جمهور النـــاس وعوامـــهم، واستعملوا العديد من الخدمات الاجتماعية لتحقيق مصالح حركتهم وأهدافها، فأنشـــأوا المدارس، وأقاموا المستوصفات والمستشفيات، ونشروا الكتب والمجلات، بل تجاوزوا ذلـــك لإقامة جمعيات للرفق بالحيوان لتجميل صورهم في عيون عوام الناس.

ويمكن أن نجمل أبرز أساليبهم(١):

الأسلوب الأول: التطبيب.

عكف المبشرون على فتح المستشفيات، وبعث الإرساليات الطبية، وهو أسلوب خطـــير من حيث إظهاره للمبشر بمظهر حسن، وخداع الناس من خلال العمل النبيل الذي يقوم بـــه، ويغيب عن الذهن الغاية الخبيثة التي تكمن خلف هذا العمل النبيـــل، ويســـتطيع الطبيـــب أو الممرض من خلال استغلال حاجة المرضى وآلامهم، إلى الوصول إلى غايته دون أدنى جهد .

وهذا ما يقوله المبشر "ايدهاريس": يجب على إلى الطبيب أن ينتهز الفرصة ليصـــل إلى آذان المسلمين وقلوبهم(٢).

الأسلوب الثاني: التعليم.

اهتم المبشرون أيما اهتمام بالجانب التعليمي، وذلك لما له من أثر في صياغة العقليـــة وتكوين الشخصية، ومن خلال الجهاز التعليمي يمكن أن يوضع الفرد المسلم في القـــالب الغربي الذي يريده المبشر، بحيث ينسى أصالته وتراثه، ويطمس هويتـــه، ويقضـــي علـــى عقيدته ودينه، يقول المبشر " هنري هريس" إن المدارس شرط أساسي لنجـــاح التبشـــير، وهي بعد هذا، وسيلة، لا غاية في نفسها، لقد كانت المدرسة تسعى بالإضافة إلى التبشـــير

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثي، الميداني، ص ٦٠، وأضواء على الثقافة الإسلامية، د. نادية العمـــري، ط١، مؤسســـة الرسالة، ١٩٨١م،ص١٦٩.

(٢) المراجع السابقة.

وإلى (دق الإسفين) وكانت على الحقيقة كذلك، في إدخال الإنجيل إلى مناطق كثيرة، لم يكن بالإمكان أن يصل إليها الإنجيل أو المبشرون، من طريق آخر" [١].

والملاحظ في المؤسسات التعليمية التبشيرية أنها شملت مختلف مجالات التعليم، ابتداءً بدور الحضانة، ومروراً بالمرحلة الابتدائية، والمتوسطة، والثانوية، وانتهاء بالجامعات التي تعد القادة والمسؤولين في بلادهم، وانتشرت هذه المدارس في جميع أرجاء البلاد، في القرية والمدينة، لا تميز بين مدينة كبيرة أو صغيرة، أو قرية نائية أو قريبة.

الأسلوب الثالث: الإعلام.

وكان من أساليبهم أيضا إصدار النشرات والصحف والكتب، وطباعة العديد من الأناجيل المحرفة، وفتح القنوات الفضائية التي تتولى مسؤولية إفساد العقيدة، والتشكيك في الثوابت، ولقد وضح المبشر "رايد" غاية هذا النشاط الإعلامي فقال: "إنني أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح عليه السلام ومع ذلك يظن المسلم أن لي في ذلك غاية خاصة، أنا لا أحِب المسلم لذاته، ولا لأنه أخ لي في الإنسانية، ولولا أني أريد ربحه إلى صفوف النصارى، لما كنت تعرضت له لأساعده.[٢]

الأسلوب الرابع: الأعمال الاجتماعية[٣].

من مثل إقامة الأندية الثقافية والرياضية وإيجاد بيوت للطلبة ودور الأيتام، وإنشاء المكتبات العامة والمراكز الثقافية والمخيمات الكشفية، وغير ذلك من النشاطات التي تصب في خدمة فكرهم التنصيري.

الأسلوب الخامس : تشجيع تحديد النسل بين المسلمين.

إن إضعاف قوة المسلمين، له أشكال متعددة، منها ما يتوجه إلى إضعاف قوتهم المعنوية، بتشويه العقيدة والفكر، وضرب القيم والأخلاق، ومنها ما يتوجه إلى إضعاف قوتهم المادية حتى يصبحوا أقليات في بلادهم وأوطانهم، ومن أجل ذلك، يحرص الغرب اليوم على الترويج لفكرة تحديد النسل للقضاء تدريجياً على الوجود الإسلامي في بلاد المسلمين، ومما يشير إلى ذلك: المؤتمر الذي عقده البابا شنوده مع القساوسة والأثرياء من أقباط مصر في الكنيسة المرقسية بالإسكندرية في ١٩٧٣/٣/٥، وكان من مقرراته تحريم تحديد النسل بين شعب الكنيسة، وتشجيع الإكثار منه بحوافز ومساعدات مادية ومعنوية ، بين المسلمين"[٤].

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، الميداني، ص ٦١.
(٢) التبشير والاستعمار، الخالدي، ص ١٩٢.
(٣) ثقافة المسلم، الإبراهيم، ط١، ص ١٩٢.
(٤) المرجع السابق، ص ١٩٣.

المبحث الخامس

واجب المسلمين في التصدي للحملات التبشيرية

وأمام التحدي الكبير للثقافة الإسلامية، المرتكز على الأساليب المختلفة، إذاعة، وتلفازا، وصحافة، وكتبا،وتعليما وتطبيبا، وغيرها، نجد أننا مطالبون بجهد كبير، في سبيل إحباط مؤامرات المنصرين في بلادنا، من خلال ما يلي[1]:

أولا: وضع مخطط دقيق، ينفذ بحكمة وبصيرة، توزع فيه الأدوار ليكون التكامل الواعي، بين المدرسة والمسجد، والأسرة، والإعلام، لإيجاد الفرد الصالح المحصن بالإيمان، والقادر على مواجهة التحديات بثبات وعزم.

ثانيا: تبصير المسلمين بمخططات المبشرين وأهدافهم، وأن التبشير ما هو إلا ستار شفاف يخفي خلفه أطماعا استعمارية، تريد أن تحقق غزوا حضاريا وثقافيا لأمتنا.

ثالثا: إيجاد المؤسسات البديلة التي تغني المسلمين عن التوجه إلى مدارس المنصرين ومشافيهم، ومن هنا فلا بد من إنشاء المدارس والمستوصفات، والجمعيات والنوادي الإسلامية التي لا تنتهز حاجة الضعيف والفقير والمحروم، ولا تستغل ألم المرضى لتحقيق أهدافها الإفسادية.

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾[2].

---

(١) انظر المراجع السابقة.

(٢) سورة الصافات، (١٧١، ١٧٢، ١٧٣).

الفصل الثالث

الاستشراق



المبحث الأول

حقيقته وبدايته

تطلق كلمة الاستشراق على الدراسات التي يقوم بها غير الشرقيين لعلوم الشرقيين ولغاهم، وأديانهم، وتاريخهم، وأوضاعهم الاجتماعية، ونحو ذلك[1].

وبدأت هذه الحركة منذ دقت جيوش الفتح الإسلامي أبواب أوروبا، فأخذ الأوروبيون يبحثون عن أسباب نهضة المسلمين وسر بلوغهم هذا المجد الذي بلغوه فكان الإستشراق طلبا لعلوم الشرقيين (العرب المسلمين) ، ولغاهم، وقد عرفت الأندلس العديد من الغربيين الذين قصدوها إبان عظمتها ومجدها في عهد المسلمين وتثقفوا في مدارسها.

وكان من أوائل هؤلاء، الراهب الفرنسي "جربرت" الذي انتخب لكنيسة روما عام ٩٩٩م بعد تعلمه في معاهد الأندلس، وعودته إلى بلاده، ومنهم الراهب "بطرس المحترم" ١٠٩٢-١١٥٦[2]، ومنهم الراهب "جيراردي كريمون" ١١١٤-١١٨٧.

ولم ينقطع منذ ذلك الوقت تتابع الأفراد الذين يفدون إلى العالم الإسلامي لدراسة الإسلام والعربية، ونتج عن ذلك ترجمة القرآن، والعديد من الكتب العربية، إلى اللغة اللاتينية، وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ.

---

(١) انظر: أجنحة المكر الثلاثة، الميداني، ط١، ص ٨٣.

(٢) الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي، محاضرة مطبوعة مع كتاب أجنحة المكر الثلاثة ص٨٩، وما بعدها.

"وفي القرن الثامن عشر بدأ الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على مقدراته، فتوسعت حركة الاستشراق، ونتج عن ذلك صدور العديد من المجالات المتخصصة في البلاد الغربية –في الدراسات الإستشراقية، وصحب ذلك الإغارة على المخطوطات العربية في البلاد الإسلامية ، بشرائها من أصحابها الذين لا يدرون قيمتها، أو سرقتها من المكتبات العامة، ومن ثم نقلها إلى بلادهم، إلى أن بلغت أعداد المخطوطات في القرن التاسع عشر، مائتين وخمسين ألف مجلدا (٢٥٠٠٠٠) وما زال هذا العدد يتزايد يوما بعد يوم[١]".

وأخذ الجهد الإستشراقي يتوجه لعقد المؤتمرات العامة في سبيل تنسيق الجهود، وتكامل الخطى، فعقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس عام ١٨٧٣م، وتتالى عقد الدراسات عن الشرق بعد ذلك.

وإن أكثر ما يعتني به المستشرقون في دراستهم ، دين الإسلام، وحضارته، ولغته، نظرا لما يكتنف هذا الميدان، من دوافع دينية، وسياسية، فقد تركزت الدراسة في خصوص هذا المجال.

---

(١) المرجع السابق، ص ٩٠.

المبحث الثاني

توجهات المستشرقين

سجل الدكتور مصطفى السباعي – رحمه الله- توجهات المستشرقين ودوافعهم، وباعثهم على دراسات التي يقومون بها، واستطاع أن يضبطها بالدوافع التالية[1]:

أولا: الدافع الديني.

حيث إن الإستشراق بدأ بالرهبان ورجال الكهنوت، وهؤلاء يهمهم أن يطعنوا في الإسلام، ويشوهوا محاسنه، ويحرفوا حقائقه، حتى يثبتوا لإتباع ملتهم، أن الإسلام دين لا يستحق الإنتشار، وأن المسلمين كما يصورروهم –قوم لصوص وسفاكو دماء-، تحركهم في حروبهم الملذات الجنسية فقط.

ثانيا: الدافع الاستعماري.

تصاحبت النزعات الإستعمارية مع الحركة الإستشراقية في بلاد المسلمين، لأن في تشجيع الاستشراق وتحفيز المستشرقين لنفث سمومهم، إضعافا للمقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين، وبثا للوهن والارتباك في فكرهم، عن طريق التشكيك بفائدة التراث الذي في أيدي المسلمين، وبما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية كريمة، والغرض من ذلك: أن يفقد المسلمون ثقتهم بأنفسهم، فيرتموا بعد ذلك في أحضان الغرب، يستوردون منه المقاييس الأخلاقية، والمبادئ والقيم والعقائد ويتم للغرب بذلك، إخضاع المسلمين لحضارة الغرب وثقافته إخضاعا كاملا.

ثالثا: الدافع الاقتصادي.

ومن الدوافع أيضا: الرغبة بغزو البلاد الإسلامية غزوا اقتصاديا كاملا، بغية الاستيلاء على الثروات الأرضية، والموارد الاقتصادية والمالية، والأسواق التجارية. وإماتة الصناعات

(١) ونحن نسوقها بتصرف وإجمال، وللاستزادة انظر المرجع السابق، ص ٩١-٩٤.

المحلية القديمة، حتى تكون بلاد المسلمين بلادا مستهلكة لما تصدره المصانع الغربية، تلبس مما لا تصنع، وتأكل مما لا تزرع.

رابعا: الدافع السياسي.

لقد رأت الدول الاستعمارية أن حاجتها السياسية تقتضي بأن يكون في سفاراتها، من لديهم زاد جيد بالدراسات الإستشراقية، ليقوموا بمهمات سياسية متعددة في بلاد المسلمين: كالإتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة، للتعرف على أفكارهم وواقع بلادهم.

خامسا: الدافع العلمي.

نفر قليل من المستشرقين أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها، وهؤلاء لم يتوجهوا بنزعة عدوانية ، ولم يتعمدوا أن يدسوا السموم أو يحرفوا الحقائق، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم، بل إن منهم من قادته دراسته الموضوعية الهادئة لعطاء الإسلام وتراثه الغني، إلى اعتناق الإسلام والإيمان به، وبرسالته.

على أن أنصار هذا الاتجاه قلة، لأن المؤسسات الرسمية الغربية لا تتكفل برعايتهم والاهتمام بتمويلهم ، إلا إذا سخروا جهودهم ابتداء، لخدمة المصالح الاستعمارية في بلاد المسلمين.

وسنعرض لك أخي الطالب نموذجا من شبهات المستشرقين في مختلف القضايا الإسلامية ، في مبحث خاص، ضمن الوحدة الثامنة المخصصة للشبهات التي أثيرت حول الإسلام فارجع إليها هناك.

المبحث الثالث

وسائل المستشرقين

تتمثل جهود المستشرقين على مدى تاريخهم الطويل في أعمال، تشكل في مجموعها كلاً واحداً، يمكن إجمالها فيما يلي:

أولاً: التدريس الجامعي[1].

حيث يكاد يكون في أكثر الجامعات الأوروبية والأمريكية معهد خاص للدراسات الإسلامية والعربية، وتقوم هذه المعاهد بمهمة التدريس الجامعي وتعليم العربية والعلوم الإسلامية، وتخريج الدارسين في أقسام الماجستير والدكتوراة، وتكمن خطورة عملهم هذا في المعلومات والأفكار التي يخلفونها في عقول الدارسين، وما ينتقل منهم إلى غيرهم[2]، إذ قد تصبح الشبهة حقيقة، والحقيقة شبهة، واليقين شكاً، والشك يقيناً، على حسب مزاج المستشرق وهواه.

ثانياً: إصدار المؤلفات، والمجلات، وترجمة كتب التراث.

وللمستشرقين باع كبير في نشر الكتب وإصدار الدوريات، ويقدر عدد الدوريات التي تصدر عن مؤسسات استشراقية ، بثلاثمائة مجلة متنوعة بمختلف اللغات[3].

هذا علاوة على ترجمتهم المحرفة لمعاني القرآن الكريم، ناهيك عن تأليفهم في شتى حقول العلوم الإسلامية، في التاريخ، واللغة، والعقيدة، والفقه، ويعتمدون في ذلك، على أسلوب التضليل وقلب الحقائق في العديد من تلك المصنفات.

---

(١) الاستشراق، د. زقزوق، ط١، ص٥٩، بتصرف يسير.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٢.

ثالثاً: إقامة الجمعيات والنوادي وعقد المؤتمرات والندوات[1].

إن العمل الإستشراقي عمل مؤسسي ومنظم، تشرف عليه جمعيات وهيئات تتولى رسم برامجه، ومتابعة أعماله، وقد قامت العديد من الجمعيات: الجمعية الإستشراقية في فرنسا تأسست سنة ١٧٨٧م، وفي لندن ١٨٢٣م، وفي أمريكا ١٨٤٢م، وتصدر عن هذه الجمعيات دوريات منتظمة تنفث السموم في أرجاء العالم، وتبث الفكر الضال وتعبر عن الحقد الدفين. قال تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾[2].

رابعاً: التسلل إلى المجامع العلمية .

استطاع العديد من المستشرقين إلى التسلل إلى المجامع العلمية العربية في مصر والشام والعراق، وتعيين عدد منهم أعضاء في تلك المجامع، وغرسوا فيها الكثير من شبههم وآرائهم المنحرفة[3].

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، أحمد بشير، البحث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي، ١٣٩٦هـ، ص٤٧١

(٢) سورة آل عمران، ١١٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٧٢.

المبحث الرابع

دور المسلمين في التصدي للتحديات الاستشراقية

أمام هذا التيار الجارف الذي يسعى إلى القضاء على أصول ثقافتنا الإسلامية، وتشويه حقائق الإسلام الناصعة، وتلويث طهر وكرامة هذا الدين، نتساءل عن الدور الذي ينبغي أن ينهض به أفراد المسلمين دفاعا عن ثقافتهم وهويتهم، بل دفاعا عن وجودهم وبقائهم؟

إن مواجهة الأفكار والشبهات تتطلب من المسلمين عدة أعمال، يمكن إجمالها بما يلي:[1]

أولا: إعداد موسوعة علمية.

للرد على المستشرقين عن طريق استيعاب الإنتاج الإستشراقي حول الإسلام ودراسته دراسة عميقة، وهذا يتطلب حصرا شاملا لكتابات المستشرقين، ثم القيام على تفريغ هذه الشبهات والطعون والأخطاء التي زخرت بها تلك الكتابات، والإجابة عليها تفصيليا، بعيدا عن النزعات الهجومية وبأسلوب علمي وموضوعي.

ولعل في القيام بهذا العمل الموسوعي، خطوة من خطوات التعريف بالإسلام، وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي انتشرت عنه.

ثانيا: إعداد دائرة معارف إسلامية:

فلا يجوز بحال أن تبقى وسيلة التعرف على حقيقة الإسلام وعلومه الرجوع إلى دائرة المعارف التي صنفها المستشرقون، وواجب المسلمين اليوم، إصدار دائرة معارف إسلامية باللغة العربية وجميع اللغات الأوروبية الرئيسية، حتى تقف في وجه الجهود الخبيثة التي قدمها المستشرقون، بحيث تنقل وجهة النظر الإسلامية الصافية، في شتى فروع الدراسات الإسلامية والعربية.

---

(١) انظرها تفصيلا: الاستشراق، زقزوق، ص ١٢٤-١٥٤.

ثالثا: ترجمة إسلامية لمعاني القرآن الكريم والسنة النبوية.

ففي الوقت الذي تسعى فيه الأمم إلى نشر فكرها وثقافتها رغم انحرافها وضلالها، يتعين على المسلمين أن يعرفوا الناس بحقيقة الإسلام وسماحته، عن طريق ترجمة معاني القرآن الكريم والسنة والنبوية إلى لغات العالم الأساسية.

رابعا: الحضور الإسلامي في الغرب.

وذلك بإقامة المؤسسات الأكاديمية العلمية التي تتولى عملية تدريس الإسلام بحقائقه الثابتة، وترعى كل جهد إسلامي، من شأنه أن يصب في مصلحة الإسلام العليا.

خامسا: الحوار مع المعتدلين من المستشرقين.

قدمنا لك أن نفرا من المستشرقين قد دفعته الروح العلمية إلى البحث عن حضارة الإسلام، وقد يثمر الحوار مع هذا النمط من المستشرقين إلى نتائج إيجابية من جهة دعم موقف هذا الاتجاه العلمي المعتدل وتقوية جانبه، وتشجيعه، حتى يصبح هذا التيار هو الغالب في الغرب، وله تأثيره الفعال في تصحيح التصورات والأفكار.

ومن جهة أخرى قد يكون لهذا الجوار أثره في ترشيد المثقفين المسلمين المتأثرين بأفكار إستشراقية سلبية، والتخفيف من حدة اندفاعهم وتقليدهم لهذه الأفكار، وإعادهم إلى التصور الإسلامي الصحيح.[1]

وإن مثل هذا الجهد العظيم، يحتاج إلى تضافر جميع أفراد الأمة، خاصة الطبقة المثقفة والمتعلمة، للنهوض بواجب التصدي لكل محاولة تستهدف النيل من ثقافتنا وعقيدتنا.

قال تعالى : ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[2].

(١) انظر : المرجع السابق ، ص ١٥٢.
(٢) سورة التوبة، آية ٣٦.

الفصل الرابع

العلمانية



المبحث الأول

حقيقتها وأهدافها

أولا: حقيقتهـــــا.

العلمانية ترجمة لكلمة SECULARISM (سيكلاريزم) والتي يوهم ظاهرهـــا أن لهـــا صلة وعلاقة بالعلم، وهي وفق معناها الأجنبي تعني: كل ما هو دنيوي مادي ليس بديـــني أو روحاني(١).

وأخذ هذا المصطلح معنى خاصا محددا عبرت عنه دائرة المعارف البريطانية في قولهـــا: إن العلمانية حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس عن الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمـــــام بالحياة الدنيا وحدها(٢).

وبناء على هذا المعنى، تكون العلمانية مرادفة (للا دينية).

ثانيا: هدفهـــا.

تهدف العلمانية إلى عزل الدين عن التأثير في الحياة، وفصلـــه عـــن جميـــع النظـــم والمجالات، بحيث لا يكون للدين أدنى توجيه أو أثر في النواحي السياســـية والاقتصاديـــة

---

(١)العلمانية وثمارها الخبيثة، د. عبدالله بن عبد الرحمن الجبرين، دار الوطن، الرياض، ١٤١١هـــ ص٦، والعلمانيـــة نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر الحوالي، ط١، جامعة أم القرى، دار مكة، ١٤٠٢هـــ، ١٩٨٢م، ص٢١.

(٢) انظر: المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، محمد الحسن، ط١، دار الثقافة ، قطر، ص٢٥٣.

والأخلاقية، والقانونية، وتصبح هذه المجالات كلها عارية عن ضوابط الديـــن، وأوامـــره، ونواهيه.

وعليه يعلم، أنه لا علاقة للعلمانية بالعلم، كما يحاول البعض أن يروج، وأن هـــذه الحركة تمثل توجها، لبناء حاجز يحول دون نفاذ الدين إلى ميدان الحياة العملية، ولو سميـت باللادينية، لكانت أدق وأوضح في التعبير عن المقصود.

ولعل في إطلاق لفظة العلمانية عوضا عن اللادينية، غاية وغرضا، يتمثل في النأي عن الاصطدام بالمشاعر الدينية عد الأفراد[1] لما في لفظة اللاديني، من تعبير واضح وجلي عـــن عداء الدين وعزلة عن ميدان الدين، وهذا ما لا تفصح عنه لفظة العلمانية، ولكن العبرة في النهاية، للمعاني لا للمباني، وللمضمون والجوهر لا للشكل والمظهر.

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د. علي جريشة، ص ٣٠٥.

المبحث الثاني

نشأتها وأسباب ظهورها

لم يكن غريبا أن تظهر العلمانية في الغرب مع بداية عصر النهضة، وأن تجد هناك بيئتها الصالحة وتربتها الخصبة، فقد فرضت طبيعة الظروف في الغرب ظهور هذه الحركة، كنتيجة طبيعية لتسلط الكنيسة ممثلة برجال الدين النصارى، تتخذ من الدين ذريعة للاستبداد والتطاول، والوقوف حجر عثرة أمام التطور والعلم والتحرر والمساواة، ويمكن إظهار الأسباب التي أدت إلى عزل الدين عن الدولة في الغرب فيما يلي[1]:

أولاً: **محاربة رجال الكنيسة للعلم والعلماء**، وإيقاع الأذى بهم، مما جعل الدين المسيحي في نظر العلماء والمفكرين مقترناً بالجهل والرجعية والخرافة.

ومن مظاهر ذلك: أنها أمرت بحرق العالم (برونو) الذي قال بوجود عوالم أخرى غير الأرض، وأخمدت أنفاس (كوبرنيكوس) لأنه قال إن الأرض ما هي إلا كوكب مثل غيرها من الكواكب السيارة، وأجبرت العالم (جاليلو) على أن يكذّب ما سبق أن صرّح به، من أن الأرض تدور حول الشمس، وهو راكع على ركبتيه، ذليلاً خوفاً من المحاكمة[2].

ثانياً: **حصر الدين بيد رجال الكنيسة**، بحيث باتوا يستعملونه كوسيلة للتكسب والربح والترزق، عن طريق صكوك الغفران التي يعطونها للأفراد مقابل مبلغ من المال، ويمنحون مساحات في الجنة لقاء عرض دنيوي زائف.

ثالثاً: **كثرة الأناجيل وتناقضها وحشوها بالخرافات**، والاتهامات للأنبياء والرسل، وتصادمها مع الحقائق العلمية القطعية.

رابعاً: **خلوّ الأناجيل من تشريع كامل**، يفي بحاجات الإنسان ويحقق له مصالحه، ويقيم له سعادته، الأمر الذي دفع الناس لإلتماس هذه التشريعات في الأنظمة الوضعية السائدة، وصياغة قوانين تلبي حاجات الأفراد، وتقيم مصالحهم.

وهذا ما دفع المثقفين والمتعلمين في الغرب إلى أن يثوروا على رجال الكنيسة وأن يطالبوا بصوت واحد أن يكون للكنيسة مجالها الخاص، ونطاقها المحصور في أمور الدين، التي لا علاقة لها بنظم الحياة المختلفة، بل تقتصر على العلاقة بين الخالق والمخلوق فقط.

---

(١) انظر: المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، محمد الحسن، ط١، ص٣٦.

(٢)العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، ص ٢٢٨.

وبعد ظهور هذه الدعوة في أوروبا، سرت إلى بلاد المسلمين عن طريق الطلبة الذين كانوا يدرسون في الغرب، فساهموا في ترويج عزل الدين عن الحياة، وغدت هذه الدعوة في نظر العديد منهم عنوانا للتطور والحداثة، دوت تمييز ولا تبصر، ذلك أنه قد غاب عن دعاة العلمانية في بلاد المسلمين، الفرق الكبير بين دعوة الإسلام بما تحمله من مضامين كريمة وتدعو إلى العلم والمعرفة، وتوجب التفكير والإبداع، وبين غيرها من الدعوات الأخرى التي تستعبد الإنسان وتستغل الدين للوصول إلى غايات بحتة، كما فات دعاة العلمانية في بلاد المسلمين أن حقيقة الصراع في الغرب، لم يكن بين الدين وبين العلم، وإنما كان صراعا بين الخرافة وبين العلم، الخرافة التي حاول رجال الكنيسة أن يلبسوها لبوس الدين، وأن يدعوها شرعية كنسية حتى يتمكنوا من الوصول إلى مآربهم، في أوسع مدى وأرحب نطاق.

وعليه، فإنك تعلم أخي الطالب أنه لا تجد الدعوة إلى العلمانية، في العالم الإسلامي، أي مسوغ، خاصة وقد علمت من قبل المؤاخاة التي أرساها الإسلام، بين العلم وبين الدين[1].

وهو ما صرح به القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[2]. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3].

هذا علاوة على ما تقرر سابقا من شمول الإسلام، وتناوله لجميع شؤون الحياة، العقدية، والعبادية، والسياسية، والاقتصادية، وإن المطالبة بتحكيم الإسلام في مجال العقيدة والعبادة، وتنحيته عن جوانب الحياة الأخرى، دعوة تتجافى مع طبيعة الإسلام الشمولية، ومطالبة تتصادم ومقررات العقل والمنطق، إذ كيف يقبل دعاة العلمانية أن تحكم أوامر الله تعالى في مجال العقيدة والعبادة، ولا يقبلون تحكيمها في مجال السياسة والتشريع، أتراه من عند الله عندما تعلق الأمر بعبادة الأفراد، وليس من عند الله عندما تعلق بنشاط الإنسان في الحياة، قال تعالى: ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ﴾[4].

---

(١) انظر: الوحدة الرابعة: الإسلام والعلم.
(٢) سورة المجادلة، الآية ١١.
(٣) سورة الزمر، آية٩.
(٤) سورة البقرة، الآية ٨٥.

المبحث الثالث

وسائل العلمانية

إن الفكر العلماني والمنسلخ عن الدين والضوابط الشرعية، اتخذ وسائل وأساليب لتعميق فكره في بلاد المسلمين، واعتمد على ثلاثة أساليب أساسية[1]:

- التعليم. - الإعلام. - القانون

وفيما يلي الحديث عنها:

أولا: التعليم:

يتبوأ التعليم اليوم مكانة عظيمة في اعتبار الناس وتقديرهم، ولقد اعتمد دعاة العلمانية على التعليم كوسيلة ناجحة يروجون فيه لفكرة عزل الدين عن الحياة.

لقد كان التعليم في الإسلام يقوم على المنهج الديني ، ويؤدي بالضرورة إلى إخراج العقلية المسلمة والشخصية المسلمة، وتنبه المستعمر إلى أثر هذا المنهج في مقاومة السياسة الاستعمارية، فاعتمد على علمنة التعليم عن طريقين:[2]

الأول: التضييق على التعليم الديني.

الثاني: توسيع دائرة التعليم اللاديني.

أما التضييق على التعليم الديني، فكان من مظاهره، التضييق على خريجي المدارس الدينية، بقصرهم على وظائف محدودة، وإبعادهم عن المناصب الحساسة والقيادية، والتفريق بين خريجي الجامعات الإسلامية والكليات الشرعية، وبين خريجي الجامعات المدنية ، بل امتد ذلك إلى الاستهزاء على زي خريجي المدارس والمعاهد الدينية، والسخرية منهم.

---

(١) الغزو الفكري، على جريشة ، ص ٣٠٨.

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، ط١، بيروت، ١٩٧٠، ١/٢٧٥.

وفي المدارس والمعاهد والجامعات العلمانية، كان التوجه بالإقلال من أهمية دراسة الدين الإسلامي . وعدم فائدة دراسة المواد التي تساهم في بناء الشخصية الإسلامية الواعية والمبصرة، الأمر الذي يؤدي إلى عدم اكتراث المتعلمين بالدين، وعدم توقير أساتذته وعلمائه.

أما الأساس الثاني فكان في توسيع دائرة التعليم اللاديني، وتأييد ذلك كله بتأمين البعثات إلى أوروبا للطلبة المتفوقين في دراستهم، حتى يصوغوا فكر أولئك الطلبة على النمط الغربي، فيرون المعروف منكرا، والمنكر معروفا، وليستلم أولئك الطلبة المواقع الحساسة، والمناصب العليا،بعد عودتهم إلى بلاد المسلمين.

ثانيا: الإعلام[1].

إذا كان التعليم يخاطب الآلاف بمناهجه، فإن الإعلام يخاطب الملايين ببرامجه ووسائله المختلفة، وكثيرا ما يتأثر جماهير المخاطبين، بذلك الاجتياح الإعلامي السافر وإن المتابع لوسائل الإعلام اليوم من صحافة وإذاعة وتليفزيون، وسينما، وغيرها يستطيع أن يقرر ببساطة، أن أكثر هذه الوسائل –إلا القليل منها– قد باتت وسائل لإشاعة الفاحشة، وترويج الرذيلة، والإغراء يالانحلال الأخلاقي، وصارت في الكثير منها، معاول هدم لقيم الأمة وأخلاقها، وعقيدتها، وعزل الفرد المسلم عن دينه، وأخلاقه، وعقيدته.

رغم أن الأصل في تلك الوسائل أن تكون، مسخرة في البلاد الإسلامية للسعي في تعميق الكلمة الطيبة، والفكرة الصادقة، وأن تعمل على تعميق رابطة الإيمان، وآصرة الأخوة، وتقوية الوطنية المخلصة.

ثالثا: القانون:

لقد استبدت العلمانية في بلاد المسلمين، حتى تناولت القانون الذي ينظم شؤون الأفراد والتشريع الذي يصلح أحوالهم ، ويضبط أمورهم وتصرفاتهم.

ومن المعلوم وفق ما قدمنا لك سابقا، أن الامتثال للإسلام والتقيد بأحكامه، لا يكون بطاعة الله في الشعائر العبادية فقط، بل لا بد أن تكون كذلك في الشرائع التي تنظم

---

(١) انظر : التيارات المعادية للإسلام، علي جريشة، ص ٣١٠.

شؤون الحياة، وكما لا يقبل من مسلم أن يشرك مع الله غيره في العبادة، فكذلك لا يقبل أن يشرك معه غيره في التشريع، وهذا ما يصرح به القرآن الكريم: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾[1].

وقوله: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة الأحزاب:الآية ٣٦.

(٢) سورة النساء:الآية ٦٥.

الفصل الخامس

التغريب الثقافي (الثقافات الوافدة)



المبحث الأول

حقيقته وخطره

يقصد بالتغريب: حملة موجهة نحو المسلمين تهدف إلى صبغ الحياة الإسلامية باللون الغربي، بحيث تغدو الحياة في العالم الإسلامي صورة مطابقة للحياة في الغرب في شتى شؤون الحياة[1].

ويمكن أن نجمل لك أبرز مخاطر التغريب فيما يلي من نقاط:

أولا: في مجال العقيدة.

يرتكز الإسلام على الإيمان بالله تعالى والإيمان بالغيب، ويدعو إلى التفكر والبحث، من خلال النظر، والتعقل لتأييد معاني الإيمان، بينما تقوم الثقافة الغربية على إخضاع جميع الموجودات في هذا الكون للعنصر الحسي والمادي، فما وقع تحت سلطان الإدراك الحسي كان معترفاً به، وما لا يقع فلا يعترف به.

وفي ثقافتنا الإسلامية نعتقد أن من وسائل تكوين المعرفة الصادقة اليقينية، الإيمان بالوحي، بلفظه ومعناه (القرآن الكريم)، أو بمعناه (السنة النبوية)، أما في الثقافة الغربية فوسيلة تشكيل وتكوين المعرفة تتمثل في المجال التجريبي والحسي، أما حقيقة الوحي، فلا مكان لها عندهم، كونها في نظرهم ظاهرة غير محسوسة ولا ملموسة ولا مرئية.

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د. علي محمود، ص، ص ١٠٧.

ثانياً: في المجال الاجتماعي:

يقوم نظامنا الاجتماعي في الإسلام على أساس الأخوة الإسلامية التي تذوب فيها جميع العناصر الأخرى، كاللون، والعرق، والجنس، ويحث الإسلام على تكوين الأمة الواحدة، التي تتلاشى فيها نزعات القبلية والقومية، ويعلو فيها نداء الولاء للدين والعقيدة.

أما الثقافة الغربية، فإنها تحتضن القومية والعرقية، والتفرقة العنصرية، وتضع حواجز بين الإنسان والإنسان، بناء على لونه، أو إقليمية أو جنسه، أو لغته، وعلى وفق هذه المعايير يكون الاختلاف في مقدار التكريم.

أما المعيار الإسلامي فهو ما عرفته سابقاً:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

ثالثاً: في المجال الاقتصادي:

يحرم الإسلام الربا، بل يعتبره جريمة اقتصادية، وشكلاً من أشكال أكل أموال الناس بالباطل، أما في الثقافة الغربية فلا حرج في بناء الاقتصاد على المعاملات الربوية، بل النظم الربوي هو الأساس في بناء الاقتصاد الغربي.

رابعاً: وفي المجال الأخلاقي:

تدعو الثقافة الإسلامية إلى جملة من الأخلاق الكريمة مثل: الإيثار، الجود، وإكرام الجار، والعفة، بينما تمجد الثقافة الغربية مبادئ الأنانية والفردية والنفعية، وحب الذات، واللهاث وراء متع الحياة الدنيا.

إلى غير ذلك من المجالات الأخرى، كلباس المرأة، ووضعها في المجتمع الإسلامي، والعلاقات الأسرية[2] والأعياد والعطلات.

ولا زالت المعركة محتدمة في سبيل سلخ الأمة عن دينها، وتحويلها إلى مجرد ركام بشري ليس له وزنه ولا موقعه ولا أثره في ساحة الحياة العملية.

---

(١) سورة الحجرات:الآية ١٣.

(٢) سبق أن أشرنا إلى ذلك في المباحث السابقة في وحدة التغريب.

المبحث الثاني

الوسائل والأساليب

اعتمدت عملية التغريب على ثلاثة عناصر [1]:

العنصر الأول: تفريغ الأجيال من الإسلام.

اعتمد العنصر الأول على تفريغ الناشئة من محتواها الإسلامي، ومضمونها الحضاري الذي يربطها بعقيدتها ودينها وأخلاقها، وانتزاعها من كل رابطة أو وشيجة ربما تصلها بثقافتها الإسلامية.

وفي سبيل تحقيق هذا الهدف، كان الادعاء بوجود التناقض بين علوم الدين وعلوم الدنيا، وعزل دراسي العلوم الدنيوية، كالهندسة، والطب والصيدلة وغيرها من التخصصات الدنيوية عن العلوم الدينية، الأمر الذي يجعل الفئة المتعلمة في المجتمع ليس لها علم بمبادئ الإسلام وأحكامه إلا نزراً يسيراً، لا تكفي لبناء شخصية الفرد المسلم، وبمرور الزمن تجد الأمة نفسها مضطرة لأن تقتبس نظاماً لحياتها، من الأنظمة المستوردة التي لا صلة لها بالدين، ولا بشريعة الله، وبذلك يحقق الغزاة هدفهم من احتلال العقول والأفكار[2]، بعد أن احتلوا الأرض والثروات.

العنصر الثاني: ملء الفراغ بالأفكار الغربية.

واعتمد العنصر الثاني على ملء فراغ وعقول أفراد الأمة بالأفكار والنظريات المزورة، التي تخدم غايات العدو الغازي، وتهدم كيان الأمة، وتبيدها معنوياً.

ومن هنا نجد أنه قد صاحبت عملية التغريب حملة منظمة من بثّ النظريات المصادمة لأسس الإسلام وتعاليمه من مثل:

---

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، د. عبد الرحمن حبنكة الميداني، ص ٥١٠، وما بعدها.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص٥١١.

١- نظرية النشوء والإرتقاء التي تنسب إلى داروين، وتدعي أن أصل الإنسان قرد، ثم تطور عبر السنين، وتصادم هذه النظرية ما قرره القرآن الكريم، من اصل خلقة الإنسان:﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[1] .

٢- والدعوة إلى إحياء النـزعات الجاهلية، حيث كانت فكرة القومية في أوروبا في القرن التاسع عشر[2] ونقلت هذه الأفكار إلى الشرق لتمزيق الأمة الواحدة، حتى تصبح أمما متقاتلة، والدولة دويلات متفرقة متناحرة، فكانت الدعوة إلى الفرعونية في مصر، وكانت المناداة بالفينيقية في بلاد الشام، ولبنان خاصة، ومثلها كانت الدعوة إلى الفارسية في إيران لسلخها عن جسدها الإسلامي، وثقافتها الدينية. والدعوة إلى الطورانية في تركيا وهكذا[3].

٣- ومن الدعوات التغريبية الهدامة، الدعوة إلى إحلال اللغة العامية مكان اللغة العربية الفصيحة، والاستعاضة عن الكتابة بالعربية إلى الكتابة باللاتينية[4]، وهدف هذه الدعوة إقصاء المسلمين عن لغتهم التي يفهمون بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، حتى يتشكل بينهم، وبين أصولهم الحضارية حواجز وسدود لفقدالهم آلة التعامل معها، ووسيلة فهمها والوقوف على مقاصدها.
ويصبح التخاطب باللهجات العامية أو اللغات الأجنبية أيسر وأبسط من التخاطب باللغة العربية الفصيحة.

٤- الدعوة إلى خروج المرأة عن ضوابط الدين:
لقد تنبه المستغربون لمكانة المرأة ودورها في صنع المجتمع، وتربية الأجيال، وعلموا أن تأثيرهم على المجتمع بتذويب ثقافته وطمس أصالته، يبدأ بتغريب المرأة أولا، فتهون عليهم بعد ذلك جميع حصون الإسلام[5]. وكان من مظاهر تغريب المرأة الدعوة إلى ظهورها سافرة متبرجة، ومحاربة اللباس الشرعي الذي فرضه الله على المؤمنات وغاب عن ذهن المقلدات للغرب في المظهر والمخبر، أن لباس المرأة في الغرب هو نتيجة لسلطان الإباحية والمادية والمتعة الجنسية التي تستبد بالحضارة الغربية، وأن هذه الرغبة الجامحة في التمتع والتنعم في الحياة هي التي دفعت الرجل الغربي على أن يظهر

---

(١) سورة الحجر:الآية ٢٩.

(٢) الإسلام والحضارة الغربية، د. محمد محمد حسين، ط٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، ص٢٠٢.

(٣) انظر المرجع السابق.

(٤) انظر : اللغة العربية بين حماها وخصومها، أنور الجندي، مكتبة المعارف، بيروت، ص ١٢٣.

(٥) انظر : أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة، د. بشر بن فهد البشر، ط١، دار المسلم للنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص٢٦، وما بعدها.

المرأة بهذا الشكل السافر، حتى يحصل بذلك أكبر قدر من التمتع وهو يحرص على أن تكون المرأة إلى جانبه في الوظيفة، والمعمل، والمتجر، والمطعم، والشارع، ووسيلة المواصلات، سعيا إلى اقتطاف مزيد من المتعة السريعة بغض النظر عن كل النتائج[1].

وإن من المؤسف حقا أن تتورط المجتمعات الإسلامية، في هذا التيار الجارف من إفساد الأخلاق والقيم وجعل المرأة وسيلة للسباق الأناني المحموم لقطف ثمار اللذة دون الاكتراث بأي قيمة أو معنى آخر.

العنصر الثالث: تجنيد بعض أبناء المسلمين.

كما ارتكز العنصر الثالث على تسخير طوابير من دعاة التغريب في بلاد المسلمين يقومون بهدم كل مقوم من مقومات الأمة، ومحاربة فكرها وعقيدتها وأخلاقها وتاريخها[2].

فعمل المستعمر منذ بداية حركته على رعاية بعض الشخصيات العربية، لخدمة ثقافة المستعمر وفكره وأخلاقه، وكان أن أرسل العديد منهم إلى أوروبا لصبغهم بثقافة الغرب ليعودوا بعد ذلك دعاة للتغريب، ورافعين للواء الغرب وعلى نمط الحياة الغربية، وهذا ما حصل مع رفاعة الطهطاوي الذي ابتعث في أوائل القرن التاسع عشر ليقوم بإمامة البعثة المصرية إلى فرنسا، مرشدا للطلبة وإماما لهم، ولكنه ما لبث أن ذاب وتأثر بالأفكار الغربية، وأودع خلاصة إعجابه بالغرب في كتاب "تلخيص الإبريز في أخبار باريز" وكان من دعوته فيه، أن السفور والاختلاط بين الجنسين ليس داعيا إلى الفساد، وإنما هو شكل من أشكال الرياضة ليس إلا.

ومثله أيضا قاسم أمين، الذي ولد في مصر ورحل إلى فرنسا ليتم تعليمه، وهناك انبهر بثقافة الغرب، وألف بعد عودته إلى مصر كتاب "تحرير المرأة" حمل فيه على الحجاب ودعا إلى السفور والتبرج، وزعم أن الحجاب عادة، وليس تشريعا[3].

ولا زالت الجهود متواصلة بغية تمكين المستغربين من مواقع صنع القرار في بلاد المسلمين، حتى تسهل السيطرة على العقول والقلوب والأفكار، وحتى ينتقل الاستعمار من الأرض إلى الإنسان، والكارثة في ذلك، أن ضحايا هذا التغريب لا يعلمون أنهم مستعمرون، بل على العكس يفخرون بما بلغوه من ثقافة، ويدافعون بحماس عن فكرهم، وهو في الحقيقة فكر الغزاة، ويأخذون في التمكين له من حيث لا يشعرون[4].

---

(١) انظر: على طريق العودة إلى الإسلام، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٠٩١م، ص ١٥٨ بتصرف.
(٢) الغزو الفكري، الميداني، ص ٥٠٩.
(٣)المرجع السابق.
(٤) الغزو الفكري أهدافه ووسائله، د. عبد الصبور مرزوق، ط٣، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ص١١٠.

المبحث الثالث

المنهج الوسطي في النظر إلى الحضارة الغربية

في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يعاني من حالة الجمود والتقليد وإقفال باب الاجتهاد وتعطيل دور العلماء، وإهمال المدارس والجامعات، كان الغرب يمور بحركات التحرر والإصلاح وصياغة المناهج والفلسفات، التي تدعو إلى العدالة والعلم والحرية والمساواة، ويتأهب للثورة الصناعية والتطور المعرفي الهائل[1].

وقدر للعالم الإسلامي أن يكون لقاؤه مع الحضارة الغربية في هذا الوقت فكان لقاء غير متكافئ، وكانت مواجهة غير عادلة، من جهة أن العالم الإسلامي انطلق من واقع الضعف الشامل والشعور بالهزائم الداخلية التي أصابته[2] ونظر إلى بريق الحضارة الغربية الذي يخلب الأبصار والأفئدة، ووقف البعض منبهرا مشدوها أمام هذه الحضارة، التي استطاعت أن تبسط ظلها على مختلف شؤون الحياة، ومدت آثارها في كل محفل وناد وبقعة من أرض الله، ورأى الفرد المسلم أنه حيث التفت يمينا وشمالا يجد تلك الحضارة قد احتوته من كل جانب، وحاصرته من كل اتجاه، وأخذت عليه طريقه في كافة ميادين الحياة، في المصنع، والمتجر، والمسكن، والمزرعة، والمطعم، والتشريع، وطرق المواصلات[3]، وغيرها. ونتيجة لهذا الواقع أبدى بعض المثقفين تحمسهم لاجترار الحضارة الغربية بكل ما فيها من ثقافة ونظم وأساليب علمية، وبثها في العالم الإسلامي، حتى يستيقظ ويحقق نهضته كما حقق الغرب نهضته، ومن هنا كانت الدعوة إلى ضرورة التغيير الثقافي.

---

(١) دراسات في الفكر العربي الإسلامي، د. إبراهيم زيد الكيلاني وآخرون، ط٥، دار الفكر، ١٩٩٥م، ص ٣٨٢ بتصرف.

(٢) أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث، د. محسن عبد الحميد، ط٣، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م. ص٣٠.

(٣)انظر: دراسة في البناء الحضاري، كتاب الأمة (٢١)، ط١، ص ٢٦.

وإن المنهج الوسطى المعتدل، لا يرفض عملية التغيير والتقدم إلى الأحسن، ذلك أن القرآن الكريم نفسه، يدعو إلى تصحيح الأخطاء، وتقويم الاعوجاج ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾[١] .

على أن هذا التغيير يجب أن لا يمس قيمنا الثقافية، وأصولنا الإسلامية، وقد عرفت من قبل ضوابط الانفتاح على الحضارة الغربية، وتبين لك، أنه لا بد أن نأخذ من حضارات الأمم ما يفيدنا، في مجال المدنية، كالطب والصناعة، والصيدلة، والاتصالات، كوننا مأمورين شرعا باتخاذ كل وسيلة من شأنها أن تقوي جانب الأمة المادي[٢]. لقوله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[٣] . حيث جاءت لفظة (قوة) مطلقة حتى تتناول جميع أشكال القوة وأنواعها، وحتى تستوعب مختلف أصناف التقنيات المادية.

أما في مجال الثقافة والفكر، وما ينبثق عنه من عادات وتصرفات، فإننا نرفض هذه الثقافة لأنها تتعارض مع مبادئنا وقيمنا، فنرفض مثلا تصور الغرب للإنسان والكون والحياة، والتي تنطلق من قاعدة "كل وتمتع فإنك غدا ستموت".

وترفض النظرة الغربية للأخلاق التي تستند إلى المنفعة الشخصية والقيم النسبية والأثرة والمتعة، كما نرفض نظرة الغرب للدين والعقيدة، ونرفض نظرته للعلاقات الاجتماعية، وغيرها من المجالات التي نبهنا إلى البون الشاسع فيها بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية وعليه فإننا نأخذ من الغربيين ما يفيدنا في المجال المدني، ونحافظ على ثقافتنا، ونأبى كل قيمة ثقافية تتعارض وثقافتنا الأصيلة، لأننا مأمورون بالتميز الثقافي لقوله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [٤] .

---

(١) سورة الرعد:الآية ١١.

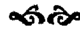
(٢) دراسات في الفكر العربي الإسلامي، د. الكيلاني، طه، ص ٣٨٣.

(٣) سورة الأنفال:الآية ٦٠.

(٤) سورة البقرة:الآية ١٤٣.

الفصل السادس

العولمة



المبحث الأول

العولمة حقيقتها نشأتها، ومؤسساتها

أولا: حقيقة العولمة.

يمكن تعريف العولمة بأنها نظام عالمي جديد، يقوم على الإبداع العلمي والتقني، وثورة الاتصالات، بحيث تزول الحواجز والحدود بين الأمم والشعوب والدول، ويمسي العالم وكأنه قرية كونية(١).

وأصل مدلول المصطلح اقتصادي ومالي، يشير إلى ما يجب أن يكون بين الدول من إزالة للحواجز أمام حرية التجارة لإتاحة حرية تنقل السلع ورأس المال، ولكن هذا المصطلح قد تجاوز البعد الاقتصادي والمالي، ليمس جميع جوانب الحياة، سياسيا، وثقافيا، وأخلاقيا، وتربويا(٢).

ثانيا: النشأة والتاريخ.

يرى العديد من الدارسين أن مفهوم العولمة ومضمونها ليس أمرا جديدا، وأن هناك عولمتين، قديمة وحديثة.(٣)

---

(١) انظر: تعريفات أخرى للعولمة: العولمة، محمد سعيد أبو زعرور، ط١، ١٩٩٨م، دار البيارق، عمان، ص١٤.

(٢) انظر: الهوية والعولمة، د. ناصر الدين الاسد، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الدورة الأولى، موضوع الدورة، "العولمة والهوية"، الرباط، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م، ص٥٥، وما بعدها.

(٣) انظرك إيجابيات العولمة وسلبياتها، محمد الحبيب بلخوجة، ص ٩٣، وأكاديمية المملكة المغربية، الدورة الأولى.

أما القديمة: فقد ظهرت مع الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر، واستطاعت تنفيذ خطتها بزيادة إنتاج السلع زيادة كبيرة، فدفعت بأوروبا إلى البحث عن أسواق جديدة لاستيعاب منتجات المصانع، وللاستيلاء على مناطق جديدة لتأمين المواد الخام بأسعار منخفضة جداً، فكانت إقامة المستعمرات في آسيا وأفريقيا، لتلبية رغبة الدول المستعمرة في تحقيق أكبر قدر من القوة الاقتصادية، وهو الأمر الذي اضطر الدول الفقيرة المستعمرة إلى الإندماج في اقتصاديات الدول الصناعية الكبرى والذوبان فيها.

أما العولمة الحديثة: فإن تحققها قد اعتمد على آليات ووسائل غير الاحتلال العسكري، وإنما قام على أساس تحرير التجارة الدولية والتنافس على النطاق الدولي، واعتمد على التقدم التكنولوجي في مختلف المجالات، وتسابق الدول على اقتنائه وامتلاكه.

ثالثاً:- المؤسسات:

وتُشكل المؤسسات الاقتصادية الكبرى من مثل: البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التعاون للتنمية الاقتصادية، ومنظمة التجارة الدولية، أبرز مؤسسات العولمة، وتستطيع هذه المؤسسات أن تفرض سياستها التي تراها على الدول الفقيرة والضعيفة، وغالباً ما تكون القروض التي تقدمها هذه المؤسسات للدول النامية مشروطة بشروط تمسُّ ثقافة الأمم وعقيدتها، حتى يسهل الاستيلاء على جميع مقدرات الشعوب.

المبحث الثاني

خطر العولمة على الثقافة

إنّ عولمة الاقتصاد والسياسة ستفضي حتماً إلى عولمة الثقافة التي يراد لها أن تصبح نموذجاً فكرياً وحيداً في العقول والضمائر[1]، ذلك أن الثقافة تشكل حاجزاً معنوياً يحول دون تمكن الدول القوية من الاستيلاء على مقدرات الشعوب وطاقاتها، ومن هنا تركز وسائل الإعلام من محطات الإعلام الفضائية، وأشرطة الفيديو، والانترنت، وغيرها، على إيجاد نمط ثقافي واحد يستوعب جميع الثقافات الأخرى، وتذوب في بوتقته جميع القيم والأخلاق والمبادئ، وتتشكل بناء على ذلك، ثقافة عالمية واحدة تذوب فيها كل الثقافات الأخرى، وتتحطم كل الجوانب المعنوية للشخصية الإنسانية، من لغة، وعقيدة وذوق وتراث حضاري[2].

والملاحظ أن النمط السائد في الثقافة العالمية، هو النمط الأمريكي وهذا يفسر سبب ازدياد نسبة الإنتاج السينمائي الأمريكي ، حيث تشير الإحصائيات إلى أن الانتاج الأمريكي للأفلام السينمائية كان يبلغ سنة ١٩٤٤م، ٦٠%، من الإنتاج العالمي، وفي سنة ١٩٨٥م قفز إلى ٧٦% من الإنتاج العالمي، ولا شك أن النسبة في تزايد ونمو خلال السنوات القادمة[3].

وهذا يعكس مقدار الجهد الذي تبذله الولايات المتحدة الأمريكية لتصدير ثقافتها إلى العالم، حتى تكون هي الثقافة المهيمنة والمستولية على كل الثقافات الأخرى وليكون احتلالها للعالم بطريقتين:

احتلال اقتصادي وسياسي، من خلال قوتها العسكرية التي تفرض إرادتها وقرارها.

---

(١) لا بد من تكامل العولمة، عبد الهادي بو طالب، ص ١٢٨، وأكاديمية المملكة المغربية، الدورة الأولى.

(٢) أي منظور لمستقبل الهوية في مواجهة تحديات العولمة، محمد الكتاني، وأكاديمية المملكة المغربية.، الدورة الأولى.

(٣) لا بد من تكامل العولمة، ص ٨٥-٨٦ عبد الهادي بو طالب، ص ١٢٨.

واحتلال ثقافي وفكري، من خلال فرض ثقافتها، ونمط الحياة الذي توردہ إلى العالم.

ولقد تنبهت بعض الدول الغربية إلى خطر العولمة على ثقافتها، ووجدت أن النموذج الأمريكي سيطغى على كل الثقافات والقيم الأخرى، وهذا ما فعلته فرنسا، حيث فرضت الحكومة الفرنسية على قنوات التلفزيون الفرنسي أن يخصص ٦٠% من برامجها للإنتاج الأوروبي، حتى لا تذوب هويتها أمام الثقافة الأمريكية الجارفة[1].

كما رفضت الحكومة الفرنسية أن توقع على الجزء الخاص بالسلع والمواد الثقافية اتفاقية GATT "الجات"، ووقف وزير الثقافة الفرنسي منددا بمواقف الولايات المتحدة، واعتبره شكلاً من أشكال الهيمنة الثقافية والغزو الثقافي[2].

وإذا كان هذا حال الأمم والشعوب الغربية في غيرتها على استقلالها وتميزها، فالأولى بالأمة الإسلامية أن تقف موقفاً أشد وأصلب في الدفاع عن ثقافتها ودينها وعقيدتها وأن تبذل غاية جهدها لإحباط جميع مشاريع أعداء الأمة في النيل من ثوابتها وقيمها الأصلية.

(١) المرجع السابق، عبد الهادي بو طالب، ص ١٣٠، وأكاديمية المملكة المغربية، الدورة الأولى

(٢) الهوية والعولمة، ناصر الدين الاسد، ص ٦٠.

المبحث الثالث

الآثار العامة للعولمة

يمكن أن نجمل لك أخي الطالب أبرز آثار العولمة وأخطارها بالنقاط التالية:

أولاً: الاستيلاء على اقتصاديات العالم من قبل الولايات المتحدة الأمريكية عن طريق تطويق الإنتاج القومي للدول الفقيرة والضعيفة وإدخالها في منافسة غير متكافئة، مما يؤدي إلى تدمير اقتصادها وازدياد نسبة البطالة والفقر[١] وهذا ما حدث على سبيل المثال مع أندونسيا وماليزيا.

ثانياً : التحكم في مراكز القرار السياسي في دول العالم لخدمة المصالح الأمريكية على حساب مصالح الشعوب وثرواتها القومية[٢].

ثالثاً: إلغاء النسيج الاجتماعي للشعوب وتدمير الهويات القومية والثقافية الخاصة لكل شعب بفرض ثقافة القطب الاقتصادي الواحد، الذي يحاول أن يفرض لغته وثقافته وقيمه[٣].

رابعاً: تعميق التناقض بين المجموعات البشرية، والقيام بتفتيت الدول والكيانات، إلى دول ضعيفة وكيانات هزيلة، وهذا ما يحدث اليوم في البلقان وإندونيسيا.

خامساً: زيادة الدولة القوية غنىً وزيادة الدول الفقيرة فقراً[٤].

---

(١) انظر : أي منظور لمستقبل الهوية، الكتاني، ص ٨٥-٨٦، وأكاديمية المملكة المغربية، الدورة الأولى.

(٢) العولمة، محمد سعيد، ص ٣٦، ط١.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

المبحث الرابع

كيفية مواجهة العولمة

أمام هذا الخطر المحدق بالثقافة الإسلامية، تتحتم ضرورة النهوض للدفاع عن قيمنا وأخلاقنا وهذا يستدعي ما يلي[1]:

أولا: إبراز حقيقة الإسلام وتميزه، وبيان قيمه الكريمة التي تتمثل في السماحة والرحمة، واليسر.

ثانيا: تحصين النشء بالثقافة الإسلامية، حتى تشكل سدا منيعا أمام جميع الثقافات الغازية، وحتى تكون الشخصية الإسلامية معتزة بأصالتها، ترى في الثقافات الوافدة شكلا من أشكال الاحتلال الثقافي.

ثالثا: ضرورة نهوض المثقفين والأكاديميين لكشف الزيف الذي يكتنف فكرة العولمة، وإظهار النوايا الاستعمارية التي تكمن خلفها، وتنبيه جميع الأوساط على خطرها على الثقافة، حاضرا ومستقبلا.

رابعا: التأكيد على رحابة الإسلام، وقبوله مبدأ حوار الحضارات، وقدرته على الانفتاح والتفاعل مع الثقافات الأخرى، وإقامة جسور المودة والتعرف مع الأمم والشعوب الأخرى، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [2].

خامسا: التركيز على القيم الأصيلة في ثقافتنا الإسلامية، من التميز، والثبات، وإظهار أثر هذه الخصائص في رفض أي ثقافة غربية تستهدف تحطيم ثوابتنا الحضارية ، لتكون منسجمة مع الأهداف الاستعمارية الانتهازية.

---

(١) انظر المراجع السابقة، وانظر: الثقافة الإسلامية وتحدياتها المعاصرة، د. محمد عوض الهزايمة، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، دار سراج، عمان، ص ٢٧٨ وما بعدها.

(٢) سورة الحجرات:الآية ١٣.

الوحدة السابعة

النظم الإسلامية

تمهيد

هذه هي الوحدة السابعة من مقرر الثقافة الإسلامية، وتشمل مجموعة من النظم الإسلامية، وقبل بيانها نرى من المفيد أن نذكر مفهوم النظام في الإسلام ومفهوم التشريع.

النظام في اللغة:

النظام مفرد، جمعه أنظمة ونُظُم وأناظيم، ويأتي لغة بمعنى: الجمع والتأليف، والهدي، والسيرة، والعادة.

جاء في لسان العرب -مادة نظم- "النَّظْمُ: التأليف، نَظَمَهُ يَنْظِمُه نَظْماً ونِظاماً ونَظَّمَه فانتظم. ونَظَمْتُ اللؤلؤ أي جمعته في السِّلْك، والتنظيم مثله. ومنه نَظَمْتُ الشعر ونَظَّمته. وكل شيء قَرَنته بآخر أو ضَمَمْتُ بعضه إلى بعض، فقد نظمته. والنّظم: المنظوم، وصف بالمصدر والنظم: ما نظمته من لؤلؤ وخرز وغيرهما، واحدته نظمة.

والنظام: ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكلّ شعبة منه وأصل نظام. ونظام كل أمر: ملاكه، والجمع أنظمة وأناظيم ونظم. والانتظام: الاتساق.

والنظام الهدية[١] أو السيرة. وليس لأمرهم نظام أي ليس له هدي ولا متعلق ولا استقامة. وما زال على نظام واحد أي عادة"[١]

النظام في الاصطلاح:

هو "مجموعة القواعد والأحكام المترتبة والمتفاعلة فيما بينها. فنظام أي دولة مثلاً يتكون من مجموعات القوانين والمبادئ والتقاليد التي تقوم عليها تلك الدولة"[٢]

---

(١) لسان العرب، مادة نظم، ١٢/ ٥٧٨.

(٢) نظرات في الثقافة الاسلامية، عز الدين الخطيب التميمي، ورفاقه، الناشر دار الفرقان، مطبعة النور النموذجية، عمان، الاردن، الطبعة الأولى ١٩٨٤، ص١١٩.

وهذا يدل على أن لكل دين أو مذهب طريقة أو نظاماً ينظم به أجزاءه وأقسامه ومبادئه النظرية العلمية. ففي العالم أنظمة متباينة، فنظام للبوذية، ونظام للشيوعية، ونظام للديمقراطية، ونظام للمسيحية وهكذا، وتشعر كلمة نظام بانتظام العقيدة والأخلاق والعبادة والتشريع في سلك واحد يربطها به الإسلام نفسه"[1]

مفهوم التشريع:

التشريع في اللغة من شرع، ومنه الشريعة والشراع والمشرعة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها، قال الليث: وبها سمي ما شرع الله للعباد شريعة من الصوم والصلاة والحج والنكاح وغيره. والشرعة والشريعة في كلام العرب: مشرعة الماء وهي مورد الشاربة التي يشرعها الناس فيشربون منها ويستقون، وربما شَرَّعوها دوابَّهم حتى تشرعها وتشرب منها، والعرب لا تسميها شريعة حتى يكون الماء عِدًّا لا انقطاع له، ويكون ظاهراً معيناً لا يسقى بالرِّشاء وشرع إبله وشرّعها: أوردها شريعة الماء فشربت ولم يستق لها. وفي المثل: أهون السقي التشريع، وذلك لأن مورد الإبل إذا ورد بها الشريعة لم يتعب في إسقاء الماء لها كما يتعب إذا كان الماء بعيداً[2]

أما التشريع في الاصطلاح فيراد به سن القوانين التي تعرف بها الأحكام لأعمال المكلفين،وما يحدث لهم من الأقضية والحوادث. فإن كان مصدر هذا التشريع هو الله تعالى بواسطة رسله وكتبه فهو التشريع الإلهي، وإن كان مصدره البشر فهو التشريع الوضعي.[3]

ويطلق لفظ الشريعة في الاصطلاح على الدين الإسلامي فيشمل جميع الأحكام المتعلقة بالعقيدة أو الأخلاق، والعبادات والمعاملات. وكذلك يطلق هذا اللفظ على الأحكام التكليفية العملية، فتخرج منه الأحكام الاعتقادية والأخلاقية، ويخص بالأحكام العملية أي يختص بالجانب التشريعي فقط[4]

---

(١) نظام الاسلام، العقيدة والعبادة، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٧٥، ص٢٤.

(٢) لسان العرب، مادة شرع.

(٣) نظام الاسلام، محمود السرطاوي ورفاقه المركز العربي للخدمات الطلابية، الطبعة الاولى، ١٩٩٦، ص١٢.

(٤) نظام الاسلام، السرطاوي ص١٢.

الفرق بين مفهوم نظام الإسلام والتشريع الإسلامي:

إن موضوع التشريع هو سن القوانين واستمدادها من الأدلة المعتبرة شرعاً من الكتاب أو السنة أو الإجماع أو القياس أو الأدلة التبعية كالاستحسان أو الاستصلاح أو العرف. أما موضوع نظام الإسلام فهو الإسلام بجميع مكوناته من عقيدة وأخلاق وعبادة ومعاملات بجميع فروعها الشاملة لجميع الأحكام العملية سوى العبادات، كأحكام الأحوال الشخصية، والأحكام المالية، والقضائية والجنائية والدستورية والدولية، باعتبارها وحدة متكاملة متجانسة مترابطة الأجزاء، ومن تمثلها ظهرت عليه ملامح الشخصية الإسلامية التي تميزه عن الأشخاص الآخرين الذين يخضعون لنظم أخرى، وعليه فإن دلالة نظام الاسلام أعمم وأشمل من دلالة التشريع أو الشريعة بمعناها الخاص[١] وهو ما سار عليه المتأخرون من علماء الشريعة.

وفي هذا المقام نتكلم عن بعض هذه النظم الإسلامية، وهي:

النظام العقدي، والنظام الاجتماعي، والنظام السياسي، والنظام الاقتصادي

(١) نظام الاسلام، ص١٣.

الفصل الأول

النظام العقدي في الإسلام

مفهوم النظام العقدي:

أصل العقيدة في اللغة من الفعل عقد، ولها عدة معان، فتأتي بمعنى التصديق، والثبات، واللزوم. وأساس التسمية في اللغة هو ما انعقد عليه القلب، واستمسك به وتعذر تحويله عنه من غير نظر إلى منشأ العقيدة وبلا فرق في ذلك بين (ما) كان راجعاً إلى تقليد أو ظن أو وهم، وبين ما كان راجعاً إلى دليل عقلي جازم[1]

وأما العقيدة في الاصطلاح الشرعي:" فهي التصور الإسلامي الكلي اليقيني عن الله الخالق، وعن الكون والإنسان والحياة، وعما قبل الحياة الدنيا وعما بعدها، وعن العلاقة بين ما قبلها وما بعدها "[2]

والعقيدة من حيث هي تطلق على كل فكرة كلية عن الكون والإنسان والحياة بصرف النظر عن صحة تلك الفكرة أو فسادها[3] ولذا فهناك عقيدة صحيحة، وعقائد فاسدة. أما العقيدة الصحيحة فهي المنزلة من الله تعالى والتي جاءت بها رسل الله إلى البشر. أما العقائد الفاسدة فهي التي كانت نتاج أفكار البشر .ومن وضع مفكريهم، كالبوذية والشيوعية،فهذه العقائد مهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدوداً مقيداً بقيود متأثراً بما حولهم من عادات وتقاليد وأفكار. وقد يأتي فساد العقيدة من تحريفها وتغييرها وتبديلها كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والعقيدة النصرانية في وقتنا الحاضر فإنهما حرفتا منذ عهد بعيد، ففسادهما كان نتيجة لهذا التحريف، وإن كانت كل

---

(١)نظرات في الثقافة الاسلامية، ص ٥٩.

(٢) دراسات في الفكر العربي الاسلامي، د. ابراهيم زيد الكيلاني، ورفاقه، دار الفكر، عمان، الطبعة الخامسة، ١٩٩٥، ص١٠٨.

(٣) نظرات في الثقافة الاسلامية، ٥٩.

واحدة منهما عقيدة صحيحة في الأصل(1)

ومما تقدم نرى أن العقيدة الصحيحة في وقتنا الحاضر هي التي جاء بها دين الإسلام الذي أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه الدين المحفوظ الذي تكفل الله بحفظه، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝ ﴾ (2) فمن أراد أن يعرف العقيدة الصحيحة فلن يجدها إلا في الإسلام في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهي التي تقنع العقل بالحجة والبرهان، وتملأ القلب إيماناً ويقيناً ونوراً وحياة(3) قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ۝ ﴾ (4) والفكرة الكلية التي حددها الإسلام عن الكون والإنسان والحياة هي الفكرة الصحيحة المطابقة للواقع الثابتة بالدليل العقلي الجازم، ولا تصل هذه الفكرة لدى الفرد إلى مترلة العقيدة إلا إذا آمن بها إيماناً ناشئاً عن دليل عقلي جازم. ولذلك كانت العقيدة في الاصطلاح الشرعي الإسلامي هي الإيمان المطابق للواقع الثابت بالدليل العقلي، فالإيمان هو التصديق الجازم، وبه يخرج الشك والوهم والظن، ولذلك فإن العقيدة تنتفي إذا بنيت على الوهم والشك والظن، قال تعالى: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾(5) فأمر الله تعالى بالعلم في العقيدة، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالنظر الصحيح، والمعرفة الحقيقية اليقينية بوجود الله ووحدانيته واتصافه بصفات الكمال. وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ۝ ﴾(6) فقد أمر بالإيمان بهذه العقيدة، والإيمان هو التصديق الجازم، ولا سبيل إلى

(1) العقيدة في الله، د. عمرسليمان الأشقر، دار النفائس، عمان، الطبعة الثامنة، ١٩٩١، ص١١

(2) سورة الحجر: ٩.

(3) العقيدة في الله، ص١١، ١٢.

(4) سورة الشورى: ٥٢،٥٣.

(5) سورة محمد، ١٩.

(6) سورة النساء: ١٣٦.

ذلك إلا بالنظر الصحيح والمعرفة اليقينية.

فالإسلام هو الدين الذي يحث على استعمال العقل وعلى التفكير والتبصر ويطلب من الإنسان أن ينظر في ملكوت السموات والأرض، وأن يتعمق في البحث والنظر والتأمل رجاء أن يصل إلى وجود هذا الكون ووجود الأشياء كلها راجع إلى إله واحد خالق قادر عليم حكيم. قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾[١] ثم يؤكد النظر ويوجبه ويجعله سبيلاً إلى الإيمان، ويذم اتباع الهوى وتقليد الآباء دون تفكر أو بحث أو نظر، وينهى عن الخضوع الأعمى للسادة الكبراء في أمور العقائد، ويقبح الظن في مسائل الإيمان[٢] قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾.[٣]

هذا وتعتبر العقيدة في نظام الإسلام اللبنة الأساسية في بنائه، فهي تتصل بجميع أجزاء هذا النظام، وهي الأساس الذي تبنى عليه نظرته أو نظامه الأخلاقي، وهي التي تكون الأساس الفكري لعقلية المسلم، والأساس النفسي لسلوكه، ومنها كذلك تنبثق نظرته إلى الحياة الاقتصادية والحياة السياسية، وعلى أساس فلسفتها يبنى نظامهما، فالعقيدة إذن هي اللبنة الأساسية في بناء نظام الإسلام، وهي التي تمد باقي أجزائه بالحياة وتحدد اتجاهاتها ومعالمها. ذلك أن هذه العقيدة تتضمن الحقائق الكبرى التي دعا القرآن الكريم إلى الإيمان بها أو التي وجه الإنسان وأرشده إليها وهي تصور الوجود، وجود الخالق، ووجود الكون والإنسان والصلة بين الله والكون والإنسان، وكذلك الحياة وما وراءها من حياة أخرى أو المصير والجزاء، والنبوة التي هي طريق معرفة هذه الحقائق الكبرى[٤]

---

(١) سورة آل عمران: ١٩٠،١٩١.

(٢) نظرات في الثقافة الاسلامية، ص٦٠.

(٣) سورة البقرة: ١٧٠.

(٤) نظام الاسلام العقيدة والعبادة، ص٢٨.

أركان العقيدة الإسلامية:

أركان العقيدة الإسلامية أو الإيمان، هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وقد ثبتت هذه الأركان في النصوص الشرعية، من ذلك قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾[1] في هذه الآيات الكريمة ذكر الله تعالى صفات المتقين، ومنها ما ذكر في النص من أنهم يؤمنون بالغيب، وبالكتب المترلة على الأنبياء، وباليوم الآخر. وقوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝ ﴾.[2]

ومن السنة ما رواه مسلم عن عبدالله بن عمر قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت. قال: فعجبنا إليه يسأله ويصدقه. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال: ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي: يا عمر أتدري

---

(١)سورة البقرة، ٢-٥.

(٢)سورة البقرة، ٢٨٥.

من السائل قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم[1].

هذا ومن الجدير بالذكر أن نبين أن كلمة الشهادة " شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " تجمع أركان الإيمان كلها وهي ستة كما تقدم: ذلك أن من التزم بالشهادتين " أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله " كان التزامه بها في الحقيقة إلتزاما بكل أركان الإيمان الخمسة الأخرى، ولذلك يكتفى من الإنسان إذا أراد الدخول في الإسلام أن ينطق بالشهادتين ويعتبر ذلك من المؤمنين إن كان صادقا مع أنه لم يتلفظ بكل أركان الإيمان، وما ذلك إلا لأن أركان الإيمان كلها داخلة في الشهادتين. وبيان ذلك:

أن أشهد أن لا إله إلا الله، ذكرت صراحة الركن الأول من أركان الإيمان وهو الإيمان بالله تعالى. وأن أشهد أن محمدا رسول الله ذكرت صراحة الإيمان بالرسول. والإيمان بالرسول يقتضي الإيمان بكل رسول لله أخبرنا عنه هذا الرسول الصادق صلى الله عليه وسلم، فدخل الركن الثاني من أركان الإيمان وهو الإيمان بالرسل ومن آمن بالله والرسل آمن بالملائكة الذين أخبر عنهم الرسل ومنهم الواسطة بين الله والرسل في تبليغ أمر لله ووحيه. ومن آمن بالله والرسل والملائكة آمن بالوحي ومن آمن بالوحي آمن بالكتب، ومن آمن بالله والرسل والملائكة والكتب آمن باليوم الآخر، لأن وجود اليوم الآخر فرع عن الإيمان بقدرة الله وعدله وفضله، وقد أخبرنا عنه الرسل، وذكر بالكتب والإيمان بالقدر فرع الإيمان بالله. فمن آمن بعلم الله الأزلي وإرادته التي خصصت الأشياء بالوقوع، وقدرته التي أبرز بها الأشياء، وكون ذلك قد كتب في كتاب فقد آمن بالقدر[2]

(١)صحيح مسلم، طبعة ١٣٢٩هـ- ن/٢٩.

(٢)الاسلام، حوى، سعيد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨١، ص٢٨.

أثر النظام العقدي على الفرد والمجتمع

للعقيدة الإسلامية آثار قيمة في حياة الفرد والمجتمع، ولا يمكننا أن نحصي هذه الآثار، وإنما نكتفي بذكر بعض منها، وهي كما يأتي:

أولا: أثر العقيدة على الفرد:

١- الإخلاص في عبودية الإنسان لله تعالى، امتثالا لأمر الله تعالى،﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[1] فالإنسان المؤمن مخلص لله تعالى، وللإخلاص آثاره الحميدة، من ذلك: أن من أخلص لله تعالى في تصرفاته أحبه، ومن أحبه الله رضي عنه ﴿ **يحبهم ويحبونه**﴾، ﴿**رضي الله عنهم ورضوا عنه**﴾ ومن أخلص لله شعر دوما بمراقبة الله له في كل ما يصدر عنه من التصرفات، ولذا نجده يخاف الله ويتقيه، وهو ليس في حاجة لمراقبة أحد من البشر عليه، لأنه غني بمراقبة الله. فهذا الشعور يحفزه دائما على المزيد من البذل والعطاء لنفع خلق الله[2]، وأن من أخلص لله تعالى فإنه يتحرر من كل أنواع الباطل ومن جميع العبادات الزائفة والأهواء المضلة، فالعقيدة الإسلامية تحرر صاحبها من العبودية لغير الله، كعبادة الأشخاص أو الجاه أو المال أو الأهواء والشهوات[3].

٢- تحرير النفس من سيطرة الغير والخوف منه، لأن أولئك الذين يخشونهم لا يملكون ضرا ولا نفعا لأن الذي يملك ذلك هو الله تعالى وحده فكل شيء بيده وأمره،قال تعالى: ﴿ وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَۖ فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠٦ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٠٧ ﴾[4] وقال تعالى:

---

(١)سورة البينة، آية ٥

(٢) أهداف التشريع الإسلامي، مرجع سابق، ص٣٩٥، ٣٩٦

(٣) العقيدة والفكر الإسلامي، د. محمد هشام سلطان، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ص٢٨

(٤)سورة يونس، آية ١٠٦،١٠٧

قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1] وإذا تحررت النفس من الخوف من الغير فإنها تتحرر من الذل والعبودية والخضوع لغير الله[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده اتجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"[3]

٣- إن العقيدة تملأ النفس طمأنينة وسكينة وثقة وترفع من قوة الإنسان المعنوية وتدفع عنه اليأس والقنوط، فالمؤمن متفائل أبدا واثق من نفسه ومن نصر الله تعالى[4] قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [5] وقال: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[6] وقال:﴿ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[7]، [8].

٤- إن العقيدة تجعل الإنسان متقيدا بقانون الله تعالى، حريصا عليه وتمنحه ضميرا نقيا، يقظا، مراقبا لله في كل تصرفاته، لأنه يعلم أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا

---

(١)سورة آل عمران آية ٢٦

(٢)معالم الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٨، ٣٩

(٣) شرح الأربعين حديثا النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، ابن دقيق العيد، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة، طبعة ١٩٨٣، ص٥٣.

(٤)معالم الثقافة الإسلامية، ص ٣٩

(٥)سورة آل عمران آية ١٢٦

(٦) سورة الروم : آية ٤٧.

(٧)سورة البقرة ١٠٧

(٨)معالم الثقافة الإسلامية، ص ٤٠

في السماء، وإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور[1].

٥- إن العقيدة تنمي الشجاعة عند الإنسان المؤمن، لأنه إذا علم أن الأجل والرزق والنفع والضر وكل شيء بيد الله، وإن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وقف شجاعا أمام أعدائه لا يبالي بالمصائب.

٦- إن العقيدة تدفع صاحبها إلى التواضع وخفض الجناح والرحمة قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴾.[3]

٧- سلامة القلب من الحقد والحسد، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.[4]

٨- شعور الإنسان بمسئوليته أمام الله تعالى ومالك أمره والحاكم عليه وعلى مصيره، وهي المسؤولية التي تنتهي عندها كل المسؤوليات الأخرى، وهذا يؤدي إلى الاستقامة في الحياة " إن إعتقاد الإنسان بالجزاء واستحضاره الدائم له وتصوره المستمر للمصير والجزاء، للنعيم والشقاء الأبديين، له أثر كبير في حسن سلوكه واستقامة طريقته، سواء في نفسه أو مع الناس، أو فيما بينه وبين ربه وخالقه المنعم عليه[5]"

٩- سعة الأفق وبعد النظر، ذلك أن العقيدة تجعل من المؤمن إنسانا سوي التفكير طاهر الضمير طيب السريرة يقظ البصيرة، يستعمل طاقته الفكرية في وظيفتها الصحيحة المجدية فينظر ويتأمل في هذا الكون ليتعرف على مظاهر عظمة الله تعالى، وجليل حكمته، ونفوذ قدرته، وشمول علمه، وتفرده بالخلق والإبداع، فإذا انطلق المؤمن من هذا كان

---

(١)دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ص ١٣٤

(٢)سورة التوبة، آية ١٢٨

(٣) سورة الإسراء: ٣٧.

(٤) سورة الحشر: ١٠.

(٥) نظام الاسلام في العقيدة والعبادة، ص٥٩،١٥٥.

داعية خير وصانع حضارة ورمز سلام يعمل في هذه الحياة ليقيم شرع الله في أرضه، الذي تسود به وحده شرعة الحق ومثل العدالة والحرية والمساواة في إنسانية نموذجية رائـــدة، لا تعرف الحقد والشر والكبر[١]

أثر العقيدة في المجتمـــع:

للعقيدة آثار قيمة في المجتمع لا نستطيع حصرها، وإنما نوجز ذلك بأنها تربـــط بـــين قلوب معتنقيها بأواصر لا تنفصم من المحبة والأخوة والتراحم. وهذه وظيفة إيجابية ذات أثر عميق في كيان الجماعة، لأن رابطة العقيدة لا تعدلها أي رابطة أخرى من نسب أو جنـــس أو لون أو مصالح مشتركة[٢] وعليه فإنها تنشئ مجتمعا موحدا متعاونا على البر والتقـــوى بعيدا عن الإثم والعدوان[٣].

وجاء في كتاب العقيدة والفكر الإسلامي: في بيان وظائف الإيمان:" أنه يؤدي إلى إنشـــاء تضامن في الأمة، فإن وحدة الإيمان بين المسلمين تؤدي إلى وحدة الفكر، ووحدة الفكـــر تؤدي إلى وحدة الوسائل والأوضاع سواء في ظل الأحكام الشرعية أو في ظل العـــادات والآداب، وهذا يؤدي إلى وحدة العمل ووحدة الطريقة والمنهج، وبالتـــالي إلى التضـــامن والتماسك بين أعضاء الأمة الإسلامية" وفي موضع آخر في بيان آثار الإيمان:" التعـــاضد الاجتماعي: وهي نتيجة جماعية تنشأ على أثر الإيمان وذلك يؤدي إلى وحـــدة الهـــدف، ووحدة الوسيلة، ووحدة الكلمة " فالمؤمنون مجتمعون دائما تحت راية واحـــدة وقيـــادة واحدة مما يؤدي إلى تعاظم قوتهم[٤]"

---

(١)لمحات في الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٦١، ٣٦٢.

(٢)لمحات في الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٦٦

(٣)دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ص ١٣٥، ١٣٦

(٤)العقيدة والفكر الإسلامي، د. محمد هشام سلطان، ص ٥٢، ٥٣

الفصل الثاني

النظام الاجتماعي في الإسلام

مفهوم النظام الاجتماعي:

توجد عدة اتجاهات ومذاهب في تحديد مفهوم النظـام الاجتمـاعي، منـها:

١- إن النظام الاجتماعي هو مجموعة المبادئ والتشـريعات الـتي تنظـم علاقـة الإنسـان بأخيـه الإنسـان في جميـع المجـالات الأسـرية والإقتصاديـة والسياسية... فهذا مفهوم عام وشامل لجميع أنظمـة المجتمـع.

٢- إنه مجموعة المبادئ والتشريعات التي تنظم علاقة الرجل بـالمرأة ومـا يتفـرع عن هذه العلاقة من أمور. وهذا الفـهم للنظـام الاجتمـاعي يقصـر عنـد حدود نظام الأسرة وما يدخل في ذلك مـن علاقـات زوجيـة وعلاقـات بنوة وأبوة وأخوة وعمومة متشـابكة.

٣- وهناك فهم آخر للنظام الاجتماعي يستوعب مفـهوم نظـام الأسـرة وهـي نواة المجتمع والخلية الأساسية فيه ثم مفـهوم المجتمـع المصغـر وهـو مجتمـع الجيران والخلطاء في العمل ثم مجتمع الأمة، ثم المجتمـع الإنسـاني بكاملـه[1].

ونحن في مؤلفنا هذا سنقصر مفهوم النظام الاجتمـاعي علـى المعـنى الثـاني أي نظام الأسـرة.

الأسرة وأهميتها:

معنى الأسرة في اللغة: الدرع الحصينة. وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون، لأنـه يتقوى بهم.[2]

---

(١) الثقافة الإسلامية، د. عزمي السيد، ورفاقه، مرجع سابق، ص ٣٢٢، ٣٢٣.

(٢) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الطبعـة الأولى، ١٩٩٦، ص ١٦، مادة أسر، لسان العرب، مادة أسر، ٤/١٨.

أما في المعنى الاصطلاحي "فيبدو أن معرفة المقصود بالأسرة بصورة محددة قاطعة ليس بالأمر اليسير، رغم أن مدلول الأسرة معروف لدى جميع الناس، وموجود في كل مكان، ولعل مرد هذه الصعوبة إلى عاملين:

١- خلو القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من اصطلاح الأسرة أو ما يعادله تماما، ولعل لفظ " أهل " الذي تردد ذكره فيهما هو أنسب الألفاظ للدلالة على معنى الأسرة.

٢- غموض مدلول كلمة أسرة وكونه مطاطا. ولكن هذا لا يمنع من وجود محاولات لتعريف الأسرة وتحديد المقصود بها في الاصطلاح الشرعي والاجتماعي. ففي المفهوم الشرعي الأسرة هي: الوحدة الأولى للمجتمع، وأولى مؤسساته التي تكون العلاقات فيها في الغالب مباشرة، ويتم داخلها تنشئة الفرد اجتماعيا، ويكتسب منها الكثير من معارفه ومهاراته وميوله وعواطفه واتجاهاته في الحياة، ويجد فيها أمنه وسكنه "، أما في مفهوم علم الاجتماع فهي: رابطة اجتماعية تتكون من زوج وزوجة وأطفالهما، وتشمل الجدود والأحفاد، وبعض الأقارب، على أن يكونوا مشتركين في معيشة واحدة[١]"

ويمكننا أن نعرف نظام الأسرة بأنه "تلك الأحكام والمبادئ والقواعد التي تتناول الأسرة بالتنظيم، بدءا من تكوينها، ومرورا بقيامها واستقرارها، وانتهاء بتفرقها، وما يترتب على كل ذلك من آثار، قصدا إلى إرسائها على أسس متينة تكفل ديمومتها، وإعطاءها الثمرات الخيرة المرجوة منها"[٢]

أهمية الأسرة:

من المعلوم أن الأسرة لبنة من لبنات الأمة، وهذه الأمة تتكون من مجموعة أسر، يرتبط بعضها ببعض، ومن الأمور البدهية أن البناء المكون من لبنات يأخذ ما لهذه اللبنات من قوة أو ضعف، فكلما كانت اللبنات قوية ذات تماسك ومناعة كانت كذلك الأمة قوية ذات تماسك ومناعة، وكلما كانت اللبنات ذات ضعف وانحلال كانت كذلك الأمة[٣]

---

(١)نظام الأسرة في الإسلام، د. محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الأردن، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ص ١٨.

(٢)المرجع السابق، ص ١٩

(٣)الإسلام عقيدة وشريعة، شلتوت، مرجع سابق، ص ١٥٩

ومن هنا كان اعتناء الإسلام بالأسرة، فجاءت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة مبينة الأحكام المتعلقة بالأسرة بصورة تفصيلية شاملة، لإنشاء الأسرة الطيبة التي تكون نواة المجتمع الطيب الذي يقوم على أسس قوية من الإيمان والتواد والتراحم والتكافل، وبيان دورها الكبير في التربية وبناء القيم، ذلك أن الأسرة هي التي تقوم بغرس القيم الإيمانية والروحية والأخلاقية وهذه تعتبر من أسمى وأهم مجالات تربية الطفل. وهي التي تربي الطفل تربية اجتماعية تقوم على التزام الآداب الاجتماعية والأصول النفسية النبيلة النابعة من العقيدة الإسلامية، وهي بالتالي تلبي الحاجات الفطرية في الإنسان بأن يكون له نسل وذرية مما يساهم في حفظ النوع الإنساني واستمرار الحياة[1]

مظاهر اهتمام الإسلام بالأسرة:

نظرا لأهمية الأسرة في حياة الفرد والمجتمع، ولمكانتها العظيمة في قوة الأمة، أولى الإسلام الأسرة اهتماما بالغا، ومن مظاهر هذا الاهتمام ما يأتي:

١- وضع الأحكام والضوابط والآداب التي تحكم الأسرة بصورة مفصلة تكفل نجاحها وتحقق أغراضها.

٢- الإعلاء من شأن الرابطة الزوجية بما نجده من حث للزوجين على الوفاق وحسن المعاشرة حتى سماها القرآن الكريم ميثاقا غليظا، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝ ﴾[2] أي أخذن منكم عهدا شديدا موثقا يربطكم بهن أقوى الربط وأحكمه. إن هذا الميثاق الذي أخذه النساء من الرجال لا بد أن يكون مناسبا لمعنى الإفضاء في كون كل منهما من شؤون الفطرة السليمة، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم

---

(١) نظام الإسلام، د. محمود السرطاوي ورفاقه، الوحدة الخامسة، د. ذياب عقل، المركز العربي للخدمات الطلابية، عمان، الطبعة الأولى ١٩٩٦، ص ١٤٩، ١٥٠.

(٢)سورة النساء، آية ٢٠-٢١.

﴿مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةًۚ﴾[1] فهذه آية من آيات الفطرة الالهية هي أقوى ما تعتمد عليه المرأة في ترك أبويها وأخوها وسائر أهلها، والرضا بالاتصال برجل غريب عنها تساهمه السراء والضراء، فمن آيات الله تعالى في هذا الإنسان أن تقبل المرأة بالانفصال من أهلها ذوي الغيرة عليها، لأجل الاتصال بالغريب تكون زوجا له ويكون زوجا لها تسكن إليه ويسكن إليها، ويكون بينهما من المودة والرحمة أقوى من كل ما يكون بين ذوي القربى، فكأنه يقول: إن المرأة لا تقدم على الزوجية وترضى بأن تترك جميع أنصارها وأحبائها لآجل زوجها إلا وهي واثقة بأن تكون صلتها به أقوى من كل صلة، وعيشتها معه أهنأ من كل عيشة، وهذا ميثاق فطري من أغلظ المواثيق وأسدها إحكاما[2]"

٣- حث الإسلام على الزواج والترغيب فيه، والتحذير من العزوبة والنهي عنها.

٤- اختصاص عقد الزواج – أصل الأسرة – وتفرده ببعض الأحكام دون سائر العقود، وذلك صيانة له، وحرصا على دوامه واستقراره، كوضع مقدمات له، واشتراط الأشهاد عليه، ومنع التأقيت فيه[3].. ومن هنا نرى أن الزواج في الإسلام يأخذ نفس العناية التي تأخذها الأسرة إن لم تكن أقوى وأشد، ولا نعرف دينا من الأديان إلا وكان للزواج فيه المكان الأول مما يستدعي العناية والاحترام، وكذلك لا نعرف أمة من الأمم التي تعرف قيمة الحياة إلا كان الزواج لديها آخذا تلك المكانة من العناية والاهتمام، وليس ذلك فقط لأن الزواج أصل الأسرة، بل لأنه أيضا مما تدعو إليه الفطرة وتقضي به الطبيعة[4].

---

(١)سورة الروم، آية ٢١

(٢)تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٤/٤٦٠

(٣)نظام الأسرة في الإسلام، د. محمد عقلة، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٩، ج١، ص٦٧،٧٧،الأحوال الشخصية، د. محمود السرطاوي، ورفاقه، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، مركز تأهيل الوعاظ والأئمة، عمان، ١٩٩٠، ص١٦،١٧.

(٤)الإسلام عقيدة وشريعة، ص ١٥٩، ١٦٠

معنى الزواج وحكمه:

الزواج: هو عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة ويفيد تعاونهما ويحدد ما لكل منهما من حقوق وما عليه من واجبات[1] وقد جاءت نصوص شرعية كثيرة تحث على الزواج وترغب فيه، قال تعالى: ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً ﴾[2] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[3] ومن هذه النصوص الشرعية وغيرها استدل العلماء على مشروعية الزواج.

وأما حكمه فإنه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، كالتالي:

١- يكون الزواج واجبا إذا كان الشخص قادرا على تكاليف الزواج، وتاقت نفسه إليه وخشي الوقوع في الحرام إن لم يتزوج.

٢- يكون حراما، إذا كان يؤدي إلى الحرام، كظلم الزوجة.

٣- يكون مكروها إذا ظن الشخص أنه سيظلم زوجته إذا تزوج.

٤- يكون مندوبا عند جمهور فقهاء الإسلام على من قدر على تكاليف الزواج، وآمن على نفسه من الوقوع في الحرام[4].

مبادئ الإسلام في تأسيس الأسرة واستمرارها[5]

لقد وضع الإسلام مجموعة من المبادئ التي من شأنها إذا روعيت وحوفظ عليها أن تكون الأسرة قوية ودائمة، تعيش في محبة ووئام وسكن واطمئنان، وهذه المبادئ منها ما يتخذ قبل الإقدام على الزواج، بل من اللحظة الأولى، لحظة التفكير فيه، والتوجه إليه، والعزم عليه. ومنها ما يجب أن يتخذ بعد إتمام عقد الزواج، وتسير الحياة الزوجية في

---

(١)الأحوال الشخصية، د. محمد مصطفى شحاتة، مطبعة دار التأليف، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٧٤،ص٢٤،٢٥

(٢)سورة النساء، آية ٣

(٣)صحيح البخاري ٣٤/٣، مطابع الشعب، القاهرة

(٤)الأحوال الشخصية، د. شحاته، ص ٢٧، ٢٨، نظرات في الثقافة الإسلامية، ص ١٥٤

(٥)الإسلام عقيدة وشريعة، ص ١٦٦ — ١٨٩

طريقها. ومنها ما يتخذ حين الشعور بمبدأ الزعزعة والاضطراب. وها هو البيان:

١- المبادئ التي تراعى قبل الإقدام على الزواج:

شرع الإسلام مقدمات تسبق عقد الزواج، والغرض منها أن يتم الإقدام على هذا الزواج بروية، وبعيدا عن الإرتجال غير الواعي، فإذا روعيت هذه المقدمات فإن العلاقة الزوجية تكون قد قامت على أسس متينة تكفل لها الدوام والاستقرار. وهذه المقدمات هي الاختيار، والتعرف، والخطبة.

أولا- الاختيار:

إن من يريد الزواج عليه أن يفكر في موضوعه بروية ودون عجلة من أمره، حتى يستطيع أن يحسن اختيار شريك حياته، ذلك أن حسن الاختيار يضمن استقرار الأسرة والعشرة الصالحة، واستمرارها. والإسلام في هذه الناحية يوصي باختيار من له دين وخلق بالدرجة الأولى، ذلك أن صاحب الدين والخلق له من دينه وخلقه أقوى مرشد وأهدى سبيل إلى تقدير هذه الرابطة تقديرا يدفع إلى القيام بمقتضاها، والمحافظة على حقوقها. يدل على هذا الأمر ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها واجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"[١] وعن سهل قال: مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما تقولون في هذا ؟ قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال أن يستمع، قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: ما تقولون في هذا ؟ قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح وإن شفع أن لا يشفع. فقال رسول الله: صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا"[٢] وعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله: "إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة"[٣] وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله ﷺ:" إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض" رواه ابن ماجة، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:" تخيروا

(١)صحيح البخاري، ٧/٩.

(٢)صحيح البخاري، ٧/٨،٩.

(٣)سنن ابن ماجة، ١/٥٩٦.

لنطفكم وأنكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم"[1]

وفي مقابل ذلك نهى الإسلام عن اختيار الجمال والمال فقط دون نظر إلى الدين، فعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تزوجوهن لأموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء سوداء ذات دين أفضل"[2]

هذا ومن الجدير بالذكر أن نذكر أن الاختيار حق لكل واحد من الزوجين، فهو حق للرجل، وهو كذلك حق للمرأة، كما ويجوز للمرأة أن تعرض نفسها على الرجل وتذكر له رغبتها فيه، وقد كانت المرأة في العصور الإسلامية الأولى، بل في عصر الرسول صلى الله عليه وسلم تجتهد ما استطاعت في البحث عن شريكها، وقد تعرض نفسها عليه إن أعجبت به، كما أن ولي أمرها كان يسعى أيضا ما وسعه جهده في تلمس بيئة جديدة طيبة يضع فيها ابنته، وهو لا يأنف أن وجد بغيته أن يعرض ابنته عرضا على هذا الذي أنس فيه الكمال الذي يقاس به الأزواج الصالحون. وربما يتألم إن رفض الشخص هذا العرض، ولم يأبه لهذه الثقة التي وضعها ولي المرأة فيه[3] ويدل على ذلك ما رواه البخاري تحت باب عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح. عن ثابت البناني قال: كنت عند أنس وعنده ابنة له، قال أنس: جاءت إمرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض عليه نفسها، قالت: يا رسول الله ألك بي حاجة ؟ فقالت ابنة أنس، ما أقل حياءها واسوأتاه واسوأتاه، قال: هي خير منك رغبت في النبي صلى الله عليه وسلم فعرضت عليه نفسها[4]"

وتحت باب عرض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير، عن سالم بن عبدالله أنه سمع عبدالله بن عمر رضي الله عنهما يحدث أن عمر بن الخطاب حين تأيمت حفصة بنت عمر من خنيس بن حذامة السهمي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوفي بالمدينة، فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، فقال:

(١)سنن ابن ماجة ٦٣٣/١.

(٢)سنن ابن ماجة، ٥٩٧/١.

(٣)الأسرة تحت رعاية الإسلام، عطية صقر، مؤسسة الصباح، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠، ١٥٩/١

(٤)صحيح البخاري ١٦/٧،١٧

سأنظر في أمري، فلبثت ليالي ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا، فقال عمر: فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئا، وكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتها إياه -فلقيني أبو بكر، فقال: لعلك وجدت علي حين عرضت علي حفصة فلم أرجع إليك شيئا، قال عمر: قلت نعم، قال أبو بكر فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت علي إلا أني كنت علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها فلم أكن لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو تركها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلتها[1]"

ونلحظ مما سبق أن أهم أسس الاختيار هي الدين والخلق، والمال، والحسب، والجمال، والأسرة الصالحة، وأن تكون المرأة ولودا ودودا وبكرا[2]

ثانيا: التعرف:

بعد أن يختار كل من الزوجين شريك حياته ينبغي أن يتعرفا على بعضهما البعض وهو أن يرى كل منهما صاحبه وأن يستمع إلى حديثه، ولا مانع من أن يجتمعا معا مع حضور محرم للفتاة. وقد جاءت أحاديث نبوية شريفة تدعو للنظر والرؤية لشريك الحياة المنتظر، فروى ابن ماجة تحت باب النظر إلى المرأة إذا أراد أن يتزوجها، روى عن محمد بن سلمة، قال: خطبت إمرأة. فجعلت أتخبأ لها، حتى نظرت إليها في نخل لها، فقيل له: أتفعل هذا وأنت صاحب رسول الله؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إذا ألقى الله في قلب امرئ خطبة امرأة، فلا بأس أن ينظر إليها"[3] وعن أنس بن مالك، أن المغيرة بن شعبة أراد أن يتزوج امرأة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "اذهب فانظر إليها. فإنه أحرى أن يؤدم بينكما. ففعل، فتزوجها فذكر من موافقتها[4]" وفي رواية

---

(١)صحيح البخاري ١٨،١٧/٧

(٢)تربية الأولاد في الإسلام، عبدالله علوان، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة السادسة، ١٩٨٣، ٣٨ – ٤٨٠ نظام الأسرة في الإسلام، د. عقلة، ص ١٦١ وما بعدها، أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية، د. محمد ابو يحيى، المركز العربي للخدمات الطلابية، الطبعة الأولى، ١٩٩٨، ص ٤٣، وما بعدها.

(٣)سنن ابن ماجة، ٥٩٩/١

(٤)سنن ابن ماجة، ٥٩٩/١، ٦٠٠

أحرى عن المغيرة بن شعبة، قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له امرأة أخطبها فقال: "اذهب فانظر إليها، فإنه أجدر أن يؤدم بينكما " فأتيت امرأة من الأنصار، فخطبتها إلى أبويها، وأخبرتهما بقول النبي صلى الله عليه وسلم فكأنهما كرها ذلك، قال: فسمعت ذلك المرأة وهي في خدرها، فقالت: إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك أن تنظر، فانظر، وإلا فأنشدك. كأنها أعظمت ذلك. قال: فنظرت إليها فتزوجتها. فذكر من موافقتها[1]"

ثالثا: الخطبة:

الخطبة لغة – بكسر الخاء – من خطب المرأة إذا طلب أن يتزوج منها، وهي كذلك في الاصطلاح: طلب الرجل وإظهار رغبته في الزواج من امرأة معينة خالية من الموانع الشرعية. وهذا الطلب غالبا ما يكون من الرجل ولا مانع من أن يكون من المرأة نفسها أو من أحد أوليائها[2] وهذا الطلب قد يلقى استجابة أو رفضا فأن وجد استجابة فقد تمت الخطبة، وعليه يمكننا تعريف الخطبة في هذه الحالة بأنها " توافق أو تواعد صريح متبادل بين رجل وامرأة تحل له شرعا في الحال. أو بين من ينوب عنهما من الأولياء بإبرام عقد الزواج مستقبلا[3]

حكمة مشروعية الخطبة:

تعتبر الخطبة الوسيلة الأساسية لتحقيق الغاية من عقد الزواج، بتوفير أسباب الوفاق ودوام الألفة وبقاء المودة، يؤكد ذلك أن السنة النبوية قد أشارت إلى هذه الحكمة بالنص عليها صراحة في الأحاديث التي ندبت إلى النظر إلى المخطوبة، كما في حديث المغيرة " انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما " ومعناه: أن النظر إلى المخطوبة أجدر أن يكون داعيا وسببا مفضيا إلى الموافقة والملاءمة، ولأن الخطبة تعتبر الطريقة الحسية المتعينة لتكوين الاقتناع الذاتي بالمخطوبة، بما يتيح من خلالها الوقوف على ما يروقه من صفاتها وسماتها، مما لا يمكن التعرف عليه وتبينه إلا بالرؤية وليس ثمة أبلغ مما يؤصل هذا العنصر النفسي، والميل

---

(١)سنن ابن ماجة، ١/٦٠٠

(٢)نظام الأسرة في الإسلام، ص ٢١١،٢١٢

(٣)دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، د. فتحي الدريني، دار قتيبة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٨، ٢/٧٢٦

القلبي في كل من الزوجين، إذ الزواج بطبيعته – وهو الغاية من الخطبة – أمر يقوم على العناصر النفسية أولا، وليس عقدا ماليا أو مصلحيا عارضا موقوتا، مما يكون أساسه المنافع المادية أو الحسية العاجلة. وكذلك أحكام الخطبة الخاصة بها إنما جاءت توكيدا للغاية من أصل تشريعها من التعرف أو التحقق من مدى توافر الصفات والمعاني التي هي المقومات الحقيقية للحياة الزوجية[1]

هذا ومن الجدير بالذكر أن نبين أن الخطبة هي مباحة شرعا حتى وإن تم الإتفاق المبدئي الكامل في وجهات النظر للخطيبين فإن هذا الإتفاق لا يعتبر عقدا ولا يسبغ على الخطبة صفة العقد الملزم الذي ينشئ التزامات متقابلة على الخطيبين، وإنما هو وعد بالتعاقد وهو غير ملزم، وإلا فلو اعتبرت عقدا ملزما لإجراء عقد الزواج مستقبلا لفقدت وظيفتها والغاية من أصل تشريعها، لأنها ما شرعت إلا ضمانا كافيا لحرية الزواج،لا للالتزام به، ولا الإكراه عليه، كيلا يفاجأ أي من المتواعدين بالتزوج بمن لا يطمئن إليه، وعليه فإنه يجوز فسخ الخطبة وإن فسخها والفشل فيها أهون وأفضل من الفشل في الزواج، لخطورة آثاره[2]

وحري بنا أن نذكر بالإضافة إلى الأسس السابقة أن هناك أساسا هاما من أسس بناء الأسرة، وهو في الكثير الغالب ضمان لقوة الألفة وحسن العشرة، ألا وهو أن يكون الزوج كفئا للزوجة في الفضائل التي يعتز الناس بها في حياتهم الاجتماعية، وهو شأن في صالح الزوجة وصالح أسرتها أكثر من أن يكون في صالح الزوج وأسرته. ولا شك في أن انحطاط مكانة الزوج عن مكانة الزوجة يجعلها دائما تنظر إليه نظرة دونية قد تصل لدرجة الاحتقار، وتتلقى في شأنه من الناس نظرات النقد والتعيير، مما يدعوها أن لا ترضى بقوامته عليها ولا تخضع لسلطانه أو رأيه، فهو زوج في نظر نفسه وله حق الأزواج، وذليل في نظرها فلا تمنحه ذلك الحق فتختلف الحياة[3]

المبادئ التي يجب مراعاتها – بعد المقدمات – لاستمرار الحياة الزوجية:

إذا تمت المقدمات السابقة كما ذكرنا، ثم حصل عقد الزواج، ودخل الزوجان في

(١)دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ٢/٧٢٧، ٧٢٨

(٢)دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، ٢/٧٢٩، ٧٣٠

(٣)الإسلام عقيدة وشريعة، ص ١٧١

نطاق الميثاق الغليظ، فأن الإسلام يقرر بينهما من الحقوق والواجبات المتبادلة ما به تستمر الحياة الزوجية على أحسن حال، وهنا نذكر بايجاز هذه الحقوق، فمنها ما هو مشترك بين الزوجين، ومنها ما هو خاص بكل واحد منهما. وإليك البيان:

١- الحقوق المشتركة بين الزوجين:

١- المعاشرة بالمعروف قال تعالى﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾[١] وقال: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ ﴾ [٢] وروى ابن ماجة تحت باب حسن معاشرة النساء، وروى ابن عباس – رضي اله عنهما – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي" وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ خياركم خياركم لنسائهم))[٣]

٢- التعاون في بناء الأسرة وتربية الأولاد. ينبغي على كل واحد من الزوجين أن يساعد صاحبه في بناء الأسرة وتربية الأولاد، وهذا حق لكل منهما على الآخر، فكل منهما يكمل عمل الآخر، فالمرأة تعمل ضمن اختصاصها، وما يتفق مع طبيعتها وأنوثتها، وذلك في الإشراف على إدارة البيت، والقيام بتربية الأولاد، والرجل كذلك يعمل ضمن اختصاصه، وما يتفق مع طبيعته ورجولته، وذلك في السعي وراء العيال، والقيام بأشق الأعمال، وحماية الأسرة من عوادي الزمن، ومصائب الأيام، وفي هذا يتم روح التعاون ما بين الزوجين، ويصلان إلى أفضل النتائج، وأطيب الثمرات في إعداد أولاد صالحين، وتربية جيل مؤمن يحمل في قلبه عزمة الإيمان، وفي نفسه روح الإسلام، بل ينعم البيت بأجمعه ويرتع ويهنأ في ظلال المحبة والسلام والاستقرار[٤]

٣- حرمة المصاهرة، فيحرم على الزوج أن يتزوج أصول زوجته وكذلك يحرم على الزوجة أن تتزوج أصول الزوج، أو فرعه كذلك.

---

(١)سورة البقرة آية ٢٢٨

(٢)سورة النساء، آية ١٩

(٣)سنن ابن ماجة، ٦٣٦/١

(٤)تربية الأولاد في الإسلام، ص ٣٧

٤- التوارث بين الزوجين.

٥- ثبوت نسب الولد للزوج وكذلك للزوجة أم الولد -الطفل-.

٦- حفظ أسرار الزوجية[١]

٢- حقوق الزوج على الزوجة:

١- الطاعة، يجب على الزوجة طاعة زوجها في غير معصية، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٢- القرار في بيت الزوجية، ولا تخرج منه إلا إذا أذن لها الزوج[٢]

٣- حقوق الزوجة على الزوج:

١- المهر.

٢- النفقة.

٣- القسمة بالعدل بين الزوجات عند التعدد[٣]

المبادئ التي يجب مراعاتها حين الشعور بمبدأ الزعزعة والاضطراب[٤]:

إذا طرأت نزغات بين الزوجين، فقد أرشد القرآن الكريم إلى محاربتها ودعا إلى عدم التأثر بها، قال تعالى: قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ ﴾[٥] فإن لم ينفع ذلك، وازدادت الكراهية إلى أن امتدت إلى القلوب وخيف النشوز فإن كان مثار النشوز من المرأة فقد بين القرآن الكريم طريق العلاج حيث قال: ﴿ وَٱلَّـٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ

---

(١)أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية، ص ٢٦٨-٢٧٢

(٢)أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٣)أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية، ص٢٨١-٢٨٢.

(٤) الإسلام عقيدة وشريعة، ص ١٨٠-١٨٩.

(٥)سورة النساء آية ١٩

أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ﴾[1] أما إذا كان مثار النشوز من الرجل فقد بين القرآن الكريم كذلك طريق العلاج فقال: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضٗا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحٗاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ وَإِن تُحۡسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٢٨﴾ ﴾[2] وفي كلا الحالين سواء كان خوف النشوز من المرأة أو من الرجل، ولم يتجاوز الخلاف هذا الحد، فإن الزوجين هما المكلفان بتسوية شأنهما وعلاج حالهما ودون إفشاء لسرهما أمام أهل أو حاكم.

أما إذا اشتد الخلاف وتفاقم الأمر بين الزوجين، وعجزا بأنفسهما عن الحل، فقد جاء القرآن الكريم بالعلاج، فقال: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا ﴿٣٥﴾ ﴾[3] وفي هذا النص توجيه الهي كريم للحكمين نحو الإخلاص في مهمتهما، وصرف الإرادة وتحري العدل والعمل جهدهما على إنقاذ الأسرة من الشقاق الذي وقعت أو يخشى أن تقع فيه. وفي هذا النص كذلك تطمين نفوس الحكمين على الوصول إلى الغاية المنشودة وأن توفيق الله رائدهما، وسائقهما، ومصاحبهما فيه فلا يتسرعان ولا يسأمان ولا يضيق صدرهما بما يسمعان، بل يحتملان كل ما يعترضهما في سبيل إرادة الإصلاح، ولا بد بوعد الله أن يصلا إلى ما يحبه الله ويرضاه[4].

---

(١)سورة النساء، آية ٣٤

(٢)سورة النساء، آية ١٢٨

(٣)سورة النساء، آية ٣٥

(٤)الإسلام عقيدة وشريعة، ص ١٨٨

الفصل الثالث

النظام السياسي في الإسلام

مفهوم النظام السياسي:

السياسة في اللغة:

السياسة من ساس الرعية يسوسها سياسة(١) وفي لسان العرب: والسياسة: فعل السائس. يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضها، والوالي يسوس رعيته. وفيه: السوس: الرياسة، يقال ساسوهم سوسا، وإذا رأسوه قيل: سوسوه وأساسوه. وساس الأمر سياسة: قام به، ورجل ساس من قوم ساسة وسواس. وسوسه القوم: جعله يسوسهم، ويقال: سوس فلان أمر بني فلان أي كلف سياستهم. الجوهري: سست الرعية سياسة. وسوس الرجل أمور الناس، على ما لم يسم فاعله، إذا ملك أمرهم(٢).

والسياسة في الاصطلاح هي فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي(٣)

وفي البحر الرائق في تعريف السياسة "٠٠ ثم رسمت بأنها القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأحوال(٤)

ويمكننا تعريف السياسة بأنها قيام من له السلطة العامة بتدبير شؤون الرعية والدولة بما يصلح حالهما وفقا لما جاء به الشرع، أو موافقة له بمقتضى النظر العقلي وإن لم ينطق به شرع"(٥)

---

(١)مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، مادة سوس

(٢)لسان العرب، مادة سوس

(٣)منحة الخالق على البحر الرائق، السيد محمد أمين، الشهير بابن عابدين، مطبوع بهامش البحر الرائق شرح كنز الرقائق لابن نجيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٧٦/٥

(٤)البحر الرائق، ٧٦/٥

(٥)المرأة والحقوق السياسية في الإسلام – رسالة ماجستير – إعداد مجيد أبو حجير، اشراف د. يوسف علي محمود، الجامعة الأردنية، ١٩٩٤، ص٢٥

والتعريف الأخير يدل على أن من له الولاية العامة في الدولة يقوم بتدبير أو بتعـــــهد رعاية أمور الرعية، والدولة الداخلية والخارجية بما يجلب لهم المصـــالح في تحقيـــق الأمـــن والاستقرار في الداخل والخارج، وفي جميع المجالات، على مقتضى الشرع، بالتزام النصوص الشرعية وعدم مخالفتها، إن وجدت، وإلا بمقتضى النظر العقلي عند عدم وجود النصوص، وذلك بالتزام قواعد الشرع ومقاصده فيما لم يرد به نص[1]

ومعنى النظام السياسي في الاصطلاح: فهو إما أن يطلق على كل ما يتعلق بسياســـة الدولة ونظام الحكم فيها. وإما أن يطلق على جانب الحكم فيها على اعتبـــار أن نظـــام الحكم يشمل النظام السياسي والنظام الإداري، والنظام المالي، والنظام القضائي، ويتنـــاول ألوانا أخرى من النظم والأحكام والقوانين التي لا يمكن أن يتصور نظام الحكم إلا بها[2]

هذا وقد عرف بعض المحدثين النظام السياسي بأنه "مجموعـــة القواعـــد والأجـــهزة المتناسقة المترابطة التي تنظم الحكم وطريق ممارسة السلطة الحاكمة للحكم"[3]

أو هو " الضوابط الشرعية التي تنظم العلاقات بين الإمام المسلم والرعية التي يحكمها مع رسم السياسات العامة للعلاقات الدولية من منظور إسلامي[4] وبه نـــرى أن النظـــام السياسي جزء من الإسلام، هذا الدين الذي رسم للحياة مناهجها المتعددة بمـــا يكفـــل صيانتها ويحفظ للإنسانية كلها حقوقها وقيمها الراقية، ويضع للحضارة أسســـها المتينـــة الملائمة للفطرة التي فطر الله الناس عليها[5] ذلك أن النظام السياسي كغيره من النظم يقـــوم على أساس نظرة الإسلام الكلية عن الكون والإنسان والحياة، وأن لهـــا خالقـــا خلقـــها ونظمها فأبدع خلقها ونظامها، فعن هذه النظرة الكلية تنبثق قواعد السياسة في الإســـلام وخطوطها العريضة وفروعها المختلفة، مما يشكل نظاما سياسيا متكـــاملا مختلفـــا عـــن، الأنظمة الأخرى في فكرته وأساسه وعناصره في أمور جوهرية كثيرة.[6]

---

(١)المرأة والحقوق السياسة في الإسلام، ص ٢٥،٢٦

(٢)النظام السياسي في الإسلام، د. عبالعزيز الخياط، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص٢١

(٣)النظام السياسي في الإسلام، ص ٢١، نقلا عن كتاب نظام الحكم في الإسلام، للدكتور محمد فاروق النبهان

(٤)ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسى الإبراهيم، دار الثقافـــة، الدوحـــة، دولـــة قطـــر، الطبعـــة الأولى، ١٩٩٢،ص١٤١

(٥)ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، ص١٤١

(٦)النظام السياسي في الإسلام، د. الخياط، ص ٢٧

وبناء عليه نرى أن السياسة نوعان:

١- سياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشريعة، علمها من علمها، وجهلها من جهلها، وهي الأحكام والتصرفات التي تعنى بإسعاد الناس وتحقيق مصالحها وفقا لأحكام الشريعة ومبادئها العامة. وقد ألف العلماء كتبا كثيرة في السياسة الشرعية.

٢- وسياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها، وهي التي تميل مع أهواء النفوس والمصالح الخاصة دون مبالاة بما يلحق الآخرين من أذى(١)

ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن مفهوم النظام السياسي لدى المسلمين الأوائل كان واضحا كل الوضوح، وإن اتسع أو ضاق في مشمولاته ومضامينه، وكان عندهم مرتبطا بغاية رسالة الإسلام وطبيعتها وأحكامها، وقد تضمنت النصوص الشرعية أحكاما لا يتصور تنفيذها دون وجود حاكم ودولة تأخذ بها وتعمل على تنفيذها، كتنظيم المعاملات وتنفيذ ما يجب من النفقات، وإخراج الزكوات والميراث، وأحكام العقوبات، وفصل الخصومات، والأحكام التي تنظم العلاقة بين الحاكم والرعية، وعلاقة الدولة الإسلامية بغيرها من الدول إلى غير ذلك من الأحكام التي لا بد من القيام بها ولا يتصور أن تكون كل هذه الأحكام ملزمة لمن تجب عليهم إلا إذا كان ثمة سلطة مجبرة تلزمهم جبرا إذا امتنعوا من أداء ما عليهم من حقوق(٢)

وقد جاءت نصوص صريحة في الكتاب والسنة، تتعلق بواجبات الحاكم. وواجبات الرعية اتجاهه. قال تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾(٣) وهكذا فهمها الصحابة – رضي الله عنهم – على أنها نزلت في ولاة الأمر، حتى وإن قلنا بعمومها فإنها تشمل الحاكم وغيره من أولي الأمر، وقال تعالى في واجبات الرعية وما إذا حصل خلاف بين المسلمين: ﴿

---

(١)البحر الرائق، ٥/ ٧٦ النظام الساسي في الإسلام، د. الخياط، ص ٢٣.

(٢)النظام السياسي في الإسلام، ٧٦/٥ ، د. الخياط، ص ٢٣، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها، د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠، ص ٢٤٩ وما بعدها، ٢٧٧ وما بعدها. نظام الإسلام الحكم والدولة، محمد المبارك، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٨٠، ص١١-١٨.

(٣)سورة النساء، آية ٥٨.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾.[2]

وروى ابن ماجة تحت باب طاعة الإمام: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع الإمام فقد أطاعني، ومن عصى الإمام فقد عصاني"[3]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله: "اسمعوا وأطيعوا، وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة))[4]

فهذه النصوص وما بها من أحكام، وكذلك الأحكام الشرعية الأخرى المالية منها أو الجنائية أو الدولية أو الدستورية لا يمكن أن يعقل إيرادها والإلزام بها إلزاما يعتقد المؤمن بالإسلام بوجوبه والإثم بتركه إلا إذا كان القرآن الكريم يفرض على المسلمين تنظيم الحكم وإقامة الدولة[5]

أسس النظام السياسي في الإسلام:

يقوم النظام السياسي في الإسلام على أسس ثابتة وقواعد محكمة نوجزها فيما يأتي:

١- السيادة للشرع:

السيادة للشرع وبتعبير آخر الحاكمية لله تعالى هو الأساس الأول في النظام السياسي أو نظام الحكم في الإسلام، ونستطيع أن نقول بأنه أساس هذه الأسس، ومعناها أن أحكام الشرع هي المرجع الذي يتحاكم إليه الناس، والأصل الذي ينبغي أن يستمدوا منه أحكامهم، والميزان الذي توزن به أمورهم، فلا حاكمية إلا لله تعالى، فالمشرع هو الله

(١)سورة النساء، آية ٥٩

(٢)سورة النساء آية ٦٥

(٣)سنن ابن ماجة، ٢/٩٥٤

(٤)سنن ابن ماجة، ٢/٩٥٥

(٥)نظام الإسلام الحكم والدولة، ص ١٣

سبحانه وتعالى وحده، فهو المحلل وهو المحرم وقد تضمن هذا الأساس كلمة التوحيد " أشهد أن لا إله إلا الله " والتي جاء بها الرسل جميعا، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1] ومدلول هذه الكلمة، كلمة التوحيد أنه لا خالق ولا معبود إلا الله تعالى، لا محيي ولا مميت لا نافع ولا ضار ولا مشرع ولا حاكم إلا الله. قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[2] وقال:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [3] وقال: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ﴾[4] وقال:﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5] فهذه النصوص تدل على وجوب سيادة قيم الشريعة الإسلامية على سائر النشاطات في الدولة، بحيث يكون الحاكم والمواطن محكوم، بهذا التشريع، وإنما يكون ولاء الفرد للدولة لقاء سيادة التشريع فيها، وتتحقق هذه السيادة بأمرين:

١- على المستوى الداخلي بأن يخضع الحاكم والمحكوم للمبادئ العليا في الشريعة، الكل ممتثل لأمر الله.

٢- وعلى المستوى الخارجي بأن لا تخضع الدولة لجهة خارجية، وأن تحمي حدود دولتها حماية التشريع نفسه وللدولة المكلفة بتحقيق هذا التشريع، وهذا من مقتضيات العزة التي ردها الله تعالى على الأمة المسلمة كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [6] ولا ريب أن تمتع الدولة بالسيادة الخارجية يحقق العزة للأمة المسلمة[7]

(١)سورة الأنبياء، آية ٢٥
(٢)سورة الأنعام، آية ٥٧
(٣)سورة النساء، آية ٥-٦.
(٤)سورة النساء، آية ١٠٥.
(٥)سورة الشورى، آية ٢١.
(٦)سورة المنافقون، آية ٨.
(٧)نظام الإسلام، د. محمود السرطاوي ورفاقه، ص٢٨١،٢٨٢

٢- السلطة للأمة:

"السلطة بمعنى القدرة والغلبة والقوة، والسلطة هنا بمعنى الحق في الحكم، ولا تستطيع الأمة أن تحكم بنفسها فلا بد أن تختار حاكما يحكمها بالشرع، ومن هنا سلطة الأمة غير سيادة الشرع، فسيادة الشرع لا تعلوها سلطة وهي تحكم الشعب والحاكم معا، أما سلطة الأمة فهو أن لها الحق في اختيار الحاكم الذي يحكمها وتوجيهه ومساءلته ومحاسبته ومحاكمته وعزله إذا لم يع صالحا للحكم"(١)

وقد وضح هذا المعنى — أي أن السلطات للأمة — في اختيار الخلفاء من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتثبيت ذلك بالبيعة، كما وضح في مقولاتهم حين توليهم الحكم باختيار الأمة، كقول أبي بكر الصديق رضي الله عنه "لقد وليت عليكم ولست بخيركم فإن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني، وقوله"أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم " فهذا يدل على تحديد سلطة الحاكم باتباع ما جاء به الله -أطيعوني ما أطعت الله فيكم-" كما ويدل على هيمنة الأمة على الحاكم(٢)

٣ — للأمة حاكم واحد " البيعة لحاكم واحد للأمة"

يجب على الأمة أن تنصب حاكما " خليفة " واحدا ويحرم عليها أن تتفرق دولا، ذلك أن الأمة الإسلامية أمة واحدة، قال تعالى﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾(٣) فالمسلمون أمة واحدة وشريعتهم واحدة، مهما تعددت أجناسهم ولغاتهم، ووحدة الأمة توجب عدم تعدد حكامها، ولهذا أوجب الإسلام أن يكون للأمة حاكم واحد وهو رئيس الدولة أو خليفة المسلمين أو أمير المؤمنين، يساعده معاونوه وأجهزة الدولة التنفيذية والتشريعية والقضائية(٤)

اختيار الحاكم:

الحاكم نائب عن الأمة في تنفيذ أحكام الله تعالى، وهو لا يفرض على الأمة فرضا،

---

(١)النظام السياسي في الإسلام، د. الخياط، ص ٧٤

(٢)النظام السياسي في الإسلام، ص ٧٥-٧٦

(٣)سورة الأنبياء، آية ٩٢

(٤)دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ص ٢٢٦

وإنما عن طريق الاختيار. ويتحكم في اختيار الحاكم قاعدتان: إحداهما: تحديد شروط موضوعية أو صفات مؤهلة يجب تحققها فيمن يختار حاكما -خليفة- للمسلمين وسنذكرها في حينه وثانيهما: اعتبار رأي الأمة عنصرا أساسيا كذلك في اختياره أولا من قبل أهل الرأي أو بتعبير آخر أهل الحل والعقد، وفي قبوله والرضى به ثانيا من قبل الأمة، ومظهر ذلك البيعة أي إعلان قبول حكمه[1] "ولا تنعقد الإمامة إلا بالبيعة، أي لا يتولى الإمام المنتخب الإمامة ولا يمارس سلطانه إلا إذا بويع له من الخاصة والعامة. والبيعة: حكم شرعي لا تنعقد الإمامة إلا به، وهي العهد على الطاعة والتسليم للإمام بالنظر في أمور المسلمين. والمبايعة معاهدة السلطان أو الإمام أو الخليفة على الطاعة في المنشط والمكره وتنفيذ شرع الله، وإقامة حدوده[2] "فهي -المبايعة-- في جوهرها وأصلها عقد وميثاق بين طرفين: الإمام المرشح لرئاسة الدولة وبين الجمهور. أما هو --الإمام-- فيبايع على الحكم بالكتاب والسنة والنصح للمسلمين، وأما الجمهور المبايع فعلى الطاعة في حدود طاعة الله ورسوله[3]

ونستطيع القول بأنه يمكن نصب الإمام إما بطريق الاختيار من أهل الحل والعقد، واما بولاية العهد.

أما أهل الحل والعقد فهم الفئة التي تختار الإمام أو رئيس الدولة، ويسمون أيضا أهل الاجتهاد، وأهل الاختيار، ومن شروطهم:

١- العدالة وهي درجة من الاستقامة تجعل صاحبها محل ثقة في أمانته وصدقه، وهي تحمل صاحبها على الابتعاد عن المعاصي وعما لا يليق من خوارم المروءة
٢- العلم الذي يتوصل به إلى معرفة من يستحق الإمامة.
٣- الحكمة التي يتوصل بها إلى معرفة الشخص المناسب للإمامة[4]

ومما يقتضي التنبيه إليه هو أن اختيار أهل الحل والعقد لا يغني عن رضى الأمة، لأن الأمة هي مالكة السلطة الحقيقية فهي التي تفوض الإمام في أن ينوب عنها، ولأن قدرة

---

(١)نظام الإسلام الحكم والدولة، مبارك، ص٣٠

(٢)النظام السياسي في الإسلام، ص٧٧، ٧٨

(٣)نظام الإسلام الحكم والدولة، ص ٣٠.

(٤)نظام الإسلام الحكم والدولة، ص ٧٣، نظام الإسلام، ص ٢٨٧، ٢٨٨.

الإمام على أداء مهمته تقتضي طاعة الأمة له، وهذه الطاعة من الأمة تتحقق بصورة أكمل إذا كان لها الاختيار في تنصيبه. وقد نص الفقهاء على أن أهل الحل والعقد يتحرون الشخص الذي يسرع الناس إلى طاعته، ولا يتم ذلك بالشكل الصحيح إلا إذا رضيت الأمة – جمهورها – على تنصيب هذا الإمام(١)

أما الوسيلة الثانية لتنصيب الإمام فهي ولاية العهد. وهو أن يعهد الإمام لولي عهده ليكون خلفا له من بعده. وقد ذكر بعض الفقهاء أن ولاية العهد من قبل الخليفة القائم بالسلطة إنما هو حق ترشيح فحسب وليس حقا بتعيين الإمام رئيس الدولة الذي سيأتي بعده فالعبرة إذن في تعيين الإمام إنما هو في اختيار أهل الحل والعقد ومبايعتهم له وليس في ولاية العهد ولو أنهم خالفوا الرأي في ولي العهد واختاروا غيره لكان ذلك لهم. وبناء على ما تقدم فإن تنصيب الإمام يكون أولا باختيار أهل الحل والعقد ثم بعد ذلك مبايعة الأمة(٢)

شروط تولي الإمامة العظمى –رئاسة الدولة–(٣)

يعتبر منصب الإمامة العظمى أرفع المناصب السياسية في سلطات الدولة الإسلامية العامة قاطبة، ولذا فقد عني علماء الشريعة الإسلامية أشد الاعتناء بشروط متقلدها، وهو الإمام – رئيس الدولة– المكلف بتدبير أمور الدولة، وشؤون الرعية، بما يصلحهما دنيويا وأخرويا، ويحصل مصالحهما الدينية والدنيوية وفق سنن ما نطق به الشرع أو مقتضى نظره العقلي المتفق مع الشرع فيما لم ينطق به، خلافة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حراسة الدين والدنيا، ونيابة عن الأمة في القيام بمهام الإمامة العظمى، وهذه الشروط هي:

١- الإسلام. وعليه لا تنعقد الإمامة لغير المسلم، قال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾.(٤)

٢- التكليف. ويكون بالعقل والبلوغ. وعليه لا تنعقد إمامة الصغير والمجنون، لعدم ولايتهما على أنفسهما، فأولى أن لا يليان على غيرهما.

٣- الذكورة. فيشترط في الإمام أو الخليفة أن يكون ذكرا قال صلى الله عليه وسلم: "لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " ولأن المرأة بطبيعتها لا تصلح لرئاسة الدولة، وما تقتضيه

(١)نظام الإسلام، ص ٢٨٨،٢٨٩.

(٢)نظام الإسلام الحكم والدولة، ص ٧٥، ٧٦

(٣)المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، ص٥٥ وما بعدها، الإسلام، سعيد حوى، ص ٣٧٩-٣٨٤

(٤)سورة النساء، آية ١٤١

هذه الوظيفة من المتاعب والعمل المستمر وقيادة الجيوش وتدبير الأمور.

٤- العدالة. تشترط عدالة الإمام، ويراد بها تحليه بالفرائض والفضائل والتخلي عن المعاصي والرذائل، وأقل ذلك أن يكون ممن تقبل شهادته. وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء المسلمين، وذهب الحنفية إلى جواز إمامة غير العدل مع الكراهة.

٥- العلم. وأول ما يجب على الحاكم علمه هو أحكام الإسلام، والتي ينبغي عليه أن يقوم بتطبيقها، ولا يشترط أن يكون مجتهدا وإنما يجب أن يكون معه من يكون من أهل الاجتهاد، فيراجعه في الأحكام ويستقي منه ذلك. وإن كان هناك رأي فقهي آخر يشترط أن يكون الحاكم مجتهدا في النوازل والأحكام، فلا تنعقد إمامة غير العالم بذلك، لأنه محتاج لتصريف الأمور على نهج الشريعة الإسلامية فإن لم يكن عالما مجتهدا فلا يقدر على ذلك. والذي نراه في وقتنا الحاضر أنه يكتفي بالاستعانة بالعلماء، وإلا فأنى نأتي بالحاكم المجتهد في الشريعة الإسلامية!!

٦- سلامة الحواس والأعضاء. الحواس والأعضاء التي يؤثر فقدانها على الإمامة، كذهاب البصر أو السمع أو النطق، فهذه تؤثر في الرأي، وفقدان الأعضاء كاليدين والرجلين فإنها تؤثر في النهوض وسرعة الحركة، وتشوه المنظر مما يضعف هيبة الحاكم في نفوس الرعية.

٧- الكفاية. بأن يكون قادرا على تسيير أمور الدولة، وتوجيه الناس، شجاعا غير هياب.

٨- المواطنة. بأن يكون مقيما في دار الإسلام، لا في دار الكفر.

٩- القرشية. وهو أن يكون الإمام قرشيا، وهو شرط مختلف فيه، والجمهور على اشتراطه لما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "الأئمة من قريش" وفي حديث صحيح آخر "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان" وقد ذكر ابن حجر العسقلاني في قوله صلى الله عليه وسلم ما بقي منهم اثنان "ليس المراد حقيقة العدد، وإنما المراد به انتفاء أن يكون الأمر في غير قريش" وعن معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله في النار على وجهه ما أقاموا الدين"

٤-الشـــورى:

الشورى هي تبادل الآراء في أمر من الأمور الاجتهادية من أرباب العقول والأفـــهام للتوصل إلى أصوب الآراء، وهي السبيل إلى معرفة الحق والصواب في كل أمر من الأمـــور المهمة التي تعرض للناس أفرادا وجماعات أو تعرض للحاكم في تدبير شــــؤون الأمـــة في الداخل والخارج بشرط عدم مخالفة الشريعة، وقد أقر الإسلام مبدأ الشـــورى في ميـــدان الحكم، لمنع الاستبداد بالرأي والتصرف الفردي، وقد وردت نصوص شرعية بهذا الشـــأن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ قال تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ [(١)] وقـــد طبـــق الرسول صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ في حياته العامة فيما سوى الوحي، كما طبقه مـــن بعده الصحابة رضي الله عنهم ولا سيما في القضايا المهمة، كالحرب وتقســـيم الأراضـــي المفتوحة وغيرها.[(٢)]

وكما قلنا بأن الشورى تكون في الأمور الاجتهادية، فيجب على الحاكم أن يرجـــع في هذا الأمر إلى أهل الاختصاص من العلماء، وإلى أهل الرأي والخبرة فيما يحتاج منـــه إلى رأي وخبرة في القضايا الكبرى، كالتصرفات السياسية، كإعلان الحرب أو الهدنة أو عقـــد المعاهدات أو قطع العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول، وكالتصرفات الماليـــة كوضع الميزانية وتخصيص النفقات لجهات معينة، وأمثال ذلك من التصرفات العامة الـــتي يكون فيها الرأي الفردي أكثر تعرضا للخطأ ومجانبة الصواب[(٣)]

ومن المفيد أن نبين "أن الإسلام حين أقر مبدأ الشورى في ميدان الحكم وألزم بــــه، ومنع الاستبداد والتصرف الفردي وحرمه ترك للبشر تحديد طريقته وأسلوبه توسعة عليـهم ومراعاة لاختلاف الأحوال والأزمان. وعلى هذا يمكن أن تأخذ الشورى أشكالا متعـددة وصيغا مختلفة باختلاف العصور بل في العصر الواحد والدولة الواحـــدة. كـــأن تكـــون الشورى في مجال تعيين رئيس الدولة منوطة بمجلس خاص بذلك، توضع شروطه ونظمـــه. وتكون في المجال السياسي الخارجي والداخلي منوطة كذلك بمجلس آخـــر أو بـــالمجلس السابق نفسه.

---

(١)سورة آل عمران، آية ١٥٩

(٢)نظام الإسلام الحكم والدولة، ص٣٤،٣٥، نظرات في الثقافة الإسلامية ص ١٢٦، ١٢٧

(٣)نظام الإسلام الحكم والدولة، ص٣٥

وتكون الشورى في مجال التشريع الاجتهادي منوطة بأهل الاختصاص والمعرفة بأحوال المجتمع بالنسبة لموضوعات التشريع.

"إن هذا متروك تحديده، ولكن المهم: أن ممارسة الحكم ابتداء من تعيين الحاكم نفسه إلى التشريع والسياسة والإدارة يشترك فيها الشعب وجمهور الأمة أو من يمثله من أهل الرأي والمعرفة، كما يشترك فيها الحاكم بعد اختياره وتعيينه عن طريق الشورى. وبذلك تتحقق المشاركة بين الحاكم والرعية أو الشعب، ويتم بذلك تقييد الحاكم بقيدين: الشريعة والشورى أي بحكم الله ورأي الأمة[(1)]"

واجبات الحاكم وحقوقه في النظام السياسي:

لقد تكلم علماء الشريعة ممن كتب في الفقه السياسي الإسلامي عن واجبات إمام المسلمين –رئيس الدولة– وحقوقه ومن أقدمهم العلامة الماوردي في كتابه القيم الأحكام السلطانية، وعاصره كذلك القاضي أبو يعلى الفراء الحنبلي في كتابه الأحكام السلطانية كذلك، وكذلك غيرهما ممن كتبوا في النظام السياسي في وقتنا الحاضر.

أولا– واجبات الحاكم:

١- حفظ الدين على أصوله وما أجمع عليه سلف الأمة وقمع أهل البدع والفساد.
٢- تنفيذ الأحكام عند التراع وقطع التراع بين المتخاصمين حتى لا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم.
٣- حماية البيضة ونشر الأمن بين الناس
٤- إقامة الحدود الشرعية لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.
٥- تحصين الثغور بالمجاهدين والمرابطين حتى لا تظفر الأعداء بحق من حقوق المسلمين.
٦- الجهاد في سبيل الله حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله تعالى.
٧- جباية الفيء والصدقات ممن تجب عليهم، وتوزيعها حسب مقتضى الشرع.
٨- القيام على بيت المال وتوزيع العطايا بالقسط بين الناس.

---

(١)نظام الإسلام الحكم والدولة، ص٣٥، ٣٦

٩- وضع الكفء في المكان المناسب، وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من أعمال

١٠- أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال حتى ينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة.

١١- نشر العلم في الأمة.

١٢- توفير الحياة الكريمة لأفراد الأمة[1].

حقوق الحاكم:

للحاكم حقوق تجب على الرعية، نوجزها فيما يأتي:

١- السمع والطاعة."الطاعة دعامة من دعائم الحكم في الإسلام، وقاعدة من قواعد نظامه السياسي، وإن المرء لا يكاد يتصور وجود نظام سليم ودولة قوية مستقرة دون أن يكون هناك عدل من الحكام، وطاعة من الرعية للحكام، وشورى بين الحكام والمحكومين ورضي الله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين بين أهمية الطاعة في هذا الدين حين قال: "لا إسلام بلا جماعة، ولا جماعة بدون أمير، ولا أمير بلا طاعة"[2]

وطاعة الرعية للحاكم واجبة في غير معصية لله، ومن الطاعة أن يسمع المواطن للدولة، وأن يستجيب لها، وأن ينفذ ما تطلبه منه في حدود طاقته في جميع أحواله. وقد جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم تقرر هذه الطاعة، منها قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [3] وقوله: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبش كأن رأسه زبيبة" وقال: "من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصيني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني "وينبغي أن تكون هذه الطاعة واعية مبصرة، وتعني أمرين:

١- أن تكون مقيدة بأوامر الله تعالى، فلا طاعة للدولة في أمر فيه مخالفة صريحة لما نهى

---

(١)النظام السياسي في الإسلام، د. محمد أبو فارس، طبعة ١٩٨٠، ص١٩٨ . ٢٠١ ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، ص ١٥٣، ١٥٤

(٢)النظام السياسي في الإسلام، د. أبو فارس، ص٦٧

(٣)سورة النساء، آية ٥٩.

الله عنه، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾ [1] ففي الآية دلالة على ضرورة الطاعة في المعروف، وضرورة عدم الطاعة في المعصية، وقال صلى الله عليه وسلم: "على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره إلا أن يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة"[2]

٢- أن تكون الطاعة صادرة عن اعتقاد وإيمان بأن الدولة لها حق الطاعة في المنشط والمكره، لأن طاعة الدولة من طاعة الله، فعلى المواطن أن ينفذ أوامرها ويقوم بما تأمره به[3]

٣- حق الكفاية في بيت المال، بما يتناسب مع حاله دون إسراف أو تقتير.

٤- حق النصيحة. قال: "الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله قال: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"

٥- حق النصرة، وذلك فيما لو خرج على الإمام بغاة بغير حق فواجب على الأمة أن تنصره وتقف معه ضد هؤلاء البغاة حتى يعودوا إلى رشدهم[4]

---

(١)سورة الممتحنة، آية ١٢.

(٢)نظرات في الثقافة الإسلامية، ص١٢٧، ١٢٨، النظام السياسي في الإسلام، د. الخياط، ص ١٠٨ – ١١٠.

(٣) نظرات في الثقافة الإسلامية، ص١٢٧، ١٢٨.

(٤)ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، ص١٥٤.

الفصل الرابع

النظام الاقتصادي في الإسلام

المبحث الاول

ماهية النظام الاقتصادي في الإسلام وأهميته وأهدافه ومصادره

أولا: ماهية النظام الاقتصادي في الإسلام.

يقصد بماهية النظام الاقتصادي في الإسلام أنه ((مجموعة الأصول العامة الاقتصادية التي نستخرجها من القرآن والسنة، والبناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر))[1].

وهذا التعريف يبين أن النظام الاقتصادي في الإسلام يتكون من قسمين[2].

القسم الأول: ((ثابت، وهو يشتمل على مجموعة ا لمبادىء العامة التي نص عليها القرآن والسنة في شؤون الاقتصاد، مثل: الاصل في طريق الكسب الإباحة وحل البيع وحرمة الربا))، وغير ذلك من المبادىء العامة، وهي كثيرة، وهذا القسم قد عبر عنه بمجموعة الأصول العامة، وهو مايسمى بالمذهب الاقتصادي.

والقسم الآخر: ((متغير، ويقصد به مجموعة التطبيقات والحلول الاقتصادية التي يتوصل إليها المجتهدون في الدولة الإسلامية تطبيقا للمبادىء العامة وإعمالا لها، مثل العمليات التي يصدق عليها الربا، وحد الكفاية بالنسبة للزكاة وعملية الموازنة بين إيرادات

(١) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ١٢، النظام الاقتصادي في الاسلام: مبادئه وأهدافه ص١٥.

(٢) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ١٢-١٣، النظام الاقتصادي في الاسلام: مبادئه وأهدافه ص١٥-١٧

الدولة ونفقاتها، وكيفية تحقيق التوازن داخل المجتمع)).

وهذا مايستفاد من تعريف الاقتصاد بأنه البناء الاقتصادي الذي نقيمه على أساس تلك الأصول بحسب كل بيئة وكل عصر.

ثانيا: أهمية النظام الاقتصادي، وأهدافه[1].

١- انه يبين أن الاقتصاد عصب الحياة.

٢- انه يبين تأثير الاقتصاد في الأوضاع الاجتماعية والسياسية لكل أمة.

٣- أنه يبين كيفية الحصول على المال بالطرق المشروعة.

٤- أنه يبين أن الاقتصاد عامل فعال في استقرار واستقلال الأمة وسيادتها.

٥- وأن النظام الاقتصادي يهدف إلى تحقيق مايلي:

أ- سد حاجة الإنسان وحاجة عياله.

ب- نفع عباد الله تعالى.

ج- نفع الحيوانات والطيور.

د- التمتع بنعم الله تعالى شكرا له.

هـ- الابتلاء والاختبار.

و- إعداد القوتين: المعنوية والمادية لعباد الله المجاهدين.

ثالثا: مصادر الاقتصاد الاسلامي[2].

النظام الاقتصادي في الإسلام:نظام رباني، ولهذا فإنه يستمد قواعده من مصادر الشريعة الاسلامية الآتية:

١- القرآن الكريم

وضع القرآن الكريم قواعد عامة في المجال الاقتصادي وأخرى قواعد تفصيلية لأحكام اقتصادية جزئية، ولهذا لم تترك لتقدير المجتهدين.

---

(١) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ١٤-١٧، والاقتصاد في ضوء الشريعة الاسلامية، محمود بابللي ص ١٥٨ - ١٦٥.

(٢) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ١٧-١٩، ونظام الإسلام "الاقتصاد" محمد المبارك ص ٣١.

ومن الآيات التي جاءت بقواعد عامة قوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ (٢).

وقوله تعالى: قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ (٣).

وقوله تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ ﴾.(٤)

ومن الآيات التي فصلت في قضايا جزئية معينة آية المواريث، فقد بينت أنصبة المواريث تفصيلا.

قال تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ (٥).

٢- السنة

والسنة بالنسبة للقرآن الكريم، إما أن تكون مفصلة لما جاء به من أحكام عامة، وإما أن تكون موكدة لما ورد فيه، وإما أن تأتي بأحكام جديدة لم يأت بها القرآن الكريم.

وقد جاءت السنة بآلاف الأحاديث التي تتعلق بتنظيم العلاقات المالية في المعاملات،

---

(١) سورة البقرة /٢٧٥.

(٢) سورة المائدة /١.

(٣) سورة النساء /٢٩.

(٤) سورة القصص /٢٦.

(٥)سورة النساء /١١

مثل البيع والشراء والرهن والشركات والوصية والهبة والعطية والإرث والإجارة والمزارعة والمساقاة والوقف والصناعة ونظام الأراضي وإحياء الأرض الميتة، وما لاشك فيه أن ماجاء به نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) إنما هو من عند الله.

٣- الاجتهاد

وقد تمحض عن اجتهادات الفقهاء خلال عصور إسلامية عديدة التوصل إلى أحكام فقهية في كثير من القضايا الاقتصادية، وقد أخذت هذه الاحكام استنباطا من القرآن والسنة، وبقية المصادر الاجتهادية الأخرى.

وهذه الأحكام قد جاءت بصورة مفردة بموضوعات اقتصادية خاصة كالخراج لابي يوسف والخراج ليحيى بن آدم القرشي، والاستخراج لمعرفة أحكام الخراج لابن رجب الحنبلي، والاموال لأبي عبيد القاسم ابن سلام، أو جاءت بصورة أخرى مدونة في أبواب خاصة في كثير من المراجع الفقهية المعروفة.

المبحث الثاني

المذهب الاقتصادي في الإسلام

للمذهب الاقتصادي في الإسلام أسسه وقواعده التي يقوم عليها وأهم هذه الأسس مايلي[1]:

أولا: يقوم المذهب الاقتصادي في الإسلام على قواعد ثابتة وأصول منظمة لنشاط البشر، وهذه القواعد والأصول لم تترك لاجتهاد المجتهدين، لأنها قواعد عامة منضبطة، لاتتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، ولهذا لم يكن للبشر مدخل فيها.

ثانيا: وأن المذهب الاقتصادي في الإسلام يقوم على فروع، وهذه الفروع قابلة للتغيير حرصا وضمانا لصلاحية الاقتصاد الإسلامي لكل زمان ومكان، وهذه الفروع محل خصب لاجتهاد المجتهدين.

ثالثا: إن الانسان مستخلف في الأرض .

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [2].

رابعا: إن الاستخلاف في الأرض عام في بني البشر، فلا يختص بفريق دون فريق آخر، ولاعقيدة معينة دون عقيدة أخرى، فالناس كلهم عباد الله وتسخير الأرض وسائر الكون ملك لهم جميعا كذلك دون تخصيص.

خامسا: إن على الانسان أن ينتفع بما في الأرض من خيرات وثروات.

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ

---

(١) اقتصادنا في ضوء القرآن الكريم والسنة، محمد أبويحيى ص ١٣٧ ومابعدها. ونظام الاسلام " الاقتصاد " مبادىء وقواعد عامة، محمد المبارك ص ٢١-٢٧، موسوعة الاقتصاد الاسلامي محمد الجمال ص ٧٤-٧٩، والاقتصاد الاسلامي مقوماته ومنهاجه، ابراهيم أباظة ص ٥٥- ٥٨.

(٢) سورة البقرة: ٣٠.

هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ (١)

سادسا: إن النشاط الاقتصادي عملا وإنتاجا واستثمارا واستهلاكا ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة ضرورية لإدراك غاية مرسومة من قبل الخالق جل شأنه، ألا وهي ابتغاء مرضاة الله وأسعاد الفرد والجماعة.

قال تعالى: ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ ﴾ (٢)

سابعا: إن اكتساب الأموال لا يمنح صاحبها امتيازا خاصا من قبل المجتمع، وعلى النقيض، فإن زوال المال لا ينقص من شأن صاحبه. فالمسلمون سواسية في الحقوق والواجبات أمام الشرع.

ثامنا: يتحمل كل إنسان نتيجة عمله ونشاطه، وهو المسؤول عنه مسؤولية دنيوية بالنسبة لغيره من الناس ومسؤولية أخروية أمام الله.

تاسعا: اكتساب الأموال لايمكن أن يكون إلا بالطرق المشروعة.

عاشرا: النشاط الاقتصادي يقوم على التوازن الفعال والنشط بين المادة والروح والعقل، بحيث يضمن هذا التوازن تحقيق الخلافة التي كلف بها الإنسان على وجه الأرض.

حادي عشر: ان مايملكه المسلم يتعلق به أكثر من حق شرعي، ومن هذه الحقوق الزكاة.

ثاني عشر: اعتبار مزاولة النشاط الاقتصادي عبادة بالمفهوم العام.

ثالث عشر: على المسلم أن يبذل مايستطيع عند مزاولة النشاط الاقتصادي، ولايكلف فوق طاقته.

قال تعالى: **﴿لا يكلف الله نفسا إ لا وسعها﴾**(٣).

---

(١) سورة الاعراف: /٣٢.

(٢)سورة القصص /٧٧.

(٣)سورة البقرة /٢٨٦.

المبحث الثالث

الإنتاج وعناصره في الإسلام

أولا: الإنتاج.

الإنتاج: "هو تلك العملية المركبة التي تستنفذ جهدا بشريا، وتستهلك موارد وطاقة في إطار زمني معين، قصد خلق منافع اجتماعية سواء أكانت هذه المنافع مادية أم معنوية"[1].

ثانيا: عناصر الانتاج في الإسلام.

أ- الطبيعة[2]

ويتكون عنصر الطبيعة من فروع عديدة، تتحدد في الاقتصاد الاسلامي وفق الآتي:

١- الأرض.

٢- المواد الأولية، مثل الفحم والحديد والبترول ..الخ.

٣- المياه الطبيعية.

٤- القوى الطبيعية.

٥- بقية الثروات الطبيعية، وهي محتويات البحار والأنهار.

ب- العمل المنظم.

العمل "هو الجهد الأرادي الذي يبذله الانسان في سبيل خلق منفعة اقتصادية مادية أو معنوية[3]

---

(١) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ١٤٧، وموسوعة الاقتصاد الاسلامي، محمد الجمال ص ٨١.

(٢) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد ابويحيى ص ١٦٤، اقتصادنا، محمد باقر الصدر ص ٤٤٠، موسوعة الاقتصاد الاسلامي، محمد الجمال ص ١٠١

(٣) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد ابويحيى ص ١٦٥، موسوعة الاقتصاد الاسلامي، محمد الجمال ص ٨١.

والجهد الإرادي إما أن يكون جهدا ماديا أو معنويا، أو خليطا بينهما.

ويتضح من هذا التعريف أن جميع أفراد المجتمع الإسلامي يكونون عمالا، أو أنهم معدون ومؤهلون، لان يكونوا كذلك، وهذا المفهوم للعمل يؤدي إلى نتائج اجتماعية هامة منهما:-[1].

١- ان الأصل تساوي البشر من حيث كونهم عمالا وبشرا لهم كرامتهم، ولهذا وجب مساواتهم في الحقوق والواجبات.

٢- ان العمال ليسوا فريقا من المجتمع، بل هم جميع العاملين فيه.

تنظيم العمل[2].

ويقوم التنظيم على مستويين: تنظيم فني وتنظيم إداري، وكلاهما لازم لقيام الإنتاج وتنميته.

وحتى يكون العمل المنظم سليما، لابد من توافر شرطين رئيسين:

الشرط الأول: حسن توزيع العمل على من هو أهل له.

والشرط الآخر: حسن تقسيم العمل إلى عمليات انتاجية متلاحقة.

مجالات العمل في الإسلام[3]

أولا: مجال العمل في الزراعة.

أمر الإسلام بالعمل في الزراعة، واعتبرها من الوسائل الفعالة لتنمية المال تنمية مشروعة، ومما يدل على ذلك مايلي:

١- قوله عليه السلام "ما من مسلم يزرع زرعا، أو يغرس غرسا، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"[4]

---

(١)اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ١٦٦-١٦٧. نظام الاسلام " الاقتصاد " محمد المبارك ص ٣٧.

(٢) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ١٦٧-١٦٨

(٣) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ١٧١-١٧٨.

(٤)البخاري ومسلم وأحمد، الترمذي عن أنس، الجامع الصغير بشرح فيض القدير ٤٩٦/٥ (حديث ٨٠٩٦).

٢- وقوله عليه السلام: "إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها، فليفعل"(١)

ثانيا: مجال العمل في الصناعة.

اهتم الإسلام بالصناعة اهتماما لايقل عن اهتمامه بالزراعة، لما للصناعة من دور هـلم في التنمية.

قال تعـالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ (٢).

وقال تعالى: **﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس﴾**(٣).

ثالثا: مجال العمل في التجارة.

التجارة مهنة كرمها الإسلام، لما لها من دور في التنمية على مستوى الأفراد والأسـر والدول، ومما يدل على أهميتها:

١- قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكـم بالبـاطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم﴾** (٤).

٢- وقوله تعالى: **﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾** (٥).

حقوق العاملين في الإسلام(٦)

أقر الإسلام بحقوق العاملين لأنهم هم الذين يقومون بالأنشطة الاقتصادية وأهم هـذه الحقوق مايلي:

---

(١) اخرجه الإمام احمد مسند الامام احمد ٣/١٨٤، ١٩١.

(٢)سورة الانفال /٦٠.

(٣)سورة الحديد /٢٥.

(٤)سورة النساء /٢٩.

(٥) سورة البقرة / ٢٧٥.

(٦) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ١٨١ ومابعدها.

أولا: أقر الإسلام بمبدأ تقسيم العاملين إلى تخصص نادر وغير نادر وبين أن هناك نوعاً ثالثا من العاملين وهم الزراع والتجار وأصحاب المصانع وهناك نوع رابع وهم الموظفون. والغرض من هذا التقسيم توزيع ثمار عناصر الإنتاج كل بحسب تخصصه وقدرته وقيامه بالنشاط الاقتصادي حسب رأس المال الذي يملكه.

ثانيا: مساواة العاملين في الكرامة الانسانية وفي استحقاق الاحترام الانساني.

ثالثا: لايمنح الإسلام حقوق امتياز لإحدى الفئات على الأخرى، ولايقر بتسلط احداها على الأخرى.

رابعا: وضع الإسلام قواعد كلية ومبادىء لحماية العمل والعاملين.

خامسا: مراعاة الإسلام لعقد العمل محافظة على حقوق العاملين.

سادسا: أقر الإسلام بحق العاملين في قسط من الراحة.

سابعا: حرم الإسلام أخذ أي شيء من أجور العمال بدون وجه حق وبدون رضاهم، وذلك محافظة على حقوقهم.

قال عليه السلام "إياكم والقسامة قال، فقلنا: وما القسامة ؟ قال الشيء يكون بين الناس (فيجيء) فينتقص منه)[1].

ثامنا: إقرار مبدأ التكافل المعيشي، وهو مايسمى بالضمان الاجتماعي.

تاسعا: اقرار مسؤولية الدولة في ضمان كافة التأمينات الاجتماعية.

عاشرا: اقر الإسلام مبدأ الرحمة بالعمال.

قال تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[2].

وقال عليه السلام: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، اذا

---

(١)اخرجه أبوداود ٩١/٣ (٣٧٨٣).

(٢)سورة الانبياء /١٠٧.

اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[1]

ج- رأس المال.

يقسم رأس المال كعنصر من عناصر الإنتاج في المفهوم الاقتصادي الإسلامي الى قسمين كبيرين[2].

القسم الأول: رأس المال التجاري.

وهو مجموع الأموال الاقتصادية التي تستخدم بقصد المبادلات، سواء اكانت هذه الأموال عينية كالسلع، أم كانت نقدية كالنقود السائلة، فالسلع التي تكرس للمبادلات تعتبر من قبيل رأس المال التجاري، لانها لاتستخدم في الاستهلاك المباشر لمن استحوذ عليها، ولكنها توجه للبيع بقصد الحصول على الربح.

والقسم الآخر: رأس المال الانتاجي.

ويقسم الى قسمين:

القسم الأول: راس مال نقدي، وهو عبارة عن مجموع المبالغ النقدية التي تستخدم في تمويل العملية الانتاجية.

والقسم الأخر: رأس مال عيني، وهو عبارة عن مجموع الأموال المادية التي تستخدم في العملية الانتاجية، فتؤدي الى زيادة إنتاجية العمل . ويقسم رأس المال العيني بدوره الى رأس مال ثابت، وهو ما أمكن استخدامه مرات عديدة في الانتاج، ومثاله المباني والآلات .ورأس مال متداول، وهو ما أمكن استخدامه في العملية الانتاجية مرة واحدة يفنى بعدها، ومثاله، المواد الأولية اللازمة للعملية الإنتاجية والتي تستهلك باستعمالها، ومثال ذلك، الفحم والبترول.

---

(١) صحيح مسلم ٢٠/٨.

(٢) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ١٩٨-٢٠٠، موسوعة الاقتصاد الاسلامي، محمد الجمال /١٢٩.

المبحث الرابع

التوزيع في الإسلام

التوزيع في ظل النظام الاقتصادي الاسلامي ينطوي على جانبين[1]:

الجانب الأول: توزيع عناصر الإنتاج خاصة مايتعلق بعنصر الطبيعة الذي يمكن أن يكون موضوعا للملكية".

الجانب الآخر: "توزيع ثمار الإنتاج الذي يطرأ بعد قيام العملية الانتاجية"،

وفيما يلي الحديث عن ذلك بإيجاز:

أولا: توزيع عناصر الإنتاج[2].

ويشتمل الحديث على بيان عنصر الطبيعة ورأس المال باعتبارهما عنصرين أساسيين، يحكمان التوازن في توزيع الثروة، وبيان ذلك على النحو التالي:

أ-توزيع عنصر الطبيعة[3]،

اختطت الشريعة الاسلامية في توزيع عنصر الطبيعة أسلوبا فريدا، يقوم على الموازنة بين مصالح ثلاث متعارضة في إطار المجتمع المسلم وهي:

١- مصلحة الفرد.

٢- مصلحة الجماعة.

٣- مصلحة الدولة.

وانطلاقا من هذه المصالح تتوزع ملكية عنصر الطبيعة تبعا لفروعه المختلفه الى ثلاثة أنواع:

---

(١)اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة ص ٢٠٣، الاقتصاد الاسلامي، ابراهيم اباظة ص ٧٩.

(٢)اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة ص ٢٠٤-٢٠٦.

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٤، الاقتصاد الاسلامي/ ابراهيم اباظة ص٨٠.

١- ملكية خاصة.

٢- ملكية عامة.

٣- ملكية الدولة

واما عناصر الطبيعة فهي:

١- التربة.

٢- موارد ماتحت التربة.

٣- القوى الطبيعية.

٤- خيرات الطبيعة.

ب-توزيع رأس المال[١].

"يعتبر رأس المال من العناصر التي يجري عليها قانون التوزيع الإسلامي، فرأس المال هو كل ثروة تستخدم لإنتاج سلع جديدة، أو في الحصول على دخل سواء كانت هذه السلع الجديدة بدورها سلع انتاج أو سلع استهلاك وتوزيع رأس المال بأنواعه المختلفة يخضع في النظرية الإسلامية للقواعد العامة في الملكية التي اختطها النظام الاسلامي ".

والأصل عدم تقييد الملكية بأية قيد، لكن يجوز للحاكم المسلم مراعاة للمصلحة العامة تقييد الملكية بقيود، سواء أكانت هذه القيود تتعلق برأس المال من حيث المقدار، أم من حيث الاستعمال أم تقييدها لأية مصلحة ظاهرة أخرى.

ج- توزيع ثمار الإنتاج[٢]

يمكن اجمال توزيع ثمار الإنتاج على النحو التالي:

١- عنصر الطبيعة يحصل على الريع.

٢- رأس المال يحصل على الربح.

٣- العمل المنظم: يحصل على الأجر، وقد يحصل عليه وعلى الربح معا.

---

(١) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبو يحيى ص ٢٠٥.

(٢) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد ابو يحيى ص ٢٠٧ وما بعدها.

وبما أن توزيع الطبيعة ورأس المال موضوعه الملكية، فإن الذي يقتضيه المقام الحديث عنها وعن الطرق المشروعة وغير المشروعة لكسبها، وعن واجبات الملكية على النحو التالي:

الملكية في الإسلام.

تتنوع الملكية في الإسلام بغض النظر عن موضوعها إلى ثلاثة أنواع[1]:

النوع الأول: الملكية الفردية الخاصة والمشتركة.

وهي الملكية التي انحصر فيها الحق تصرفا وانتفاعا بفرد معين، أو بمجموعة من الأفراد المعينين، سواء أكانوا كثيرين أم قليلين.

ومن أمثلتها ملكية الأموال الآتية ملكية فردية خاصة أو مشتركة: الذهب والفضة والأوراق النقدية الورقية والأراضي الزراعية والأموال المنقولة والعقارات مثل الدور ونحوها، وكذلك ملكية بعض الشركات الخاصة.

ومما يدل على مشروعية هذه الملكية مايلي:

١- قوله تعالى: ﴿ما أغنى عنه ماله و ما كسب﴾[2]

٢- وقوله تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن﴾[3]

٣- وقوله تعالى: ﴿الذى يؤتي ماله يتزكى﴾[4]

٤- وقوله عليه السلام: "كل المسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه"[5]

وجه الدلالة في هذه الأدلة أنها أضافت المال إلى المسلم، وإضافته تعني جواز تمليكه وتملكه.

---

(١)اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة ص ٢٣٠-٢٣٢.

ونظام الإسلام " الاقتصاد " محمد المبارك /١٠٣ — ١٠٥، اقتصادنا: باقر الصدر / ٤٤٢ ومابعدها

(٢)سورة المسد: ٢.

(٣)سورة الاسراء /٣٤.

(٤) سورة الليل /١٨

(٥) الامام مسلم، مختصر صحيح مسلم للمنذري ٤٧٣/٢ حديث ١٧٧٥

النوع الثاني: ملكية الدولة الخاصة

وهي التي انحصر فيها حق التصرف والانتفاع للدولة، ومنها.

١- مايحميه الإمام من أراض ميتة خدمة لأموال بيت مال المسلمين. ومثاله ما حماه عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإبل الصدقات.

ويدل عليه ما أخرجه أبوعبيد قال: " أتى أعرابي عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، بلادنا قاتلنا عليها في الجاهلية، وأسلمنا عليها في الإسلام، علام تحميها ؟ قال: فأطرق عمر، وجعل ينفخ ويفتل شاربه، فلما رأى الأعرابي مابه، جعل يردد ذلك عليه، فقال عمر: المال مال الله، والعباد عباد الله، والله لولا ما أحمل عليه في سبيل الله ماحميت من الأرض شبرا في شبر)[1].

٢- المال الذي لاوارث له .

٣- المال الذي تملكه الدولة والمتمثل في أموال الخزانة.

٤- الغابات التي توجد في أرض مملوكة للدولة.

٥- الأراضي الميتة التي لامالك لها.

ومما يدل على هذه الملكية اضافة المال إلى الجماعة، والدولة تمثل هذه الجماعة، فإذا كان للجماعة حق في المال، فكذلك للدولة التي تنوب عنهم.

ومما يدل على هذه الإضافة، أدلة كثيرة منها.

قوله تعالى: **﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾**[2].

وقوله تعالى: **﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾**[3].

وقوله عليه السلام: "إن في المال لحقا سوى الزكاة"[4]

---

(١)الأموال لأبي عبيد ص ٣٧٧.

(٢)سورة النساء /٣٢.

(٣)سورة النساء /٥.

(٤)الترمذي عن فاطمة بنت قيس، ضعيف، انظر الجامع الصغير بشرح فيض القدير ٤٧٢/٢ حديث (٢٣٣٣).

النوع الثالث: الملكية العامة.

وهي الملكية التي لاينحصر فيها حق التصرف والانتفاع بفرد بعينه، وإنما تكون ملكية الشيء فيه ملكية عامة للمسلمين والأمثلة على ذلك:

١- ملكية الأنهار والبحار والمحيطات والمياه الجوفية

٢- ملكية الكلأ والعشب ،

٣- ملكية النار ،

٤- ملكية المعادن على الرأي الراجح عند الفقهاء ،

٥- ملكية أراضي العنوة على الرأي القائل بانها توقف على مصالح المسلمين.

ومما يدل على مشروعية الملكية العامة:

قوله عليه السلام: "المسلمون شركاء في ثلاثة: في الماء والكلأ والنار"[(١)].

ب-طرق اكتساب الملكية:

لكسب الملكية في الإسلام طرق مشروعة وطرق غير مشروعة[(٢)].

وبيان ذلك بإيجاز فيما يلي:

أولا: الطرق المشروعة لكسب الملكية.

١- التملك بسبب المجهود الشخصي ويندرج تحت هذا أنواع كثيرة من الأنشطة الاقتصادية المشروعة التي يقوم بها الإنسان، ومنها التجارة والصناعة والزراعة والمساقاة،وما يحصل عليه الإنسان من أجر مقابل قيامه بالعمل المشروع.

٢- التملك من غير جهد بسبب مشروع، مثل الميراث والنفقة والزكاة والوصية والعطية والهدية والهبة والوقف والضيافة والتعويض عن مايتلفه بعض الناس من أموال،

---

(١)رواه الإمام احمد وأبوداود من حديث ابي فراس نيل الاوطار ٥/ ٣٤٣- ٣٤٤ ،

(٢) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد أبويحيى ص ٣٠٩- ٣١٩، نظام الإسلام " الاقتصاد " محمد المبارك /٩٣- ١٠٠ الملكية في الشريعة الاسلامية، العبادي ٢/ ٣٠، ٣١، ٤٠ – ٥٣.

وغير ذلك .

٣- حيازة الشيء مدة طويلة، بناء على قول بعض الفقهاء المسلمين.

٤- التقاط المال بعد التعريف به، بناء على أحد أقوال الفقهاء المسلمين.

ثانيا: الطرق غير المشروعة لكسب الملكية.

وهي الطرق التي حرمها الإسلام، وهي كثير، ومنها:

١- التملك بدون رضا من يملك، مثل: السرقة والغصب والغلول، وهو سرقة الأموال العامة والنصب والاحتيال ونحو ذلك:

٢- التملك غير المشروع ولو كان صادرا برضا الطرفين، وهو أنواع كثيرة، وأهمها:

أ- مايؤخذ عن طريق القمار .

قال تعالى: ﴿**يـأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون**﴾[١]والميسر هو القمار، والآية تدل بمنطوقها على حرمته .

ب- **الربا**، وهو محرم قطعا لما يترتب عليه من آثار خطيرة تلحق الأفراد والأسر والدول.ولذا حرمه الإسلام، قال تعالى: ﴿**وأحل الله البيع وحرم الربا**﴾[٢]

ج- **الاحتكار**، وهو جريمة في نظر الإسلام لما يترتب عليه من غلاء للسلع المحتكرة والتضييق على الناس، ولهذا حرمه الإسلام بأدلة كثيرة، منها قوله عليه السلام " لايحتكر إلا خاطيء "[٣]

د- مايؤخذ من مال محرم مقابل الأفعال المحرمة، مثل البغاء والرقص والرشوة والغلول والاتجار بالخمور والمخدرات انتاجا وبيعا والترويج للفاحشة عن طريق الصحف

---

(١)سورة المائدة /٩٠

(٢) سورة البقرة /٢٧٥

(٣) اخرجه الإمام مسلم، نيل الأوطار للشوكاني ٥ /٢٤٩

والمجلات ووسائل الدعاية الأخرى الهدامة.

قال الله تعالى في الخمر: **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾**[1]

وقال تعالى في الرشوة: **﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾**[2] أي المال الذي يؤكل عن طريق الرشوة، أو الهدية التي تؤخذ على سبيل الرشوة.

وقال عليه السلام في الرشوة: (لعنة الله على الراشي والمرتشي)[3].

وقال الله تعالى في الفاحشة: **﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين امنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾**[4]. وقال الله تعالى في شأن الغلول: **﴿وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾**[5] وقال تعالى في عقوبة الزاني غير المحصن **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾**[6].

وقد بدأ الله تعالى بالزانية، لأن الزنا غالبا ما تحركه المرأة، بما تلبس من ملابس فاتنة وبما تتعطر من عطور مختلفة، وبما تتصنع به من كلام يخرج عن طبيعة المرأة، قال تعالى: **﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا﴾**[7].

ج- واجبات الملكية في الإسلام[8].

للملكية في الإسلام واجبات ينبغي على المسلم القيام بها، لما لها من آثار إيجابية على

(١) سورة المائدة / ٩٠.

(٢) سورة المائدة: ٤٢.

(٣)رواه الخمسة إلا النسائي وصححه الترمذي، نيل الأوطار ٨/ ٣٠٠.

(٤) سورة النور /١٩.

(٥) سورة آل عمران /١٦١.

(٦) سورة النور /٢.

(٧) سورة الاحزاب /٣٢.

(٨) اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة، محمد ابويحيى، ص ٣٣٥-٣٤١ .

الأفراد والأسر والدول، واهم هذه الواجبات مايلي:

١-الزكاة المفروضة: وهي حق للطائفة الواردة في قوله تعالى: ﴿**إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم**﴾ (١) ولهذا فرض الله تعالى هذه الزكاة وفاء لحق هذه الطائفة الواردة في الآية المذكورة. قال الله تعالى: ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ (٢)

٢- الصدقات المندوبة.

وهي حق ندب إليه الله تعالى، قال تعالى: ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾(٣)

وقال تعالى: ﴿**ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا**﴾(٤)

٣- حق الجوار.

•قال تعالى: ﴿**واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب**﴾(٥).

٤- الأضحية.

قال تعالى: ﴿**فصل لربك وانحر**﴾ (٦).

٥- حق النفقة.

وهي واجب من واجبات الملكية في الإسلام، وحق للزوجة على زوجها، والقريب

---

(١)سورة التوبة /٦٠.

(٢) سورة التوبة /١٠٣.

(٣) سورة البقرة /٢٧٤.

(٤)سورة الانسان/ ٨-٩.

(٥) سورة النساء /٣٦.

(٦) سورة الكوثر /٢.

على قريبه بشروط، وكذلك حق للبهائم والطيور على مالكيها.

قال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾[3].

٦- مايجب في المعادن والركاز (الكنـــز) من حقوق لبيت مال المسلمين.

٧- حقوق أخرى.

لقوله عليه السلام: "من كان معه فضل ظهر، فليعد على من لاظهر له، ومن كان معه فضل زاد، فليعد به على من لازاد له"[4].

فيجب على الأغنياء أن يعلموا أن الإسلام قد رتب حقوقا اخرى يجب الوفاء بهـــا، عندما يدعو الداعي لذلك، تحقيقا للتكامل الاجتماعي بين المسلمين جميعا.

---

(١) سورة النساء /١٩.

(٢) سورة البقرة ٢٣٣.

(٣) سورة النساء /٣٦.

(٤) أخرجه مسلم / مختصر صحيح مسلم للمنذري، ص٢٨٣ كتاب الضيافة، باب المواساة بفضول المال، حديث رقـــم ١٠٦٦ تحقيق الألباني / المكتب الإسلامي ط ٣، ١٩٧٧ م.

الوحدة الثامنة

الشبهات التي أثيرت حول الإسلام

تمهيد:

قدمنا لك أخي الطالب في الوحدة السادسة أبرز التحديات التي تواجه ثقافتنا الإسلامية في عصرنا الراهن، وعرضنا لك أبرز المؤسسات التي ترعى عملية الغزو الثقافي سعيا لإذابة المجتمعات الإسلامية، وسلخها عن عقيدتها، وصدّها عن دينها.

ولقد انبثقت عن تلك المؤسسات جملة من الشبهات التي تخدم أغراض الغزو الثقافي وأهدافه، وتؤول إلى تشكيك المسلمين بقيم إسلامهم، وإضعاف مثله العليا، وإظهار أنه دين لا يصلح للتطبيق في زماننا.

وننوه ابتداءً إلى أن للدارسين في التصدي لهذه الشبهات وردّها ، اتجاهين:

الاتجاه الأول: ويرى أنه لا داعي لردّ هذه الشّبهات، لأننا في حال ردّها نعطيها شرعية في حياتنا وننبه الناس إليها، والأفضل أن نميت البدعة في هجرها وأن نحيي الفضيلة بذكرها.

ثم إن في تجريد الأقلام لدفع الشبهات وضعاً للإسلام في قفص الاتهام وفي موقف الدفاع، بدلاً من أن يكون في موقع الهجوم والاقتحام.

الاتجاه الثاني: أنه لا بدّ من بيان زيف هذه الشبهات، عن طريق تفنيد محتواها، وبيان الأخطاء التي تضمّنتها والأوهام والأكاذيب التي انطوت عليها.

وإذا كان علينا أن نختار أحد الاتجاهين في عصرنا الراهن، فإننا نختار الاتجاه الثاني، ذلك أن الطرح المقدم من أنصار الاتجاه الأول، يمكن قبوله في ظل مجتمع يكون للمسلمين فيه القوة الغالبة فيموت الباطل أمام زخم الحق.

وإن ردّ هذه الشبهات ليس فيه ترك للهجوم لحساب الدفاع، لأن التّصدي للشبهات يعتبر بحدّ ذاته هجوما على الأعداء الذين دخلوا من كل باب حتى اصبح الجو متلبدا بأوهامهم، وملوثا بأكاذيبهم وشبهاتهم.

وإن هذا الاتجاه هو الذي يؤيّده المنهج القرآني حيث أشارت آي الكتاب الكريم إلى العديد من الشبه التي كان يلقيها المشركون وتولت تفنيدها والرد عليها، وبيان سقوطها، وعدم قيامها في ميزان النظر القويم.

ومن ذلك مثلاً: عرضة سبحانه إلى بعض شبه الكافرين؛ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾.[1]

وفي حادثة تغيير القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام، بث اليهود شبهتهم على شكل سؤال استنكاري: ﴿ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ ﴾ .

وتولت الآية نفسها ردّ هذه الشبهة:

﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ ﴾[2].

إلى غير ذلك من الآيات العديدة التي عرضت شبه الكافرين، وعملت في الوقت ذاته، على ردّها وبيان زيفها.

(١) سورة النحل: آية ١٠٣.

(٢) سورة البقرة: آية ١٤٢.

الفصل الأول

شبهة أنّ الإسلام دين التطرف والعنف والإرهاب والأصولية، وكيفية ردها

المبحث الأول

حقيقة الشبهة وسندها

يحاول أعداء الإسلام اليوم جاهدين تصوير الإسلام على أنه دين العنف والإرهاب، والدّمار، والخراب، يحاولون بقدر استطاعتهم أن يلصقوا هذه الفرية بالإسلام، بحيث تمسي كلمة مسلم، مقارنة لكلمة إرهابيّ وأصوليّ ومتطرف، وتعمل أجهزة الإعلام الغربيّ، على ترسيخ هذه الشبهة وتعميقها في عقل المخاطَب حتى تخيف من الإسلام وتستنفر الجماهير ضده، وتصوره على أنه الدين الذي "لا يسير إلا بالسيف وأن اتباعه عبارة عن متوحشين وقتله" (١).

واستندوا في تأييد شبهتهم تلك على فريضة الجهاد في الإسلام، بما تتضمنه من معلن توجب -كما يزعمون- قتل المخالف في العقيدة، وقصر الناس على اعتناق مذهب جديد، بحد السيف والقوة والإرهاب!!

ولقد أخذت هذه الشبهة مداها وتأثيرها إلى الحد الذي ترى فيه بعض المسلمين اليوم، يعتريهم الخجل والندامة من كلمة الجهاد، ويعتذرون ويقولون: " ما لنا وللقتال إنما نحن قوم نؤمن بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، والخطب والمواعظ أما الجهاد فقد نسخ رسمياً، وما عاد له وجود في حياتنا".

---

(١) انظر: الغزو الفكري أهدافه ووسائله، د. عبد الصبور مرزوق، ط٣، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ص٣٢.

وعندما نرجع إلى ردّ هذه الشبهة، فإننا نجد أن الذين دعوا إليها غابت عنهم حقيقة الجهاد ومعناه، فأظهروا الجهاد الذي يعتبر من مزايا هذه الشريعة وفضائلها، على أنه نقيصه تشكك في إنسانية الإسلام، وسماحته، وعدله، وتتهمه بالإرهاب والدموية.

وإذا كان علينا أن نرد هذه الشبهة، وأن نظهر سوء الفهم الذي اكتنف فريضة الجهاد، فإننا نبين ذلك من خلال أمرين: [1]

الأول: بيان هدف الجهاد وغايته.

الثاني: بيان أسلوب تحقيق هذا الهدف.

فإذا كان الهدف جليلاً والوسيلة قبيحة اعتبر الفعل قبيحاً، وإذا كانت الوسيلة مشروعة والهدف ممنوعا، كان الفعل قبيحاً أيضاً، أما إذا جمع الفعل بين شرف الغاية وشرف الوسيلة فإنه يحكم على الفعل بالحسن، والمشروعية.

---

(١) انظر: نظام الإسلام، د. محمود السرطاوي وآخرون، ط١، المركز العربي للخدمات الطلابية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص٣١١.

المبحث الثاني

أهداف الجهاد في سبيل الله

الهدف الأول: الدفاع عن الأوطان ورد العدوان.

إن من أهداف الجهاد ردّ العدوان الصادر من الكفار ضد المسلمين، والواقع على أنفس المسلمين أو أموالهم، أو بلادهم أو أعراضهم، الأمر الذي يوجب نهوض المسلمين للدفاع عن أنفسهم وحرماتهم.

وهذه الغاية نظام مشروع ، بل واجب لأنه قتال ضد العدوان، وكل القوانين والمواثيق الدولية تقر حق الشعوب في دفع المعتدين والطامعين عن أوطانها وأنفسها.[1]

وآيات القرآن قد تناولت هذه الغاية، وبينت فرضية الجهاد في حالة تعرض المسلمين لمظاهر الاعتداء قال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾[2] ، وقال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [4].

هذه بعض النصوص الشرعية التي يتجلى فيها، وجوب إعلان الجهاد على الكفار بسبب عدوانهم وبدئهم للمسلمين بالقتال[5]. وهي غاية مشروعة تقرّرها جميع المواثيق والقوانين والمبادئ الدولية.

الهدف الثاني:

وأما الهدف الثاني للجهاد في سبيل الله، فهو نشر دعوة الإسلام، وتأمين وصوله إلى أفراد البشرية جمعاء، ذلك أنه قد يقف بعض الحكام حاجزاً وحائلاً بين دعوة الإسلام

(١) العلاقات الخارجية في دولة الخلافة، د. عارف خليل أبو عيد ، ط١، دار الأرقم ، الكويت، ص ١٣٢-١٣٣.

(٢) سورة البقرة : آية ١٩٠.

(٣) سورة البقرة:الآية ١٩٤.

(٤) سورة التوبة:الآية ٣٦.

(٥) الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، د. محمد خير هيكل، ط٢، ١٩٩٦م، ص ٦١٣.

العالمية، وبين الشعوب المستضعفة والمقهورة، فيكون الجهاد في سبيل الله هـــو الوســيلة الوحيدة لتخليص الشعوب والأمم من القهر والظلم والاستبداد،، ولإعطائـــها الحــق في اختيار العقيدة التي تريدها وترضى بها، لا العقيدة التي يكـــره عليـــها الســـادة والقـــادة والزعماء[1]، وعليه تعلم مقدار إنسانية الإسلام في هذا الهدف، حيث يقـــدم المســـلمون دماءهم وأموالهم، لتخليص بني الإنسان من الذل والقهر الذي يعيشونه من جراء الأنظمـــة الظالمة والمستبدة.

الهدف الثالث: حماية الأقليات المسلمة.

ومن الأهداف أيضاً حماية الأقليات المسلمة التي تعيش خارج حدود دار الإسـلام، إذ لا تقتصر غاية الجهاد على الدفاع عن المسلمين في حال العدوان على الدولة الإســـلاميّة، بل يشمل أيضا حماية المسلمين إذا تعرضوا لاضطهاد وظلم في بلاد وديار غير إســـلاميّة، فيجب حينئذ أن يسعى المسلمون لنجدة المستضعفين والدفاع عنـــهم، ويحـــرم تركـــهم ليعيشوا ألوان الظلم والضيّم والذل ، وهو ما عبر عنه رب العالمين بقولـــه: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[2] .

وإذا نظرت عزيزي الطالب إلى هذه الأهداف مجتمعة، وجدتها أهدافاً إنسانية صرفـة وبعيدة كل البعد عن فكرة الدّموية والإرهاب التي تعتمد القتل لأجل القتل، وهي أهـداف تقرها جميع الأعراف والمواثيق الدولية كما بيّنا آنفاً.

---

(١) انظر: دراسات وبحوث في الفكر الإسلامي المعاصر، د. فتحي الدريني، ط١، دار قتيبة، ١٤١٨هـــــ، ١٩٩٨م، ١٢٢/٣.

(٢) سورة النساء:الآية ٧٥.

المبحث الثاني
وسائل الجهاد وضوابطه

قدمنا لك أخي الطالب أن الحكم على الجهاد بالحسن أو القبح، بالإنسانية أو الإرهاب، يحتاج إلى أمرين، أولهما:

معرفة غاية الجهاد، وثانيهما تحديد وسيلة الجهاد، وقد انتهينا من بيان الغايات الإنسانية الصرفة التي يصبو الإسلام إلى تحقيقها من خلال تلك الفريضة المحكمة، أما عن الوسائل فإنها لا تقل إنسانية ولا رحمة عن الغايات والمقاصد ، حيث جمع الجهاد بين شرف المقاصد، ونقاء الوسائل، ونشرف معك على أبرز هذه الوسائل التي تصور لك رحمة الإسلام في دعوته، وبعده كل البعد عن الإرهاب والعنف والدموية، وفيما يلي الحديث عنها:

أولاً: تبليغ الدعوة باللسان يسبق الجهاد بالسيف:

إذا كانت الغاية من الجهاد الإسلامي نشر الدعوة الإسلامية فإنه لا يجوز القتال قبل دعوة الكفار إلى الإسلام وبيان حقيقته [1] لقوله الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[2]، ويؤيّد ذلك قول الرسول ﷺ لأمراء الجند، حيث كان إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله بمن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكفّ عنهم"[3].

والخصال الثالث هي : الدعوة إلى الإسلام، أو دفع الجزية، أو اختيار القتال.

---

(١) العلاقات الخارجية، د. عارف أبو عيد، ط، ص ١٥٩.

(٢) سورة النحل:الآية ١٢٥.

(٣) أخرجه مسلم (١٧٣١).

وفعله ﷺ يوثق هذا المعنى" فما قاتل رسول الله ﷺ قوماً قط إلا دعاهم" [(١)].

وهذا يبين لك أن القتال في السلاح ليس مقصوداً لذاته، وإنما مقصود لغيره عندما تتعذر الطرق السليمة أن تأخذ مفعولها وغايتها فيلجأ إلى القتال، لتحقيق الغايات الإنسانية التي سبقت الإشارة إليها.

ثانياً: القتال لمن قاتل.

عند اللجوء إلى منطق القوة والسلاح فإن هناك مبدأ عاماً يحكم المجاهدين في سبيل الله، وهو عدم الإفراط في إراقة الدماء، وعليه فلا يقتل إلا من يقاتل بالفعل أو الرأي، أما غير المحاربين الذين لا يشتركون في القتال ولا يقدرون عليه فإنه لا يجوز قتلهم[(٢)].

ومن هنا كان النهي عن قتل النساء، والأطفال ، والشيوخ، والعجزة والمرضى، والرهبان، والعمال، والفلاحين، وجميع المدنيين الذين لا يشتركون في غمار المعركة، ولا يساهمون فيها بالقول أو الفعل.

وهذا التوجه الذي يضبط تصرفات الجند، ظاهر في وصية أبي بكر الصديق رضي الله عنه ليزيد بن أبي سفيان، عندما بعثه إلى الشام: "إني أوصيك بعشر، لا تقتلنّ مرأة، ولا صبياً، ولا كبيراً أو هرماً، ولا تقطعن شجراً مثمراً، ولا تخربن عامراً، ولا تعقرن شاة ولا بعيراً إلا لأكله، ولا تحرقن نخلاً ولا تغرقنه، ولا تجبن[(٣)].

ثالثاً: منع التخريب والأعمال غير الأخلاقية:

وللقتال في سبيل الله ضابطٌ آخر وهو منع التخريب والتدمير للمنشآت المدنية والموارد البشرية التي يستفيد منها المدنيون[(٤)]، هذا إضافة إلى تحريم الأعمال غير الأخلاقية

---

(١) أخرجه أحمد، ١/٢٣٦، والطبراني، المعجم الكبير، ١٣٢/١١.

(٢) انظر العلاقات الدولية في الإسلام، د. وهبة الزحيلي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص ٦٦، وما بعدها.

(٣) أخرجه مالك، الموطأ كتاب الجهاد، باب النهي عن قتل النساء والولدان، ٤٤٧/٢.

(٤) العلاقات الدولية في الإسلام و د. وهبة الزحيلي، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ص٦٦، وما بعدها.

كالنهب والسلب والتمثيل بالقتلى والاغتصاب، وهذا ما يرشد إليه قوله: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ (1).

فهذه الآية قد حدّدت خلقين يجب الامتثال بهما أثناء القتال في سبيل الله(2).

الأول: العدل: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ ﴾ فالقتال مقصور على المقاتلين.

الثاني: الإحسان: ﴿ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ﴾ فلا يكون في القتال تعذيب، ولا تشويه للأجساد، ولا انتهاك للأعراض، ويقوي هذا المعنى وصية رسول الله ﷺ لسرية بعثها "سيروا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا"(3).

وعليه يتبين لك أن الجهاد في سبيل الله في أهدافه ووسائله، ترجمة حقيقية لإنسانية الإنسان ورحمته، وأنه بعيد كل البعد عن المفاهيم الإرهابية والشوائب الدموية التي تختص بالحروب الدامية التي تجري بين الدول ولا تحكمها شريعة ولا قانون ولا أخلاق، والعالم لن ينسى فاجعة الإنسانية في قنبلتي هيروشيما وناغازاكي، التي ألقتها الولايات المتحدة الأمريكية على العزل والمدنيين، فكان ضحاياها عشرات الألوف ممّن لا يشاركون في القتال والأعمال العسكرية.

فانظر إلى الفرق بين شريعة رب العالمين القائمة على أساس الرحمة والعدل ، وبين شريعة البشر القائمة على أساس الظلم والعدوان، والإفساد في الأرض!!

---

(1) سورة البقرة:الآية ١٩٠.

(2) العلاقات الخارجية، عارف أبو عيد،، ط١، ص ٢٢٠.

(3) أخرجه مسلم، (١١/١٣).

الفصل الثاني

شبهات حول نظام الطلاق في الشريعة الإسلامية



المبحث الأول

حقيقة الشبهات

شنّ بعض خصوم الإسلام وأعدائه، الغارة على جملة من أحكام النظام الأسري في الشريعة، وحاولوا عبثا أن يصوروها نقائص وثغرات تثلم في عدل الشريعة الإسلامية ومساواتها بين الأفراد.

وكان من ضمن الشبهات التي ردّدوها، شبهات موجهة إلى نظام الطلاق، وتتمثل هذه الشبهات(1):

١- إن الطّلاق يشتّت شمل الأسرة، ويمزّق المجتمع، ويؤدي إلى زيادة مشكلة التشرد، والانحطاط والجريمة.

٢- أن الإسلام ظلم المرأة، وهي عنصر ضعيف، لأنه ملك الطلاق للرجل، وجعله من اختصاصاته، بينما حرم المرأة من هذا الحق، الأمر الذي يؤول إلى استعباد المرأة، حين يجعل مصيرها بيد زوجها.

(١) أبغض الحلال، د. نور الدين عتر، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م،ص ٤٦.

المبحث الثاني

رد الشبهات

ردّ الشّبهة الأولى:

أما عن الزعم الأول بأنّ الطلاق يشتّت شمل الأسرة، ويؤدي إلى تشريد الأطفال، فيجاب عليه:

أولا: أن الإسلام لا يرغب في فك الرابطة الزوجية عن طريق الطلاق، وذلك لما فيه من هدم للأسرة، وقد وضع الإسلام جملة من الوسائل الوقائية التي تهدف إلى إصلاح الحياة الزوجية(١)، قبل وقول الطلاق ، فإذا وقع الطلاق كان بعد استنفاد جميع وسائل الإصلاح الأخرى.

١- فكان أن اعتبر الإسلام مجرد كراهية الزوج لزوجته غير مسوغ لطلاقها، قال تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ (٢).

٢- وإذا نشزت المرأة وأصرت على مخالفة زوجها، فإن الإسلام لا يدعو الزوج إلى إيقاع الطلاق على زوجته، بل يقدم له علاجا متقدما ﴿ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ ﴾(٣).

٣- وإذا استمر الشقاق والنزاع بين الزوجين ولم يصلح الوعظ والإرشاد ولا الهجر والضرب غير المبرح، فيقدم الإسلام علاجا آخر قال تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ ﴾(٤).

(١) انظر: النظم الإسلامية، د. منير البياتي، ط١، دار البشير، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥م، ص ١٦٥، وما بعدها.
(٢) سورة النساء:الآية ١٩.
(٣) سورة النساء:الآية ٣٤.
(٤) سورة النساء:الآية ٣٥.

ثانياً: فإذا فشلت كل الوسائل الوقائية، في إنقاذ الحياة الزوجية، وتعذر استمرار هذه الرابطة، فحينئذ يسلك الزوج سبيل الطلاق، سعياً لتفادي الأزمات التي تصبح معها الحيلة الزوجية جحيما لا يطاق، وإذ ذاك تغدو الأسرة سبباً للضيق والنكد وعسر العيش، بدلاً من أن تكون سبباً للمودة والرحمة والأنس، الأمر الذي يوقع الزوجين أو أحدهما في فاحشة الزنا، وهما لا يجدان مناصاً ولا مخرجاً من الرابطة الزوجية التي أقاماها، ويريان في استمرار تلك الرابطة استمراراً في حياة كريهة لهما.

وهذا ما وقعت به المجتمعات التي حرمت الطلاق، حيث انتشرت نسبة الزنا، وقلت نسبة الزواج[1].

ثالثاً: وإذا ذهبنا جدلاً إلى إلغاء الطلاق بالكلية، فإننا سنصل إلى نتيجة مفادها: التقليل من الزواج وإغلاق الأبواب أمام الزواج المشروع لأن من يعرف أن الزواج المشروع سجن إذا دخل بابه أُغلق عليه، ولا يستطيع أن يخرج منه أبداً مهما كانت النتائج، فإنه لن يدخل هذا الباب، ولن يتزوج، وسيرى أن من الأحسن له أن يلبي حاجته عن طريق آخر، فيلجأ إلى الحرام والفاحشة لأنه يرى في الطريق المشروع أخطاراً لا يستطيع تحملها، وحينئذ فإن المرأة أولا هي التي ستدفع ثمن ذلك من عرضها وكرامتها ومروئتها وشرفها، وسيدفع المجتمع ثانيا، ثمن ذلك في ضياع الأنساب وفساد النسل.

رابعاً: والادعاء بأن الطلاق يساعد في زيادة نسبة التشرد إدعاء لا يقوم على برهان علمي سليم، وإنما الذي يزيد نسبة التشرد وضع الزوجين تحت وطأة الإكراه على الاستمرار والبقاء في ظل أسرة لا يرى فيها الزوجان إلا مظهراً من مظاهر القهر والقلق والتوتر، وإن السبب الحقيقي لزيادة التشرد ليس الطلاق، وإنما عدم الرقابة من قبل الأولياء على أبنائهم، وإن انتهاء العلاقة الزوجية لا تعني تسييب الأبناء وتركهم دون راع أو ولي، بل تبقى واجبات الأبوين قائمة تجاه أبنائهم حضانة ونفقة ورعاية وولاية، وإذا أخل أي منهما بواجبه تجاه ولده، أمكن مطالبته بهذا الواجب بقوة القضاء والقانون.

خامساً: ثم إن الطلاق حاجة إنسانية عرفته البشرية منذ القديم، وإن الأمم المسيحية التي تحظر الطلاق قد وجدت نفسها في حرج شديد وعنت كبير الأمر الذي اضطرها

---

(١) انظر المصدر السابق، ط١، ص ٤٧.

تحت الحاجة الإنسانية الفطرية الملحة إلى استحداث القوانين التي تجيز ذلك، وهذا ما عبر عنه القانون الإيطالي الذي أصدره مجلس النواب في أواخر كانون أول ١٩٧٠م، ونص على إباحة الطلاق، وقد أحدث هذا القانون زلزالا كبيرا في الفاتيكان، احتج عليه البابا، ولكن التأييد الشعبي لهذا القانون كان كاسحاً وكانت أصداء الموافقة عليه أشد قوة وأقوى غلبة من أي صوت آخر[1]، إن الواقع الإنساني يثبت يوما بعد يوم أن حظر الطلاق من حيث المبدأ إجراء تعسفي لا تسعه الحياة البشرية ولا يحقق المصالح الاجتماعية، ولا يقيم الأمن الأسري، بل هو على النقيض والضد من ذلك كله.

ردّ الشّبهة الثانية:

أما عن الزعم الثاني بأن الشريعة الإسلامية توقع المرأة تحت استعباد الرجل عندما تجعل الطلاق بيده وحده فيجاب عليه:

أولاً: أن الشريعة إذ جعلت الطلاق بيد الرجل في عموم الأحوال وغالب الصور، وإنما ذلك لسبب يتمثل في أنّ الرجل أحرص على بقاء الزوجية التي أنفق في سبيلها من المال الشيء الكثير، ويحتاج أن ينفق مثله أو أكثر منه إذا طلق وأراد إبرام عقد زواج آخر، إضافة إلى أن الرجل مكلف بموجب الطلاق أن يدفع ما أخر من المهر، وينفق عليها مدة العدة، ويدفع لها أجرة ، والرجل أمام هذه الواجبات الكثيرة الملقاة على عاتقه، وبمقتضى عقله، وبصيرته، يكون أصبر على المكاره ولا يسارع إلى الطلاق لأدنى غضبه أو أقل كريهة يراها من زوجته فتكون هذه الواجبات التي تترتب على الزوج حال الطلاق ضوابط احترازية تصون الطلاق عن مجاوزة قدره، أما المرأة فإنها لا تتكبد تلك التكاليف التي يتحملها الزوج، ولا تطالب بالتبعات التي يطالب بها الرجل، فلو أعطيت المرأة حق الطلاق من الرجل ، فلربما حملها سرعة الغضب، وقلة الاحتمال وعدم المطالبة بالالتزامات، لإيقاع الطلاق لأدنى سيئة تراها من زوجها، وفي هذا من الفساد ما فيه.

ثانياً: إن في إعطاء الزوجة مطلق الحق في تطليق نفسها، زيادة لفرص إيقاع الطلاق، حيث يصبح للطلاق مصدران بدلاً من مصدر واحد، وسيؤدي الأمر إلى التسارع في

---

(١) انظر: فلسفة نظام الأسرة في الإسلام ، د. أحمد الكبيسي ، ط٢، مطبعة الحوادث، ١٤١٠، هجري، ١٩٩٠، بغداد، ص١٩٧.

إيقاع الطلاق من الرجل، أو المرأة، أو كليهما معا، والمعترض على نظام الطلاق في الإسلام يريد تخفيض نسبة الطلاق لا زيادتها(١).

ثالثاً: كذلك فإن الإسلام لم يحرم المرأة من اختيار تطليق نفسها وذلك في بعض الحالات التي تقتضي ذلك، كما في الطلاق للشقاق بوقوع إيذاء عليها من قبل زوجها، أو الطلاق للعلل، بأن يكون بالزوج مرض يمنع من المعاشرة الزوجية أو يؤدي إلى الإضرار بالزوجة، أو الطلاق بالضرر، من مثل حبس الزوج مدة تتضرر بها الزوجة، أو غيبته غيبة تخشى فيها على نفسها. فهذه وغيرها أيضاً حالات يتيح الإسلام فيها للمرأة تطليق نفسها من زوجها عن طريق القضاء (٢).

وبناءً عليه تبطل دعوى القائلين بأن الإسلام جحد إنسانية المرأة حينما سلبها حق تطليق نفسها، فإن للمرأة كما تقدم حقاً في أن تطلق نفسها أو تطلب تطليق نفسها، وذلك في الحدود التي يراها الإسلام متناسبة مع مصلحتها المتداخلة بمصلحة الأسرة عموماً(٣).

(١) انظر: أبغض الحلال ، د. العتر، ط٢، ص ١٥.

(٢) انظر هذه الحالات وغيرها تفصيلاً: أحكام الأسرة في الإسلام، د. محمد مصطفى الشلبي، ط١، دار النهضة، بيروت، ص ٥٣٠، وفلسفة نظام الأسرة ، د. الكبيسي ، ط٢، ص ٢١٧.

(٣) المصدر السابق.

الفصل الثالث

شبهات حول تعدد الزوجات

وكما حاول البعض أن يشكّك في عدالة وإنصاف نظــــام الطــلاق في الإســلام، فكذلك حاولوا إثارة الشبهات حول نظام تعدد الزوجات مدّعين: أن إباحة التعدد فيــه ظلم للمرأة، وهضم لحقها، وتجاوز على كرامتها، ذلك أن التعدد فيما يزعمــون مجــرد وسيلة لتحقيق متع الرجال، وجلب أكبر قدر من التنعم والترفه لهم على حساب كرامــة النساء. ونجيب على هذه الشبهة بما يلي:

أولاً: التّعدد مقيد بقيود.

إن الله تعالى إذ شرع التعــدد في قولــه ســبحانه : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾[1] فإنما شرعه بعد أن حدّده وضبطه، ولم يتركه ســائباً على عواهنه، فضبطه بالعدد؛ فلا يجوز الزيادة على أربع نساء، واشــترط فيــه العــدل، والمساواة بين الزوجات ، بحيث يتحقق الزوج المعدد بأنه ضامن إقامة العدل، وآمن مــن الوقوع بالجور، وهو ظاهر في قوله تعــالى﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ .

وقيد آخر وهو القدرة على الإنفاق على أكثر من زوجة، لأن المقدرة على الإنفــاق شرط إباحة أصل الزواج، فمن باب أولى أن يكون شرطاً عند إرادة التعدد[2].

---

(١) سورة النساء: آية ٣.

(٢) انظر: أحكام الأسرة، د. محمد مصطفى الشلبي، ط١، ص ٢٣٤.

والمقصود من العدل: هو التسوية بين الزوجات في الأمور الظاهرة، من النفقة، والمبيت، وحسن المعاشرة، أما ما لا يدخل تحت قدرة الإنسان، ولا يملكه فلا يكلف به ابتداء[1] كالميل القلبي والمحبة وهو المنفي في قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ ﴾[2] وعليه فإن إباحة التعدد ليست مطلقة ، كما يتوهم البعض، وإنما هي إباحة مقيدة تكاد تنحصر في دائرة ضيقة ، فمجرد الخوف من الظلم يمنع هذا الزواج ويحظره.

ثانياً: التعدد حاجة إنسانية:

إن الشريعة الإسلامية جاءت لتكون كافة للناس، ولتجري على العباد في جميع بقاع الأرض، والناس في حاجاتهم وميولهم وغرائزهم متفاوتون، ففيهم المعتدل في ميوله للنساء، وفيهم من تغلب عليه شهوته ولا تندفع حاجته بزوجة واحدة[3].

وإن من لوازم عموم التشريع الإسلامي وواقعيته، أن يلائم حاجات الأفراد، وأن يراعي تفاوت طبيعتهم واختلاف تكوينهم، وإلا لم يكن صالحا لجميع البشر.

وإذا لم يفتح باب التعدد، فإنه سيفتح باب الزنى واتخاذ الخليلات، وإن من سنة الله في تشريعه أنه ما أغلق أمام عباده باباً من أبواب الحرام إلا فتح في مقابلة بابا من أبواب الحلال [4] فكان تعدد الزوجات في مقابل حظر تعدد الخليلات.

وهذا ما أدركه الأوروبيون إذ يقول الفقيه الفرنسي المعروف غوستاف لوبون: "إن تعدد الزوجات المشروع عند الشرقيين، أحسن من عدم تعدد الزوجات الريائي عند الأوروبيين وما يتبعه من مواكب أولاد غير شرعيين[5].

---

(١) انظر المرجع السابق، ط١، ص ٢٣٧.

(٢) سورة النساء: آية ١٢٩.

(٣) انظر: شرح قانون الأحوال الشخصية الأردني، أ.د محمود السرطاوي، ط١، دار الفكر، ١٩٩٧م، ١٤١٧هـ، ١١٩/١.

(٤) أحكام الأسرة، الشلبي، ط١، ص ٢٤١.

(٥)انظر المرجع السابق، ط١، ص ٢٤١.

ثالثا: التعدد ضرورة اجتماعية:

إن تشريع التعدد ضرورة اجتماعية، يقتضيها تحقيق الموازنة بين عدد النساء وعـــدد الرجال، ذلك لأن الكثرة- وفق ما هو مقرر إحصائيا- في جانب النساء، فلو منع التعـدد لآل الأمر إلى حرمان العديد من النساء من الزواج الشرعي، ولأفضى بالعديد منـــهن إلى الوقوع بالزنا والرجس.

وإن طبيعة الدول تحتم مشاركة الرجال في الحروب، الأمر الذي يـؤدي إلى نقـص رجال الأمة فيكون التعدد علاجا لمشكلة اجتماعية قائمة صونا للمرأة من الدنس وحمايـــة لها من الوقوع في الفاحشة.

رابعا: التعدد ضرورة أسرية.

وإن من مسوغات التعدد التي تبين أنه علاج لمشكلة، ووسيلة لإنقـــاذ الأســـرة، أن الزوجة قد تصاب بمرض، يحول بينها وبين قيامها بواجباتها الزوجية، فلا يستطيع الـــزوج معاشرتها، أو يتبين أنها عقيم لا تنجب وعند زوجها رغبة غريزية في الولد والذرية فكيـف يمكن معالجة هذه ا لمشكلة؟

إن من مصلحة الزوجة حينئذ أن يتزوج زوجها بأخرى، وتبقى الزوجة الأولى كريمـة مصانة في بيت الزوجية، يوفيها كامل حقوقها.

وإن من الخير للمرأة أن تبقى في هذه الحالة، زوجة مع أخرى، بدلا مـــن طلاقـــها لتعيش بقية حياتها وحيدة بائس، يقتلها المرض، واليأس ، والعوز.

خامسا: التعدد مراعاة لحق المرأة في الحياة الكريمة.

إن التعدد في الزوجات لا يمكن أن يتحصل ويتحقق إلا إذا وافقت عليـــه الزوجـــة الثانية، فإن شاءت قبلته وإن شاءت رفضته ، والمرأة لا تختار أن تكون زوجة أخـــرى، إلا إذا لم يتيسر لها أن تكون زوجة منفردة، فيكون قرارها حلا لمشكلة، لا تحل إلا بهذا الحـــل الكريم، وإلا فالمذلة والهوان والسقوط(١).

---

(١) انظر: فلسفة نظام الأسرة، الكبيسي، ط١، ص ٧٨.

الفصل الرابع

شبهات حول مكانة المرأة في الإسلام

تمهيد:

عاشت المرأة عبر تاريخ الإنسانية الطويل ظروفا قاسية ، وأوضاعا مهينة، وسيئة، ووصف القرآن الكريم بعض المظاهر الجاهلية التي تعرضت لها المرأة قبل الإسلام في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ ﴾.(١)

وجاء الإسلام ليرفع عن المرأة المهانة والذل والعار، فبين أن المرأة كالرجل في استحقاق التكريم ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾(٢) وأنها كالرجل في المخاطبة في التكاليف ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾(٣) .

وبين القرآن الكريم سقوط التهمة التي لازمت المرأة في كل الثقافات والديانات، في تحملها مسؤولية إخراج آدم من الجنة، وأظهر أنها تهمة زائفة ، حيث إن المسؤولية مشتركة ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ ﴾ (٤) بل تجد بعض الآيات التي تجعل المسؤولية الكبرى مسؤولية آدم﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴾(٥) إلى غير ذلك من مظاهر التكريم والتقدير للمرأة ونفي الأوهام التي كانت تلصق بالمرأة زورا وبهتانا.

وكان أن خصت الشريعة الإسلامية، المرأة ببعض الأحكام، التي تختلف فيها عن الرجل من مثل: الشهادة، والدية، والميراث، ورئاسة الدولة، وحاول البعض أن يظهر هذه الأحكام ، وكأنها تنقص من شأن المرأة، وتقلل من قدرها، حيث لا تعاملها على قدم المساواة مع الرجل.

ونجيب على هذه الشبهة مبينين حكمة اختلاف الرجل عن المرأة في بعض الأحكام، الشرعية، وذلك على النحو التالي:

---

(١) سورة النحل: الآية ٥٨-٥٩.
(٢) سورة الإسراء:الآية ٧٠.
(٣) سورة آل عمران:الآية ١٩٥.
(٤) سورة البقرة:الآية ٣٦.
(٥) سورة طه:الآية ١٢١.

المبحث الأول

الشهادة

بيّن القرآن الكريم أن شهادة اثنتين من النساء تقوم مقام شهادة رجل واحد في القضايا المالية، وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[1].

وجعلُ شهادة امرأتين مقام شهادة رجل واحد، لا يعبر عن إكرام المرأة أو إهانتها، ذلك أن حكمة هذا الحكم، التثبت في الأحكام، والاحتياط في القضاء، وهو أمر يحرص عليه كل تشريع عادل[2] فيضع من القيود على وسائل الإثبات ما يكفل قوتها وسلامتها، فالمرأة بطبيعتها يتوجه اهتمامها نحو وظيفتها الأساسية الكريمة، وتستغرق وقتها في الأمومة، والحضانة، والرعاية لزوجها وولدها، وهذه الطبيعة الأنثوية تجعل المرأة أقل ممارسة لشؤون الحياة العامة، وإذا مارست معاملة مالية فتقوم بها على نحو لا تتنبه إلى حقيقة ما يجري بين المتعاقدين، وحرصاً من التشريع الإسلامي على نصاعة الحجة، وقوة الشهادة، طالب تأييد شهادة الواحدة بشهادة أخرى، وبين أن مرد هذا الشرط إلى حكمة تتمثل في ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[3].

ومما يؤكد أن الملحظ في الأمر ملحظ قضائي مراعاة لمبادئ العدالة والاحتياط في الحكم، أن الإسلام قد قبل شهادة المرأة وحدها فيما لا يطلع عليه غيرها أو فيما تطلع

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

(٢) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، د. مصطفى السباعي، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م، ص ٣٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

عليه هي دون الرجال غالباً مثل إثبات ولادة، أو ثيوبة، أو بكارة، أو رضاع، أو عيوب جنسية[1].

ولو كانت المرأة غير أهل للشهادة ابتداءً، لما قبل شهادتها بالكلية، ولما رضي شهادتها وحدها فيما لا يطلع عليه غيرها.

فثبت بذلك، أن المسألة ليست مسألة إكرام أو إهانة وإنما مسألة تثبت واحتياط في الحكم[2].

هذا، وإن الأبحاث العلمية المعاصرة، قد أكدت وجود تباين بين دماغ الرجل، ودماغ المرأة، وإن الأقسام النشطة في دماغ المرأة، تختلف عن الأقسام النشطة في الرجل، الأمر الذي يؤدي إلى التفاوت في الكفاءة الذهنية، والإحساس السمعي، للحن والأصوات[3].

وهذا يؤكد حكمة اشتراط شهادة امرأتين إظهار للحجة ، وتقوية للبينة، وصدق الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[4].

---

(١) انظر: حكم شهادة النساء فيما يطلق عليه غالبا، د. محمد أبو يحيى، بحث منشور في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد (١٢) السنة الخامسة جامعة الكويت، ربيع آخر ١٤٠٩هـ، ديسمبر ١٩٨٨، ص ٢٦١-٣٠٠.

(٢) انظر: دراسات في الفكر العربي الإسلامي، وآخرون، ط٥، ص ٢٣٦.

(٣) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة عمر الأشقر، ط١، والفلاح، ١٩٨٥م، ص ٢٤٨.

(٤) سورة فصلت:الآية ٥٣.

المبحث الثاني

الدّية

ديّة المرأة في الشريعة الإسلامية تساوي نصف دية الرجل، وقد يرد على الأذهان أنه إذا كانت المرأة متساوية مع الرجل في الكرامة والإنسانية، فلماذا هذا التفاوت في التعويض المالي، الذي ينجم عن قتل المرأة خطأً، و لم لا يكون التساوي في الدية مثلما هو التساوي في الكرامة والأهلية، والإنسانية؟؟!

نجيب على ذلك بأن جعل ديّة المرأة نصف دية الرجل، لا علاقة له بالكرامة، ولا بمكانة المرأة، بدليل أن القتل لو كان عمداً لوجب القصاص من القاتل، سواء أكان المقتول رجلاً أم امرأة، ولو كانت المرأة أنقص إنسانية من الرجل، لما قتل الرجل بقتلها عمداً.

أما في حال القتل الخطأ فإنه يلزم القاتل التعويض المالي، وهو المعروف "بالدّية" وهذه الدية ليست تقديراً لقيمة الإنسان، لأن الإنسان أعظم من أن يقوم بمال، أو بثمن، وإنما هي تعويض مالي، للخسارة المالية التي نجمت عن وفاة القتيل ويراعى في هذا التعويض، كثرة وقلة الضرر اللاحق بأسرة القتيل ، ولأن الرجل هو الذي يعيل الأسرة، وهو المكلف بالإنفاق على الزوجة والأولاد عادة، فمن البديهي أن تكون الخسارة المادية في حال فقدان الرجل أكثر من الخسارة المادية في حال فقدان المرأة، فنظراً للتفاوت في الضرر، كان التفاوت في مقدار التعويض إذ الغُنمْ بالغُرم، وعليه فالدّية ليست تقديراً لقيمة الإنسانية في القتيل، وإنما تقدير لقيمة الخسارة المادية التي لحقت الأسرة بفقده(١).

---

(١) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، د. السباعي، ط٦، ص ٣٨.

المبحث الثالث

الميراث

كذلك فإن من الشبهات التي يعرضها البعض في شأن المرأة التفاوت والاختلاف في مقدار الميراث الذي يستحقه الرجل ، وتستحقه المرأة، إذ يلاحظ وجود تفاوت في الأنصبة وغالباً ما يكون نصيب الذكر، أعظم من نصيب الأنثى، الأمر الذي يشير إلى عدم التساوي في الحقوق.

ويجاب على هذه الشبهة بما يلي:

أولاً: الإسلام لم يمنع المرأة من الميراث:

لقد حدد الإسلام نصيبا مفروضا للمرأة من الميراث، ونصّ على ذلك صراحة: قال تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ [1].

هذا في الوقت الذي كانت المرأة تعتبر جزءً من الميراث عند اليونان القدامى، والرومان، والهنود، تورث مع المال الذي يتركه الوالد أو الولد[2].

ثانياً: نصيب المرأة ليس دائما نصف نصيب الرجل.

وهذا النصيب الذي قدّره الشارع يكون نصيب المرأة أحياناً مساوياً لنصيب الذكر، كما في الأخوات لأم، فإن الواحدة منهن إذا انفردت، تأخذ سدس الميراث، حالها كالأخ لأم إذا انفرد، وإذا كانوا ذكوراً وإناثاً، اثنين فأكثر، فإنهم يشتركون جميعاً في الثلث، للذكر مثل حظ الأنثى، سواء بسواء، قال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ

---

(١) سورة النساء:الآية ٧.

(٢) المرأة المسلمة، الشيخ وهبي غاوجي، ط١، دار القلم، ١٣٩٥هـ ١٩٧٥م، دمشق، ص ٩٦.

﴿وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ۝﴾[1].

ثالثا: حكمة التفضيل.

وعندما يكون نصيبها أقل من نصيب الذكر تراعي الشريعة الإسلامية مبدأ الغُنْم بالغُرْم وذلك أن الأعباء المالية التي يلزم بها الرجل لا تلزم بمثلها المرأة، فالرجل هو الذي يطالب بالمهر، وهو الملزم بالنفقة بينما لا تلزم المرأة بأي من هذه الواجبات، والشرائع التي تسلوي في الميراث بين الرجل والمرأة، والذكر والأنثى، تلزم المرأة بواجبات وأعباء مالية كواجبات الرجل وفي هذا حرج بالمرأة حيث تطالب أن تنفق من مالها، أو أن تكتسب لتنفق إضافة إلى تكليفها بالأمومة والحضانة والإرضاع، والقيام على شوون الأولاد والزوج.

بينما لا تطالب المرأة في الإسلام بأن تنفق على بيتها، حتى ولو كانت صاحبة مال كثير، إذ الإنفاق في الأصل مسؤولية الرجل.

ولنفرض أن رجلاً مات عن ابن وبنت، وترك لهما مالاً، فماذا يكون مصير هذا المال بعد وقت قصير؟[2]

بالنسبة إلى البنت سيزيد المال ولا ينقص، يزيد بالمهر الذي تأخذه من زوجها، حيث تتزوج، ويزيد من ربح المال حيث تنميه بالتجارة، أو أي وسيلة من وسائل الاستثمار، ويزيد بالنفقة إن تزوجت.

أما بالنسبة إلى أخيها الشاب، فإنه ينقص منه المهر الذي سيدفعه لعروسه، ونفقات العرس، وأثاث البيت، ونفقات الزوجة والأولاد.

وعليه: كان نصيب الرجل ضعف نصيب الأنثى، لأن الأعباء المالية أعظم، وليس من العدل أن يساوى بين الأفراد في الحقوق، رغم تباينهم في الواجبات، إذ العدل يتطلب تحقيق التوازن بين الحق والواجب، وإلا كان الإجحاف والظلم.

---

(١) سورة النساء:الآية ١٢.

(٢) انظر: المرأة بين الفقه والقانون، السباعي، ط٦، ص ٣٤.

المبحث الرابع

رئاسة الدولة

من قواعد نظام الحكم في الإسلام أن تكون رئاسة الدولة العليا للرجل لا للمرأة، وذلك لحديث رسول الله ﷺ "لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة".[1]

وسبب ذلك أن لرئيس الدولة مهاماً وواجبات، لا تنسجم وطبيعة المرأة وأصل خلقتها فرئيس الدولة هو الذي يعلن الحرب على الأعداء، ويقود الجيوش، ويتولى الخطابة في المسجد الجامع، والإمامة بالناس، وهو الذي يفصل في خصومات الناس وقضاياهم، وهذه المهام العظيمة تنبو في الكثير الغالب عن الطبيعة العاطفية والنفسية عند المرأة[2] فصوناً للمرأة من أن تتولى مواقع لا تليق بطبيعتها، وحرصاً على المصالح العامة للدولة، كان اشتراط أن يكون رئيس الدولة رجلاً لا امرأة.

ومن هذا كله يتبين " أن الإسلام بعد أن أعلن موقفه الصريح من إنسانية المرأة وأهليتها وكرامتها نظر إلى طبيعتها، وما تصلح له من أعمال الحياة، فأبعدها عن كل ما يناقض تلك الطبيعة، أو يحول دون أداء رسالتها كاملة في المجتمع، ولهذا خصها ببعض الأحكام عن الرجل زيادة أو نقصاناً، وليس في هذا ما يتنافى مع مبدأ مساواتها بالرجل في الإنسانية، والأهلية، والكرامة الاجتماعية، ولا تزال الشرائع والقوانين في كل عصر، وفي كل أمة، تخص بعض الناس ببعض الأحكام، لمصلحة يقتضيها ذلك التخصيص دون أن يفهم منه أي مساس بمبدأ المساواة بين المواطنين في الأهلية والكرامة"[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٥)، والترمذي (٢٢٦٢).

(٢) المرأة بين الفقه والقانون، السباعي، ط٦، ص ٣٩.

(٣) انظر المرجع السابق، ط٦، ص ٤١-٤٢.

الفصل الخامس

شبهات حول زواج الرسول ﷺ

تمهيد:

مثلما درج أعداء الإسلام في القديم على التشكيك في النبي الكريم ﷺ، ومحاولة النيل من كرامته واتهامه بالتهم الباطلة الزائفة فكذلك هم أعداء الإسلام اليوم، في جهدهم للنيل من شأن رسول الله ﷺ، افتراءً وتضليلاً عن طريق إلقاء الشّبه والأكاذيب، التي تسعى إلى تشكيك المسلمين بعظمة نبيهم ﷺ وقَدْره ومكانته، وصدق الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[1]

وكان من جملة ما زعموا، أن رسول الله ﷺ، كان رجلاً شهوانياً، يسير وراء ملذاته، ويمشي مع هواه فلم يكتف بزوجة واحدة، أو بأربع — كما أوجب على اتباعه بل عدد الزوجات، فتزوج عشر نسوة أو يزيد، سيراً مع الشهوة، وميلاً مع الهوى[2].

وما كان منشأ هذا الافتراء موضوعية علمية، أو منهجية محايدة، كما يدعي أصحاب الشبهة، وإنما هو الحقد والغل، الذي أعمى أولئك القوم حتى أفقدهم رشدهم فتجاوزوا بذلك منطق التاريخ، وأهملوا حقائق الأمور ومدركاتها.

ونجيب على هذه الشبهة بما يلي:

---

(١) سورة الفرقان: آية ٣١..

(٢) انظر: حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس العقاد، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٦م، ص ٢٥٣.

المبحث الأول

التتبع التاريخي يرد هذا الافتراء

إن التتبع التاريخي لزواج رسول الله ﷺ ، يرشد إلى أن حياته عليه الصلاة والسلام، تنقسم إلى قسمين(١) فترة الشباب وجزء من الكهولة. وفترة الكهولة والشيخوخة.

وفي فترة الشباب وهي الفترة الأولى: اكتفى ﷺ بزوجة واحدة، ولم يفكر بالتزوج بغيرها، وهي السيدة خديجة رضي الله عنها التي تزوجت قبله مرتين، وكانت تكبره بخمس عشرة سنة ومكث معها خمساً وعشرين سنة إلى أن توفيت رضي الله عنها.

وفي الفترة الثانية وهي فترة الكهولة والشيخوخة تزوج بعشر نساء ماتت إحداهن في حياته، وبقي في عصمته تسع زوجات، إلى أن لحق بالرفيق الأعلى.

وإن مجرد الوقوف على هذه الحقيقة التاريخية، يظهر زيف الشبهة وبطلانها، ففترة الشباب والقوة يقضيها رسول الله ﷺ مع زوجة واحدة تكبره في السن، وليس فيها ما يشغله من أمور جسام، غير ما جاء في آخرها من بدء الرسالة والدعوة.

وفترة الكهولة والشيخوخة، مع ثقل أعباء الرسالة، ومناصبة الجزيرة العربية له العداء، وإعلان الحرب عليه، وانشغاله في إعداد الغزوات، فما ينتهي من غزوة إلا استعد لأخرى، في هذه الفترة الحرجة، تتعدد زوجاته، ليس بينهن إلا بكر واحدة، وهي السيدة عائشة رضي الله عنها، فهل الذي يريد التمتع، ويميل للشهوات، يكثر من الزوجات في فترة الشباب وقلة المسؤولية أو في وقت تقدم السن، وتزاحم المسؤوليات؟! ولو كانت

---

(١) أحكام الأسرة، د. مصطفى الشلبي، ط١، ص ٢٤٦.

الغاية من التعدد في الفترة الثانية مجرد التمتع، لاختار الأبكار الحسان، دون الثيبات الطاعنات في السن، أو ذوات الأولاد.[1]

المبحث الثاني

تفاصيل زواجه ﷺ

إن الرّجوع إلى تفاصيل زواجه ﷺ في المرحلة الثانية من حياته، يظهر أن جميع زيجاته كانت مرتبطة بغايات كريمة، وأهداف سامية، ومقاصد نبيلة، وكان لكل زواج حكمة خاصة يريد أن يقررها الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

وهذه الغايات:

الغاية الأولى: غاية إنسانية.

فبعضها كانت غايته إنسانية: كزواجه ﷺ من السيدة سودة بنت زمعة، التي توفي عنها زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية فأصبحت فريدة وحيدة، لا معيل لها ولا معين فاختار الرسول ﷺ كفالتها، وتزوجها رعاية لها، وقياما على شأنها، ومثلها زواجه من (أم سلمة) هند المخزومية التي استشهد زوجها في غزوة أحد فبقيت هي وأيتامها الأربعة بلا كفيل ولا معيل، فلم ير عليه السلام عزاء ولا كافلا لها ولأولادها، غير أن يتزوج بها.[2]

الغاية الثانية:- غاية اجتماعية.

وبعضها كانت له غاية اجتماعية، وذلك كتزوجه ﷺ بعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما إذ كانت الغاية من ذلك الزواج المكافأة لأبي بكر الذي سانده في دعوته،

---

(١) المرجع السابق، ط١، ص ٢٤٦.

(٢) انظر : حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندلهوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٥٣٣.

وعاونه على تبليغ رسالته، ووقف معه منذ أول لحظات الدعوة، ومنها زواجه ﷺ من حفصة بنت عمر رضي الله عنهما فكان فيه قرة عين لأبيها عمر بن الخطاب، الذي أعزّ الله به الإسلام، بإخلاصه وتفانيه في سبيل دين الله وما كان أن يكافأ هذان الصحابيان بشرف أعظم من شرف مصاهرة رسول الله ﷺ[1].

الغاية الثالثة: غاية دعوية.

وبعض زيجاته ﷺ ، كانت له حكمة دعوية تتمثل في تأليف القلوب عليه ﷺ، وجمع القبائل نحوه، لأن الإنسان إذا تزوج من عشيرة، قامت بينه وبينهم رابطة المصاهرة، ودفعهم ذلك إلى نصرته والذود عنه.

ومن هذا القبيل زواجه ﷺ من جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق، وكانت قد أسرت مع قومها وعشيرتها بعد غزوة بني المصطلق، فأرادت أن تفتدي نفسها فجاءت إلى رسول الله ﷺ تستعينه بشيء من المال، فعرض عليها أن يدفع عنها الفداء، وأن يتزوج بها، فقبلت ذلك فتزوجها، فقال المسلمون: أصهار الرسول ﷺ تحت أيدينا، فأعتقوا جميع الأسرى الذين كانوا تحت أيديهم[2]، فلما رأى بنو المصطلق هذا النبل والسمو والمروؤة، أسلموا جميعاً.

الغاية الرابعة:- غاية تشريعية:

وبعض هذه الزيجات كانت غايته تشريعية، ومن هذا القبيل: كان زواجه ﷺ من السيدة زينت بنت جحش رضي الله عنها، حيث كانت زوجة لزيد بن حارثة رضي الله عنه ،مولى رسول الله وابنه بالتبني، وأراد الإسلام أن يلغي عادة التبني، وأن يبطل هذه البدعة الجاهلية، ويجتث جميع آثارها، فأعلم الله نبيه أن زينب ستكون من أزواجه بعد زيد، وكان يشكو كثيراً إلى رسول الله ﷺ عدم استقراره وارتياحه للزواج من زينب، وكان كلما شكاها قال له رسول الله ﷺ: أمسك عليك زوجك، واتق الله وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به، من أنه سيتزوجها، وهذا ما أفصحت عنه الآية التي تحدثت عن القصة:

---

(١) شبهات واباطيل، الصابوني، ط١، ص ٢٤-٢٥.

(٢) حياة الصحابة، الكاندهلوي، ط١، ص ٥٤٢-٥٤٢.

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (١).

والحكمة من هذا الزواج أشارت إليه الآية نفسها، في إزالة حرمة التبني، ورفع جميع آثاره والتفرقة بين الابن بالتبني، والابن الصلبي،﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ﴾ .

تلك هي الأغراض السامية التي من أجلها تزوج رسول الله ﷺ هذا العدد من النساء، ولما استقر الأمر، وتحققت الغايات، أنزل الله قوله سبحانه : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (٢).

وأخيراً فإن الذين أثاروا الشبه حول زواجه ﷺ لم يصيبوا الدعوة الإسلامية بضر، ولكنهم كشفوا منها حجة لا حجة مثلها في الدلالة على صدق دعوة النبي الكريم، وإيمانه برسالته، وإخلاصه لها في علانيته وسره ﷺ (٣).

ولو علم أصحاب هذه الشبهة ما تنطوي عليه شبهتهم من حقائق ومزايا تزيد من نصاعة هذا الدين وعظمته ومزاياه وخصائصه، لآثروا السكوت والصمت أكثر من إيثارهم للتشهير واللغط.

---

(١) سورة الأحزاب: آية ٣٧.

(٢) سورة الأحزاب: آية ٥٢.

(٣) انظر: حقائق الإسلام، عباس العقاد، ط٣، ص ٢٦٢.

الفصل السادس

شبهات حول نظام العقوبات، وعدم صلاحية التشريع وجمود أحكامه

تمهيد:

مثلما عمل أعداء الإسلام وخصومه على توجيه الشبهات إلى نظم الإسلام المتعلقة بأحكام الجهاد، وقضية تعدد الزوجات ، ونظام الطلاق، ووضع المرأة في المجتمع الإسلامي، فكذلك بذلوا جهدهم للطعن في نظام العقوبات في الشريعة الإسلامية، واستندوا على ما في هذا النظام من أحكام حازمة وزاجرة، ليتهموا التشريع الإسلامي كله بأنه تشريع جامد، لا ينسجم وروح العصر، ولا يتناسق مع معطيات الحضارة والمدنية ، وذلك لما فيه من قسوة غير مألوفة في قطع يد السارق، ورجم الزاني المحصن، وجلد الزاني البكر، وجلد شارب الخمر، وغيرها من العقوبات[1] التي يظهرها أعداء الإسلام بمظهر غير إنساني ولا حضاري.

نجيب على هذه الشبهة ونبين بطلانها في النقاط التالية:

أولاً: التدابير الاحترازية الواقية من الجريمة.

إن الإسلام إذ يقيم العقوبة على المجرمين الذين يهددون مصالح المجتمع، ويهتكون أمن البلاد، فإنما يقيم هذه العقوبات عليهم بعد أن يستنفد الجهد في منع الجريمة قبل وقوعها، ويعتمد في ذلك على أساسين اثنين:

---

(١) انظر: علي طريق العودة إلى الإسلام، د. محمد سعيد رمضان البوطي، ط٢، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص ١٢٣، وما بعدها.

ومن هؤلاء الذين حاولوا النيل من نظام العقوبات في الإسلام (W.Clifford) و. كليفورد، مدير معهد علم الإجرام في أستراليا، حيث فرغ مشاعره العدوانية تجاه الإسلام من خلال اتهام نظام العقوبات بالعنف والقسوة والوحشية في . انظر: المرجع السابق، ط٢، ص ١٣٩.

الأساس الأول: التهذيب النفسي للأفراد.

حيث يعتمد الإسلام على تهذيب الفرد أخلاقيا وتقوية روح الانتماء للمجتمع الذي يعيش بين أفراده الأمر الذي يشكل درعاً واقياً من غارات الرذيلة في النفس التي تدعوه إلى الاجتراء على حرمة المجتمع والنيل من أمن الأفراد واستقرارهم(١).

وإذا نظرت إلى نظام العبادات في الإسلام وجدت جميع تفصيلات وأحكامه، تصبو إلى تهذيب النفس، وتقويم معوجها (٢).

الأساس الثاني: تكوين رأي عام يدعو إلا الفضيلة.

أما الأمر الثاني الذي يستند إليه التشريع الإسلامي للوقاية من الجريمة، وقطع سبلها، ومنع أسبابها، فهو تكوين رأي عام فاضل يدعو إلى الفضيلة ويحارب الرذيلة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويظهر فيه الخير ويقمع فيه الشر، ومن هنا كانت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٣).

فيكون في هذين الأمرين خطوة احترازية تضيق من دائرة الجريمة بقدر الإمكان والاحتياط لدفعها قبل وقوعها، ولمنعها قبل حدوثها.

ثانياً: القسوة عنصر أساسيّ في كل عقوبة.

إن عنصر القسوة الذي يظهر واضحاً في العقوبات في الإسلام، يمثل عنصراً أساسياً وركناً ركيناً لأي عقوبة، فلو فقدت القسوة، فقدت العقوبة معناها، ولما عاد لها أي فائدة ولا غرض، ولغدت شكلاً بلا مضمون، ومظهراً بلا جوهر(٤).

ولذا نجد إشارة القرآن الكريم إلى ضرورة اقتران الحزم والشدة، مع العدل والقسط ، وهذا ما يشير إليه قوله سبحانه﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ

(١) انظر: العقوبة، الشيخ محمد أبو زهرة، ط١، دار الفكر العربي، ص ٢٦.

(٢) انظر: ما بيّناه في الفصول السابقة.

(٣) سورة آل عمران: آية ١٠٤.

(٤) انظر: البوطي، على طريق العودة إلى الإسلام، ص ١٠٣.

وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ (١) .

وإن هذه الآية ترشد إلى أن الحديد ذا البأس الشديد الذي يرمز إلى البأس والشدة، يجب أن يكون مقترناً مع الميزان الذي يرمز إلى القسط والعدالة، لأن العقاب سبيل لتحقيق العدالة، ومنع الفساد في الأرض(٢). وإذا كانت العقوبة في الإسلام قسوة تنزل بالمجرم، فهي رحمة تصيب المجتمع، فتحقق أمنه وسعادته، وتدفع عنه شرور المجرمين والمعتدين.

ثالثاً: شدّة العقوبة على حسب أثر الجريمة.

إذا كان من المقرر أنّ القسوة عنصر أساسي في كل عقوبة، فإنّ من المقرر أيضا أن تحقيق معنى العقاب يستلزم أن تشتد القسوة كلما ارتفعت الجريمة، وأن تخف القسوة كلما انخفضت آثار الجريمة وتبعاتها(٣).

والذين يعيبون على الإسلام نظام العقوبات فيه، لم يلتفتوا إلى الأساس الذي ابتنيت عليه هذه العقوبات، و لم ينتبهوا إلى الآثار الوخيمة، التي تنجم عن الجرائم التي وضعت العقوبات إزاءها، لقد جاءت العقوبات في الشريعة الإسلامية على قسمين:

- ❖ عقوبات مقدرة بنصوص من الكتاب أو السنة، ولا تدع مجالا لتغيرها مهما تطورت الأزمنة وهي المعروفة، بالحدود والقصاص.
- ❖ وعقوبات فوّض الشارع تقديرها إلى بصيرة الحاكم المسلم، على أن لا تتجاوز حدوداً معينة، وهي المعروفة بالتعازير.

فأما النوع الأول فيتعلق بجرائم أساسية هي في حقيقتها انتهاك لحقوق الإنسانية، أو اعتداء على المصالح العامة أو عبث في القيم الأخلاقية الفاضلة.

فكان من لوازم خطورتها، أن أناط بها الشارع عقوبات محددة بنصوص صريحة واضحة، و لم يترك الأمر راجعاً إلى اجتهادات العلماء والحكام، سداً لسبل التهاون في أمر

---

(١) سورة الحديد:الآية ٢٥.

(٢) انظر: العقوبة ، أبو زهرة، ط١، ١٣.

(٣) انظر: على طريق العودة إلى الإسلام، البوطي، ط٢، ص ١١٧.

هذه الانتهاكات الخطيرة، فكان قتل المرتد حفظاً لشرعه الدين ودفاعاً عن حرمات الله، وحفظاً لصفاء العقيدة ونقائها، وكانت عقوبة القصاص حفظاً لأصل الحياة البشرية، وحماية للدماء والأنفس من خطر الاستهتار. وجاء حد شرب الخمر حفظاً للعقول الآدمية من الضياع والعبث والتيه.

وشرع حد السرقة وقطع الطريق حفظاً للأموال، ودفاعا عن الأمن، وكان حد الزنى والقذف حمايةً للأعراض والأنساب والحرمات[1].

ونجد أن المحافظة على هذه الأصول يعتبر إجراءً أساسياً لإيجاد أي مجتمع فاضل، فالمجتمع الفاضل يفرض رعاية الدين، والنفس، والنسل، والعقل، والمال وهذه الأمور الخمسة اصطلح على تسميتها بالضروريات الخمسة لأنه إذا فقدت لم تجر أمور المجتمعات على استقامة[2] بل على فساد وتقاتل واختلال في الأمن. ومن هنا وجب الحفاظ عليها في كل ملة وشريعة، وكان نظام العقوبات في الإسلام من خلال الحدود والقصاص ، خطوة أساسية، لحماية هذه الضروريات ودفع أشكال الفساد عنها.

ومن هنا تعلم أن العقوبات في الشريعة الإسلامية وإن كانت في ظاهرها قاسية وشديدة إلا أنها في حقيقتها رحمة ونعمة للمجتمع، حيث تحفظ عليه أصول سعادته، وأركان أمنه، ومقومات بقائه واستقراره.

---

(١) انظر: المرجع السابق، ط٢، ص ١١٧.

(٢) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، ط٢ ، تحقيق عبدالله دراز، دار المعرفة، ٨/٢.

الفصل السابع

شبهات حول الإتكالية ودعوة الإسلام إلى الإيمان بالغيب والقدر

تمهيد:

زعم البعض أن في مقررات الإسلام العامة التي تعطي تصوراً عاماً عن الكون والوجود والحياة، آثاراً سلبية تتمثل في حمل الأفراد على التثاقل والتواكل والكسل، والتعلق بأهداب الغيب، والعيش في سبحات الخيال بعيداً عن الحياة والواقع.

واستند هؤلاء في تأييد شبهتهم تلك ، على بعض أركان الإيمان من مثل الإيمان بالغيب، والإيمان بالقضاء والقدر، من جهة أن الإيمان بالغيب يفرز مجتمعاً منعزلاً عن الواقع – كما يدّعون- ينتظر العطاء والجزاء في الآخرة، ولا يعيش الكد والبلاء والعطاء في الدنيا.

وإن الإيمان بالقضاء والقدر يحتم على المسلم أن يؤمن أن كل شيء يتم في هذا الوجود، حلوه ومرّه، خيره وشره بقدر الله وعلمه، وبإرادته وقضائه، الأمر الذي يجعل الإنسان وفق هذا التصور مسلوب الإرادة، مقيد الحرية، منزوع الفعل ، حاله كحال الريشة في مهب الريح، لا يملك من أمره شيئاً(١).

ولقد أشرنا عزيزي الطالب من قبل إلى أن أعداء الإسلام يحاولون أن يظهروا فضائل الإسلام، على أنها نقائص، ومزاياه على أنها شبهات تنقض بنيانه وتشكك في سلامته.

وكنا قد وضحنا من قبل النظام العقدي في الإسلام، وبينا لك أبرز أركانه وأسسه، من الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، فلا نعيد ما ذكرناه خشية التكرار، على أنا نرد هذه الشبهة بما هو آت:

---

(١) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ص ٢٩٥.

المبحث الأول

التصور الإسلامي لحقيقة الحياة الدنيا

أولاً: الدنيا مزرعة الآخرة.

إن الإسلام إذ يدعو إلى الإيمان بالغيب، ويدعو إلى الإيمان بالآخرة والإقبال عليها، فإنه لا يعطل العمل للدنيا، والكفاح من أجل ترقيتها، ذلك أن الدنيا في المنظور الإسلامي هي مزرعة الآخرة ومقدمتها، والمزرعة بحاجة إلى عمل وسعي وجهد وبذل، ومرتبة المسلم في الآخرة، هي بقدر ما يقدم في الدنيا من عمل صالح، وهذا العمل الصالح لا يقتصر على أعمال العبادات من الصلاة، والصيام والحج، بل يشمل كل نشاط وفاعلية يقوم بها المسلم في الدنيا إذا كانت الآخرة همه وغايته، وهذا ما تنطق به آي الكتاب: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1].

وأنت تجد في هذه الآية، كيف ربط الله تعالى بين الإيمان به وبكتبه ورسله والملائكة واليوم الآخر من جهة، وبين إيتاء المال للفقراء والمساكين وأصحاب الحاجة، والصبر عند المصائب والشدائد والشجاعة عند لقاء العدو من جهة أخرى، الأمر الذي يرشد إلى أن الإيمان بالغيب ارتد إيجابيا على حركة الإنسان في هذه الحياة وجعله إنساناً فاعلاً منتجاً مؤثراً، لا إنسانا كلا عاجزاً كما يُدّعى.

---

(١) سورة البقرة:الآية ١٧٧.

ثانياً: اقتران الإيمان بالعمل.

وإن مما يؤكد هذا الارتباط بين الإيمان والعمل، أنّ القرآن الكريم قد ذكر الإيمـــان في أكثر من سبعين آية من آياته مقرونة بالعمل، و لم يكتف بمجرد العمل، بـــل اشـــترط أن يكون من الصالحات، وهي كلمة جامعة تشمل كل جهد إنساني تصلح به الدنيا، وينتفـــع به الفرد والمجتمع، وتصلح به الحياة الروحية والمادية معاً، قال تعـــالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝ ﴾[1]

والمسلم عندما يمارس عمله الدنيوي لا ينساق إليه بحافز من قهر خارجي، أو سلطان سياسي، أو سلطة تنفيذية تشهر عليه سوطها وسيفها ليعمل، وإنما يندفع إلى العمل الصالح بحافز من نفسه التي ارتوت من معاني الإيمان، وبإيحاء من ذاته التي أدركت أن حسن العمل في الدنيا[2] هو مفتاح أبواب الجنة

قال تعـــالى : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝ ﴾[3] .

---

(١) سورة العصر:الآيات ١-٣.

(٢) انظر: الإيمان والحياة، د. يوسف القرضاوي: ط١، مكتبة وهبة ، القاهرة، ص ٢١٦.

(٣) سورة السجدة:الآيات ١٧.

المبحث الثاني

الإيمان بالقدر يوجب الأخذ بالأسباب

إن الإيمان بالقدر خيره وشره، والاعتقاد بأن كل ما يجري في هذا الكون مقدر ومكتوب، لا يتصادم مع وظيفة الإنسان في الحياة، من ضرورة إعمار الأرض وإصلاحها، ذلك أن مفهوم القدر، هو الإيمان بعلم الله القديم وبمشيئته النافذة، وقدرته الشاملة(1) وهو أمر لا ينفي أخذ المسلم بالأسباب مع التوكل على الله عز وجل، وهذا ما صرح به رسول الله ﷺ قال: "ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة والنار، فقيل يا رسول الله: أفلا ندع العمل، ونتكل على الكتاب فقال: لا ، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له(2).

فالإقبال على الأخذ بالأسباب هو مما أمر به الشرع لقوله "لا، اعملوا" أي أنه ﷺ ، قد نهى عن الإعراض عن الأسباب المأمور بها، لأن ذلك ضرب من التواكل لا التوكل.

فمن أراد النسل الصالح مثلاً، فلا بد أن يتخذ سببه بالزواج الشرعي، ولكن هذا الزواج قد يعطي الثمار، وهو النسل، وقد لا يعطيها، حسب إرادة الله العزيز: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾(3) .

ويكون واجب المسلم أن يتوكل على الله بعد أخذه بالأسباب، حتى يترتب المسبب على سببه، وتعلق النتيجة بأثرها، كون ترتب الآثار وتحقق المسببات، من جعل الشارع، لا من وضع المكلف.

---

(1) انظرك عقيدة المسلم، الشيخ عبد الحميد السائح، ط2، وزارة الأوقاف، الأردن، ١٩٨٣م، ص١٣٩، والإيمان أركانه، حقيقته، نواقضه.

(2) رواه البخاري (٤٥٦٨) ومسلم، (٤٧٨٧).

(3) سورة الشورى:الآيتان ٤٩-٥٠.

الفصل الثامن

شبهات حول الفكر الإسلامي والفقه الإسلامي

المبحث الأول

شبهات حول الفكر الإسلامي

يحاول أنصار المنهج الغربي جاهدين إثارة الشكوك في أصالة الفكر الإسلامي، وذاتيته، والعمل على تجزيء هذا الفكر، وتحجيمه، وسلبه صفة الشمول، والتكامل، وفي سبيل ذلك أثيرت حول الفكر الإسلامي جملة من الشبهات، أهمها:

الإدعاء بتأثر الفكر الإسلامي بالفكر الأجنبي الأوروبي.

يركز المنهج الغربي على تعميق فكرة تأثر الفكر الإسلامي بالفكر الأجنبي الأوروبي، ويحاولون تأييد هذا الزعم من خلال تفحص مختلف العناصر الأدبية والاجتماعية والإنسانية لتصوير الجوانب الإيجابية في الفكر الإسلامي، وكأنها معطيات الفكر الغربي[1].

وأيدوا شبهتهم تلك بتأثر العديد من العلماء والفلاسفة والمفكرين المسلمين بفلسفة أرسطو وأفلاطون ، ويدعون أن فلسفة الإغريق قد طبعت هذه الفلسفة فيما بعد بالطابع الغربي[2].

رد الشبهة:

أولاً: إن الأساس الأول والمصدر الأصيل لتشكيل الفكر الإسلامي هو القرآن الكريم، وكل ما يتصل بالفكر الإسلامي بعد ذلك هو فرع لهذا المصدر الأصيل واستمداد منه[3].

---

(١) انظر: أخطاء المنهج الغربي الوافد، أنور الجندي، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤، ص ١٠٩.

(٢) ومضى مع هذه الدعوة بعض الباحثين العربي الذين حملوا لواء التغريب في بلاد المسلمين مثل: لطفي السيد، وطه حسين، انظر: المرجع السابق، ص ١١٠، ط١.

(٣) انظر: القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية، أنور الجندي، ط١، ص ٣١.

وقد مضى مفكرو الأمة وعلماؤها طوال حركة الفكر الإسلامي على إخضاع ثقافات الأمم وأفكارها، لقيم القرآن الكريم وقواعده، فما وافق القيم القرآنية أخذوا به،وما ناقضها أو صادمها ردوه ورفضوه.

ومن ذلك مثلاً، ما فعله الإمام أبو حامد الغزالي -رحمه الله- حيث ألف كتابه "تهافت الفلاسفة" الذي نقض فيه فلسفة أرسطو طاليس ، وأفلاطون، وحذر ا المؤمنين من الأخذ بها لما تتضمنه من أقوال منكرة، تتناقض وحقائق الإسلام، وتصادم عقيدة الإيمان، من مثل القول بقِدم العالم- أي أنه وجد من غير عدم يسبقه – وإنكار حشر الأجساد، وحصر علم الله بالكليات فقط دون الجزئيات، وبين الإمام الغزالي كفر من يقول بهذا القول وضلاله وغيه[1].

ثانياً: إن أكبر ما يرد شبهة عطاء الفكر اليوناني للفكر الإسلامي، هو الدليل الأكيد بأن الفكر الإسلامي لم يلتق بالمترجمات اليونانية إلا في القرن الثالث الهجري، حيث كانت قد اكتملت جميع مفاهيم الإسلام، وحصل التصور الكامل للإنسان والكون والحياة في المنظور الإسلامي.

وكان القرآن الكريم قد قدم للمسلمين عدداً من المناهج في ميادين المعرفة والبحث، وفي مجال عالم الغيب، وكوّن علماء المسلمين نظرية كاملة للمعرفة استقوها من القرآن الكريم الذي اكتمل نزوله قبل وفاة الرسول ﷺ[2].

إنّ الدّراسة للفكر اليوناني وفلسفته في الحياة ، ترشد إلى أن هذا الفكر يختلف في جوهره ومضمونه، عن حقيقة الفكر الإسلامي ومضمونه ، من حيث كون الفكر اليوناني فكراً مادياً صرفاً، يتجه إلى تمجيد الحياة الدنيا، ولا يلتفت إلى حياة تعقبها، والنفس والروح في اعتبار الفكر اليوناني ليست إلا ظلاً للجسد، فإذا فنى الجسد، تفككت الروح، وأصبحت هشيما تذروه الرياح[3]، هذا علاوة على أن الفكر اليوناني فكر وثني منحرف في تصوره للخالق، حيث يؤمن بتعدد الآلهة وتنوعها حسب اختصاصها.

أما الفكر الإسلامي، فإنه يختلف كل الاختلاف عن المفهوم المادي، حيث إن قوام هذا الفكر التوحيد بالله، والامتزاج الرائع بين القلب والعقل، والنفس والجسم، والجمع بين مطالب الجسد، وأشواق الروح، والتوسط بين السعي للدنيا والعمل للآخرة وفق ما قدمنا لك سابقاً في الثقافة الإسلامية.

---

(١) انظر: تاريخ الفلسفة الإسلامية، د. ماجد فخري، ترجمة، د. كمال اليازجي، ط١، الدار المتحدة للنشر، ١٩٧٤م، بيروت، ص ٣٠٥.

(٢) انظر: أخطاء المنهج الغربي الوافد، أنور الجندي، ط١، ص١١١.

(٣) دراسات في الفلسفة الإسلامية، د. محمود قاسم، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٧، ص٣.

المبحث الثاني

شبهات حول الفقه الإسلامي

الشبهة الأولى:

زعم بعض من دعاة الحداثة والمعاصرة أن جميع منتجات التوجيه الإسلامي من الفكر والفقه أنماط بالية غير قادرة على الحياة والبقاء في أيامنا هذه، وسبب ذلك كما يزعمون ، أنها أفكار وأحكام تتسم بالقدم والجمود، وحاجة البشر تقتضي تشريعاً متطوراً، وفكراً مرناً، حتى يستطيع أن يفي بحاجات المجتمع المتغيرة والمتطورة والمتجددة، وهذا ما يعجز عن الوفاء به، الفقه الإسلامي الذي مضت عليه مئات السنوات. ولا يملك أن يحقق حاجات القرن الواحد والعشرين(١).

وللإجابة على هذا الشبهة نقول:

أولاً : فقدان هذا الزعم للدليل العلمي.

أن هذه الدعوة لا تنهض على أية دعامة علمية أو منهجية، حيث تجعل عماد حجتها ومنطلق دعوتها أن الفقه الإسلامي قديم، وتقف عند ذلك، ومن المعلوم أن مجرد قدم الأشياء لا يدل على عدم صلاحها، أو انسجامها مع مقتضيات العصر أو الواقع، وليس واجباً أن تكون حداثة الأشياء دليلاً كافياً لصلاح الأفكار وسلامتها(٢).

دليل ذلك أن العقل البشري يقرر أن الكون يتألف من محاور ثابتة وقديمة لا تتبدل ولا تتغير، ولو تبدلت هذه المحاور، كحركة القمر مثلاً، أو دوران الأرض، أو بعد الشمس عن الأرض، أو غيرها من الثوابت الكونية القديمة التي لو تغيرت لفسدت الأرض، وهلك كل من عليها، وهذا الثبات الكوني القديم لا يوصف بالتخلف أو الجمود رغم كونه قديماً، لأنه حفظ مصالح الأفراد، وأقام منافع الأمم والشعوب.

---

(١) انظر: شريعة الإسلام خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان، د. يوسف القرضاوي، ط١، المكتب الإسلامي، ١٣٩٣، ١٩٧٣م،ص٦.

(٢) انظر: إلى طريق العودة إلى الإسلام، البوطي، ط٢، ص ٩٤.

وكذلك الأمر بالنسبة للأفكار والنظم والأحكام، فلا بد أن تكون في بعض مقرراتها ثابتة كثبات حركة الأجرام، لأنها مناطة بمصالح لا تقبل الاختلاف، ولا الاختلال، من مثل الأحكام التي تتعلق بميدان العبادات ، أو النظام الأسري، أو حرمة الربا والقمار، والزنا والسرقة، وغيرها ، فهي أحكام ثابتة لأنها تعبر عن قيم حضارية راسخة، لا تختلف باختلاف البيئة، أو العصر، أو الإقليم .

ثانيا: الفقه الإسلامي فقه مرن، فيه القدرة على استيعاب حاجات العصر ومتطلبات الواقع:

إن الفقه الإسلامي، وإن كان ثابت الأصول والأهداف، فإنه يتميز بالمرونة والسعة في الفروع والجزئيات وساعد على هذه المرونة عدة عوامل:

أولا: إن مما يبرهن على مرونة الفقه الإسلامي، النظر في مصادر الأحكام الشرعية، إذ نجد أن الكتاب والسنة هما المصدران الأصليان للشريعة، ويقف إلى جانبيهما مصادر أخرى كالإجماع، والقياس، والاستصلاح، والاستحسان، العرف، وكلها مصادر تمد بالأحكام اللازمة لمواجهة الوقائع التي لم يرد بها نص خاص يتناولها، فتنهض هذه المصادر التبعية التي تقف خلف دليل الكتاب والسنة، لتكشف عن حكم النوازل الطارئة والوقائع المعاصرة، ولتظهر إرادة الله تعالى في تلك المستجدات التي لم يرد فيها نص خاص[1].

ومن هنا، فإنه إذا لم يرد في مسألة معينة نص في الكتاب والسنة، فلا تقف الشريعة عاجزة، أو حائرة، بل تستطيع أن تكشف عن حكم تلك المسألة، من خلال الأدلة الأخرى التي اصطلح على تسميتها "بالأدلة التبعية".

ثانياً: وتتعمق مرونة الفقه الإسلامي إذا تتبعت أسلوب تقرير الأحكام الشرعية، إذ تسترشد بعد التتبع والاستقصاء، أن في الشريعة نوعين من الأحكام[2].

١- أحكام تفصيلية، وهذه إما أن تتعلق بالعقيدة، أو العبادات، أو نظام الأسرة، أو بعض المسائل الخاصة بعلاقات الأفراد فيما بينهم، كعقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، وتنظيم الأسرة وكيفية الزواج وحق الحضانة والولاية، وأحكام الفرقة بين الزوجين. وتنظيم الميراث، وتحديد أنصبة الورثة، والعقوبات التي جاءت مفصّلة في الشريعة

---

(١) انظر مصادر التشريع الإسلامي في ما لا نص فيه ن خلاف، ط٢، ص ١٦.

(٢) انظر المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، ط١٤، مؤسسة الرسالة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، ص٤٣.

الإسلامية، إلى غيرها من الأحكام التفصيلية التي قامت على معان وأوصاف ثابتة لا تقبل التغير ، أو التبدل بتبدل الزمان وتغير المكان، كما أسلفنا آنفاً.

٢- وهناك أحكام كلية، جاءت على شكل قواعد ومبادئ عامة، لا يمكن أن تضيق بحاجات الناس، ولا يمكن أن تتقاعد عن الوفاء باختلاف العصر، أو البيئة، أو الظروف، مثالها: أن الشريعة الإسلامية، جاءت بمبدأ الشورى في الحكم في قوله تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾ (٢) ولم يتحدد أسلوب ولا وسيلة إقامة هذا المبدأ العظيم، وذلك حتى يترك الأمر للجماعة المسلمة أن تختار الآلية المناسبة، والوسيلة النافعة، فقد يكون الأصلح في بعض الأوقات اللجوء إلى أسلوب المجالس البرلمانية المنتخبة، لتقوم بواجب الشورى، وقد يكون الأصلح في أوقات أخرى، استعمال أسلوب التعيين من قبل ولي الأمر للأفراد الذين تتوفر لهم الكفاءة والأهلية، لينهضوا بواجب التناصح والتشاور، وقد يكون الأنسب أحيانا، الجمع بين الطريقتين، بين الانتخاب المباشر من الشعب وبين التعيين المباشر من الحاكم، والأفراد المنتخبون والمعينون يتداولون في أمور الأمة للوصول إلى أصلح الآراء وأحسنها.

وهكذا ترى أن المطلوب إقامة مبدأ الشورى، أما الوسيلة والأسلوب، فقد جاء على نحو من العموم والمرونة، بحيث يتسع لكل تنظيم قانوني ، يختاره أفراد الأمة، مراعين بذلك اختلاف الزمان والمكان(٣).

ثالثاً: ولا يفوتنا هنا أن ننبه إلى القواعد العظيمة التي زخر بها الفقه الإسلامي، من مثل:

الضرر يزال، الضرر لا يزال بالضرر، يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام، الضرورات تبيح المحظورات، المشقة تجلب التيسير، درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، وغيرها من القواعد التي تتميز بالكلية والعموم والسّعة، وتملك قدرة عجيبة في استيعاب العديد من الوقائع والمسائل والنوازل، إذا تحققت في تلك الوقائع معنى القاعدة ومناطها(٤).

---

(١) سورة الشورى:الآيتان ٣٨.

(٢) سورة آل عمران:الآية ١٥٩.

(٣) انظر: المرجع السابق، ط١٤، ص ٤٧.

(٤) انظر مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، ط٢، ص ١٢.

المبحث الثالث

شبهات المستشرقين في العلوم الإسلامية

عرضنا لك عزيزي الطالب في الوحدة السادسة، حقيقة الاستشراق وتاريخه ، وتوجهات المستشرقين، وأهدافهم، ونعرض لك في هذه الوحدة الخاصة نموذجا من شبهاتهم في العلوم الإسلامية، وقد اخترنا لك بعض شبهاتهم التي وجهوها إلى أصل الشريعة الأول (القرآن الكريم)، لتعرف بعد ذلك مقدار التخبط والضلال الذي يمارسه المستشرقون من خلال كتبهم وأبحاثهم.

والدارس لشبهات المستشرقين المتعلقة بالقرآن الكريم يجد أنها تدور حول فلك واحد وتسعى لغاية واحدة، وهي إشعار القارئ والدارس أن القرآن من صنع بشر لا من عند الله العزيز الحكيم.

وللإجابة على هذه الشبهة نقول:

١- لو كان للإنسان قدرة على صياغة آيات القرآن وسورة، فلماذا وقف العرب موقف العاجز المحبط إزاء التحدي الذي واجههم به القرآن الكريم نفسه . فلم يستطيعوا أن يأتوا بسورة من مثله رغم فصاحتهم وبلاغتهم وقدراتهم اللغوية العظيمة.

٢- إن الدارس لأسباب نزول السور والآيات يجد أنه كانت تنزل بالرسول النوازل وكانت تحفزه إلى أن يتكلم فيها، حتى يقطع الألسن، ويكشف الحق، ورغم ذلك تمضي عليه الأيام والليالي ولا يجد في شأنها قرآنا يقرؤه على الناس، وهذا ما حصل في حديث الإفك عن زوجه عائشة رضي الله عنها، وأبطأ الوحي وطال الأمر والناس يخوضون، وهو لا يستطيع إلا أن يقول "إني لا أعلم إلا خيرا" فماذا كان يمنعه لو أن القرآن إليه أن يتقول هذه الكلمة الحاسمة[1]، ليحمي عرضه

---

(١) انظر دحض هذه الشبعة بتوسع وبيان في : النبأ العظيم، د. محمد عبدالله دراز، ١٩٦٩م، ص ١٣-٦٧.

ويذب عن عرضه ولكنه ما كان ليكذب على الله ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝ ﴾[1].

٣- ولو كان القرآن من عند الرسول ﷺ ، لما ارتضى أن يوجه لنفسه هذا العتاب المؤلم الذي وجهه له رب العالمين حتى في أقل الأشياء خطرا كما في قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ ﴾[2]. فلو كان من صنعه كما زعم، أما كان المناسب أن يسكت عنها الرسول الكريم ﷺ ، وأن يستر على نفسه وأن يبقى على حرمة آرائه؟! ولو كان كاتما شيئا لكتم أمثال هذه الآيات التي جاءت إليه في العديد من المواقع، بالعتاب القاسي، والنقد المر، ولكنه الوحي الصادق الذي لا يملك كتمانه، قال تعالى : ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ ﴾[3] .

٤- ومما يقوي هذا البرهان ويعمقه، ويدحض زيف المستشرقين ويكشف كذبهم، أنه كان يجيء الرسول ﷺ أحيانا بالقول المجمل والأمر المشكل، الذي لا يستبين هو وأصحابه معناه، حتى ينزل بيانه من عند الله.

مثال ذلك :

نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾[4]. فأزعجت هذه الآية الصحابة إزعاجا شديدا، وداخل قلوبهم منها شيء لم يدخلها من شيء آخر لأنهم فهموا منها أنهم سيحاسبون على كل شيء حتى حركات القلوب وخطراتها، فقالوا: يا رسول الله أنزلت علينا هذه الآية ولا نطيقها، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم:سمعنا وعصينا؟ بل قولوا:

(١) سورة الحاقة:الآيات ٤٤-٤٦.

(٢) سورة عبس:الآيات ١-٣.

(٣) سورة التكوير:الآية ٢٤.

(٤) سورة البقرة:الآية ٢٨٤.

سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير". فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات حتى أنزل الله بيانها بقوله: (لا يكلف الله نفسا إلى وسعها)، إلى آخر السورة المذكورة وموضع الشاهد منه أن النبي ﷺ لو كان يعلم تأويلها من أول الأمر لبين لهم خطأهم ولأزال اشتباههم من فوره، لأنه لم يكن ليكتم عنهم هذا العلم وهم في أشد الحاجة إليه،و لم يكن ليتركهم في هذا الهلع الذي كاد يخلع قلوبهم وهو بهم رءوف رحيم، ولكنه كان مثلهم ينتظر تأويلها [1].

وأخيرا فإن هذه الشبهة قديمة حاول العرب أن يستعملوها من قبل وأشار إليها القرآن الكريم بقوله ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ﴾ ودحضها بقوله ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴾ [2] .

ويبقى إعجاز الكتاب الكريم البرهان الساطع، والدليل القاطع على أنه من عند الله وأن ليس للنبي الكريم فيه إلا واجب البلاغ والبيان.

وبعد ، فهذا نموذج من شبهات المستشرقين في العلوم الإسلامية وقد أعملوا الشبهات نفسها في السنة النبوية المطهرة، وفي التاريخ الإسلامي العظيم، وفي اللغة العربية الفصيحة، وحاولوا التشكيك بمصادر الثقافة الإسلامية وأصولها العظيمة، ولعلك قد أدركت من خلال ما سبق أن جميع هذه الشبهات لا تستند على دليل علمي ولا برهان عقلي، وأنها لا تعدو كونها أكاذيب صاغتها النفوس الحاقدة والقلوب المنكرة.

قال تعالى : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [3].

---

(١) أنظر: النبأ العظيم، دراز، ص ٢١.

(٢) سورة النحل:الآية ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران:الآية ١١٨.

المراجع

١- آثار الحرب في الفقه الإسلامي،د. وهبة الزحيلي، ط٤، دار الفكر،١٩٩٢م.
٢- أبعاد غائية ، د. طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
٣- أبغض الحلال، د.نور الدين عتر، ط٢، مؤسسة الرسالة،١٩٨٣م.
٤- الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، طبعة مصطفى الحلبي- القاهرة ١٩٥١م .
٥- أجنحة المكر الثلاثة، عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط١، دار القلم،دمشق،١٩٧٥.
٦- أحكام الأسرة في الإسلام، د. مصطفى الشلبي،ط١، دار النهضة،بيروت.
٧- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، د. عبد الكريم زيدان،ط١،مؤسسة الرسالة.
٨- أحكام الزواج في الشريعة الإسلامية دراسة فقيه مقارنة بقانون الأحوال الشخصية الأردني ، د . محمد حسن أبو يحيى ، مكتب الخدمات الطلابية ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٨م.
٩- الأحوال الشخصية ، د . محمد شحاتة ، مطبعة دار التأليف ، القاهرة الطبعة السادسة.
١٠- الإخاء الديني ومجمع الأديان والموقف الإسلامي، د. محمد البهي ، مكتبة وهبة ، ١٩٨١م .
١١- أخطاء المنهج الغربي الوافد، أنور الجندي،ط١، دار الكتاب اللبناني،بيروت،١٩٧٤م.
١٢- أزمة المثقفين تجاه الإسلام في العصر الحديث،د.محسن عبد الحميد،ط٣،بغداد،١٩٩٨م.
١٣- أساليب العلمانيين في تغريب المرأة المسلمة ، د. بشر بن فهد البشر،ط١،دار المسلم للنشر.
١٤- الأسرة تحت رعاية الإسلام ، عطية صقر ، مؤسسة الصباح ، الكويت ، الطبعة الأولى.
١٥- أسس العلاقات الدولية في الإسلام ، د . محمود أبوليل ، رسالة دكتوراه -كلية الشريعة جامعة الأزهر ، دار المصطفى للنسخ والطبع القاهرة ١٣٩٨هـ .
١٦- الإسلام ، سعيد حوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨١م .
١٧- الإسلام عقيدة وشريعة ، محمود شلتوت ، دار الشروق -بيروت .
١٨- الإسلام على مشارف القرن الخامس عشر ، أنور الجندي ، مطبعة زهران الطبعة الأولى .
١٩- الإسلام على مفترق الطرق ، محمد أسد ، ترجمة عمر فروخ ، دار العلم للملايين - بيروت.
٢٠- الإسلام في وجه التحديات ، أبو الأعلى المودودي ، دار القلم ، الكويت ، ط٣ ، ١٩٨٧م .
٢١- الإسلام قوة الغد العالية ، بول شمتز ، ترجمة محمد شامة ،القاهرة ١٣٩٤هـ .
٢٢- الإسلام مقاصده وخصائصه ،د .محمد عقلة، مطبعة الشرق ومطبعتها عمان الأردن ١٩٨٤م.
٢٣- الإسلام والحضارة الغربية،د.محمد محمد حسين،ط٩،مؤسسة الرسالة،بيروت،١٩٨٥م.
٢٤- الإسلام والشباب ، د. محمد الزحيلي ، دار المكتبي ، دمشق ، ١٩٩٦م .
٢٥- الإسلام وبناء المجتمع ، محمد أحمد العسال ، دار القلم - الكويت ١٩٧٥م ، الطبعة الأولى .
٢٦- إسلامية المعرفة ،المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٢٧- الأشربة وأحكامها في الشريعة الإسلامية ، د. ماجد أبو رخية ، ط١ ، عمان .
٢٨- الأصالة والتحديد في الفكر الإسلامي ، د راشد سعيد شهوان ، قسم الثقافة الإسلامية ، كلية الشريعة ، الرياض ، ١٤٠٧هـ . (رسالة ماجستير)
٢٩- أصول التربية الإسلامية وأساليبها ، عبد الرحمن النحلاوي ، دار الفكر .
٣٠- الأضرار الصحية للمسكرات والمخدرات والمنبهات ، د. محمد علي البار .
٣١- أضواء على الثقافة الإسلامية،د. نادية العمري، ط١، مؤسسة الرسالة،بيروت،١٩٨٥م.
٣٢- إطار إسلامي للفكر المعاصر ، أنور الجندي ، المكتب الإسلامي – بيروت ١٩٨٠م .
٣٣- الأموال ، أبوعبيد القاسم بن سلام، تحقيق محمد خليل هراس، دار الفكر ، ١٩٧٥م .
٣٤- إنسانية الثقافة الإسلامية ، عدنان زرزور ، المكتب الإسلامي ١٩٨٠م الطبعة الأولى .
٣٥- الأنبياء في القرآن الكريم، محمود عباس العقاد ، دار الكتاب العربي – بيروت ١٩٦٩م.
٣٦- أهداف التشريع الإسلامي ، د. محمد حسن أبو يحيى، دار الفرقان ، عمان ، الطبعة الأولى.
٣٧- الإيمان أركانه ، حقيقته ونواقصه ، د. محمد نعيم ياسين، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة .
٣٨- الإيمان وأثره في حياة الإنسان ، حسن الترابي ، دار القلم – الكويت ، الطبعة الثالثة .
٣٩- الإيمان والحياة ، د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة .
٤٠- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، محمد محمد حسين ، مؤسسة الرسالة ط٦ ، بيروت .
٤١- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري،د.محمود حميدي زقزوق، كتاب الأمة.
٤٢- الاستنساخ قنبلة العصر ، صبري الدمرداش ، دار الفكر الحديث – الكويت ١٩٩٧م .
٤٣- الاستنساخ والإسلام ، معين القدومي ، هاي تك للخدمات المطبعية – عمان ١٩٩٨م .
٤٤- الاقتصاد الإسلامي ، إبراهيم دسوقي إباظة ، دار لسان العرب ، بيروت .
٤٥- الاقتصاد في ضوء الشريعة الإسلامية ، محمود بابللي ، ط٢ ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت .
٤٦- اقتصادنا ، محمد باقر الصدر ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت ، ط١٣ .
٤٧- اقتصادنا في ضوء القرآن والسنة ، محمد حسن أبو يحيى ، دار عمار ، الأردن ، ط١ .
٤٨- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم، أحمد عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية- القاهرة ١٩٥٠م ، الطبعة الثانية .
٤٩- البحر الرائق شرح كنز الدقائق ، ابن نجيم ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية .
٥٠- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، ط١، مصر، ١٩١٠م.
٥١- بين الدين والعلم ، عبد الرزاق نوفل ، دار الشعب .
٥٢- تاريخ الفقه الإسلامي د . عمر الأشقر ، دار النفائس ، عمان ، الأردن الطبعة الثالثة.
٥٣- تاريخ الفلسفة الإسلامية ،د.ماجد فخري،ط١،الدار المتحدة للنشر، بيروت،١٩٧٤م.
٥٤- التبشير والاستعمار،د.مصطفى الخالدي،عمر فروخ،ط١،بيروت.

٥٥- تجديد النهضة باكتشاف الذات ونقدها ، د . محمد جابر الأنصاري ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٨٠ م .
٥٦- تربية الأولاد في الإسلام ، د . عبد الله علوان ، دار السلام ، القاهرة ، الطبعة السادسة .
٥٧- التطوير بين الحقيقة والتضليل ، د. جمال عبد الهادي ، وآخرون ، القاهرة ، ١٩٩١م .
٥٨- التعريفات ، الشريف الجرجاني ، مكتبة لبنان ، ١٩٨٥م .
٥٩- تعلموا العربية فأنها من دينكم ،د. مازن المبارك، كلية الدراسات الإسلامية ،العدد الثالث عشر، الإمارات العربية المتحدة ، ١٩٩٦م.
٦٠- التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، دار العلم للملايين –بيروت ١٩٧٥م.
٦١- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية .
٦٢- التلوث البيئي بين الإسلام والقانون الدولي والتطبيق الأردني ، محمد خلف اللافي ١٩٩٤م.
٦٣- تنظيم الأسرة في الإسلام ، عبد الرحيم عوران ، نشر صندوق الأمم المتحدة للسكان.
٦٤- تنظيم النسل في ضوء الشريعة الإسلامية، أحمد العوايشة ، اللجنة الوطنية، عمان .
٦٥- التوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف ، د.عدنان زرزور ، مؤسسة الرسالة .
٦٦- التوكل على الله والأخذ بالأسباب، ابن تيمية ،ط١، الدار المصرية اللبنانية، بيروت،١٩٩٢م.
٦٧- الحضارة ، الثقافة ، المدنية ، نصر محمد عارف ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي . ط٢ .
٦٨- الثقافة الإسلامية –المستوى الرابع ، محمد قطب وزميلاه، كلية الشريعة –مكة المكرمة .
٦٩- الثقافة الإسلامية، د. عزمي طه السيد ، ورفاقه ، منشورات جامعة القدس المفتوحة،ط١.
٧٠- الثقافة الإسلامية في الجامعات ، د. عدنان زرزور ، المكتب الإسلامي .
٧١- الثقافة الإسلامية مفهومها مصادرها خصائصها مجالاتها ، عزمي طه السيد وآخرون ، دار المناهج للنشر والتوزيع –عمان ١٩٦٩م الطبعة الأولى .
٧٢- الثقافة العربية الإسلامية، د. يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة .
٧٣- ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، موسى الإبراهيم ، دار الثقافة ، الدوحة، دولة قطر.
٧٤- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الناشر دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧، ط٣ ، دار الكتاب العربي ، ١٣٧٨هـ .
٧٥- الجغرافيا والمشكلات الدولية ، محمد عبد الغني سعودي ، القاهرة ، ١٩٧٦م .
٧٦- الجهاد في سبيل الله ، سيد قطب،ط١،الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية ، ١٩٦٩م.
٧٧- الجهاد والقتال في السياسة الشرعية،د.محمد هيكل، ط٢ ، دار البيارق ، بيروت،.
٧٨- حجية السنة ، عبد الغني عبد الخالق ، دار القرآن الكريم – ألمانيا الغربية ١٩٨٦م .
٧٩- الحداثة في منظور إيماني ، د. عدنان على النحوي ، دار النحوي ، ط١ ، الرياض .
٨٠- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه،عباس العقاد،ط٣ ، دار الكتاب العربي، بيروت،١٩٦٦م.
٨١- حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الغربي ، د. فتحي عثمان ، القاهرة.

٨٢- حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة ، محمد الغزالي ، دار التوفيق .
٨٣- حقوق الإنسان في الإسلام ، د. وهبة الزحيلي ، ط١ ، دمشق ، ١٩٩٥م .
٨٤- حقوق الإنسان في الإسلام ، د. إبراهيم مدكور ، والدكتور عدنان الخطيب ، دمشق.
٨٥- حكم شهادة النساء فيما يطلعن عليه غالباً، أ.د. محمد حسن أبو يحيى، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد الثاني عشر، السنة الخامسة، الكويت، ١٤٠٩هـ.
٨٦- حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، ط١، دار الكتب العلمية،بيروت.
٨٧- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، سيد قطب ، دار الشروق ، جدة .
٨٨- الخصائص العامة للإسلام د.يوسف القرضاوي الناشر مكتبة، وهبة ، القاهرة.
٨٩- الخطة الشاملة للثقافة ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، الكويت ، ١٩٨٦م .
٩٠- دائرة معارف القرن العشرين ، محمد فريد وجدي ، مطبعة دائرة معارف القرن العشرين.
٩١- دراسات في الثقافة الإسلامية ، د. رجب سعيد شهوان ، ورفاقه ، مكتبة الفلاح ، الكويت.
٩٢- دراسات في الثقافة الإسلامية ، صالح ذياب هندي ، دار الفكر ، عمان ، ١٩٩٣م.
٩٣- دراسات في الفكر العربي الإسلامي ، إبراهيم زيد الكيلاني وزميلاه ، دار عمان.
٩٤- دراسات في الفلسفة الإسلامية، د.محمود قاسم،ط٢، دار المعارف،مصر،١٩٦٧م.
٩٥- دراسات وبحوث في الفكر العربي الإسلامي المعاصر،د. فتحي الدريني،ط١،دار قتيبة.
٩٦- دراسة في البناء الحضاري، كِتاب الأمة،محمود مسفر، ط١، الكويت.
٩٧- الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، عطية صقر ، مؤسسة الصباح للنشر ، الطبعة الأولى.
٩٨- دعوة التوحيد ، محمد خليل الهراس ، دار المكتبة العلمية- بيروت ١٩٨٦م الطبعة الأولى .
٩٩- دليل التدريب القيادي ، هشام الطالب ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي .
١٠٠- دور الشباب في حمل رسالة الإسلام ، إسحاق الفرحان ، دار الفرقان ، عمان ، ١٩٨٢ م .
١٠١- الدين ،محمد عبد الله دراز ، مطبعة السعادة ،١٩٦٩م.
١٠٢- زاد المعاد في خير هدي العباد، ابن قيم الجوزية، تحقيق شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥م.
١٠٣- سقوط العلمانية ، أنور الجندي ، الطبعة الأولى.
١٠٤- السلام العالمي والإسلام، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، والقاهرة الطبعة السادسة، .
١٠٥- سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، أنور الجندي، ط٢، دار الجيل، بيروت.
١٠٦- السنة ومكانتها في التشريع، د.مصطفى السباعي، بيروت، ١٩٧٠م.
١٠٧- السنن الربانية في التصور الإسلامي ، د.راشد سعيد شهوان ، ، قسم الثقافة الإسلامية ، كلية الشريعة ، الرياض ، ١٩٩٠ م . رسالة دكتوراة .
١٠٨- السيرة النبوية ، أبو محمد عبد الملك بن هشام . تحقيق مصطفى السقا وزميلاه ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده — مصر ١٩٥٥م ، الطبعة الثانية .

١٠٩- شبهات وأباطيل حول تعدد زوجات الرسول ﷺ ، محمد علي الصابوني،ط١،١٩٨٠م.
١١٠- الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الإسلامي، أنور الجندي،ط١، دار الاعتصام ، مصر.
١١١- الشخصية الإسلامية ، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، دار العلم للملايين –بيروت.
١١٢- شرح قانون الأحوال الشخصية ،أ.د. محمود السرطاوي،ط١، دار الفكر،١٩٩٧م.
١١٣- الشريعة الإسلامية خلودها وصلاحها للتطبيق في كل زمان ومكان،أ.د. يوسف القرضاوي، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت،١٩٧٣م.
١١٤- شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكة، ط٨،دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣م.
١١٥- صحيح البخاري ، مطابع الشعب القاهرة ، ١٣٧٨ هـ.
١١٦- صحيح مسلم ، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٥م .
١١٧- الطب النبوي، ابن قيم الجوزية ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ١٣٧٧هـ.
١١٨- ظاهرة المخدرات ، والحل الإسلامي ، د . جبر فضيلات ، دار عمار ، ١٩٩٢م.
١١٩- ظاهرة ضعف الإيمان ، ، محمد صالح المنجد ، دار الوطن ، الرياض ، ١٤١٣هـ .
١٢٠- العبادة في الإسلام د . يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثامنة.
١٢١- العروة الوثقى، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، ط٣، دار الكتاب العربي،بيروت.
١٢٢- العقوبة في الفقه الإسلامي، الشيخ محمد أبو زهرة،ط١،دار الفكر العربي،بيروت.
١٢٣- العقيدة الإسلامية، د.راجح الكردي وآخرون ، وزارة الأوقاف ،عمان ١٩٩١م .
١٢٤- عقيدة المسلم، الشيخ عبد الحميد السائح،ط٢، وزارة الأوقاف،الأردن،١٩٨٣م.
١٢٥- العقيدة في الله ، د . عمر الأشقر ، دار النفائس، عمان الأردن ، الطبعة الثامنة ١٩٩١ .
١٢٦- العقيدة والفكر الإسلامي ، د . محمد هشام سلطان ، دار الأمان ، الرباط ، الطبعة الأولى .
١٢٧- العلاقات الخارجية في دولة الخلافة،د.عارف أبو عيد،ط١، دار الأرقم، الكويت.
١٢٨- علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاق ، الناشر دار القلم ، الكويت ، الطبعة التاسعة .
١٢٩- العلم والإيمان وقضايا الشباب ، د. وهبة الزحيلي ، دار المكتبي ، دمشق ، ١٩٩٦م .
١٣٠- العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، د.سفر بن عبد الرحمن الحوالي، دار مكة للطباعة والنشر ،١٩٨٢م الطبعة الأولى ، وطبعة جامعة أم القرى ، ١٩٨٢م.
١٣١- العلمانية وثمارها الخبيثة، د.عبدالله بن عبد الرحمن الجبرين،ط١،دار الوطن، الرياض.
١٣٢- على طريق العودة إلى الإسلام. د. محمد سعيد البوطي، ط١، مؤسسة الرسالة.
١٣٣- العولمة والهوية، مجموعة من الأبحاث،ط١،المملكة المغربية،١٩٩٩م.
١٣٤- العولمة،محمد سعيد أبو زعرور،ط١، دار البيارق، عمان، ١٩٩٨م.
١٣٥- عيون الأخبار ، طبعة وزارة المعارف .مصر
١٣٦- الغارة على العالم الإسلامي، شاتلييه،ط١، ترجمة محب الدين الخطيب،مصر.
١٣٧- الغزو الفكري أهدافه ووسائله، عبد الصبور مرزوق،ط٣،رابطة العالم ،مكة المكرمة.

١٣٨- الغزو الفكري والتحديات المعادية للإسلام، مجموعة من الأبحاث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي المنعقد في جامعة الإمام محمد بن سعود ،الرياض،١٣٩٦هـ.
١٣٩- فتوى الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ، المجلد التاسع للفتاوى الإسلامية ، مارس ١٩٨٠ م .
١٤٠- الفروق، الإمام القرافي،ط١،عالم الكتب،بيروت.
١٤١- الفصحى لغة القرآن ، أنور الجندي ، دار الكتاب اللبناني ، ودار الكتاب المصري .
١٤٢- فضائل القرآن،أبو عبيد القاسم بن سلام ، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩١م.
١٤٣- الفقه الإسلامي ومدارسه، الشيخ مصطفى الزرقاء،ط١، دار القلم،١٩٩٦م.
١٤٤- فقه السنن الربانية ، د. راشد سعيد شهوان ، محاضرة ألقيت في المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عمان ، ١٩٩٨م .
١٤٥- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي،دار الفكر–بيروت، ط٥ .
١٤٦- الفكر المنهجي عند المحدثين ، همام عبد الرحيم سعيد ، دار الأمة – قطر ١٩٨٧م.
١٤٧- فلسفة نظام الأسرة في الإسلام، أ.د. احمد الكبيسي،ط٢، مطبعة الحوادث،بغداد،١٩٩٠م.
١٤٨- في الثقافة الإسلامية ، د.أحمد نوفل وزميلاه ، دار عمار للنشر، ١٩٨٤م، الطبعة الأولى .
١٤٩- في الغزو الفكري، د.عبد الرحيم السائح،ط١، كتاب الأمة وزارة الأوقاف الإسلامية،قطر.
١٥٠- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت، والقاهرة ، الطبعة الشرعية الخامسة.
١٥١- قادة الغرب يقولون :دمروا الإسلام وأبيدوا أهله،جلال العالم،ط١، دار الأرقم،عمان،١٩٨١م.
١٥٢- قصة النزاع بين الدين والفلسفة ، توفيق الطويل –مصر ، الطبعة الثانية .
١٥٣- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية، نقد مطاعن ورد شبهات، أ.د. فضل حسن عباس،ط١،دار البشير،عمان،١٩٨٨م.
١٥٤- القيم الأساسية للفكر الإسلامي والثقافة العربية،أنور الجندي،ط١،مصر.
١٥٥- القيم في العملية التربوية ، زاهر ضياء ، مؤسسة الخليج العربي ، الرياض ، ط١
١٥٦- كبرى اليقينيات الكونية ، د .محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، الطبعة السادسة.
١٥٧- كتب غيرت وجه العالم ، روبرت داونز ، ترجمة أحمد الصادق وزميله ، دار الثقافة .
١٥٨- الكشاف أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت .
١٥٩- اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية ، د. محمد عبد العزيز عمرو، مؤسسة الرسالة ، ط١.
١٦٠- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر، بيروت .
١٦١- اللغة العربية أم اللغات ولغة البشرية ، إسماعيل العوفي ، دار الفكر – دمشق ، الطبعة الأولى .
١٦٢- اللغة العربية بين حماتها وخصومها،أنور الجندي،ط١، مكتبة المعارف،بيروت.
١٦٣- لمحات في الثقافة الإسلامية ، عمر عودة الخطيب ، مؤسسة الرسالة – بيروت،ط٣،١٩٧٩.
١٦٤- الله والعلم الحديث ، عبد الرزاق نوفل ، مكتبة مصر ، الطبعة الثانية .

١٦٥- مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، منشورات العصر الحديث ، ١٩٧٣م الطبعة الثالثة.
١٦٦- مبادئ في الثقافة الإسلامية ، محمد فاروق النبهان ، دار البحوث العلمية- الكويت ١٩٨٣م

١٦٧- المجتمع الإسلامي المعاصر ، د.محمد أمين المصري ، دار الأرقم - الكويت ١٩٨٠م.
١٦٨- مجلة مجمع الفقه الإسلامي ، الدورة الثالثة لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي ، منظمة المؤتمر الإسلامي - جدة العدد الثالث ، الجزء الأول ١٩٨٧م.
١٦٩- مجموع فتاوى الإمام ابن تيمية ، ط١ ، السعودية ، ١٣٩٨هـ .
١٧٠- محاضرات في الثقافة الإسلامية ، د. راشد سعيد شهوان ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة البلقاء التطبيقية ، ١٩٩٤م .
١٧١- محاضرة بعنوان(إشكالية الهوية والاجتياح الثقافي الغربي للعام العربي)محمود.
١٧٢- محاولة لاستكشاف الثقافة الإسلامية ، د. أحمد عبد الحميد غراب ، كلية الشريعة ، قسم الثقافة الإسلامية ، ١٩٩٥م .الرياض.
١٧٣- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان الأردن.
١٧٤- مختصر تفسير ابن كثير اختصار محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت.
١٧٥- المخدرات في القلق إلى الاستعباد ، د. محمد محمود الهواري ، الدوحة ، قطر .
١٧٦- المخدرات مضارها على الدين والدنيا ، د. ياسين الخطيب ، مكة المكرمة ، ١٩٩١م .
١٧٧- المدخل إلى القرآن الكريم ، محمد عبد الله دراز ، دار القلم - الكويت ١٩٨١م.
١٧٨- المدخل إلى علم الثقافة الإسلامية ، د. عبد الرحمن الزنيدي ، كلية الشريعة ، قسم الثقافة الإسلامية ، ١٩٩٠ م .
١٧٩- المدخل الفقهي العام ، مصطفى الزرقاء ، مطابع ألف باء ، الأديب دمشق ،الطبعة التاسعة.
١٨٠- حقوق الإنسان وحرياته الأساسية ، عبد الوهاب الشيشاني ، ١٩٨٠م .
١٨١- المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية،عبد الكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٩٨٩م.
١٨٢- مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، دار الشروق ، ١٩٨٣م .
١٨٣- المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي،محمد الحسن،ط١،دار الثقافة ،قطر.
١٨٤- مذكرة في العلم والإيمان ، د. راشد سعيد شهوان ، كلية الدعوة وأصول الدين ، جامعة البلقاء التطبيقية ، ١٩٩٥م .
١٨٥- المرأة المسلمة، الشيخ وهبي الغاوجي، ط١، دار القلم، دمشق،١٩٧٥م.
١٨٦- المرأة بين الفقه والقانون، د.مصطفى السباعي،ط٦، المكتب الإسلامي،بيروت،١٩٨٤م.
١٨٧- المرأة والحقوق السياسية، رسالة ماجستير ، إعداد مجيد أبو حجير،إشراف د.يوسف علي، عمان ، الجامعة الأردنية ١٩٩٤ م .
١٨٨- مسند الأمام أحمد ، أحمد بن حنبل الشيباني ، المكتب الإسلامي - بيروت -لبنان .

١٨٩- مشكلات الشباب والحلول المطروحة والحل الإسلامي ، د. عباس محجوب ، قطر.
١٩٠- مصادر التشريع الإسلامي فيما لا نص فيه، عبد الوهاب خلاف،ط٢،دار القلم،١٩٧٠م.
١٩١- مصطفى صادق الرافعي كاتبا وأديبا ومفكرا إسلاميا ، د. مصطفى الشكعة ، ط١ ، منشورات جامعة بيروت ، ١٩٧٠ م .
١٩٢- معالم الثقافة الإسلامية، د.عبد الكريم عثمان، مؤسسة الرسالة،بيروت،١٩٩٠م.
١٩٣- معالم تاريخ الإنسانية ، هـ . ج . ويلز ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، القاهرة الطبعة الثالثة .
١٩٤- معجم المقاييس في اللغة ، أحمد بن فارس ، ط١ ، دار الفكر ، ١٩٩٤ م .
١٩٥- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة .
١٩٦- معركة التقاليد ، محمد قطب ، دار الشروق ، جدة .
١٩٧- معلمة الإسلام ، أنور الجندي ، مكتبة دار حراء ، القاهرة .
١٩٨- مفردات ألفاظ غريب القرآن ، الراغب الأصفهاني ، ط١ ، بيروت ، دار العلم ، ١٩٩٢م .
١٩٩- مفهوم تجديد الدين ، بسطامي محمد سعيد ، دار الدعوة ، الكويت ، ١٩٨٤م .
٢٠٠- مقدمات الاستتباع، مرشو غريغوار منصور،ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،١٩٩٦م.
٢٠١- مقدمة ابن خلدون ، مطبعة محمد عارف ، مصر .
٢٠٢- الملكية في الشريعة الإسلامية ، عبد السلام داود العبادي ، وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية ، دار الأقصى ، عمان ، الأردن ، ط١ ، ١٩٧٤م.
٢٠٣- من روائع القرآن، أ.د. محمد سعيد البوطي،ط٤، مكتبة الفارابي،دمشق،١٩٧٥م.
٢٠٤- مناهج البحث وتحقيق التراث ، أكرم العمري ، مكتبة دار العلوم الإسلامية ، المدينة المنورة .
٢٠٥- المنظومة القيمية الإسلامية ، د. مروان إبراهيم القيسي ، المكتب الإسلامي ، ط١.
٢٠٦- منهج التغيير الاجتماعي في الإسلام ، د . محسن عبد الحميد ، مطبعة الزمان ، بغداد.
٢٠٧- منهج القرآن في تطوير المجتمع ، د . محمد البهي ، دار الفكر القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧٤.
٢٠٨- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي،تحقيق عبد الله دراز،ط٢ دار المعرفة، بيروت ١٩٧٥م. وانظر تحقيق محمد محيي الدين طبعة علي صبيح، مصر.
٢٠٩- موسوعة الاقتصاد الإسلامي ، محمد عبد المنعم الجمال ، دار الكتاب المصري ، القاهرة.
٢١٠- الموسوعة العربية الميسرة ، د . شفيق غربال ورفاقه ، دار النهضة العربية ، بيروت، ١٩٨١م.
٢١١- الموسوعة العربية الميسرة للأديان والمذاهب ، إصدار الندوة العالمية للشباب ، الرياض .
٢١٢- موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ،أحمد العوايشة،المكتبة الإسلامية.
٢١٣- النبأ العظيم ، محمد عبد الله دراز ، مطبعة السعادة ،١٩٦٩م .
٢١٤- نحو ثقافة إسلامية أصيلة ، د.عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح – الكويت ط١،.
٢١٥- ندوة الفحص الطبي قبل الزواج من منظورطبي وشرعي،تحرير فاروق بدران وعادل ندارنه، جمعية العفاف الخيرية – عمان ١٩٩٦ م ، الطبعة الثانية .

٢١٦- نظام الأسرة في الإسلام د.محمد عقلة،مكتبة الرسالة الحديثة،عمان،الأردن ، الطبعةالثالثة.
٢١٧- نظام الإسلام "الاقتصاد" مبادىء وقواعد عامة ، محمد المبارك ، دار الفكر ، بيروت،ط٤ .
٢١٨- نظام الإسلام ، د . محمود السرطاوي ، ورفاقه ، المركز العربي للخدمات الطلابية،عمان.
٢١٩- نظام الإسلام الحكم والدولة ، محمد المبارك ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ،١٩٨٠م.
٢٢٠- نظام الإسلام العقيدة والعبادة ، محمد المبارك،دار الفكر، بيروت،ط٢ ١٩٧٥م، و ط٤،.
٢٢١- النظام الاقتصادي في الإسلام ، مبادئه وأهدافه ، أحمد العسال ، وفتحي أحمد عبد الكـريم ، دار الغريب للطباعة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط٣، ١٩٨٠م .
٢٢٢- النظام السياسي في الإسلام ، عبد العزيز الخياط ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة .
٢٢٣- نظرات في الثقافة الإسلامية ، عز الدين الخطيب التميمي ، ورفاقه دار الفرقان ، عمان.
٢٢٤- نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون الدستوري ، أبو الأعلى المودودي ، دار الفكـر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٦٩ م.
٢٢٥- النظرية الإسلامية في الدراسات الاجتماعية والتربوية ، د. عبد القادر رمزي ، دار الثقافة .
٢٢٦- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، د .صبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت.
٢٢٧- النظم الإسلامية، د.منير البياتي،ط١، دار البشير،١٩٩٥م.
٢٢٨- نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر ، سيد قطب ، الدار السعودية ، ط١ .
٢٢٩- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار ، محمد الشـوكاني ، شـركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط أخيرة
٢٣٠- هل للقانون الروماني تأثير على الفقه الإسلامي،مجموعة من الباحثين،ط١، دار البحوث.
٢٣١- الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها ، يوسف محمد صالح الأحمد ، رسالة ماجستير–كليـة الشريعة والدراسات الإسلامية – مكة المكرمة ١٩٨٧ .
٢٣٢- وسائل مقاومة الغزو الفكري، د.حسان محمد حسان،ط١، الأمانة العامة لرابطة العالم.